المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية
فرع الأدب

الشواهد الشعرية في كتاب دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجاني

توثيق وتحليل ونقد

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في البلاغة العربية

اعداد الطالبة
نجاح أحمد عبد الكريم الظاهر

اشراف
سعادة الاستاذ الدكتور علي محمد حسن العماري

١٤٠٨ هـ - ١٤٠٩ هـ
١٩٨٨ م - ١٤٠٩ م



الفَصل العَاشِر

شواهد القصر والاختصاص

أ - إنَّما ومواقعها .

ب - ما و إلا

ج - عود إلى مباحث إنَّما

أ - شواهد إنما ومواقعها :

الشاهد الرابع والثلاثون بعد المائتين : (*) (الطويل)

قول الفرزدق :

أَنَا الذَّائِدُ(١) الحَامِي الذِّمَارَ وإِنَّمَا(٢) .·. يُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ(٣) أَنَا أَوْ مِثْلِي(٤)

والشاهد من قصيدة قالها الفرزدق حين استنجدت بهنساء قبيلته (بنـي مجاشع) لما بلغهن هجاء جرير لهن ، وكان الفرزدق قد قيد نفسه ، وحلف أن لا يطلق قيده حتى يحفظ القرآن أتينه ، وقلن له : قبح الله قيدك فقد هتك جرير عورات نسائك فلحيت شاعر قوم فأحفظنه ، ففض قيده ، وقال قصيدته :

ومطلعها :

أَلَا استهزأتْ مِنّي هُنَيدةُ أَنْ رَأَتْ .·. أَسِيراً يُدَانِي خَطْوَهُ حَلَقُ الحِجلِ

(*) الدلائل ، رضا : ٢٥٣ ، خفاجي : ٣٢٦ ، شاكر : ٣٢٨ .
(١) رواية المحتسب : " أنا الدافع " .
(٢) رواية الديوان والنقائض لهذا الشطر " أنا الضَّامنُ الرَّاعي عليهم وإنما " .
(٣) رواية شرح المفصل : " عن أعراضهم " .
(٤) ديوان الفرزدق : ٢ / ١٥٢ / النقائض : ١ / ١٢٨ ، المحتسب : ٢ / ١٩٥ ، الاقتصاب في شرح أدب الكتاب : ١٨ ، المفتاح : ١٢٦ ، شرح المفصل : ١/٢/٩٥ ، شرح جمل الزجاجي : ٢ / ١٧ ، الإيضاح : ١ / ٢١٦ ، مغني اللبيب : ١ / ٣٠٩ رقم (٥١٠) ، شرح شواهد شروح الألفية للعيني : ١ / ٧٥ ، شرح أبيات الإيضاح : ١ / ١٣٦ شاهد رقم (١١٩) ، شرح التصريح على التوضيح : ١ / ١٠٦ ، شرح شواهد المغني : ٢ / ٧١٨ ، همع الهوامع : ١ / ٦٢ ، الدرر اللوامع : ١ / ٣٩ ، معاهد التنصيص : ١/٨٩ ، شروح التلخيص : " عروس الأفراح " : ٢ / ١٩٤ ، مختصر السعد : ٢ / ٢٠٠ ، مواهب الفتاح : ٢ / ٢٠٠ ، حاشية الدسوقي : ٢ / ٢٠٠ .

وقبل الشاهد :

فَإِنْ يَكُ قَيْدِي كَانَ نَذْرًا نَذَرْتُهُ ∴ فَمَا بِي عَنْ أَحْسَابِ قَوْمِيَ مِنْ شُغُلِ

وبعده الشاهد وبعده :

وَلَوْ ضَاعَ مَا قَالُوا ارْعَ مِنَّا وَجَدْتَهُم ∴ شِحَاحًا عَلَى الغَالِي مِنَ الحَسَبِ الجَزْلِ (١)

استدل به الشيخ على أنَّ " إنَّمَا " هنا جاءت بمعنى " ما وإلَّا " في إفادة القصر، وذلك لصحة انفصال الضمير معها .

والمعنى مايدافع عن أحسابهم إلَّا أنا أو مثلي . قال الشيخ قال أبو علي الفارسي :

" فليس يخلو هذا الكلام من أن يكون موجباً أو منفياً فلو كان المراد به الإيجاب لم يستقم ، ألا ترى أنك لا تقول : " يدافع أنا ولا يقاتل أنا " وإنَّمَا تقول أدافع وأقاتل ، إلَّا أنَّ المعنى لَمَّا كَانَ : مايدافع إلَّا أنَا ، فصلت الضمير كما تفصله مع النفي إذا ألحقت معه (إلَّا) حملاً على المعنى " (٢)

وكذلك استدل به الشيخ على أنه ليس كل كلام يصلح فيه (ما وإلَّا) يصلح فيه (إنَّمَا) قال :

" اعلم أنهم وإنْ كانوا قد قالوا هذا الذي كتبته لك ، فَإِنَّهُم لم يعنوا بذلك أنَّ المعنى في هذا هو المعنى في ذلك بعينه ، وأن سبيلهما سبيل اللفظين يوضعان لمعنى واحد . وفرقٌ بين أن يكون في الشيء معنى الشيء ، وبين أن يكون الشيء الشيء على الإطلاق ، يبين لك أنهما لا يكونان سواء أنه ليس كل كلام يصلح فيه (ما) و (إلا) يصلح فيه (إنَّمَا) " (٣)

---

(١) الديوان : ٢ / ١٥٢ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٢٥٣ ، خفاجي : ٣٢٦ ، شاكر : ٣٢٨ .

(٣) الدلائل ، رضا : ٢٥٣ ، خفاجي : ٣٢٧ ، شاكر : ٣٢٩ .

واستشهد به أيضا في موضع آخر من نفس الباب على أن المقصور عليه في إنما هو المتأخر دائماً قال :

" وإذ قد عرفت أن الاختصاص مع " إلا " يقع في الذي تؤخره من الفاعل والمفعول ، فكذلك يقع مع " إنَّما " في المؤخَّر منهما دون المقدَّم . . . وكما لا يجوز أن يستوي الحال بين التقديم والتأخير مع (إلَّا) كذلك لا يجوز مع (إنَّما) " (١)

فلو أنه قال : " وإنَّما أُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِهِم " صار المعنى أنه يخص المدافَع عنه ، فيزعم بذلك أن المدافعة منه تكون عن أحسابهم دون غيرها ؛ لأن قوله : " عن أحسابهم " يكون متأخراً عن الفاعل المستكن في (أدافع) ، وهذا المعنى لم يرده الفرزدق ؛ لأن المقام هنا مقام مفاخرة ، وتعداد مآثر ، فيحتاج إلى المبالغة . قال الشيخ :

" وجملة الأمر أن الواجب أن يكون اللفظ على وجهٍ يجعل الاختصاص فيه للفرزدق ، وذلك لا يكون إلَّا بأن يقدم " الأحساب " على ضميره ، وهو لو قال : " وإنَّما أدافع عن أحسابهم " ، استكن ضميره في الفعل ، فلم يُتَصَوَّر تقديم " الأحساب " عليه ، ولم يقع " الأحساب " إلَّا مؤخراً عن ضمير الفرزدق ، وإذْ تأخرت انصرف الاختصاص إليها لا محالة " . . . " (٢)

وأشار إلى أن فصل الضمير هنا ليس للضرورة . كما يزعم البعض، (٣) لأن "أدافع"

(١) الدلائل ، رضا : ٢٦٢-٢٦٣ ، خفاجي : ٣٣٦ ، شاكر : ٣٤٠ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٢٦٣ ، خفاجي : ٣٣٧ ، شاكر : ٣٤٣ .

(٣) ذهب سيبويه إلى أن الفصل هنا ضرورة ، ولم يلتفت إلى المعنى ، وكذلك ذهب ابن عصفور إلى مذهبه بحجة أنه لو كان هذا الموضع موضع فصل للضمير ، لوجب أن لا يؤتى به متصلاً ، كما لا يجوز ذلك مع إلَّا فقول العرب : " إنَّما أُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِهِم " ، وأمثاله دليل على أنه من مواضع الاتصال ، وأن الانفصال فيه ضرورة .

====

و " يدافع " واحد في الوزن (١) .

وفي الشاهد قصر آخر عن طريق تعريف الجزأين، وهو قوله " أَنَا الذَّائِدُ " والغرض منه المبالغة أي أنا هو الذَّائِدُ الحقيقي لا غيري إِلَّا من كان على وصفي (٢)

الشاهد الخامس والثلاثون بعد المائتين : (*) (الخفيف)

إِنَّمَا أَنْتَ وَالِدٌ وَالأَبُ القَا .·. طِعُ أَحْنَى مِنْ وَاصِلِ الأَوْلَادِ (٣)

والشاهد ذكره الشيخ من غير نسبة

وهو لأبي الطيب المتنبي من قصيدة يمدح بها كافورَ الإخشيدي ، ويذكر فيها الصلح بينه وبين ابن الإخشيد مولى كافور بعدما جرت بينهما وحشة وقطيعة بأن اتصل قوم من الغلمان بابن الإخشيد، وأوغروا صدره عليه ، وكان ابن الإخشيد صغيراً وكافور وليه والقائم على ملكه ، فطالب كافوراً بتسليم الغلمان فَسُلِّموا إليه واصطلحا فأنشد المتنبي قصيدته التي مطلعها :

=== وذهب الزجاجي إلى أنه غير ضرورة ؛ لأن المعنى : " مَا يُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ إِلَّا أَنَا أَوْ مِثْلِي " .

وجزم ابن مالك أنه يتعين فيه فصل الضمير / انظر :

شرح جمل الزجاجي : ٢ / ١٧ ، همع الهوامع : ١ / ٦٢ .

(١) الدلائل ، رضا : ٢٦٣ ، خفاجي : ٣٣٧ ، شاكر : ٣٤٢ .

(٢) شروح التلخيص : (مواهب الفتاح) : ٢ / ٢٠٠ .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٥٤ ، خفاجي : ٣٢٨ ، شاكر: ٣٣٠ .

(٣) ديوان المتنبي بشرح العكبري : ٢ / ٣١ ، التمثيل والمحاضرة : ٤٦٠ ، الإيضاح : ١ / ٢٢٠ ، شرح أبيات الإيضاح :- النسخة الأزهرية - : رقم الشاهد (١٢١) .

حَسَمَ الصُّلحُ مَاشْتَهتْهُ الأَعَادِي .·. وَأَذَاعَتْهُ أَلْسُنُ الحُسَّادِ

وقبل الشاهد :

وَأَطَاعَ الَّذِي أَطَاعَكَ وَالطَّـــا .·. عَةُ لَيْسَتْ خَلاَئِقَ الآسَادِ

وبعده الشاهد وبعده :

لاعَدَا[1] الشَّرُّ مَنْ بَغَى لَكُمَا الشَّرَّ(م) .·. وَخَصَّ الفَسَادُ أَهْلَ الفَسَادِ

أَنْتُمَا ـ ماٱتَّفقْتُمَا ـ الجِسْمُ وَالرُّو .·. حُ فَلَا ٱحْتَجْتُمَا إِلى العُوَّادِ

الشاهد فيه : أن من مواضع إنما أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ،ولا يدفع صحته ، وإِنَّمَا يراد تنبيهه لهذا الخبر. قال الشيخ :

" اعلم أن موضوع (إِنما) على أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب، ولا يدفع صحته أو لِمَا يُنَزَّل هذه المنزلة ، تفسير ذلك أنك تقول للرجل : إنما هو أخوك ، وإِنَّمَا هو صاحبك القديم ،لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته ، ولكن لمن يعلمه ويقرُّ به إِلا أنك تريد أن تنبهه للذي يجب عليه من حق الأخ ، وحرمة الصاحب " (٢)

فالمتنبي لم يرد أن يعلم كافوراً ، بأنه والد ، وكذلك كافور لا يحتاج إلى هذا الإعلام ، ولكن أراد تنبيهه إلى ما يجب عليه من حق الأبوة قال الشيخ :

" لم يرد أن يَعلم كافوراً أنه والد ، ولا ذاك مما يحتاج كافور فيه إلى الإعلام، ولكنه أراد أن يذكِّره منه بالأمر المعلوم ليبني عليه ما يوجبه كونه بمنزلة الوالد " (٣)

---

(١) لاعدا : أي لا يجاوز .

(٢) الدلائل ،رضا : ٢٥٤ ،خفاجي : ٣٢٨ ،شاكر : ٣٣٠.

(٣) الدلائل نفس الصفحات السابقة .

وأشار الشيخ إلى أنه لا يصح في هذا المقام استعمال " ما وإلا " بدلاً من " إنما " فلا يصح أن يقول : " ما أنت إلاّ والد " لأن " ما وإلا " إنّما تأتي لأمر يجهله المخاطب .

والمقام هنا يخالف ما ترمي إليه " ما وإلا " (١)

الشاهد السادس والثلاثون بعد المائتين : (*) (الخفيف)

إنَّما مُصْعَبٌ شِهَابٌ مِنَ اللّهِ (٢) ∴ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ (٣) الظَّلْمَاءُ (٤)

أورد الشيخ البيت (٥) من غير عزو ، وهو لعبيد الله بن قيس

(١) الدلائل ، رضا : ٢٥٦ ، خفاجي : ٣٢٩ ، شاكر : ٣٣٢ .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٥٥ ، خفاجي : ٣٢٨ ، شاكر : ٣٣١ .

(٢) رواية البداية والنهاية : " إن مصعباً شهابٌ مِنَ اللّهِ " وعليه فلا شاهد في البيت .

(٣) رواية الموشح : " ... " " تجلت عن نوره الظلماء " .

(٤) انظر البيت في :
الديوان : ٩١ ، الشعر والشعراء : ١/ ٥٣٦ ، طبقات فحول الشعراء : ٢/ ٦٤٩ ، عيون الأخبار : ١/ ١٠٣ ، الكامل : ٢/ ١٩٤ ، الفاضل : ١١٧ ، مجالس ثعلب : ١/ ١٧ ، العقد الفريد - دار الكتب العلمية - : ٥/ ١٥٥ ، نقد الشعر : ١٨٩ ، الأغاني : ٥/ ٧٩ ، المختار من شعر بشار : ٩٥ ، الموشح : ١٦٩ - ٢٠٠ ، الصناعتين : ١١٤ ، المنصف في نقد الشعر : ٢٦٤ ، العمدة : ١/ ٧٠ ، المحاسن والمساوئ : ٥٠٦ ، سر الفصاحة : ٢٥٧ ، سمط اللآلي : ١/ ٢٩٤ ، مختارات ابن الشجري : ١/ ١٨٠ ، محاضرات الأدباء : ١/ ٢٢٥ ، المفتاح : ١٢٨ ، الإيضاح : ١/ ٢٢١ ، البداية والنهاية : ٨/ ٣٢٠ ، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٣٧ب ، شرح شواهد المغني : ٢/ ٦٢٣ .

(٥) وللبيت قصة طريفة شاعت في كتب الأدب تتلخص في أن مصعبَ بن الزبير أمر بضرب عنق أحد الأسرى فاستعطفه الرجل واستلطفه ، فعفا مصعب عنه وأمر له بمائة ألف فقال الرجل :

====

الرقيـات(١) يمدح مصعب بن الزبـير. (٢)

ومطلع القصـيده :

=== بأبي أنت وأمي أشهد الله أن لابن قيس الرقيات منها خمسين ألفا
فقال له مصعب : ولم ؟ قال : لقوله فيك :
إِنَّمَا مُصْعَبٌ شِهَابٌ مِنَ اللّهِ (م) .·. تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلْمَـاءُ
فضحك مصعب وقال : أرى فيك موضعًا للصنيعة ، فأمره بلزومـه ،
وأحسن إليه ، فلم يزل معه حتى قتل ./ انظر:
عيون الأخبار : ١ / ١٠٣ ، المحاسن والمساويء : ٥٠٦ ، محاضرات
الأدباء : ١ / ٢٣٥.

(١) هو عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك بن ربيعة بن أُهيب بن ضِباب
ابن جُحير بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب (... - نحو
٨٥هـ) وأمه قتيلة بنت وَهب بن عبد الله بن ربيعة ، ويكنّى عبيد اللـه
ابن الرقيّات بأبي هاشم ، وأبي هشام ، وإنَّما لُقِّب الرقيات ؛ لأنـه
شبَّب بثلاث نسوة اسم كل واحدة منهن رُقية ، وقيل لأن جَدَّات لـه
تواليين يسمَّين رُقية ، جعله ابن سلّام في الطبقة السادسة من فحـول
الإسلام ، وكان مصاحباً لمصعب بن الزبير ، وله فيه أشعار كثيرة ./
انظر ترجمته :
طبقات فحول الشعراء : ٢ / ٦٤٩ ، ٦٥٥ ، الشعر والشعـراء :
١ / ٥٤٦ - ٥٤٧ ، الأغاني : ٥ / ٧٣ - ١٠٠ ، ١٧ / ٢٧١ ، ٢٧٥ ،
سمط اللآلي : ١ / ٢٩٤ ، خزانة البغدادي - دار صـادر - :
٣ / ٢٦٥ - ٢٦٩ ؛ شـرح شواهد المغني : ١ / ١٢٧ ، الأعـلام :
٤ / ١٩٦ ، ١ / ٢٦٤ ، ٢٩٦.

(٢) سبقت ترجمتـه عند الشاهد (السادس والأربعون بعـد
المائـة) : ٥٧٢.

أَقْفَـرَتْ بَعْدَ عَبْدِ شَـمْسٍ كَدَاءُ(١) .·. فَكُدَيٌّ(٢) فَالرُّكْنُ(٣) فَالبَطْحَـــــاءُ(٤)

وقبل الشاهد :

إِنْ تَعِشْ لا نَزَلْ بِخَيرٍ وإِنْ تَهْـ .·. ـلِكْ نَزُلْ مِثْلَ مَا يَزُولُ العَمَـــاءُ

وبعده الشاهد وبعده :

مُلْكُهُ مُلْكُ قُـوَّةٍ لَيْسَ فِيـــهِ .·. جَبَرُوتٌ وَلَا بِــهِ كِـــبْرِيَاءُ

يَتَّقِي اللَّهَ فِي الأُمُورِ وَقَدْ أَفْلَحَ (م) .·. مَنْ كَانَ هَمَّـهُ الاتِّقَـــاءُ

استشهد به الشيخ على أن من مواضع " إِنَّمَا " تنزيل المخاطب منزلة من لا يجهل الخبر، ولا يدفع صحته بإثبات أنَّ الخبر معلوم ظاهر ، فالشاعر هنا قصر مصعباً على صفة الشهاب قصر موصوف على صفة ، فادَّعى أن اتصاف ممدوحه بهذه الصفة أمر معلوم ، وذلك لينبه ، ويبالغ في إثبات هذه الصفة له . قال الشيخ :

" آدَّعى في كون الممدوح بهذه الصفة أنَّه أمر ظاهر معلوم للجميع على عادة الشعراء إذا مدحوا أن يدَّعوا في الأوصاف التي يذكرون بها

---

(١) كداء : كداء الممدودة بأعلى مكة عند المحصَّب دار النبي صلى الله عليه وسلم / معجم البلدان : ٤ / ٤٣٩.

(٢) كُدَيّ : مصغر ، طريق لمن خرج من مكة إلى اليمن / معجم البلدان ٤ / ٤٣٩ - ٤٤١.

(٣) الرُّكن : المقصود به الرُّكن اليماني . ركن البيت الحرام / معجم البلدان : ٣ / ٦٤.

(٤) البطحاء : جمعها بطاح وهي بطحاء مكة يقال لقريش الداخلة " وهم بنو كعب بن لؤي " البطاح وهم الذين ينزلون الشعب بين أخشبي مكة .

والبطحاء في اللغة : مسيل فيه دقاق الحصى / معجم البلدان : ١ / ٤٤٤.

الممدوحين أنها ثابتة لهم ، وأنهم قد شهروا بها ، وأنهم لم يُصفوا إلّا بالمعلوم الظاهر الذي لا يدفعه أحد " (١)

" وفي قوله من الله تعظيم للشهاب ، وفيه زيادة تفخيم لشأن مصعب شبهه في الشدة ، واهتداء الناس به ، وارتفاع محله بكوكب ثاقب تجلى عن وجهه الظلام ، فهو في غاية الإضاءة والإنارة " (٢)

ثم ذكر أنه يصح في هذا الموضع - وهو تنزيل المخاطب منزلة من لا يجهل - أن تجيء بـ (ما وإلّا) فتقول : " مامصعب إلّا شهاب من الله " ؛ لأن الصفة ليست معلومة على الحقيقة ، وإنّما ادّعى الشاعر له ذلك ، إلّا أنّ المعنى على ذلك يخرج عن حد المبالغة ، قال الشيخ :

" ... وإذا كان الأمر ظاهراً كالذي مضى لم تقله كذلك ، فلا تقول للرجل ترقّقه على أخيه وتنبهه للذي يجب عليه من صلة الرَّحم ومن حسن التحاب : ماهو إلّا أخوك ، وكذلك لا يصلح في " إنّمَا أَنْتَ وَالِدٌ " مَاأَنْتَ إلّا وَالِدٌ : فأما نحو : " إنَّمَا مُصْعَبُ شِهَابٌ " فيصلح فيه أن تقول : مامصعب إلّا شهاب ؛ لأنه ليس من المعلوم على الصحة ، وإنّما ادّعى الشاعر فيه أنه كذلك ، وإذا كان هذا هكذا جاز أن تقوله بالنفي والإثبات إلا أنك تخرج المدح حينئذ عن أن يكون على حد المبالغة من حيث لا يكون قد ادّعيت فيه أنه معلوم ، وأنه بحيث لا ينكره منكر ، ولا يخالف فيه مخالف " (٣)

---

(١) الدلائل ، رضا : ٢٥٥ ، خفاجي : ٣٢٨ ، شاكر : ٣٣١ .

(٢) شرح أبيات الإيضاح " شرح أبيات يضمنها القول في القصر " : شاهد رقم ١٢٢ .

(٣) الدلائل ، رضا : ٢٥٦ ، خفاجي : ٣٢٩ ، شاكر : ٣٣٢ .

ولقد أُعجب بهذا البيت عبد الملك بن مروان ، وفضله على قول عبيد الله بن قيس الرقيات في مديحه :

يَأْتَلِقُ التَّاجُ فَوقَ مِفْرَقِهِ .·. عَلَى جَبِينٍ كَأَنَّهُ الذَّهَبُ (١)

وقال لعبيد الله :

أعطيته المدح بكشف الغم ، وجلاء الظلم وأعطيتني من المدح مالا فخر فيه، وهو اعتدال التاج فوق جبيني الذي هو كالذهب في النضارة . (٢)

ورأى قدامة بن جعفر، وأبو هلال العسكري أن بيت الشاهد من أبيات المدح الجياد ؛ لأن المدح فيه كان بالفضائل النفسية الخاصية التي هي العقل، والعفة والعدل، والشجاعة، وما جانس ذلك وبَعُد بذلك عن عيوب المديح، وهي عدول المادح عن الفضائل التي تختص بالنفس إلى مايليق بأوصاف الجسم من الحسن، والبهاء، والزينة ، (٣) واستشهد على ذلك بقول عبد الملك في تفضيله البيت ، واعترض الآمدي ، وتبعه ابن سنان الخفاجي، على علة تفضيل البيت ، وهي كون المدح فيه بالفضائل النفسية .

ورأى الآمدي أن قدامة قد خالف بمذهبه هذا مذاهب الأمم كلها عربيها وأعجميها ؛ لأن الوجه الجميل يزيد في الهيبة ، ويتيمن به ، ويَدلُّ على الخصال المحمودة . (٤)

---

(١) رواية الفاضل : " يعتقد " .

(٢) انظر القصة مفصلة في :

الكامل : ١٩٤-١٩٥ ، الفاضل : ١١٧ ، مجالس ثعلب : القسم الأول : ١٧ ، الموشح : ١٩٦-٢٠٠ ، سر الفصاحة : ٢٥٧ .

(٣) نقد الشعر : ١٨٩ / الصناعتين : ١١٤ .

(٤) سر الفصاحة : ٢٥٧ .

وأيده في قوله هذا ابن سنان ،فقال :

" وهذا الذي ذكره أبو القاسم صحيح ، ولو لم يكن في ذلك إلّا ما قد جُبلت النفوس عليه من الميل إلى الوجوه الحسان لكفى وأغنى ،فإنْ كان قدامه يعتقد أنّ ذاك ليس بفضيلة لَمّا كان الإنسان قد خلق عليه ،فهذا حكم جميع الفضائل النفسانية ،فإن الكريم قد خُلِق كريمًا ،والشجاع شجاعًا ، والعاقل عاقلاً ، وكما لا يقدر القبيح الوجه على أن يستبدل صورة غير صورته ، كذلك لا يقدر الجاهل على أن يستبدل عقلاً فوق عقله ، ويلزم قدامه ألّا يجيز المدح بشرف النفس ، والنسب ، وكرم الأصل ؛لأن ذلك أيضا يجري مجرى الصور ، ولا صنيع للممدوح في شيء منهما ، والأمر في هذا ظاهر" (١)

وعلل ابن سنان إنكار عبد الملك على ابن قيس الرقيات مدحه له بالتاج ، أنه إنّما أنكره ؛لأن التيجان كانت من زي ملوك العجم ، ولم يكن خلفاء العرب يعرفونها .

ورأى أن القوة في البيت أنه مدح مصعب بأنه شهاب من الله تعالى ، وهذا أبلغ من مدح الخليفة باعتدال التاج فوق مفرقه . (٢)

ويبدو أن قوة البيت ليست في استعماله الفضائل النفسية ، وإنّما ترجع إلى قوة الأسلوب الذي استخدمه الشاعر ،فمكن المعاني في النفس وأكدها .

---

(١) سر الفصاحة : ٢٥٦ - ٢٥٧ .

(٢) المصدر السابق : ٢٥٧ .

الشاهد السابع والثلاثون بعد المائتين (*) (الطويل)

وَتَعْذُلُنِي أَفْنَاءُ[1] سَعْدٍ[2] عَلَيْهِمُ .:. وَمَا قُلْتُ إِلَّا بِالَّذِي[3] عَلِمَتْ سَعْدُ (٤)

أورده الشيخ عبد القاهر من غير عزو.

وهو للحطيئة من قصيدة يمدح بها بني سعد[5] مطلعها :

أَلَا طَرَقَتْنَا[6] بَعْدَمَا هَجَدُوا هِنْدُ .:. وَقَدْ سِرْنَ خَمْساً وَاتْلَأَبَّ[7] بِنَا نَجْدُ

والشاهد آخر بيت في القصيدة[8] وقبله :

(*) الدلائل ، رضا : ٢٥٥ ، خفاجي : ٣٢٩ ، شاكر: ٣٣١ .

(١) رواية مختارات ابن الشجرى : " وقد لامني "
ورواية ديوان المعاني : " وَيَعْذُلُنِي " بالياء .
ومعنى " أفناء سعد " أي بطون سعد .

(٢) ورواية الديوان وديوان المعاني وزهر الآداب :
" وَتَعْذُلُنِي أَبْنَاءُ سَعْدٍ "

(٣) رواية المفتاح والإيضاح : " إلَّا بالتي "

(٤) انظر البيت في :
ديوانه - رواية ابن حبيب - : ٤٢ ، ديوان المعاني : ٣٨ ، زهر الآداب :
٤/٩٧٨ ، مختارات ابن الشجري : ١٤ ، المفتاح : ١٢٨ ، الإيضاح : ٢٢١ ،
شرح أبيات الإيضاح : - فيض الله - : ٣٧ب .

(٥) بنو سعد : وهم من بني أشرس بن كِندة ، فولد أشرس : السَّكون والسَّكاسك ،
فمن بطون السَّكون : بنو عَدِي ، وبنو سعد ، ابنَي أَشْرَس ابن شبيب ،
أمهما تُجيب بنت ثوبان بن سُليم بن رُهاء ، من مَذْحِج / جمهرة
أنساب العرب : ٤٢٩ .

(٦) الطروق : الإتيان والزيارة ليلاً / التاج " طرق " : ٦ / ٤١٨ .

(٧) اتْلَأَبَّ : انطلق وتتابع ، والمتلئب : الطريق الممتد المنبسط /
التاج " تلب " : ١ / ١٦١ .

(٨) هذا على رواية الديوان .

فَمَنْ مُبْلِغٌ أَبْنَاءَ سَعْدٍ فَقَدْ سَعَى ∴ إِلَى السُّورَةِ[1] العُلْيَا لَهُم حَازِمٌ جَلْدُ

جَرَى حِينَ جَارَى لَا يُسَاوِي عِنَانَهُ ∴ عِنَانٌ وَلَا يَثْنِي أَجَارِيَّه[2] الجَهْدُ

رَأَى مَجْدَ أَقْوَامٍ أُضِيعَ فَحَثَّهُم ∴ عَلَى مَجْدِهِمْ لَمَّا رَأَى أَنَّهُ الجَهْدُ

وبعدها الشاهد .

وفي رواية ديوان المعاني ذكر قبل[3] الشاهد :

وَإِنْ كَانَتْ النَّعْمَاءُ[4] فِيهِم جَزَوْا بِهَا ∴ وَإِنْ أَنْعَمُوا لَا كَدَّرُوهَا وَلَا كَدُّوا

وبعده الشاهد وبعده :

يَسُوسُونَ أَحْلَاماً بَعِيداً أَنَاتُهَا ∴ وَإِنْ غَضِبُوا جَاءَ الحَفِيظَةُ وَالجِدُّ[5]

استشهد به الشيخ للتنظير على أن من معاني " إنّما " ادعاء كون الأمر معلوماً ظاهراً ، وهذا من عادة الشعراء إذا مدحوا ، فإنّهم يدّعون الشهرة ، فيما يصفون به الممدوحين ، ويدّعون أن أوصافهم جلية واضحة ، فالشاعر هنا متعجب من أمر هؤلاء الذين يلومونه في وصفه لممدوحيه ، فأكد أنّ كل ماأثبته لهم من الصفات أمر معلوم ، ومشهور لديهم .

ومعنى البيت :

" تلومني جماعات قبيلة سعد على هؤلاء القوم وعلى مدحهم ، وإنّي ماقلت

---

(١) السُّورَةِ : الفضل والمنزلة الرفيعة ، والسُّورَةِ من المجد أثره،وعلامته،وارتفاعه/ أساس البلاغة " سور " : ٢٢٤ ، التاج : " سور " : ٣/ ٢٨٣ .

(٢) الأجاري : جمع اجريا وهو ضرب من الجري . / اللسان " جرا " : ١٤/ ١٤٠

(٣) وفي رواية زهر الآداب ذكر قبل الشاهد :

مَطَاعِينُ فِي الهَيْجَا مَكَاشِيفُ لِلدُّجَى ∴ بَنَى لَهُم آبَاؤُهُم وَبَنِي الجَدُّ

وبعده الشاهد .

(٤) رواية الديوان :

" وَإِنْ كَانَتِ النُّعْمَى عَلَيهِم " .

(٥) رواية الديوان : " وَالجِدُّ " .

فيهم إلا ماطعمته هذه القبيلة ، ومامدحتهم إلَّا بالأوصاف التي سلمتها إليهم ، وأقرت بها لهم ، فلا وجه لعذلهم إياي في مدحهم . إذ لم أقل فيهم إلَّا ماهو مسلم عندهم " (١)

وذكر أبو هلال العسكري في ديوان المعاني عن ابن شبرمة أنه قال : " أمدح ماقالت العرب قول الحطيئة ." (٢) ثم ذكر أبياتًا منها بيت الشاهد ، وعلق عليها بقوله :

" ولعمري أن معاني هذه الأبيات أبكار ليس للعرب مثلها ، وكل من تناولها ، فإنَّما استعارها من الحطيئة ، وهي جامعة لخصال المدح كلها " (٣)

وذكر الحصري في زهر الآداب أن أبيات الحطيئة هذه من حر المدح وجيد الشعر . (٤)

الشاهد الثامن والثلاثون بعد المائتين : (*) (الكامل)

قول البحتري :

لَا أَدَّعِي لِأَبِي العَلَاءِ فَضِيلَةً ∴ حَتَّى يُسَلِّمَهَا إِلَيهِ عِدَاهُ (٥)

والبيت من قصيدة يمدح بها صاعد بن مخلد (٦) ، ويمدح أبا عيسى ابنه (٧) ، ومطلعها :

---

(١) شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٣٧ب.

(٢) ديوان المعاني : ٣٨ .

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٤) زهر الآداب : ٤ / ٩٧٧ .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٥٥ ، خفاجي : ٣٢٩ ، شاكر : ٣٣١

(٥) انظر البيت في :

ديوانه - دار بيروت - : ١ / ٣٣٥ ، المفتاح : ١٢٨ ، الإيضاح : ١ / ٢٢١ ، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٣٧ب.

(٦) مضت ترجمته ، انظر ص: ٢٦٦ .

(٧) مضت ترجمته ، انظر: ٢٦٦ .

أَرَجٌ لِرَيَّا طَلَّةٌ رَيَّـــاهُ (١) ∴ لا يَبْعُدُ الطَّيفُ الَّذِي أَهْدَاهُ (٢)

وقبل الشاهد :

خَفِّضْ (٣) أَسىً عَمَّا شَآكَ طِلابُهُ ∴ مَاكُلُّ شَائِمِ بَارِقٍ (٤) يُسْقَاهُ (٥)

وبعده البيت وبعده :

مَا المَرْءُ تُخْبَرُ عَنْ حقيقةِ سِرِّهِ ∴ كَالْمَرْءِ تَخْبُرُ سِرَّهُ وَتَـرَاهُ

طَمَحَتْ عُيونُ الحَاسِدِينَ فَفَضَّهَا ∴ شَرَفٌ بَنَاهُ اللَّهُ حَيْثُ بَنَاهُ (٦)

الشاهد فيه كسابقه .

فالشاعر هنا ينفي أن يكون قد أثبت لأبي العلاء فضيلة ليست فيه، ففضائله مشهورة معلومة . وبالغ في وصفها بالشهرة حيث ذكر أنه لم يمدحه بصفة إلَّا وقد سَلَّمَ الأعداء له بها .

---

(١) رَيَّا : اسم امرأة .

طلة رَيَّاه : طيبة ولذيذة رائحته ./ اللسان " روى " : ١٤/ ٣٥٠ .

(٢) الديوان : ٣٣٥ .

(٣) خفِّض : هون / مختار الصحاح " خفض " : ١٨٢ .

(٤) شائم بارق : شام السحاب والبرق شيما : نُظِر إليه أين يقصد ، وأين يمطر، وقيل هو النظر إليها من بعيد / اللسان " شيم " ١٢ / ٣٣٠ .

(٥) الديوان : ٣٣٥ .

(٦) الديوان : ٣٣٦ .

الشاهد التاسع والثلاثون بعد المائتين : (*) (السريع)

قَدْ عَلِمَتْ سَلْمَى وَجَارَاتُهَا (١) ∴ مَا قَطَّرَ الفَارِسَ إِلَّا أَنَـا (٢) (٣)

البيت مذكور في الدلائل من غير نسبة ، وهو لعمرو بن معدي كرب (٤) مـن

(*) الدلائل ، رضا : ٢٦٠ ، خفاجي : ٣٣٤ ، شاكر : ٣٣٧ .

(١) قطر الفارس : طعنه فقطّره أي ألقاه على قطره أي جانبه فتقطّر أي سقط ، وأيضا إذا صَرع الرجل صَرْعَةً شديدة قيل قَطّره . / اللسان " قطـر " : ٥ / ١٠٦ .

(٢) وجاء في الديوان أن البيت يروى :

قَدْ عَلِمَ الأَحْيَاءُ مِنْ مَذْحِجٍ ∴ مَا قَتَلَ الأَسْوَدَ إِلَّا أَنَـا

وهذه رواية التنبيه والإشراف ، ويُنسب البيت على هذا الوجه لقيس بـن مكشوح . / انظر :

التنبيه والإشراف : ٢٥٧ .

(٣) انظر البيت في :

الديوان : ١٧٥ ، الكتاب : ٢ / ٣٥٣ ، شرح أبيات سيبويه للنحاس : ٢٠٢ ، - من غير عزو - ، مقاييس اللغة : ٥ / ١٠٥ ، شرح جمل الزجاجي : ٢ / ١٦ - من غير عزو - ، التنبيه والإشراف للمسعودي : ٢٥٧ ، الأغاني : ١٥ / ٢١٦ ، شرح أبيات سيبويه للسيرافي : ٢ / ١٩٩ ، الصناعتين : ٧٤ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١ / ٤١١ ، فرحة الأديب : ١٣٥-١٣٦ ، البديـع لأسامه بن منقذ : ١٦٠ ، شرح المفصل : ٣ / ١٠١ - ١٠٣ ، المغنـي : ١ / ٣٠٩ ، شرح شواهد المغني : ٢ / ٧١٩ ، المقاصد النحوية - بهامـش خزانة الأدب - دار صادر - : ١ / ٥١٨ ، الإيضاح : ١ / ٢١٧ ، شرح أبيات الإيضاح : - فيض الله - : ٣٦ أ ، اللسان : " قطر " : ٥ / ١٠٦ - من غير عزو - ، مختار الأغاني : ٧ / ٣٧٢ .

(٤) ذكر صاحب شرح أبيات الإيضاح أن هناك مـن ينسب البيت للفرزدق وصحح ذلك بقوله " والظاهر أنه لعمرو بن معد يكرب " ، وقد بحثـت بدوري عن البيت في ديوان الفرزدق ، فلم أجده .

كما ينسب البيت برواية أخرى - ذكرتها سابقاً - لقيس بن مكشـوح .

قصيدة قالها في حرب القادسية . (١)

والشاهد أحد أبيات ثلاثة أولها :

---

(١) وقد ذكر الغندجاني في تعقبه السيرافي أن البيت لا يمكن أن يُفهم إلّا إذا عُرِفَت قصته ، قال ابن السيرافي :

" قَطَّرَ الفارس ألقاه على أحد قطريه " / شرح أبيات سيبويه : ٢ / ٢٠٠

وعلق الغندجاني على ذلك بقوله :

" قلّ غناءً على المستفيد هذا القدر الذي ذكره ابن السيرافي من تفسير هذا الشعر ، وذلك أنه لا يكاد يُعرف حقيقة معناه إلّا بمعرفة القصة المتعلق هو بها ، وذلك أن عمرو بن معد يكرب حمل يوم القادسية على مَرزُبان - وهو يرى أنه رستم - فقتله ، فقال في ذلك : ... الأبيات " / فرحة الأديب : ١٣٥ - ١٣٦ .

وجاء في الأغاني :

" حضر عمرو الناس وهم يقاتلون ، فرماه رجل من العجم بنشّابة ، فوقعت في كتفه ، وكانت عليه درع حصينة ، فلم تنفُذ ، وحمَل على العِلج فعانقه فسقطا إلى الأرض ، فقتله عمرو ، وسلبه ورجع بسلبه ، وهو يقول :

أَنَا أَبُو ثَورٍ وَسَيفِي ذُو النُّونْ
أَضْرِبهم ضَرْبَ غُلَامٍ مَجْنُونْ
يَالَ زُبَيدٍ إِنَّهُم يَمُوتُونْ

قال أبو عبيدة : وقال في ذلك عمرو بن معد يكرب ... الأبيات التي منها الشاهد / انظر الخبر في :

الأغاني : ١٥ / ٢١٦ - ٢١٧ .

وحرب القادسية كانت في أيام عمر بن الخطاب بين المسلمين والفرس سنة (١٦ هـ) وكان قائد المسلمين سعد بن أبي وقاص ، وقائد الفرس " رستم " وكانت الغلبة والنصر فيها للمسلمين . / فتوح البلدان للبلاذري : ٢٥١ - ٢٥٨ .

أَلِمْ بِسَلْمَى قَبْلَ أَنْ تَظْعَنَا .·. إِنَّ لَنَا (١) مِنْ حُبِّهَا دَيْدَنَا

وبعده الشاهد وبعده :

شَكَكْتُ بِالرُّمْحِ حَيَازِيمَهُ (٢) .·. وَالْخَيْلُ تَعْدُو (٣) زِيَمًا (٤) بَيْنَنَا (٥)

استشهد به الشيخ على أن تقطير الفارس خاصّ به ، وليس المراد أنَّ هناك شركة بينه وبين غيره ، فأفرد نفسه بالتقطير ، وادّعى أن سلمى تعلم أن هذا فعله خاصة . قال الشيخ :

" المعنى أنا الذي قَطَّر الفارس ، وليس المعنى على أنه يريد أن يزعم أنه انفرد بأن قَطَّره ، وأنه لم يَشْرَكْه فيه غيره " (٦)

فأفاد كلام الشيخ أن معنى البيت على قصر الإفراد .

ولقد استشهد به أبو هلال العسكري في باب " تمييز الكلام جيده من رديئه ، ونادره من بارده " وذكر أنه من الشعر البارد ، قال :

" وإذا كان المعنى صواباً ، واللفظ بارداً وفاتراً ، والفاتر شر من البارد ، كان مستهجناً ملفوظاً ، ومذموماً مردوداً ، والبارد من الشعر ، قول عمرو ابن معدي كرب . . . الأبيات " (٧)

---

(١) رواية الفندجاني :
" إِنَّ لِسَلْمَى عِنْدَنَا دَيْدَنَا "

(٢) الحيازيم جمع حيزوم، وهو ما حول الصدر / السيرافي : ٢ / ٢٠٠ ، واللسان : (حزم) : ١٢ / ١٣٢ ، ورواية الصناعتين " سرابيله " .

(٣) رواية السيرافي : " تجري " .

(٤) الزِيَمَ : المتفرقة . / السيرافي : ٢ / ٢٠٠ ، اللسان "زيم") : ٢٧٩ ، والمعنى " طعنت بالرمح في صدره والخيل تجري بفرسانها تحمل بعضهم على بعض . و (زيما) منصوبة على الحال " / شرح أبيات سيبويه للسيرافي : ٢ / ٢٠٠ .

(٥) رواية الصناعتين : " حولنا " .

(٦) الدلائل ، رضا : ٢٦١ ، خفاجي : ٣٣٤ ، شاكر : ٣٣٨ .

(٧) الصناعتين : ٧٤ .

والبيت يستشهد به النحاة على وجوب انفصال الضمير إذا كان محصوراً بـ" إِلَّا " قال السيرافي :

" الشاهد فيه أنه أتى بالضمير المنفصل وهو (أنا) حين لم يمكنه أن يأتي به متصلاً ، وإِنَّما لم يمكنه أن يصله بالفعل فيقول : " مَاقَطَّرْتَ الفَارِسَ " ؛ لأن المعنى كان يبطل ، لأنه يكون نافياً عن نفسه أنه قَطَّرَ الفارس، والأمر الذي يقع بعد (إِلَّا) هو مثبت مستثنى مما نُفي ، فلما احتاج أن يأتي بالضمير بعد " إِلَّا " أتى به منفصلاً، لأنه موضع انفصال ، وإِنَّما هو موضع اتصال ، الاتصال أن يتصل بالفعل ويليه ، والانفصال أن يبعد عن الفعل ولا يليه ." (١)

واستشهد به البلاغيون المتأخرون في سياق الحديث عن إفادة (إِنَّمَا) القصر، فمن أدلة إفادتها القصر صحة انفصال الضمير عنها كقولك " إِنَّمَا يضرب أنا " كما تقول : " مَايضرب إِلَّا أَنَا " ، ومثاله أيضا قول عمرو بن معدي كرب. (٢)

الشاهد الأربعون بعد المائتين : (*) (الطويل)

" وَإِنَّمَا يُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي " (٣)

---

(١) شرح أبيات سيبويه للسيرافي : ٢ / ١٩٩ - ٢٠٠ ، وانظر : شرح ابن عقيل : ١ / ١٠٠ .

(٢) انظر :- المفتاح : ١٢٧ ، الإيضاح : ١ / ٢١٧ .

(٣) انظر :- الشاهد الرابع والثلاثون بعد المائتين : ٨٠٠ من البحث

الشاهد الواحد والأربعون بعد المائتين : (*)   (الهزج)

كأنَّا يومَ قُرَّى (١) إنَّما (م) ∴ نقتُلُ إيَّانا (٢)
(٣)

ذكره الشيخ من غير نسبة ، وهو لذي الأصبع العدواني . (٤)

(*) الدلائل ، رضا : ٢٦٣ ، خفاجي : ٣٣٦ ، شاكر : ٣٤٢ .

(١) قُرَّى : بضم أوله ، وتشديد ثانيه ، وبعده ياء على وزن فُعْلَى : موضع ببلاد بني الحارث ، وقال أبو حنيفة : قُرَّى : ماءة قريبة من تَبَالَة . / معجم ما استعجم : ٣ / ١٠٦٢ .

وتَبَالة بفتح المثناة الفوقية على وزن فَعَالَه : بلدٌ وهي التي يضرب بها المثل ، فيقال : " أهونُ من تبالة على الحجاج " ، وهي بلدة صغيرة من اليمن ، وهي أول عمل وليه الحجاج ، ووقعت في هذا الموضع واقعة عرفت بيوم قُرَّى . / معجم البلدان : ٢ / ٩ .

(٢) انظر البيت في : ديوانه : ٧٨ ، الكتاب : ٢ / ١١١ ، ٣٦٢ ، إعراب ثلاثين سورة من القرآن : ٢٥ ، الخصائص : ٢ / ١٩٤ ، شرح جمل الزجاجي : ٢ / ١٨ ، الأمالي الشجرية : - دار المعرفة - : ١ / ٣٩ ، شرح المفصل : ٣ / ١٠١ ، ١٠٢ ، الإنصاف : ٢ / ٦٩٩ ، خزانة الأدب : - مكتبة الخانجي - : ٥ / ٢٨٠ - ٢٨٢ .

(٣) الدلائل ، رضا : ٢٦٣ ، خفاجي : ٣٣٦ ، شاكر : ٣٤٢ .

(٤) هذه نسبة أمالي ابن الشجري ، وخزانة البغدادي .

ونُسب البيت في الكتاب لبعض اللصوص ، وفي الخصائص لأبي بجيلة ، وذو الأصبع العدواني هو :

حرثان بن الحارث بن مُحرِّث بن ثَعْلَبة بن سَيَّار بن ربيعة بن هبيرة ابن ثعلبة بن ظَرِب بن عمرو بن يشكر بن عَدْوان ، وهو شاعر فارس من قُدماء الشعراء في الجاهلية ، وله غارات كثيرة في العرب ، ووقائع مشهورة ، عاش ذو الأصبع مائة وسبعين سنة ، وقيل ثلثمائة سنة ، وهو أحد حكام العرب في الجاهلية ، ويقال أنه سُمي بذي الأصبع ؛ لأنه كانت له إصبع زائدة ، وقيل لأن حية نهشت إصبعه ، فقطعتها ، وقال المرتضى في أماليه : أنه سُمِّي " عدوان " لأنه عدا على أخيه " فَهْم " فقتله ، وقيل ===

والبيت أحد أبيات خمسة هي :

لَقِينَا مِنْهُـــمُ جَمْعـــاً ∴ فَأَوْفَـى الجَمْعُ مَا آنَـــا

كَأَنَّا يَوْمَ قُرَّى إِنَّمَا (م) ∴ نَقْتُــــلُ إِيَّانَــــا

قَتَلْنَا مِنْهُمُ كُـــلَّ (م) ∴ فَتـــًى أَبْيَــضَ حُسَّـــانَا

يُـرَى يَرْفُلُ فِي بُرْدَ ينِ (م) ∴ مِنْ أَبْـرَادِ نَجْرَانَـــــا

إِذَا يُسْرِحُ ضَأْناً مِائَةً (م) ∴ أَتْبَعَهَـــا ضَـــانَا (١)

استشهد به الشيخ على أنه لا يجوز أن يجعل قول الفرزدق : " إِنَّمَا يدافع عـــن أحسابهم " نظيراً لهذا البيت ، لأن فصل الضمير هنا للضرورة (٢) ، أما قول الفرزدق فهو غيره إذ لا ضرورة فيه . قال الشيخ :

" هذا ولا يجوز أن يُنْسَب فيه (٣) إلى الضرورة ، فيجعل مثلاً نظير قول الآخر :

=== بل فقأ عينه / انظر ترجمته في :

الأغاني : ٣/٨٩-١٠٩ ، الشعر والشعراء : ٢/ ٧١٢ ، الاشتقاق : ٢٦٨ ، المؤتلف والمختلف : ١١٨ ، سمط اللآلي : ٢٨٩-٢٩٠ ، الخزانة : ٥/ ٢٨٤ ، المعمرين لأبي حاتم : ٥٨ - ١١٣ .

(١) انظر الأبيات في :

ديوانه : ٧٨ - ٧٩ ، أمالي ابن الشجري : ١/ ٣٩ - ماعدا البيت الأخير - ، خزانة البغدادي - مكتبة الخانجي - : ٢٨٢ .

(٢) والضرورة هنا : " لأنه لا يمكنه أن يأتي بالمتصل فيقول نقتلنا ، لأنـــه يتعدى فعله إلى ضميره المتصل ، فكان حقه أن يقول : نقتل أنفسنا ، لأن المنفصل والنفس يشتركان في الانفصال ، ويقعان بمعنى نحو قولك : ما أكرمت إلا نفسك ، وما أكرمت إلا إياك ، فلما كان المتصل لا يمكن وقوعـه ههنا لما ذكرناه ، وكان النفس والمنفصل مترادفين استعمل أحدهمـــا ./ شرح المفصل : ٣ / ١٠٣ .

(٣) الضمير هنا يعود على بيت الفرزدق " إنما يدافع عن أحسابهم أنـــا أو مثلي " .

كَأَنَّا يَوْمَ قُــرَّى إِنَّمَا (م) .·. نَقْتُــلُ إِيَّانَـــا

لأنه ليس به ضرورة إلى ذلك ، من حيث أنّ " أدافع " و " يدافع " واحــد في الوزن ، فاعرف هذا أيضا " (١)

ومعنى الشاهد : " قال ابن الشجري : ومعنى قوله كَأَنَّا نقتل إِيَّانَا تشــبيه المقتولين بنفسه ، وقومه في الحُسن والسيادة ، فلذلك وصفه بما بعده أي هــم سادة يلبسون أبراد اليمن ، فكأننا بقتلنا إِيَّاهم قتلنا أنفسنا . انتهى .

وقال ابن الأعرابي : أي لا ينبغي أن نقتل منهم لنفاستهم ، ولكن ألجئونا إلى ذلــك .

وقال الأعلم : وصف قوماً أوقعوا ببني عمهم فكأنهم بقتلهم قاتلون أنفسهم " (٢)

ب - شواهد " ما و إلا " :

الشاهد الثاني والأربعون بعد المائتين : (*) (السريع)

السيد الحمــيري (٣) :

---

(١) الدلائل ، رضا : ٢٦٣ ، خفاجي : ٣٣٦-٣٣٧ ، شاكر : ٣٤٢ .

(٢) خزانة الأدب :- مكتبة الخانجي -: ٥ / ٢٨٢ .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٦٥ ، خفاجي : ٣٣٨ ، شـاكر : ٣٤٤ .

(٣) السيد لقبه . واسمه إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مُفرّغ الحميري ، وقيل هو يزيد بن مُفرّغ ، ومن قال : إنه يزيد بن معاوية فقد أخطأ ، ومفــرّغ لقب ربيعة ؛ لأنه راهن أن يشرب عُسّاً من لبن فشربه حتى فرّغه ، فَلُقِّبَ مُفَرِّغا ، وأُم السيد الحميري امرأة من الأزد من بني الحُدّان ، وجَدُّه يزيد بن ربيعــة شاعر مشهور ، وهو الذي هجا زياداً ، وبنيه ونفاهم عن آل حرب ، وحبســه عبيد الله بن زياد لذلك وعذبه ثم أطلقه معاوية .
وكان السيد شاعراً متقدماً مطبوعاً يقال إن أكثر الناس شعراً في الجاهليــة والإسلام ثلاثة : بشار ، وأبو العتاهية والسيد ، فإنه لا يعلم أن أحداً قــدر على تحصيل شعر أحد منهم أجمع ، وإنّما مات ذكره وهجَر الناس شعره لما كان يُفرط فيه من سَب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه فــي شعره ويستعمله في قذفهم والطعن عليهم . توفي سنة ١٧٣ / انظر ترجمتــه : الأغاني : ٧ / ٢٢٩-٢٧٨ .

لَوْ خُيِّرَ المِنْبَرُ فُرْسَانَهُ ∴ مَا اخْتَارَ إِلَّا مِنْكُمُ فَارِسَا (١)

وهو من قصيدة قالها في مدح بني العباس، وذم بني أمية . (٢)

أولها :

دُ وَنَكُمُوهَا يَابَنِي هَاشِمٍ ∴ فَجَدِّدُوا مِنْ عَهْدِهَا الدَّارِسَا

وبعده أبيات قبل الشاهد :

دُ ونَكُمُوهَا لاَ عَلَا كَعْبُ مَنْ ∴ كَانَ عَلَيكُم مُلكَهَا نَافِسَا

دُ ونَكُمُوهَا فَالْبَسوا تَاجَهَا ∴ لاَ تَعْدَمُوا مِنْكُم لَهُ لاَبِسَا

وبعدهما بيت الشاهد وبعده :

قَدْ سَاسَهَا قَبْلَكُمْ سَاسَةٌ ∴ لَمْ يَتْرُكُوا رَطْبًا وَلَا يَابِسَا

وَلَسْتُ من أَنْ تَمْلِكُوهَا إِلى ∴ مَهْبِط عِيسَى فِيكُم آيِسَا (٣)

الشاهد فيه : أن المقصور عليه في النفي والاستثناء هو مابعد "إلّا" مباشرة ، فالاختصاص هنا في الجار والمجرور "منكم" دون فارسًا . قال الشيخ :

" واعلم أنك إنْ عمدت إلى الفاعل والمفعول فأخرتهما جميعاً إلى مابعد "إلّا" ، فإن الاختصاص يقع حينئذ في الذي يلي "إلّا" منهما . . . وحكم

---

(١) الأغاني : ٧ / ٢٤٠ . ، المفتاح : ١٣٠ ، الإيضاح : ١ / ٢٢٥ ، شرح أبيات الإيضاح : ١/ ١٤٠ ، شاهد رقم "١٢٨" .

(٢) جاء في الأغاني -٧ / ٢٤٠هـ :

" لما استقام الأمر لبني العباس قام السيّد إلى أبي العباس السفّاح حين نزل عن المنبر فقال . . . الأبيات فسُرَّ أبو العباس بذلك وقال له : أحسنت يا إسماعيل سَلْني حاجتك ، قال : تُوَلّي سليمان بن حبيب الأهواز ففعل " .

(٣) الأغاني : ٧ / ٢٤٠ .

المفعولين حُكم الفاعل والمفعول فيما ذكرت لك . تقول : " لم يَكْسُ إلَّا زيداً جُبَّةً " ، فيكون المعنى أنَّهُ خَصَّ " زيداً " من بين الناس بكسوة الجبة ، فإن قلت : " لم يَكْسُ إلَّا جُبةً زيداً " ، كان المعنى : أنَّهُ خَصَّ الجبة من أصناف الكُسوة ".

وكذلك الحُكم حيث يكون بَدَل أحد المفعولين جارٌ ومجرور.

كقول السيد الحميري : . . .

الاختصاص في " منكم " دون " فارسا " ولو قلت : " ما اختار إلَّا فارساً منكم " ، صار الاختصاص في " فارساً " " (١)

والمعنى : أنه لو خير أحد المنبر في فرسانه أي في اختيار فصحائه وخطبائه ، فإنه لن يختار إلا خطباء بني العباس لفصاحتهم وبلاغتهم ، وأكد هذا المعنى بأن قصر الاختيار عليهم دون غيرهم .

وبُني الفعل للمجهول (خُيِّرَ) ليدل على سرعة اختياره لهم . وعلى أن التخيير لو وقع من أي إنسان لكان هذا هو الجواب ، فليس المهم من يقع منهم التخيير ، ولكن المهم وقوع التخيير نفسه فيكون الاختيار منكم لا من غيركم .

د - عود إلى مباحث " إنما " :

الشاهد الثالث والأربعون بعد المائتين : (*) (الرمل)

قول لبيد : (٢)

* إنَّمَا يَجْزِي الفَتَى (٣) لَيْسَ (٤) الجَمَلْ (٥) * (٦)

---

(١) الدلائل ، رضا : ٢٦٤-٢٦٥ ، خفاجي : ٣٢٧-٣٣٨ ، شاكر : ٢٤٤-٣٤٥.
(*) الدلائل ، رضا : ٢٧١ ، خفاجي : ٣٤٤ ، شاكر : ٣٥٣ .
(٢) ستأتي ترجمته : ٩٤٣ .
(٣) الفتى : أي اللبيب / خزانة البغدادي - مكتبة الخانجي - : ٩ / ٣٠٠ .
(٤) رواية الكتاب وشرح أبيات سيبويه للنحاس " غير الجمل "
استشهد به على جواز وصف " الفتى " المحلى بأل الجنسية بـ " غير " وهي نكرة مضافة إلى معرفة ، والذي سوغ هذا أن التعريف بالألف واللام يكون للجنس ، فلا يخص واحداً بعينه ، فهو مقارب للنكرة ، وأن " غيرا " مضافة

======

ذكر الشيخ عجز البيت دون الصدر، وصدره :

(١) (٢)
* فَإِذَا جُوزِيتَ قَرْضاً فَاجْزِهِ *

والشاهد من قصيدة قالها في رثاء أخيه ، ومطلعها :

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرُ نَفَلْ .·. وَبِإِذْنِ اللَّهِ رَيْثِي وَعَجَلْ

وقبل الشاهد :

=== إلى معرفة فقاربت المعارف لذلك ، وإن كانت نكرة .

(٥) الجمل : الجاهل البليد / خزانة البغدادي : - مكتبة الخانجي -: ٩ / ٣٠٠ ،
وقيل المراد به " الحيوان " المعروف . /شرح أبيات سيبويه للسيرافي : ٢ / ٤٠

(٦) انظر البيت في :
الديوان : ١٤٢ ، شرح ديوان لبيد : ١٧٩ ، الكتاب : ٢ / ٣٣٣ ، شرح أبيات سيبويه للنحاس : ١٩٨ - من غير نسبة - فصل المقال في شرح كتاب الأمثال : ١٧٣ ، حماسة البحتري : ١٦١ ، المقتضب : ٤ / ٤١٠ - من غير نسبة - ، مجالس ثعلب : ٢ / ٤٤٧ - من غير نسبة ، شرح أبيات سيبويه للسيرافي : ٢ / ٤٠ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١ / ٣٧٠ ، التمثيل والمحاضرة : ٣٣٤ - ذكر العجز فقط ومن غير نسبة - ، شرح جمل الزجاجي : ١ / ٢٢٥ - من غير نسبه - ، أوضح المسالك : ٣ / ٣٨ - ذكر العجز فقط ، ومن غير نسبه - اللسان " قرض " : ٧ / ٢١٧ ، خزانة البغدادي " ت : عبدالسلام هارون " : ٩ / ٢٩٦-٢٩٧ - ٣٠٠ ، التصريح بمضمون التوضيح : ١ / ١٩١ - ذكر عجز البيت وبدون نسبه - .

---

(١) رواية الكتاب، وشرح أبيات سيبويه للسيرافي والمقتضب، وشرح جمل الزجاجي ، وخزانة البغدادي : " وإذا " .

(٢) رواية الكتاب، وفصل المقال ، وخزانة البغدادي " أُقرضت " ، ورواية المقتضب وشرح جمل الزجاجي : " وإذا وُلِّيتَ " .

وَغُلَامٍ أَرْسَلَتْهُ أُمُّه ∴ بِأَلُوكٍ(١) فَبَذَلْنَا مَا سَأَلْ

أَوْ نَهَتْهُ فَأَتَاهُ رِزْقُهُ ∴ فَاشْتَوى لَيْلَةَ رِيحٍ وَاجْتَمَلْ (٢)

مِنْ شِوَاءٍ لَيْسَ مِنْ عَارِضَةٍ(٣) ∴ بِيَدَيْ كُلِّ هَضُومٍ ذِي نَزَلْ (٤)

وبعد ها الشاهد وبعده :

أَعْمِلِ الْعِيسَ عَلى عِلاَّتِهَا ∴ إِنَّمَا يُنْجِحُ أَصْحَابُ الْعَمَلْ (٥)

استشهد به الشيخ على أنه لا يحسن العطف بـ " لا " بعد إنما إذا كان الوصف مختصاً بالموصوف، وقد جاء النفي هنا متأخراً عن " إنما " .

فقد آعتبر الشيخ أن " ليس " هنا بمعنى " لا "(٦) العاطفة أي " إِنَّمَا يَجْزِي الفَتَى لَا الجَمَلُ " .

---

(١) الألوك : الرسالة / لسان العرب (لوك) : ١٠/٤٨٥.

(٢) آجتمل : أذاب شحم الجمل لينتفع به ، جَملتُ الشحم أَجْمُله جَمْلاً وآجتملته إذا أذبته . / اللسان " جمل " : ١١ / ١٢٧.

(٣) العارضة : هي الناقة التي تنحر إذا ماأصيبت بكسر أو داء/ اللسان " عرض " : ٧ / ١٧٨.

(٤) النَزَل : كثير الفضل والعطاء والبركة / اللسان " نَزَل " : ١١/٦٥٩.

(٥) الديوان : ١٤٤ - ١٤٥.

(٦) وقد اختلف النحاة في آعتبار ليس بمعنى " لا " العاطفة ، فهي عند البغداديين بمعنى " لا " العاطفة في أنها تقتضي التشريك في اللفظ دون المعنى بإثبات لما بعده ماآنتفى عما قبله أي أن تنفي عما بعدها ماثبت لما قبلها ، وقد منع ذلك آخرون ، لاحتمال أن تكون ليس حرفاً ناسخاً ، والجَمَل اسمها، وخبره محذوف ، وقدّره البعض " ليس الجمل مجزيا " على قراءة " يُجزِيء بالبناء للمجهول وقدره بعضهم " ليسه الفتى " والأصح أن يقدر ليس الجمل جازياً / انظر:

المقتضب : ٤ / ٤١٠ ، مجالس ثعلب : ٤٤٦-٤٤٧ ، شرح جمل الزجاجي : ١ / ٢٢٥ ، أوضح المسالك : ٣ / ٣٩ ، خزانة البغدادي - مكتبة الخانجي : ٩/٢٩٩ - ٣٠٠.

والمعنى : " إنَّما يَعرِفُ النِّعَمَ ومايجب لها من شُكرِ المنعم أربابُ العقــول ، وذوو التَّمييز، لا البهائم ، فمتى أَزلَّتَ إليك نِعمَةٌ فكن من المجازاة عليها بمرصــد فإن معرفة ذلك والأخذ به من تمام العقل ، ويوجبه المميِّزون ، وأولو الحِجَـــى لا غيرهم مما لا تمييز له ، ولا معرفة بذلك عنده ، وذكر الجمل مُكتفياً ، وإن كـــان القَصْدُ جنسه أو أجناس مثله (١) .

وهو مثل يُضرب في الحث على مجازاة الخير والشر. (٢)

قال الشـــيخ :

" ومما يجب أن يعلم أنه إذا كان الفعل بعدها فعلاً لا يصح إلَّا مـــن المذكور، ولا يكون من غيره ، كالتذكر الذي يعلم أنه لا يكون إلَّا من أُولــي الألباب لم يحسن العطف بلا فيه كما يحسن فيما لا يختص بالمذكور، ويصــح من غيره ، تفسير هذا أنه لا يحسن أن تقول : " إنَّما يَتذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ (٣) " لا الجُهَّال . كما يحسن أن تقول إنَّما يجيء زيد لا عمرو ، ثم إنَّ النفي فيما يجيء فيه النفي يتقدم تارة ويتأخر أخرى ، فمثال التأخير ما تراه في قولـــك : " إنما يجيء زيد لا عمرو، وكقوله تعالى : ﴿ إنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ (٤) ﴾ وكقول لبيد : ﴿ إنَّمَا يَجْزِي الفَتَى لَيْسَ الجَمَلْ ﴾ " (٥)

---

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١ / ٣٧٠-٣٧١ .

(٢) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال : ١٧٣ ، خزانة البغدادي - مكتبة الخانجي - : ٩ / ٣٠٠ .

(٣) الرعد : ١٩ .

(٤) الغاشية : ٢١ ، ٢٢ .

(٥) الدلائل ، رضا : ٢٧١ ، خفاجي : ٣٤٤ ، شاكر : ٣٥٣ .

وقد اشترط السكاكي في مجامعة إنّما بـ" لا " العاطفة أن لا يكون الوصف مختصاً بالموصوف ، ورأى الخطيب أنّ ماذهب إليه الشيخ عبد القاهر هو الصواب ، فالشيخ جعله شرطاً في حسن العطف لا شرطاً في جوازه ؛ لأنه لا دليل على امتناع أن يقال : إنّما يفهم العاقل لا غيره عند قصد التأكيد . (١)

الشاهد الرابع الأربعون بعد المائتين : (*) (المديد)

أَنَا لَمْ أُرْزَقْ مَحَبَّتَهَا (٢) ∴ إِنَّمَا لِلْعَبْدِ مَا رُزِقَا (٣)

ذكره الشيخ من غير عزو . وهو للعباس بن الأحنف ، وهو من قصيدة مطلعها : " وهي خمسة أبيات فقط " :

نَامَ مَنْ أَهْدَى لِيَ الأَرَقَا ∴ مُسْتَرِيحًا سَاقَنِي (٤) قَلَقَا

وقبل الشاهد :

لَوْ تَبِيتُ النَّاسُ كُلُّهُمُ ∴ بِسُهَادِي بَيَّضَ الحَدَقَا

وبعد الشاهد بعده :

غَالَهُمْ وُدِّي فَمَا عَقِلُوا ∴ حِينَ سَدُّوا دُونَهُ الطُّرُقَا

كَانَ لِي قَلْبٌ أَعِيشُ بِهِ ∴ فَاصْطَلَى بِالحُبِّ فَاحْتَرَقَا

---

(١) المفتاح : ١٢٧ ، الإيضاح : ٢١٨/١ ، شروح التلخيص : " مختصر السعد " : ٢١٢/٢ ، " مواهب الفتاح " : ٢ / ٢١٣ ، " عروس الأفراح " : ٢١١/٢ ، " حاشية الدسوقي " : ٢ / ٢١٣ .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٧٢ ، خفاجي : ٣٤٥ ، شاكر : ٣٥٥ .

(٢) رواية الديوان والأغاني : " أنا لم أرزق مودتكم "

(٣) ديوانه : دار صادر : ٢١٧ ، الأغاني : ٣٦٧/٨ ، الإيضاح : ٢٢٢/١ ، شرح أبيات الإيضاح : - النسخة الأزهرية - : ، شاهد رقم " ١٢٥ " .

(٤) رواية الأغاني : " زادني " .

استشهد به الشيخ على أن أحسن مواقع إنَّما ، وأعلقها بالقلب إذا كان الغرض منها التعريض بأمر هو مقتضى معنى الكلام بعدها . قال الشيخ :

" ثم اعلم أنك إذا استقريت وجدتها أقوى ما تكون، وأعلق ما ترى بالقلب ، إذا كان لا يُراد بالكلام بعدها نَفْسُ معناه ، ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه "(١).

ففي البيت تعريض بأنه قد يئس من وصلها ، ولا رجاء له فيه قال الشيخ :

" الغرض أن يُفهِمَك من طريق التعريض أنه قد صار يَنْصَح نفسه ، ويعلم أنه ينبغي له أن يقطع الطمع من وَصْلها ، وييأس من أن يكون فيها إسعاف" (٢)

ويظهر سر جمال إنَّما إذا حذفناها من الجملة ، وقلنا : للعبد ما رزقا ، فإنه يكون مجرد إخبار ووصف بأن للعبد ما رزقه الله ، فلا يكون وراءه كبير معنى . قال الشيخ :

" ثم إنَّ العجب في أنَّ هذا التعريض الذي ذكرت لك لا يحصل من دون " إنَّما " فلو قلت : " يتذكر أولو الألباب " لم يدلّ ما دلّ عليه في الآية ، وإن كان الكلام لم يتغيَّر في نفسه ، وليس إلا أنه ليس فيه " إنَّما "(٣) ثم قال :

" وهذا موضع فيه دقة وغموض ، وهو مما لا يكاد يقع في نفس أحد أنَّه ينبغي أن يتعرف سببه ويبحث عن حقيقة الأمر فيه " (٤)

---

(١) الدلائل ، رضا : ٢٧٢ ، خفاجي : ٣٤٥ ، شاكر : ٣٥٤ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٢٧٢ ، خفاجي : ٣٤٦ ، شاكر : ٣٥٥ .

(٣) الدلائل ، رضا : ٢٧٣ ، خفاجي : ٣٤٧ ، شاكر : ٣٥٦ .

(٤) الدلائل ، رضا : ٢٧٣-٢٧٤ ، خفاجي : ٣٤٧ ، شاكر : ٣٥٧ .

الشاهد الخامس والأربعون بعد المائتين : (*) (البسيط)

* وَإِنَّمَا يَعْذِرُ العُشَّاقَ مَنْ عَشِقَا * (١)

ذكره الشيخ من غير نسبة . وهو للباخرزي (٢) ، وصدر البيت :

* يَلُوم في الحَبِّ مَنْ لَمْ يَدْرِ طَعْمَ الهَوَى * (٣)

الشاهد فيه كسابقه ، وهو أنَّ الغرض من إنما هنا التعريض . قال الشيخ : " يقول: إنه ليس ينبغي للعاشق أن يلوم من يَلُومُهُ في عشقه ، وأنه ينبغي أن لا ينكر ذلك منه ، فإنه لا يعلم كنه البلوى في العشق ، ولو كان ابْتُلِيَ به لعرف ما هو فيه فَعَذَرَه " (٤)

الشاهد السادس والأربعون بعد المائتين : (*) (الكامل)

مَا أَنْتَ بِالسَّبَبِ الضَّعِيفِ وَإِنَّمَا ∴ نُجْحُ الأُمُورِ بِقُوَّةِ الأَسْبَابِ

(*) الدلائل ، رضا : ٢٧٢ ، خفاجي : ٣٤٦ ، شاكر: ٣٥٥ .

(١) لم أعثر عليه فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في : الإيضاح : ١ / ٢٢٢ .

(٢) نسبه الأستاذ خفاجي في تحقيق كتاب الدلائل للباخرزي ، وأضاف أنه ينسب أيضا لأحمد بن أبي دؤاد ، وذكر في تحقيقه لكتاب الإيضاح أنه ينسب للعباس بن الأحنف ، وكذلك ذكر الأستاذ عبد السلام هارون في معجم شواهد العربية .
ولقد بحثت عن مصدر هذه النِّسَب ، فيما لديَّ من مصادر ، فلم أعثر عليه .

(٣) نقلاً عن الدلائل تحقيق : خفاجي : ٣٤٦ .

(٤) الدلائل ، رضا : ٢٧٢ ، خفاجي : ٣٤٦ ، شاكر : ٣٥٥ .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٧٣ ، خفاجي : ٣٤٦ ، شاكر: ٣٥٥ .

فَالْيَوْمَ حَاجَتُنَا إِلَيْكَ وَإِنَّمَا ∴ يُدْعَى الطَّبِيبُ لِسَاعَةِ الأَوْصَابِ (١)

أورد هما (٢) الشيخ من غير نسبة (٣)، وهما للباخرزي (٤)، أو لمحمد بن أحمد بن سلمان. (٥)

---

(١) لم أقف عليه فيما لدي من مصادر إلاّ في :
معجم الشعراء للمرزباني : ٤٤٧، أمالي ابن الشجري : ٢٣٠، الإيضاح : ٢٢٢/١، شرح أبيات الإيضاح : - فيض الله - : ٣٧ب .

(٢) الدلائل، رضا : ٢٧٣، خفاجي : ٣٤٦، شاكر : ٣٥٥.

(٣) ذكر الشيخ رضا في تحقيق الدلائل أن البيت ورد في نسخة المدينة منسوباً للباخرزي .

(٤) هو أبو الحسن الباخرزي الرئيس الأديب عَلِي بن الحسن بن أبي الطيب مؤلف كتاب دمية القصر كان رأساً في الكتابة والإنشاء والشعر، كان في شبابه مشتغلاً بالفقه على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، وكتابه دمية القصر، وعصرة أهل العصر، هو ذيل يتيمة الدهر للثعالبي، وقد وضع على هذا الكتاب أبو الحسن علي بن زيد كتاباً سَمَّاه وشاح الدمية، وهو كالذيل لها، وقُتل الباخرزي في الأندلس، وذهب دمه هدراً، وذلك سنة (٤٦٧هـ).
وسُمِّي الباخرزي نسبة لباخرز، وهي ناحية من نواحي نيسابور، تشتمل على قرى، ومزارع خرج منها جماعة من الفضلاء./ انظر ترجمته : تتمة يتيمة الدهر، ٢٢٠، شذرات الذهب : ٣٢٧/٣-٣٢٨.

(٥) ذكر المرزباني أن هذين البيتين لمحمد بن أحمد بن سلمان يقولهما لعبيد الله بن يحيى بن خاقان، وذكر رواية محمد بن داود بن الجراح، وذكر أن غيره يرويهما للزبير بن بكار، وجاء في معجم الشعراء -٤٤٧- : "أبو عمرو العمراواني الراوية، واسمه "محمد" بن أحمد بن سلمان، هو القائل لعبيد الله بن يحيى بن خاقان. في رواية محمد بن داود ابن الجراح، وغيره يرويهما للزبير بن بكار.
وذكر الأستاذ خفاجي في تحقيق الدلائل أن ابن النديم في "الفهرست" ينسبهما لابن الرومي وقد رجعت "للفهرست" لابن النديم في ترجمة ابن الرومي فلم أجد الأبيات .

والشاهد فيه كسابقه ، وهو التعريض، حيث أراد بالبيت الأول أنه يجب عليّ أن أنجح في أموري ، لأنني جعلتك السبب ، وأراد بالبيت الثاني : أننا سننجح في الوصول إلى حاجتنا ، لأننا استعنا بك كما يُستعان بالطبيب في حالة المرض .

قال الشيخ :

" يقول في البيت الأول : إنه ينبغي أن أنجح في أمري حين جعلتك السبب إليه . ويقول في الثاني : إنّا قد وضعنا الشيء في موضعه ، وطلبنا الأمر من جهته ، حين استعنّا بك فيما عَرَض من الحاجة ، وعوّلنا على فضلك ، كما أنّ مَنْ عَوّل على الطبيب فيما يعرض له من السُّقْم ، كان قد أصاب بالتعويل موضعه ، وطلب الشيء من مَعْدِنه " (١)

الشاهد السابع والأربعون بعد المائتين : (*) (الخفيف)

* إنّما مُصْعَبٌ شِهَابٌ مِنَ اللّهِ *

سبق تخريجه و الاستشهاد به على نفس الموضع (٢)

الشاهد الثامن الأربعون بعد المائتين : (*) (الطويل)

قول قس بن حصن (٣) . (٤)

---

(١) الدلائل ، رضا : ٢٧٣ ، خفاجي : ٣٤٦-٣٤٧ ، شاكر : ٣٥٥-٣٥٦ .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٧٤ ، خفاجي : ٣٤٧ ، شاكر : ٣٥٧ .

(٢) أنظر : ٨٠٥ من البحث

(*) الدلائل ، رضا : ٢٧٤ ، خفاجي : ٣٤٨ ، شاكر : ٣٥٧ .

(٣) هذه نسبة الدلائل تحقيق رضا ، ونسبة الدلائل تحقيق خفاجي " قيس بن حصن " وفي تحقيق شاكر : " قتب بن حصن " .

(٤) وينسب البيت في الوحشيات لأبي حرجة الفزاري ، ونسبه أبو الفرج في مقاتل الطالبيين لعويف القوافي ، وهو عويف بن معاوية بن عقبة بن حصن ، شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية من ساكني الكوفة ، وبيته أحد البيوت المقدمة ====

أَلَا أَيُّهَا النَّاهِـي فَزَارَةَ بَعْدَمَا ∴ أَجَـدَّتْ لِغَزْوٍ(١) إِنَّمَا أَنْتَ حَالِمُ (٢)

وبعد الشاهد :

أَبَى(٣) كُلُّ حُرٍّ أَنْ يَبِيتَ بِوِتْـرِه(٤) ∴ وَيُمْنَعَ مِنْهُ النَّـوْمُ إِذْ أَنْتَ نَائِـمُ

أَقُولُ لِفِتْيَانِ العَشِيِّ تَرَوَّحُوا ∴ عَلَى الجُرْدِ فِي أَفْوَاهِهِنَّ الشَّكَائِمُ (٥)

=== الفاخرة في العرب . وكذلك ذكره أبو الفرج في ترجمته في الأغاني .
ونسب المرزباني البيت في معجم الشعراء لقتب بن حصن ، من بني شمخ بن فزارة ، ونسب البيت في السمط لبعض بني فزارة ، وذكر البيت في أمالي القالي ، وحماسة ابن الشجري ، من غير نسبة .

(١) رواية الأغاني : " أَجَـدَّتْ بِسَيرٍ " .

(٢) انظر البيت في :
الوحشيات " الحماسة الصغرى " : ٩٩ رقم (١٥٦) ، مقاتل الطالبيين: ٣٧٦ ، الأغاني : ١٩ / ١٩٢ ، الأمالي للقالي : ١ / ٢٥٨ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٣٤٠ ، سمط اللآلي : ١ / ٥٧٥ ، حماسة ابن الشجري : ٤٨ .

(٣) رواية الوحشيات والأمالي : " أرى " .

(٤) رواية الوحشيات : " أَرَى كُلَّ ذِي قَبْلٍ كَرِيمٍ يَهُمُّهُ " .

(٥) لم يذكر هذا البيت في الوحشيات وأمالي القالي .
ورواية المرزباني : " وقد قلت للقوم الذين تروحوا " .
ورواية حماسة ابن الشجري :
" أقول لفتيان كرام تَروّحوا " .
ورواية الوحشيات :

وَقُلْتُ لِفِتْيَانٍ مَصَالِيتَ إِنَّكُمْ ∴ قُدَامَى وَإِنَّ العَيْشَ لَا هُوَ دَائِمُ

قِفُوا (١) وَقفَةً مَنْ يَحْيَ (٢) لايخزْ بَعْدَها ∴ وَمَنْ يَخْتَرِمْ (٣) لا تَتْبَعهُ اللَّوائِمُ (٤)

وَهَلْ أَنْتَ إِنْ بَاعَدْتَ نَفْسَكَ مِنْهُمُ (٥) ∴ لِتَسْلم فِيمَا (٦) بَعْدَ ذَلِكَ سَالِمُ (٧)

وموضع الشاهد قوله : " إِنَّمَا أَنْتَ حَالِمُ " .

والشاهد فيه : أن من أغراض " إنَّما " أن تأتي لأمر لا يجهله المخاطب ، أو ماينزل هذه المنزلة .

ولم يعلق الشيخ على بيت الشاهد إلَّا بقوله :

أنه من اللطيف في هذا الباب . (٨)

---

(١) رواية الوحشيات والأمالي للقالي ، وحماسة ابن الشجري : " قَعُوا وَقْعَةً " .

والبيت بكامله غير مذكور في سمط اللآلي .

(٢) رواية حماسة ابن الشجري : " ... من يحي لا تجر بعدها "

(٣) رواية الوحشيات : " وَمَنْ يَجْتَرِمْ " .

ورواية أمالي القالي : " وَإِنْ يَخْتَرِمْ لَمْ تَتْبِعْهُ " .

(٤) رواية الوحشيات وأمالي القالي ومعجم الشعراء للمرزباني : " الملاوم " .

(٥) رواية المرزباني : " ... إن أخرت نفسك بعدهم " .

(٦) رواية المرزباني : " مما بعد " .

(٧) ذُكر البيت الأول والثاني والرابع مع بيت آخر في الوحشيات ، وذُكر في أمالي القالي البيت الأول والثاني والثالث . وذُكر البيت الأول والثاني والثالث والرابع والخامس في الأغاني وكذلك ذكروا في حماسة ابن الشجري ، مع اختلاف في ترتيب الأبيات فذكر فيها البيت الثالث والرابع، ثم البيت الأول، ثم البيت الثاني، ثم الخامس .

وذكر البيت الأول والثاني والثالث والرابع في معجم المرزباني .

وذكر البيت الأول والثاني في سمط اللآلي .

(٨) الدلائل ، رضا : ٢٧٤ ، خفاجي : ٣٤٨ ، شاكر : ٣٥٧ .

أراد الشاعر أن يفتخر بشجاعة قبيلة فزارة ، فهي إن جدّت في الغزو، فلن يمنعها مانع ، فبدأ البيت بـ " ألا " الاستفتاحية ، وجاء بأداة النداء " أيّها " ، ليوقظ الأذهان ، ويلفت الأنظار إلى أهمية حديثه ، ثم نزل كل من تراوده نفسه في نهي فزارة عن الغزو منزلة من لا يجهل شجاعتها ، فادّعى أن أمر شجاعتهم معلوم مشهور ، لينبه المخاطب إلى الخطأ الذي وقع فيه ، وذلك بقصره على الحلم ، وهو عدم اليقظة ، وفي هذا استهانة وتهكم ، ومبالغة كبيرة في وصف قبيلته بالشجاعة والثبات .

الفَصْل الحَادِي عَشَر

أ - شواهد - فصل من باب اللفظ والنظم

ب - شواهد تحرير القول في :

الإعجاز والفصاحة والبلاغة

١ـ شواهد فصل من باب اللفظ والنظم

الشاهد التاسع والأربعون بعد المائتين : (*) (الطويل)

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ ∴ وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكَلْكَلِ (١)

استشهد به الشيخ على أنَّ هناك فرقاً بين حكاية الكلام وبين نظمه ، فحكاية الكلام لا تتعدى الألفاظ ، أما نظمه فهو عبارة عن تجربة إنسانية ، ومعاناة ذاتية يعيشها المؤلف فتتعدى الألفاظ إلى المعاني ، فالنظم والترتيب عمل يعمله مؤلف الكلام ، ومحال أن يقال أن منشد الشعر قد مر بنفس تجربة الشاعر ، وأنه قد عمل في المعاني وترتيبها واستخراج النتائج والفوائد مثل عمل الشاعر نفسه .

قال : "اعلم أنه لا يصلح تقدير الحكاية في " النَّظم والترتيب " بل لن تَعْدُو الحكاية الألفاظ وأجراس الحروف ، وذاك أن الحاكي هو من يأتي بمثل ما أتى به المحكيّ عنه ، ولابُدَّ من أن تكون حكايته فعلاً له ، وأن يكون بها عاملاً عملاً مثل عَمَل المحكيّ عنه . . . " والنظم والترتيب " في الكلام كما بينَّا ، عمل يعمله مؤلِّف الكلام في معاني الكلم لا في ألفاظها ، وهو بما يصنع في سبيل من يأخذ الأصباغ المختلفة ، فيتوخى فيها ترتيباً يحدث عنه ضروبٌ من النقش والوشي .

وإذا كان الأمر كذلك ، فإنَّا إن تعدينا بالحكاية الألفاظ إلى النظم والترتيب أدَّى ذلك إلى المحال ، وهو أن يكون المنشد شعر امريء القيس قد عمل في المعاني وترتيبها ، واستخراج النتائج والفوائد ، مثل عمل امريء القيس ، وأن يكون حاله إذا أنشد قوله :

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ . . .

حال الصائغ ينظر إلى صورة قد عملها صائغ من ذهبٍ له أو فضَّة ، فيجيء

(*) الدلائل ، رضا : ٢٧٥ ، خفاجي : ٣٤٩ ، شاكر : ٣٥٩ .

(١) سبق تخريجه : ١٧٦ .

بمثلها من ذهبه وفضته ؛ وذلك يخرج بمرتكب إن ارتكبه إلى أن يكون الراوي مستحقاً ؛ لأن يوصف بأنه : " استعار " و " شبّه " وأن يُجعَل كالشاعر في كل مايكون به ناظماً " (١)

وقال أيضاً :

" وجملة الحديث أنّا نعلم ضرورة أنه لا يتأتّى لنا أن ننظم كلاماً من غير رويّة وفكر ، فإن كان راوي الشعر ، ومنشده يحكي نظم الشاعر على حقيقته ، فينبغي أن لا يتأتّى له رواية شعره إلا برويّة ، وإلا بأن ينظر في جميع ما نظر فيه الشاعر من أمر " النظم " وهذا مالا يبقى معه موضع عذر للشاك " (٢)

الشاهد الخمسون بعد المائتين : (*) (الطويل)

قول امرئ القيس :

* قفا نبكِ من ذِكرى حَبيبٍ ومَنزِلِ * (٣) (٤)

---

(١) الدلائل ، رضا : ٢٧٥ ، خفاجي : ٣٤٩-٣٥٠ ، شاكر : ٣٥٩-٣٦٠ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٢٧٦ ، خفاجي : ٣٥٠ ، شاكر : ٣٦١ .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٧٨ ، خفاجي : ٣٥٢ ، شاكر : ٣٦٣ .

(٣) رواية الكتاب : " ومنزلي " قال :

" أما إذا ترنّموا فإنهم يلحقون الألف والياء والواو ماينون ومالا ينون ؛ لأنهم أرادوا مد الصوت " / الكتاب : ٤ / ٢٠٥ ، ورواية شرح المفصل : " ومنزلن " وذكر أنه إنشاد كثير من بني تميم . قال :

" وهذا التنوين يستعمل في الشعر والقوافي للتطريب معاقباً بما فيه من الغنة لحروف المد واللين ، وقد كانوا يستلذون الغنة في كلامهم " ، وذكر أنه على ضربين ، وبيت امرئ القيس من الضرب الأول ، وهو أن يلحق متمماً للبناء مكملاً للوزن / شرح المفصل : ٢ / ٩ / ٣٣ .

(٤) انظر : الديوان " تحقيق السندوبي " : ١٤٣ ، نقد الشعر : ١٥ ، الموشح ٢٢٦ ، المنصف في نقد الشعر : ٦٥ ، إعجاز القرآن للباقلاني : ١٥٩ ، العمدة : ١ / ١٧٤ ، سر الفصاحة : ٢٧٨ ، مجالس العلماء : ١٥٧ ، المقتصد في شرح =====

ذكر الشيخ صدر البيت دون العجز، وعجزه :

(١) (٢) (٣)

* بِسَقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ *

وهو مطلع معلقته المشهورة (٤)، وبعده :

=== الإيضاح : ٢ / ١٠٢٠، الإنصاف في مسائل الخلاف : ٢ / ٦٥٦، المنازل والديار : ١ / ٦٠، المثل السائر : ١ / ٣٣٩، الفلك الدائر، ٤ / ١٨١، شرح المفصل : ٢ / ٩ / ٣٣، تحرير التحبير : ١ / ١٦٩، الإيضاح : ٢ / ٥٩١، أوضح المسالك : ٣ / ٤٠، شرح شافية ابن الحاجب : ٤ / ٢٤٢، المستطرف : ٢/ ٦، الإرشاد الشافي : ١٢١، المغني : ١ / ١٦١، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - شاهد رقم ٥٩٧، شرح شواهد المغني : ١ / ٤٦٣، معاهد التنصيص : ٤/ ١٥٧، ٢٢٤ شاهد رقم : ٢١٧.

(١) اللِّوى : بالكسر، وفتح الواو، والقصر، وهو في الأصل منقطع الرملة، يقال : قد أَلْوَيتم فانزلوا إذا بلغوا منقطع الرمل، وهو أيضاً موضع بعينه، قد أكثرت الشعراء من ذكره، وخلّطت بين ذلك اللوى، والرمل فعز الفصل بينهما، وهو وادٍ من أودية بني سليم، ويوم اللوى وقعة كانت فيه لبني ثعلبة على بني يربوع. / انظر :
معجم البلدان : ٥ / ٢٣، مراصد الاطلاع : ٣ / ١٢٠٩.

(٢، ٣) الدَّخول : على وزن فَعُول : موضع اختُلِف في تحديده، فقال : محمد ابن حبيب : الدخول وحومل : بلاد أبي بكر بن كلاب، وقال أبو الحسن الدَّخول وحَوْمَل : بلدان بالشام، وأنشد لامرئ القيس : قفا نبك... / معجم ما استعجم : ٢ / ٥٤٨.

(٤) ذكر السندوبي في تحقيق الديوان أن بعض الرواة زعم أن هذه القصيدة ليست لامرئ القيس، وأنها ألحقت بشعره، وإنما هي من شعر بعض النمريين.

وعلق السندوبي على هذا الزعم بقوله :

وهذا بلا شك زعم باطل وادّعاء قائل، وإلا لما سكت عنها الرواة من قبيلة =====

فَتُوضِحَ فَالمِقْرَاةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا (١) (٢) .·. لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ

استشهد به على أن الشعر يختص بقائله من جهة توخيه معاني الكلم التي ألف منها شعره ، ولا يختص به من جهة أنفس الكلم ، وأوضاع اللغة ، فهناك فرق بين قائل الشعر ، وبين راوي الشعر وحاكيه ، فقائل الشعر هو الذي ابتدأ نسقه وترتيبه عن قصد منه إلى صورة وصفة ، فامرؤ القيس حين قال :

* قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ *

كان قاصداً إلى نظم صورة معينة ، فجاء بالبيت على هذا الترتيب من كون " نبك " جواباً للأمر ، وكون " من " مُعَدِّية له إلى " ذكرى " مضافة إلى " حبيب " ، وكون " منزل " معطوفة على " حبيب " .

=== النمر بن قاسط ، ولَحَّاجوا في شأنها ، وليست هذه القبيلة بالخاملة ، ولا بالضعيفة ، وقد كان فيها شعراء ، ورواة ، فليس من المعقول أن يسلموا حقوقهم ، ويتركوا حبل الرواة على عواتقهم ، فتنتزع منهم قصيدة لها قيمتها ، وشهرتها بين العرب .

(١ ، ٢) تُوضِح : بضم أوله وبالضاد المعجمة المكسورة ، والحاء المهملة : موضع مابين رمل السبخة وأَوْد . والسبخة بفتح أوله وثانيه وبالخاء المعجمة موضع بالمدينة بين موضع الخندق ، وبين سَلْع الجبل المتصل بالمدينة ، وقيل أود والمِقْرَاة حذاء اليمامة / معجم مااستعجم : ١ / ٢٠٩ - ٣٢٤ ، ٢ / ٣ / ٧١٧ .
وقال أبو عبيدة : ان المِقْرَاة ليس موضعاً ، وإنَّما يريد امرؤ القيس الحوض الذي يُجمع فيه الماء / معجم ماستعجم : ١ / ٥٤٨ .
وقال أبو الفرج : إن الدَّخول وحومل وتوضح والمقراة كلها مواضع مابين أَمَرَةَ إلى أسود العين ، وأَمَّرَة وأسود العين في ضَرِيَّة ، وضَرِيَّة في أوسط الحِمَى ، والحِمَى أرض منبت كثير العشب بالقرب من المدينة / معجم ماستعجم : ١/١٥٠ ، ٢ / ٣ / ٨٦٠ .

قـال :

"اعلم أنا إذا أضفنا الشعر أو غير الشعر من ضُروب الكلام إلى قائله ، لم تكن إضافتنا له من حيث هو كَلِمٌ وأوضاعُ لُغَةٍ ، ولكن من حيث تُوُخِّي فيها " النَّظْمُ " الذي بيَّنا أنه عبارة عن تَوَخِّي معاني النحو في معاني الكلم .

وذاك أن من شأن الإضافة الاختصاص ، فهي تتناول الشيء من الجهة التي تَختص منها بالمضاف إليه ، فإذا قلت : " غلام زيد " تناولت الإضافة " الغلام " من الجهة التي تختص منها بزيد ، وهي كونه مملوكاً " (١)

وقال أيضا :

" وإذا كان الأمر كذلك فينبغي لنا أن ننظر في الجهة التي يختصّ منها الشعر بقائله ، وإذا نظرنا وجدناه يختصّ به من جهة توخّيه في معاني الكلم التي ألَّفَهُ منها ، ما توخَّاه من معاني النحو ، ورأينا أنفس الكلم بمعزلٍ عن الاختصاص . . . " (٢)

وقال أيضا :

" وجملة الأمر أنه لا يكون ترتيب في شيء حتى يكون هناك قصدٌ إلى صورة وصِفة إن لم يُقَدَّم فيه ما قُدِّم ، ولم يُؤَخَّر ما أُخِّر ، وبُدِيء بالذي ثُنِّي به ، أو ثُنِّيَ بالذي ثُلِّث به ، لم تحصل لك تلك الصورة وتلك الصفة وإذا كان كذلك ، فينبغي أن تَنْظُرَ إلى الذي يَقْصِدُ واضعُ الكلام أن يحصُل له من الصورة والصِّفة : أفي الألفاظ يحصُل له ذلك ، أم في معاني الألفاظ ؟ وليس في الإمكان أن يشُكَّ عاقلٌ إذا نَظَر ، أن ليس ذلك في الألفاظ ، وإنما الذي يُتَصَوَّر أن يكون مقصوداً في الألفاظ هو " الوزن " وليس هو من كلامنا في شيء ، لأنا نحن فيما لا يكون الكلام كلاماً إلاَّ به ، وليس للوزن مَدْخَلٌ في ذلك " (٣)

---

(١) الدلائل ، رضا : ٢٧٦-٢٧٧ ، خفاجي : ٣٥١ ، شاكر : ٣٦٢ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٢٧٧ ، خفاجي : ٣٥١ ، شاكر : ٣٦٢ .

(٣) الدلائل ، رضا : ٢٧٨ ، خفاجي : ٣٥٢ ، شاكر : ٣٦٤ .

الشاهد الواحد والخمسون بعد المائتين : (*) (الطويل)

قول أبي تمام :

لُعابُ[1] الأَفَاعِي القَاتِلاتِ لُعَابُهُ ∴ وَأَرْيُ[2] الجَنَى[3] اشْتَارَتْهُ[4] أَيْدٍ عَوَاسِلُ[5] (٦)

والبيت من قصيدته التي قالها في مدح محمد بن عبدالملك الزيات ، والتي مطلعهـا :

(*) الدلائل ، رضا : ٢٨٣ ، خفاجي : ٣٥٨ ، شـاكر : ٢٧١ .

(١) لعاب الأفاعي : اللعاب مايسيل من الفم ، والمراد هنا سـمها / اللسان " لعب " : ١ / ٧٤١ .

(٢) الأَرْيُ : بفتح الهمزة وسكون الراء مالزق من العسل في جـوف الخلية ، وقيل عسلها حين ترمي به من أفواهها . / اللسان " أرى " : ١٤/ ٢٨ .

(٣) الجَنَى : اسم عام يقع على كل مااجْتُنِي ، فجائز أن يُسمى " الأرى " جَنًى ؛ لأنه يُجنى من مواضع النحل ، ولعموم الجَنَى في اللفظ حسُـنت إضافة الأرى إليه ، لأن بعض الشيء يضاف إلى كله / ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ١٢٣ .

(٤) اشـتارته : جنته واستخرجته / اللسان " شـور " : ٤ / ٤٣٤ .

(٥) العواسل جمع عاسل وعاسلة ، وهي التي تستخرج العسـل . / لسان العرب " عسل " : ١١ / ٤٤٦ ، القاموس المحيط " عسـل " : ٤ / ١٦ .

(٦) انظر البيت في :

ديوان أبي تمام - الخطيب التبريزي - : ٣ / ١٢٣ ، ديوان أبي تمـام " دار صعب " : ٢٢٨ ، الحيوان : ١ / ٦٧ ، أمالي المرتضـى : ١ / ٥٣٧ ، أدب الكتاب : ٧٦ ، المفتاح : ٩٢ ، الإيضاح : ١/ ١٦٥ شرح أبيات الإيضاح : النسخة الأزهرية - شاهد رقم (٨٤) ، خزانـة الأدب للبغدادي - مكتبة الخانجي - : ١ / ٤٤٥ .

مَتَى أَنْتَ عَنْ ذُهْلِيَّةِ(١) الحَيِّ ذَاهِــلُ ∴ وَقَلْبُكَ مِنْهَا مُدَّةَ الدَّهْرِ آهِلُ (٢)

والشاهد من أبيات قالها في وصف القلم ، وقبله :

لَكَ القَلَمُ الأَعْلَى الَّذِي بِشَــبَاتِــهِ ∴ نصاب من الأمر الكلى والمفاصـــل

وبعده البيت وبعده :

لَهُ رِيقَةٌ طَلٌّ وَلَكِـــنَّ وَقْعَهـــــا ∴ بِآثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالغَرْبِ وَابِــلُ

فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقْتَهُ وَهُوَ رَاكِــبٌ ∴ وَأَعْجَمُ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلُ (٣)

استدل به الشيخ على أن النظم ليس معناه رصف الكلمات بعضها بجوار بعـض كيفما اتفق ، وإهمال توخي معاني النحو .

فلو أن عامداً عمد إلى بيت أبي تمام ، وجعل " لعاب الأفاعي " مبتدأ ، و" لُعابُه " خبراً كما يوهم الظاهر ، لأفسد الصورة التي وضعها الناظم ، بأن جعل المراد تشبيه " لعاب الأفاعي " بالمداد ، وهذا المعنى لم يقصده أبو تمام ، وإنما قصد تشبيه مداد قلمه بلعاب الأفاعي إذا كتب في إقامة السياسات ، وبأرى الجَنَى إذا كتب في العطايا والصلات . قال الشيخ :

---

(١) " ذُهلية الحي " : يجوز أن يكون نكرة ، فيكون المعنى : متى أنت من امرأةٍ ذُهْلِيٍّ حَيُّها ، كما تقول متى أنت عن حَسَنةِ الوجهِ ذاهـل ، أي عن امرأةٍ حَسَنٍ وَجْهُها ، ويجوز أن تكون " ذُهْلِيَّة " مُعَرَّفة بالإضافة ، فلا يكون الغرض كالأول ، وتكون " الذُّهلية " في هـــذا الوجه ليست في النَّسب من الحي ، وهو في المتقدم من حيٍّ كلهم ذُهْليّ . / الديوان بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ١١٢ .

(٢) الديوان بشرح الخطيب : ٣ / ١١٢ ، الديوان ـ دار صـادر ـ : ٢٢٦ .

(٣) الديوان بشرح الخطيب : ٣ / ١٢٣ .
الديوان ـ دار مصعب ـ : ٢٢٨ .

" ... فإن ههنا استدلالاً لطيفاً تكثر بسببه الفائدة ، وهو أنه يتصوّر أن يَعمِد عامِدٌ إلى نَظْمِ كلام بعينه ، فيزيله عن الصورة التي أرادها الناظم له ، وَيُفْسِدَها عليه ، من غير أن يُحوّل منه لفظاً عن موضعه ، أو يُبْدِلَه بغيره ، أو يُغَيِّر شيئاً من ظاهر أمره على حالٍ ، مثال ذلك : أنك إن قدّرت في بيت أبي تمام : - - - - - -

أن " لُعابُ الأفاعي " مبتدأ و " لُعَابُهُ " خبرٌ ، كما يوهمه الظاهر، أفسدت عليه كلامه ، وأبطلت الصُّورة التي أرادها فيه ، وذلك أنَّ الغرض أن يُشَبِّه مِداد قَلَمِه بلُعَاب الأفاعي ، على معنى أنه إذا كتبَ في إقامة السياسات أتلفَ به النفوسَ ، وكذلك الغرضَ أن يُشبِّهَ مِدادَهُ بأرْي الجَنَى على معنى أنه إذا كتبَ في العَطايا والصِّلات أوصَل به إلى النفوس ما تحلو مَذاقتُه عندها ، وأدخلَ السُّرورَ، واللَّذة عليها ، وهذا المعنى إنما يكون إذا كان " لعابه " مبتدأ ، و " لعاب الأفاعي " خبراً فأما تقديرك أن يكون " لعابُ الأفاعي " مبتدأ ، و " لعابُهُ " خبرًا ، فيُبْطِل ذلك ، ويَمْنَعُ منه ألبتَّةَ ، ويخرج بالكلام إلى مالا يجوز أن يكونَ مراداً في مثل غَرَضِ أبي تمامٍ ، وهو أنَّ يكون أراد أن يُشَبِّه " لُعابَ الأفاعي " بالمداد ، ويُشَبِّه كذلك " الأرْيَ " به " . (١)

واستدل بهذا على أن الألفاظ تبع للمعاني ، وليست المعاني تبعاً للألفاظ. قال :

" واعلم أنه إن نظر ناظر في شأن المعاني والألفاظ إلى حال السامع ، فإذا رأى المعاني تقع في نفسه من بعد وقوع الألفاظ في سمعه ظن لذلك ، أن المعاني تبع للألفاظ في ترتيبها ، فإنَّ هذا الذي بيناه يريه فساد هذا الظن ، وذلك

---

(١) الدلائل ، رضا : ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، خفاجي : ٣٥٧-٣٥٨ ، شاكر : ٣٧١-٣٧٢ .

أنه لو كانت المعاني تكون تبعاً للألفاظ في ترتيبها ، لكان محالاً أن تتغير المعاني ، والألفاظ بحالها لم تَزُل عن ترتيبها ، فلما رأينا المعاني قد جاز فيها التغير من غير أن تتغير الألفاظ ، وتزول عن أماكنها علمنا أن الألفاظ هي التابعة ، والمعاني هي المتبوعة " (١)

وفي البيت لطائف بلاغية منها :

إضافة الأرى إلى الجني ، وذلك للدلالة على طيب العسل ولطافته ، (٢) وإفادة معنى الكمال فيه .

وقصد من وصف اليد بعد إسنادها إلى فعل من معنى الصفة أن يكسبها معنى الخبرة ، والبراعة في العمل . (٣)

واستشهد به السكاكي على خروج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر ، وهو من القلب أي أنه عكس التشبيه للمبالغة (٤)

ذكر المرتضى في أماليه أنه قد أجمع العلماء على أنَّ هذه الأبيات أحسن وأفخم من جميع ماقيل في القلم (٥) .

وهذا أيضا مارآه البغدادي في خزانته . (٦) .

---

(١) الدلائل ، رضا : ٢٨٥ ، خفاجي : ٣٥٩ ، شاكر : ٢٧٢-٢٧٣ .

(٢) شرح أبيات الإيضاح : - النسخة الأزهرية - شاهد رقم (٨٤) .

(٣) هامش الإيضاح : ١ / ١٦٥ .

(٤) المفتاح : ٩٢ - ٩٣ ، وانظر : الإيضاح : ١٦٥/١ .

(٥) أمالي المرتضى : ١ / ٥٣٦ .

(٦) خزانة الأدب : - مكتبة الخانجي - : ١ / ٤٤٦ .

الشاهد الثاني والخمسون بعد المائتين :(*) (الخفيف)

* نَمْ وإِنْ لَمْ أَنَمْ كَرَايَ كَرَاكَا * (١)

أورد الشيخ الصدر دون العجز ، ومن غير نسبة ، وإنما ذكر أنَّ الشيخ أبا علي (٢) أنشده في التذكرة . (٣)

وصدر البيت لأبي تمام وعجزه :

* شَاهِدٌ مِنْكَ (٤) أَنَّ ذَاكَ كَذَاكَا * (٥)

وهو أول خمسة أبيات وبعده :

طَالَ صَبْرِي تَفْدِيكَ نَفْسِي وَقَلَّتْ ∴ نَفْسُ مِثْلِي عَنْ أَنْ تَكُونَ فِدَاكَا

فِي سَبِيلِ الهَوَى فُؤَادِي وَمَا آسَى (م) ∴ عَلَيهِ لَكِنْ عَلَى ذِكْرَاكَا

ذَهَبَتْ مُقْلَتَايَ بِالدَّمِ وَالدَّمْعِ (م) ∴ فَفِي النَّارِ إِذْ نَجَتْ مُقْلَتَاكَا

لَسْتُ أَبْكِي ذَهَابَ عَيْنِي لِعَيْنِي ∴ غَيْرَ أَنِّي أَبْكِي لأَنْ لا أَرَاكَا (٦)

(*) الدلائل ، رضا : ٢٨٥ ، خفاجي : ٣٥٩ ، شاكر : ٣٧٣ .

(١) لم أجده في ديوانه بشرح الخطيب التبريزي ، وكذلك لم أعثر عليه ، فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :
ديوانه - دارصعب - : ٤٠٦ ، المفتاح : ٩٢ - من غير نسبه - شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٢٩ ب .

(٢) هو أبو علي الفارسي .

(٣) التذكرة في علوم القرآن .

(٤) رواية شرح أبيات الإيضاح - : فيض الله - : ٢٩ ب
* شَاهِدِي السقم أَنَّ ذَاكَ كَذَاكَ *

(٥) ذكر الأستاذ شاكر أنه جاء في هامش أحدى المخطوطات مانصه :
" أوله :
* شَاهِدِي الدَّمْعُ أَنَّ ذَاكَ كَذَاكَا *
لأبي تمام الطائي "

(٦) الديوان " دارصعب " : ٤٠٦ .

ساقه الشيخ لتوضيح قوله : إن الألفاظ تبع للمعاني وليس المعاني تبعاً للألفاظ ، فإنه إن أشكل الأمر في معرفتين هما مبتدأ وخبر كان فاصل الإشكال هو المعنى وليس اللفظ. قال الشيخ :

" واعلم أنه ليس من كلام يعمد واضعه فيه إلى معرفتين فيجعلهما مبتدأ وخبراً ، ثم يقدم الذي هو الخبر إلا أشكل الأمر عليك فيه ، فلم تعلم أن المقدم خبر ، حتى ترجع إلى المعنى وتحسن التدبر " (١) .

ثم ذكر أن أبا علي الفارسي قد أنشد في " التذكرة " بيت الشاهد وأنه قال :

" ينبغي أن يكون " كرايَ " خبراً مقدماً ، ويكون الأصل : " كراكَ كَرايَ " أي نم ، وإن لم أنم فنومُك نَوْمي ، كما تقول : " قُم ، وإنْ جَلَستَ ، فقيامُكَ قِيَامي ، هذا هو عُرْفُ الاستعمال في نحوه " ثم قال :

" وإذا كان كذلك ، فقد قُدِّم الخبر وهو معرفةٌ وهو ينوي بهِ التأخير من حيث كان خبراً " (٢)

ومعنى الشاهد : أن الشاعر هنا يخاطب محبوبته فيقول :

" نم واسترح طول الليل ، وإن أنا لا أنام فيه . فإن نومك ، واستراحتك نومي واستراحتي ، ثم قال شاهدي بأن ذلك القول كذلك حق ، وليس بكذب سقمي في هواك ؛ لأن من ابتلي بالهوى يَعُدُّ راحة حبيبته راحته " (٣).

الشاهد الثالث والخمسون بعد المائتين : (*) (الطويل)

بَنُونَا بَنُو أَبْنَائِنَا (٤) وَبَنَاتُنَا .·. بَنُوهُنَّ أَبْنَاءُ الرِّجَالِ الأَبَاعِدِ (٥) (٦)

---

(١) الدلائل ، رضا : ٢٨٥ ، خفاجي : ٣٥٩ ، شاكر : ٣٧٣ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٢٨٥-٢٨٦ ، خفاجي : ٣٥٩ ، شاكر : ٣٧٣-٣٧٤ .

(٣) شرح أبيات الايضاح - النسخة الأزهرية - الشاهد رقم (٩٠) .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٨٦ ، خفاجي : ٣٥٩ ، شاكر : ٣٧٤ .

(٤) رواية حماسة أبي تمام - عسيلان - : " آبائنا " .

(٥) ذكر ابن الأنباري في الإنصاف أنه يروى " الأكارم " .

(٦) لم أجده في ديوانه - طبعة دار الباز - ، الحماسة لأبي تمام - ت : عسيلان - : ====

ذكره الشيخ من غير نسبة ، وإنما أشار أنه من أبيات الحماسة ، وهو للفرزدق (١)

استشهد به الشيخ للتنظير على أن الشاهد السابق نظير هذا البيت في أنه قدم الخبر وهو معرفة ، وهو ينوي به التأخير لوجود قرينة معنوية . وعلى هذا استشهد به النحاة (٢)

فلا يحسن أن يكون بنونا هو المبتدأ ؛ لأنه يلزم منه تشبيه البنين بأبناء الأبناء ، وليس هذا هو المعنى الذي قصده الشاعر إنما قصد تشبيه بني الأبناء بالأبناء (٣)

ذكر العيني أنه قيل لا تقديم في البيت ولا تأخير ؛ لأن البيت على التشبيه المعكوس لقصد المبالغة ، فلا شاهد في البيت (٤)

=== ١ / ٢٧٤ رقم (١٧٥) ، الإنصاف : ٦٦ ، شرح المفصل : ١ / ٩٩ ، محاضرات الأدباء : ١ / ٣٦٦ ، المغني : ٢ / ٤٥٢ ، شاهد : ٦٩٢ ، أوضح المسالك : ١ / ١٤٥ - ذكر بعض الشطر الأول فقط - ، شرح شواهد المغني : ٢ / ٨٤٨ ، شاهد رقم (٦٨٧) ، التصريح بمضمون التوضيح : ١ / ١٧٣ ، خزانة الأدب : - مكتبة الخانجي - : ١ / ٤٤٤ ، همع الهوامع : ١ / ١٠٢ ، شرح الأشموني : ١ / ١٦٣ ، شرح الشواهد للعيني : ١ / ١٦٣ .

(١) هذا البيت على الرغم من شهرته ، ودورانه في كتب النحاة لم ينسب فيها إلى قائل ، ونسبه في الخزانة للفرزدق ، نقلاً عن الكرماني في شرح شواهد الكافية للخبيصي قال :

" ورأيت في شرح الكرماني في شواهد شرح الكافية للخبيصي أنه قال : هذا البيت قائله أبو فراس همام الفرزدق بن غالب ثم ترجمه ، والله أعلم بحقيقة الحال " / الخزانة للبغدادي - مكتبة الخانجي - : ١ / ٤٤٤ .

(٢) شرح المفصل : ٢ / ٤٥٢ ، خزانة الأدب : ١ / ٤٤٤ ، شرح الشواهد للعيني : ١ / ١٦٣ .

(٣) المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

(٤) المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

وذكر ابن هشام أن حمل البيت على التشبيه المعكوس للمبالغة رأى ضعيف ؛ لأن ذلك نادر الوقوع ومخالف للأصول إلّا أن يقتضى المقام المبالغة (١)

وذكر العيني أن البيت يستشهد به الفرضيون على دخول أبناء الأبناء في الميراث ، وأن الأنساب إلى الآباء .

واستشهد به الفقهاء في الوصية ، وأهل المعاني والبيان في التشبيه (٢) .

الشاهد الرابع والخمسون بعد المائتين : (*) (المتقارب)

فَأَلْفَيْتُهُ(٣) غَيْرَ مُسْتَعْتِبٍ ∴ وَلَا ذَاكِرِ(٤) اللَّهَ إِلَّا قَلِيلَا (٥)

ذكره الشيخ من غير عزو، وهو لأبي الأسود الدؤلي .

---

(١) المغني : ٢ / ٤٥٢ . (٢) شرح الشواهد للعيني : ١ / ١٦٣ .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٨٧ ، خفاجي : ٣٦١ ، شاكر : ٢٧٦ .

(٣) وفي إحدى روايات شرح شواهد المغني : " وألفيته " .

(٤) رواية الديوان ، ومجاز القرآن ، وعبث الوليد ، والمقتضب ، والإفصاح ، وشرح جمل الزجاجي ، ولا ذاكرَ " بالنصب .

(٥) ديوانه : ١٢٣ ، الكتاب : ١ / ١٦٩ ، معاني القرآن للفراء : ٢ / ٢٠٢ ، مجاز القرآن : ١ / ٣٠٧ – من غير نسبه – ، شرح أبيات سيبويه للنحاس: ١٠٣ – من غير نسبه – ، عبث الوليد : ٣٨٥ – من غير نسبه – ، المقتضب : ١ / ١٥٧ ، من غير نسبه – ، وذكر في : ٢ / ٣١٢ منسوباً لأبي الأسود ، مجالس ثعلب : ١ / ١٢٣ – من غير نسبه – ، الخصائص : ١ / ٣١١ ، العجز فقط وبدون نسبه ، الأغاني : ١٢ / ٣١٠ ، تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات – الكشاف – : ٤ / ٤٧٩ ، وذلك عند تفسير قوله تعالى : " كل نفس ذائقة الموت " ، الإنصاف : ٢ / ٦٥٩ – من غير نسبه – ، اللسان : " عتب " ، شرح المفصل : ٢ / ٩ / ٣٤ ، شرح شافية ابن الحاجب ٤ / ٣١٤ ، شرح جمل الزجاجي : ٢ / ٤٤٧ – من غير نسبه – ، المغني : ٢ / ٥٥٥ رقم (٧٩٣) ، شرح شواهد المغني : ٢ / ٩٣٣ ، شاهد رقم (٨٢٦) الخزانة :– دار صادر – : ٤ / ٥٥٤ .

والبيت من قصيدة قالها أبو الأسود في هجاء امرأة أغرته بجمالها ، وزعمت أنها صناع الكف حسنة التدبير، وعرضت عليه أن يتزوجها ، ففعل ، فألفاها قد أسرعت في ماله ، ومدت يدها إلى خيانته . (١)

وأول هذه الأبيات :

أَرَيْتَ امرءًا كنتُ لَمْ أَبْلُهُ (٢) ∴ أتاني فَقَالَ : اتّخذْني خَلِيلَا

فَخَالَلْتُهُ ثُمَّ أَكْرَمْتُهُ ∴ فَلَمْ أَسْتَفِدْ مِنْ لَدُنْهُ فَتِيلَا

وَأَلْفَيْتُهُ حِينَ جَرَّبْتُهُ ∴ كَذُوبَ الحَدِيثِ سَرُوقًا بَخِيلَا

فَذَكَّرْتُهُ ثُمَّ عَاتَبْتُهُ ∴ عِتَابًا رَفِيقًا وَقَوْلًا جَمِيلَا

فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتِبٍ ∴ وَلَا ذَاكِرِ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلَا

أَلَسْتَ حَقِيقًا بِتَوْدِيعِهِ ∴ وَاتباعِ ذَلِكَ صَرْمًا طَوِيلَا (٣)

---

(١) ورد في الديوان والأغاني :

" كان أبو الأسود يجلس إلى فناء امرأة بالبصرة ، فيتحدث إليها ، وكانت برزة جميلة ، فقالت له : يا أبا الأسود ، هل لك في أن أتزوجك ؟ فإني صَناع الكف، حسنة التدبير، قانعة بالميسور، قال : نعم ، فجمعت أهلها ، فتزوجته ، فوجد عندها خلاف ما قدّره ، وأسرعت في ماله ، ومدّت يدها إلى خيانته ، وأفشت سره ، فغدا على مَن كان حضر تزويجه إياها ، فسألهم أن يجتمعوا عنده ، ففعلوا فقال لهم . . . الأبيات .

وبعد أن انتهى من أبياته قالوا له :

بلى والله يا أبا الأسود ! قال : تلك صاحبتكم ، وقد طلقتها لكم ، وأنا أحب أن أستر ما أنكرته من أمرها ، فانصرفت معهم . / انظر القصة في : الديوان : ١٢٢-١٢٣ ، الأغاني : ١٢ / ٣١٠-٣١١ ، شرح شواهد شافية ابن الحاجب : ٤ / ٣١٥ ، شرح شواهد المغني : ٢ / ٩٣٤ .

(٢) أَبْلُهُ : بضم اللام والهاء ، من بلاه يبلوه بلوًا إذا جربه ./ اللسان : " بلا " : ١٤ / ٨٣ .

(٣) الديوان : ١٢٢-١٢٣ ، الأغاني : ١٢ / ٣١٠ ، شرح شواهد شافية ابن الحاجب : ٤ / ٣١٥ ، شرح شواهد المغني : ٢ / ٩٣٤ .

استشهد به الشيخ عند حديثه عن توسيع مجال التفسير، والتأول، وتعدد أوجه تفسير الكلام، وأن سببه هو توخي معاني النحو . قال الشيخ :

" واعلم أن الفائدة تعظم في هذا الضرب من الكلام إذا أنت أحسنت النظر، فيما ذكرت لك، من أنك تستطيع أن تنقل الكلام في معناه عن صورة إلى صورة، من غير أن تغير من لفظه شيئاً، أو تحوّل كلمةً عن مكانها إلى مكان آخر، وهو الذي وسع مجال التأويل والتفسير، حتى صاروا يتأوّلون في الكلام الواحد تأويلين، أو أكثر، ويفسرون البيت الواحد عدة تفاسير، وهو على ذاك الطريقُ المزلةَ الذي ورط كثيراً من الناس في الهلكة، وهو مما يعلم به العاقل شدة الحاجة إلى هذا العلم، وينكشف معه عوار الجاهل به، ويفتضح عنده المُظْهِرُ الغنى عنه، ذاك لأنه قد يدفع إلى الشيء لا يصح إلا بتقدير غير ما يريه الظاهر، ثم لا يكون له سبيل إلى معرفة ذلك التقدير إذا كان جاهلاً بهذا العلم، فيتسكع عند ذلك في العمى، ويقع في الضلال " (١)

فاستشهد الشيخ بالبيت على أنّ حذف التنوين في قوله تعالى : " وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ٱبْنُ اللَّهِ " (٢)

وقوله : " وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ " (٣)، لالتقاء الساكنين لا للإضافة (٤)، ونظيرها

---

(١) الدلائل، رضا : ٢٧٦-٢٨٧، خفاجي : ٣٦٠، شاكر : ٣٧٤-٣٧٥.

(٢) التوبة، ٣٠.

(٣) يس : ٤٠.

(٤) وعلى هذا يكون : عزيرٌ: مبتدأ، وابنٌ خبر، وذكر الشيخ عبد القاهر وجهاً آخر، وهو أن عزير خبر لمبتدأ محذوف تقديره " هو"، وابن صفة، أو أن يكون عزير مبتدأ، والخبر محذوف تقديره " معبودنا " ويكون التنوين قد سقط على حد سقوطه في قولنا : " جاءني زيدُ بنُ عمروٍ" ويكون في الكلام محذوف . / انظر : الدلائل، رضا : ٢٨٧-٢٨٨، خفاجي : ٣٦١-٣٦٢، شاكر : ٣٧٥-٣٧٩.

في ذلك بيت الشاهد (١)، وقيل إن الحذف هنا للضرورة ، وذكر ابن جني أن الحذف هنا للمبالغة ، قال في باب " غلبة الفروع على الأصول " :

" هذا فصل من فصول العربية طريف تجده في معاني العرب كما تجده في معاني الإعراب ، ولا تكاد تجد شيئاً من ذلك إلا والغرض فيه المبالغة" (٢)

الشاهد الخامس والخمسون بعد المائتين : (*) (الرجز)

* ظَرْفُ (٣) عَجُوزٍ (٤) فِيهِ ثِنْتَا حَنْظَلِ * (٥)

---

(١) انظر: شرح المفصل : ٢/٩/٣٤ ، شرح شافية ابن الحاجب : ٤/٣١٥ ، شرح جمل الزجاجي : ٢ / ٤٤٧ .

(٢) الخصائص : ١/٣٠٠ .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٩١ ، خفاجي : ٣٦٤ ، شاكر : ٢٨٠ .

(٣) رواية الحماسة " ت : عسيلان " : وشرح ديوان الحماسة للتبريزي : " سَحْقُ جِرابٍ " .

(٤) رواية فصيح ثعلب ، ومعاني أبيات الحماسة : " ظَرْفُ جِرابٍ " .

(٥) انظر البيت في :
الكتاب : ٣ / ٥٦٩ ، ٦٢٤ ، " بدون نسبة " ، الحماسة " ت : عسيلان " : ٢ / ٤٣٢ ، إصلاح المنطق : ١٦٨ ، " من غير نسبة " ، المقتضب : ٢ / ١٥٣ " من غير نسبة " ، فصيح ثعلب : ٨٥ ، معاني أبيات الحماسة ٢٤٩ " الحماسية رقم " ٨٤٣ " " بدون نسبه " ، المخصص: ٣ / ١٢ / ١٠ ، ١١ / ٤ / ١٣ / ١٩٩ ، ٥ / ١٦ / ٩٨ ، ٥ / ١٧ / ٨٩ " بدون نسبه" .
شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٤ / ١٦٦ " بدون نسبه " ، المقرب : ١ / ٣٠٥ ، ٢ / ٤٥ ، شرح المفصل : ٦/١٦ ، ١٨ ، شرح شذور الذهب: ٤٤٥ ، ٥٤٤ ، شرح شواهد شروح الألفية للعيني على " هامش خزانة الأدب " : ٤ / ٤٨٥ ، التصريح بمضمون التوضيح : ٢ / ٢٧٠ ، همع الهوامع : ١/٢٥٣ ، خزانة الأدب للبغدادي : ـ دار صادر ـ: ٣ / ٣١٤-٣٦٧ .

أورد الشيخ عجز البيت دون الصدر، ومن غير عزو، وهو لخطام المجاشعي (١)، ولغيره (٢).

وصدره :

* كَأَنَّ خُصْيَيْهِ مِنَ التَّدَلْدُلِ (٣) *

وقبل الشاهد :

رِخْوُ اليَدِ اليُمْنَى مِنَ التَّرَسُّلِ ∴ مِنَ الرِضَى جَنْعَدَلُ (٤) التَّكَتُّلِ (٥) (٦)

استشهد به الشيخ في سياق تقريره أنّ الألفاظ تبع للمعاني لا العكس، وأنّ النظم هو توخي معاني النحو، وأنه السبب في تعدد أوجه الكلام، فجاء بقوله تعالى : "وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ" (٧) ليقرر أن حذف الموصوف

---

(١) هو خطام بن نصر بن رباح بن عياض بن يربوع من بني الأبيض بن مجاشع ابن دارم / المؤتلف والمختلف : ١٦٠ ، وهذه نسبة الخزانة للبغدادي .

(٢) وذكر منسوباً لجندل بن المثنى في شرح شواهد الألفية للعيني، وفي التصريح بمضمون التوضيح، وجاء في فصيح ثعلب أنه لجندل أو دُكين، ونقل العيني عن شرح الفصيح للسيرافي أنه لسلمى الهذلية، وذكر الأستاذ عبد السلام هارون في معجم شواهد العربية أنه ينسب أيضا لشمّاء الهذلية .

(٣) ذُكر في شرح المفصل أنه يُروى : "من التهدل" .

(٤) جنعدل : شديد، الجنعدل من الجمال الشديد القوي / اللسان "جعدل" : ١١ / ١١٣ .

(٥) التكتل : ضرب من المشي، فلان يَتَكَتَّل في مشيه إذا قارب في خطوه كأنه يتدحرج ./ اللسان "كتل" : ١١ / ٥٨٢-٥٨٣ .

(٦) فصيح ثعلب : ٨٥ .

(٧) النساء : ١٧١ .

بالعدد شائع إذا عُلِم المراد ، فثلاثة هنا صفة لمبتدأ محذوف تقديره " آلِهَةٌ ثلاثَةٌ "(١) وحذف " آلِهَةٌ " للعلم به ، فالعدد إلى عشرة يحتاج إلى تمييز مجموع مخفوض ، وإذا حذف المقصود بالعدد هنا فلا فرق بين أن تجعل المقصود بالعدد مميزاً ، وبين أن تجعله موصوفاً بالعدد .

أما بيت الشاهد فقد جاء شاذاً مخالفاً للاستعمال العربي حيث ذكر " ثنتا " مع المعدود ، وليس ذلك مستعملاً في العربية إنما المستعمل أن يقول : " حنظلتان " فالعدد " واحد - واثنان - وواحدة واثنتان - وثنتان " لا يحتاج إلى تمييز أصلاً ولا يجوز فيهما الإضافة ؛ لأن ذكر المعدود يُغني عن ذكر العدد ، وإذا حذف المقصود بالعدد فإنه لا يقدر إلّا موصوفاً ، ولا يكون مميزاً ألبتة . (٢)

جاء في شرح المفصل :

" فَأَمّا قول الراجز . . . فشاهد على حذف التاء في التثنية ، وذلك قول من لا يفرق ، وفيه شذوذان : أحدهما حذف التاء من خصييه في التثنية ، هذا الشذوذ من جهة القياس دون الاستعمال . والآخر قوله ثنتا حنظل ، والقياس أن يقول حنظلتان ." (٣)

---

(١) وحذف الخبر " لنا - أو في الوجود " لاطراد حذف هذه الأخبار في كل مامعناه التوحيد ، ونفي أن يكون مع الله - تعالى عن ذلك - إله . / الدلائل ، رضا : ٢٩٠-٢٩١ ، خفاجي : ٣٦٣ ، شاكر : ٣٧٩ .

(٢) التصريح بمضمون التوضيح : ٢ / ٢٧٠ ، شرح شذور الذهب : ٥٤٥ ، خزانة الأدب : ٣ / ٣١٤-٣١٥ .

(٣) شرح المفصل : ١/ ٤/ ١٤٤ .

ب ـ شواهد تحرير القول في :

الاعجاز والفصاحة والبلاغة

أ ـ الإعجاز بنظم الكلام لا بالكلم

ب ـ عدم تعلق الفكر بمعاني الكلم مجردة من معاني النحو .

جـ ـ فصل آخر في أن الفصاحة والبلاغة للمعاني .

د ـ فصل آخر في كشف شبهة أخرى للقائلين بأن الفصاحة للالفاظ .

هـ ـ دلالة مراتب التشبيه على أن الفصاحة والبلاغة للمعاني .

و ـ فصاحة الكناية .

ز ـ فصاحة الاستعارة

أ ـ الإعجاز بنظم الكلام لا بالكلم :

الشاهد السادس والخمسون بعد المائتين : (*) (الطويل)

* سَقَتْهَا خُرُوقٌ فِي المَسَامِعِ * (١)

استشهد به الشيخ على أن المزية التي توجب الإعجاز، والتي تحتاج إلى حدة ذهن وقوة خاطر، هو العلم بالوصف الموجب للإعراب لا العلم بالإعراب نفسه، وذلك كالعلم بما يوجب الفاعلية للشيء إذا كان إيجابها من طريق المجاز مما يجعل الشيء فيه فاعلاً على تأويل يدق، ومسلك يلطف . قال الشيخ :

" ثم إنا نعلم أنّا المزية المطلوبة في هذا الباب مزية فيما طريقه الفكر والنظر من غير شبهة، ومحال أن يكون اللفظ له صفة تستنبط بالفكر، ويستعان عليها بالروية، اللهم إلا أن تريد تأليف النغم، وليس ذلك مما نحن فيه بسبيل، ومن ههنا لم يجز إذا عدَّ الوجوه التي تظهر بها المزية أن يعد فيها الإعراب، وذلك أن العلم بالإعراب مشترك بين العرب كلهم، وليس هو مما يستنبط بالفكر، ويستعان عليه بالروية، فليس أحدهم بأن إعراب الفاعل الرفع أو المفعول النصب، والمضاف إليه الجر باعلم من غيره، ولا ذاك المفعول به مما يحتاجون فيه إلى حدة ذهن، وقوة خاطر، إنما الذي تقع الحاجة فيه إلى ذلك العلم بما يوجب الفاعلية للشيء إذا كان إيجابها من طريق المجاز، كقوله تعالى : " فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ " (٢) وكقول الفرزدق :

" سَقَتْهَا خُرُوقٌ فِي المَسَامِعِ ".

وأشباه ذلك مما يجعل الشيء فيه فاعلاً على تأويل يدق، ومن طريق تلطف، وليس يكون هذا علماً بالإعراب، ولكن بالوصف الموجب للإعراب " (٣)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٠٢ ، خفاجي : ٣٧٥ ، شاكر : ٣٩٦ .

(١) سبق تخريجه : ٦٩٧ .

(٢) البقرة : ١٦ .

(٣) الدلائل ، رضا : ٣٠٢ ، خفاجي : ٣٧٤ ، شاكر : ٣٩٥-٣٩٦ .

الشاهد السابع والخمسون بعد المائتين: (*) (الكامل)

قول أبي تمام:

عَذَلاً شَبِيهاً بِالجُنُونِ كَأَنَّمَا .·. قَرَأَتْ بِهِ الوَرْهَاءُ شَطْرَ(١) كِتَابِ (٢)

والبيت من قصيدة قالها في مدح مالك بن طوق التغلبي(٣)، ومطلعها:

لَوْ أَنَّ دَهْراً رَدَّ رَجْعَ جَوَابِي .·. أَوْ كَفَّ مِنْ شَأْوَيهِ طُولُ عِتَابِي

لَعذلتُهُ فِي دِمْنَتَيْنِ تَقَادَمَا .·. مَمْحُوَّتَيْنِ لِزَيْنَبٍ وَرَبَابِ

وقبل الشاهد:

أَذْكَتْ عَلَيْكَ شِهَابَ نَارٍ فِي الحَشَا .·. بِالعَذْلِ وَهْنَاً أُختُ آلِ شِهَابِ

وبعد الشاهد:

أَوْ مَا رَأَتْ بُرْدَيَّ مِنْ نَسْجِ الصِّبَا .·. وَرَأَتْ خِضَابَ اللَّهِ وَهْوَ خِضَابِي

استشهد به الشيخ للتنظير على قوله إنَّ الألفاظ لا يتعلق بعضها ببعض من حيث هي ألفاظ دون النظر إلى معانيها، ولو كانت يتعلق بعضها ببعض بمعزل عن المعنى لكانت شبيهة بالجنون، وشبيهة بقراءة الحمقاء لأنصاف الكتب؛ لأن قراءة أنصاف الكتب لا يمكن أن تدل على معنى الكتاب. قال الشيخ:

" ومعلوم علم الضرورة أن لن يتصَّور أن يكون للفظةٍ تعلق بلفظة أخرى من غير أن يُعتبر حال معنى هذه مع معنى تلك، ويراعى هناك أمرٌ يصل إحداهما بالأخرى... ولو كانت الألفاظ يتعلق بعضها ببعض من حيث هي ألفاظ،

(*) الدلائل، رضا: ٣١١، خفاجي: ٣٨٢، شاكر: ٤٠٦.

(١) رواية الديوان: " صدر "، ورواية أدب الكتاب: " سطر ".

(٢) لم أعثر عليه فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:
الديوان " دار صعب ": ٢٣، أدب الكتاب: ٤٩، سر الفصاحة: ١٣٢.

(٣) (... ت ٢٥٩هـ - ٢٦٠هـ) سبقت ترجمته، انظر الشاهد " الستون " ص ٣٠٩.

ومع اطّراح النَّظر في معانيها ، لأدَّى ذلك إلى أن يكون الناس حين ضحكوا مما يصنعه المُجَّانُ من قراءة أنصاف الكتب ، ضحكوا عن جهالة ، وأن يكون أبو تمام قد أخطأ حين قال :

عَذْلاً شَبِيهاً بِالجُنُونِ كَأَنَّمَا .:. قَرَأَتْ بِهِ الوَرْهَاءُ شَطْرَ كِتَابِ

لأنهم لم يضحكوا إلا من عدم التعلق ، ولم يجعله ، أبو تمام جُنوناً إلا لذلك ، فانظر إلى ما يلزم هؤلاء القوم من طرائف الأمور " (١)

---

(١) الدلائل : رضا : ٣١١ ، خفاجي : ٣٨١ - ٣٨٢ ، شاكر : ٤٠٦ .

ب - " عدم تعلق الفكر بمعاني الكلم مجردة من معاني النحو "

الشاهد الثامن والخمسون بعد المائتين : (*) (الطويل)

* قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ * (١)

استشهد به الشيخ ليقرر ويبرهن أن الفكر لا يتعلق بمعاني الكلم مجردة من معاني النحو، فلو أننا عمدنا إلى بيت الشاهد ووضعنا الألفاظ وضعاً يمتنع معه دخول شيء من معاني النحو، فقلنا : " مِنْ نَبْكِ قِفَا حَبِيبٍ ذِكْرَى مَنْزِلِ ".

لم يتعلق معناه بالفكر . قال الشيخ :

" ومما ينبغي أن يَعْلَمه الإنسان ويجعله على ذكر، أنَّه لا يُتَصَوَّر أن يتعلَّق الفِكْرُ بِمَعَانِي الكَلِم أفراداً ومُجَرَّدَة من معاني النحو، فلا يَقُومُ في وَهْمٍ، وَلَا يَصِحُّ في عَقْلٍ، أن يتفكَّر متفكِّرٌ في معنى " فِعْلٍ " من غير أن يريد إعماله في " اسم " ولا أن يتفكر في معنى " اسم " من غير أن يريد إعمال " فعلٍ " فيه، وجعلَهُ فاعلاً له، أو مفعولاً، أو يريد فيه حكماً سوى ذلك من الأحكام مثل أن يريد جعله مبتدأ، أو خبراً، أو صفة أو حالاً أو ما شاكل ذلك .

وإن أردت أن ترى ذلك عياناً فاعمد إلى أي كلام شئت، وأزل أجزاءه عن مواضعها، وضعها وضعاً يمتنع معه دخول شيء من معاني النحو فيها فقل في :

* قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ *

" مِنْ نَبْكِ قِفَا حَبِيبٍ ذِكْرَى مَنْزِلِ " ثم انظر هل يتعلق منك فكر بمعنى كلمة منها ؟ " (٢)

(*) الدلائل، رضا : ٣١٤، خفاجي : ٣٨٦، شاكر : ٤١٠ .

(١) سبق تخريجه : ٨٣٦ .

(٢) الدلائل، رضا : ٣١٤، خفاجي : ٣٥٢، شاكر : ٤١٠ .

الشاهد التاسع والخمسون بعد المائتين : (*) (الطويل)

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوقَ رُؤُوسِنَا .·. وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهاوى كَواكِبُهْ (١)

الشاهد فيه كسابقه .

فالشيخ هنا قد استحسن التشبيه في بيت بشار ؛ لأن صورة التشبيه فيه مرتبط بعضها ببعض بما يقتضيه النظم ومعاني النحو ، فهو حين جاء بأداة التشبيه " كأن " كان قاصداً إلى إيقاع التشبيه ، وحين قال " مثار النقع " إنما فكر في إضافة الأول إلى الثاني . . وهكذا فكل كلمة في البيت كان قاصداً تعليقها بمعنى الكلمة التي تليها ، فبيته كالحلقة المفرغة لا تقبل التقسيم ، فهو من أوله إلى آخره كلام واحد ، حيث اتحدت معاني البيت ، فصارت الألفاظ من أجل ذلك لفظة واحدة ، قال الشيخ :

" وانظر هل يُتَصَوَّر أن يكون بشار قد أخطر معاني هذه الكلم بباله أفراداً عاريةً من معاني النحو التي تراها فيها ، وأن يكون قد وقع " كأنَّ " في نفسه من غير أن يكون قصد إيقاع التشبيه منه على شيء ، وأن يكون فكَّر في " مُثار النقع " من غير أن يكون أراد إضافة الأول إلى الثاني ، وفَكَّر في " فوق رؤوسنا " من غير أن يكون قد أراد أن يضيف " فوق " إلى " الرؤوس " وفي " الأسياف " من دون أن يكون أراد عطفها بالواو على " مثار " وفي " الواو " من دون أن يكون أراد العطف بها ، وأن يكون كذلك فكَّر في " الليل " من دون أن يكون أراد أن يجعله خبراً " لكأنَّ " وفي " تهاوىٰ كواكبه " من دون أن يكون أراد أن يجعل " تهاوى " فعلاً للكواكب ، ثم يجعل صفة لليل ، ليتم الذي أراد من التشبيه أم لم يُخْطِر هذه الأشياء بباله إلَّا مراداً فيها هذه الأحكام والمعاني التي تراها فيها ؟ " (٢)

(*) الدلائل ، رضا : ٣١٥ ، خفاجي : ٣٨٧ ، شاكر : ٤١١ .
(١) سبق تخريجه : ٢٨٤ .
(٢) الدلائل ، رضا : ٣١٥ ، خفاجي : ٣٨٧ ، شاكر : ٤١٢ .

وقال في موضع آخر من نفس الفصل :

" وليت شعري ، كيف يتصور وقوع قصد منك إلى معنى كلمة من دون أن تريد تعليقها بمعنى كلمة أخرى ؟ ومعنى " القصد إلى معاني الكلم " أن تعلم السامع بها شيئاً لا يعلمه ، ومعلوم أنك ، أيها المتكلم لست تقصد أن تعلم السامع معاني الكلم المفردة التي تكلمه بها " (١)

وأشار إلى أن النظم وتوخّي معاني النحو يسبك الكلام سبكاً واحداً ، ويجعله في اتصاله ، وترابطه كالجملة الواحدة . قال الشيخ :

" فبيت بشار إذا تأملته وَجَدْتَهُ كالحلقة المفرغة التي لا تقبل التقسيم ، ورأيته قد صنع في الكلم التي فيه ما يصنعه الصَّانع حين يأخذ كِسَراً من الذهب ، فيُذِيبها ، ثم يصبها في قالب ، ويخرجها لك سواراً أو خلخالاً ، وإن أنت حاولت قطع بعض ألفاظ البيت عن بعض ، كنت كمن يَكْسِر الحَلْقَةَ ويفصم السوار ، وذلك أنه لم يرد أن يُشَبِّه " النقع " بالليل على حِدَةٍ ، و" الأسياف " بالكواكب على حدة ، ولكنه أراد أن يُشَبِّه النَّقْعَ والأسيافَ تجول فيه بالليل في حال ما تنكدِرُ الكواكِب ، وتتهاوى فيه . فالمفهوم من الجميع مفهوم واحد ، والبيت من أوله إلى آخره كلام واحد " (٢)

وقال أيضا :

" فانظر الآن ما تقول في اتحاد هذه الكلم التي هي أجزاء البيت أتقول إن ألفاظها اتحدت فصارت واحدة أم تقول إن معانيها اتحدت فصارت الألفاظ من أجل ذلك كأنها لفظة واحدة " (٣)

---

(١) الدلائل ، رضا : ٣١٥ ، خفاجي : ٣٨٧ ، شاكر : ٤١٢ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣١٧ ، خفاجي : ٣٨٩ ، شاكر : ٤١٤ .

(٣) المصدر السابق نفس الصفحات .

هـ - فصل آخر في أن الفصاحة والبلاغة للمعاني :

الشاهد الستون بعد المائتين : (*) (الوافر)

وَذَاكَ لَهُ إِذَا العَنْقَاءُ(١) صَارَتْ ∴ مُرَبَّبَةً وَشَبَّ ابْنُ الخَصِيِّ (٢)

ذكره الشيخ من غير نسبة ، وهو لأبي تمام من قصيدة يمدح بها الحسن ابن وهب،(٣) ومطلعها :

أَيَا وَيْلَ الشَّجِيِّ مِنَ الخَلِيِّ ∴ وَبَالِي الرَّبْعِ مِنْ إِحْدَى بَلِيِّ

وقبل الشاهد :

وَمَحْدُودِ(٤) الذَّرِيعَةِ سَاءَهُ مَا ∴ تَرَشَّحَ لِي مِنَ السَّبَبِ الحَظِيِّ

يَدِبُّ إِلَيَّ فِي شَخْصٍ ضَئِيلٍ ∴ وَيَنْظُرُ مِنْ شَفَا طَرْفٍ خَفِيِّ

(*) الدلائل ، رضا : ٣٢٢ ، خفاجي : ٣٩٤ ، شاكر: ٤٢٠ .

(١) العنقاء : طائر ضخم غريب سُميت بذلك، لأنه كان في عنقها بياض كالطوق ، وقيل هو طائر يكون عند مغرب الشمس، وقد شك الجاحظ في وجوده ، وقيل هو العقاب ./ الحيوان : ٧ / ١٠٥ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ٣ / ٤٣٨ ، حياة الحيوان الكبرى : ٢ / ٨٦-٩٠ .

(٢) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :
ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٣/ ٣٥٩ ، ديوان أبي تمام " دار صعب " ٣٠٨ ، الطرائف الأدبية " المختار من شعر أبي تمام " : ٣٠٤ .

(٣) هو الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين الحارثي ، أبو علي (...-٢٥٠ هـ) ، كاتب من الشعراء كان معاصراً لأبي تمام ، وله معه أخبار ، وكان وجيهاً استكتبه الخلفاء ، ومدحه أبو تمام ، وهو أخو سليمان " وزير المعتز والمهتدي " ، ولما مات رثاه البحتري / انظر ترجمته : فوات الوفيات : ١/ ٣٦٧-٣٧٠ ، سمط اللآلي : ١/ ٥٠٦ ، الأعلام : ٢ / ٢٢٦ .

(٤) محدود الذريعة : أراد به دعبلاً الشاعر، وكان يحسد الطائي ، و" المحدود " المحروم / اللسان " حدد " : ٣ / ١٤٣ .

وَيُتْبِعُ نِعْمَتِي بِكَ عَيْنَ ضِغْنٍ ∴ كَمَا نَظَرَ اليَتِيمُ إِلى الوَصِيِّ

رَجَاءَ أَنَّهُ يُورِي بِزَنْدِي ∴ إِلَيْكَ وَأَنَّهُ يَفْرِي فَرِيِّي[1] (٢)

وبعد الشاهد :

أَرَى الإِخْوَانَ مَاغُيِّبْتَ عَنْهُمْ ∴ بِمَسْقَطِ ذَلِكَ الشَّعْبِ القَصِيِّ

وَمَرْدُوداً صَفَاؤهُمُ عَلَيهِمْ ∴ كَمَا رُدَّ النِّكَاحُ بِلَا وَلِيِّ (٣)

استشهد به الشيخ مثلاً على استحالة اتصال الكلم بعضها ببعض من غير توخي معاني النحو، فإنَّ من ادَّعى أنه أوتي علماً قد حُجِبَ عن الناس، وأنه قد علم لا تصال الكلم بعضها ببعض وانتظام الألفاظ بعضها مع بعض معاني غير معاني النحو، فإنه يسلم له بذلك إذا أصبحت العنقاء تُرَبَّى بين الناس كما يربى الحمام، وإذا صحَّ أن يكون للمخصي ولد .

قال الشيخ :

" ولولا أَنَّا نُحِبُّ أن لا يَنْبِس أحدٌ في معنى السُّؤال والاعتراض بحرفٍ إلا أريناه الذي استهواه، لكان تَرْكُ التشاغل بإيراد هذا وَشِبْهِهِ أولى . ذاك لأَنَّا قد عِلِمْنَا عِلْمَ ضرورةٍ أنَّا لو بقينا الدَّهْرَ الأطولَ نُصَعِّد ونُصَوِّب ،

---

(١) يفري فريي : أي يعمل عملي ، وأصل الفري : قطع الأديم والجلد ، ثم استعير لغير ذلك / مختار الصحاح " فرا " : ٥٠٢ .

(٢) لم أجد البيت إلا في :
الديوان بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٣٥٨ .
الديوان " دار صعب " : ٣٠٧ - ٣٠٨ .
الطرائف الأدبية : ٣٠٤ .

(٣) انظر الأبيات في :
الديوان بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٣٥٩
الديوان " دار صعب " : ٣٠٨ ، الطرائف الأدبية : ٣٠٤ .

ونبحث وننقب ، نبتغي كلمة قد اتصلت بصاحبةٍ لها ، ولفظةٍ قد انتظمت مع أُخَتِها من غير أن تُوُخِّيَ فيما بينهما معنًى من معاني النحو طلبنا ممتنعاً ، وثنينا مطايا الفكر ظُلَّعاً ، فإن كان ههنا من يَشُكُّ في ذلك ، ويزعم أنه قد علم لاتصال الكلم بعضها ببعض ، وانتظام الألفاظ بعضها مع بعض ، معانيَ غير معاني النحو ، فإنّا نقول له : هات ، فَبيِّن لنا تلك المعاني ، وَأَرِنا مكانها ، واَهدِنا لها ، فلعلَّكَ قد أوتيت علماً قد حُجِبَ عنّا ، وفُتِح لك باب قد أُغْلِق دوننا :

وَذاكَ لَهُ إِذا العَنقاءُ صارتْ ∴ مُرَبَّبَةً وَشَبَّ ابنُ الخَصِيِّ .(١)

---

(١) الدلائل ، رضا : ٣٢٢ ، خفاجي : ٣٩٣-٣٩٤ ، شاكر : ٤٢٠ .

د ـ " فصل آخر في كشف شبهة أخرى للقائلين بأن الفصاحة للألفاظ "

الشاهد الواحد والستون بعد المائتين : (*) (المتقارب)

المتنبي :

يُرادُ مِنَ القَلْبِ نِسْيَانُكُمْ .·. وَتَأبَى الطِّبَاعُ(١) عَلَى النَّاقِلِ (٢)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٢٤-٣٢٥ ، خفاجي ٣٩٦-٣٩٧-٤٠٠ ، شاكر: ٤٢٣-٤٢٤-٤٢٨ .

(١) الطباع والطبيعة والطبع بمعنى واحد وهي الخليقة والسجية ، ورواية الديوان : " يأبى " ، جاء في شرح الديوان للعكبري : " قال ابن القطاع : قد أفسد هذا البيت سائر الرُّواة فرووه ، وتأبى بالتاء ، وهو غلط لا يجوز قال : قال لي شيخي :
أخبرني أبو علي بن رَشدين ، قال : لما قرأت هذا البيت قرأته بالتاء ، فقال : لم أقل هكذا ، إلّا أنّ الطبع والطباع والطبيعة واحد ، والطبع مصدر لا يثنى ولا يجمع والطبيعة مؤنثة ، وجمعها طبائع ، والطباع واحد مذكر ، وجمعه طبع ، ككتاب وكُتُب ، وليس الطباع جمعاً لطبع ، وهذا البيت من كلام الحكيم ، قال الحكيم :
نقل الطباع من رديء الأطماع شديد الامتناع " / الديوان بشرح العكبري : ٣ / ٢٢ ، والذي جاء في اللسان يبطل كلام ابن القطاع حيث جاء فيه أن الطباع جمع طبع ، وأن الطباع كالطبيعة مؤنثة ، وليس فيه ما يؤيده إلا كلام الزجاج . جاء في اللسان :
" الطبع والطبيعة : الخليقة والسجية التي جُبل عليها الإنسان والطِّباع كالطبيعة مؤنثة ، وقال أبو القاسم الزجاجي الطِّباع واحد مذكر كالنَّحاس والنَّجار .
قال الأزهري : ويجمع طبع الإنسان طِباعاً .
وهو ما طبع عليه من طباع الانسان في مأكله ، ومشربه وسهولة أخلاقه ، وحزونتها وعسرها ويسرها وشدته ورخاوته وبخله وسخائه والطِّباع واحد طِباع الإنسان . / اللسان " طبع " : ٨ / ٢٣٢ .

(٢) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :
ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري : ٣ / ٢٢ ، الوساطة : ٣٢٢ ، يتيمة الدهر : ١ / ١٩٨ ، الإبانة عن سرقات المتنبي : ١٤٠ .

وهو من قصيدة قالها في سيف الدولة يمدحه ويذكر استنقاذه أبا وائل تغلب ابن داود من الأسر، ومطلعها :

إِلَامَ طَمَاعِيَةُ العَاذِلِ ∴ وَلا رَأْيَ فِي الحُبِّ لِلْعَاقِلِ (١)

وإنِّي لأَعْشَقُ مِنْ عِشْقِكُمْ ∴ نُحُولِي وَكُلَّ امْرِئٍ نَاحِلِ

وَلوْ زُلْتُمُ ثُمَّ لَمْ أَبْكِكُمْ ∴ بَكَيتُ عَلَى حُبِّيَ الزَّائِلِ (٢)

استشهد به الشيخ في الرد على من قال إن الفصاحة وصف للفظ من جهة أنه يجوز أن يعبر عن المعنى الواحد بلفظين مختلفين ، ويوصف أحدهما بأنه فصيح ، والآخر بأنه غير فصيح ،فذكر الشيخ أن الجواب عن هذا يحتمل أمرين :

أن يكون المراد باللفظين كلمتين معناهما واحد في اللغة ،وهذا الأمر خارج عن المسألة ؛لأن الشيخ يتحدث عن فصاحة تحدث في اللفظ بعد التأليف.

الأمر الثاني : أن يراد باللفظين كلامان ، وهذا هو المراد .

ثم ذكر أن ههنا أصلاً من عرفه عرف سقوط هذا الاعتراض وهو أن المعاني منها مايكون غفلاً ساذجاً عامياً موجوداً في كلام الناس، فيأخذه الحاذق العالم بفنون التعبير، فيصوغه في صورة بديعة ،فقول الناس : " الطبع لا يتغير " " ولست تستطيع أن تخرج الإنسان عما جبل عليه " معنى غفل ساذج أخذه المتنبي فأحسن صياغته ،وأحكم تأليفه ،فأخرجه في أبهى صورة .

قال الشيخ :

" فإن العقلاء إلى هذا قصدوا حين قالوا : " إنه يصح أن يُعَبَّر عن المعنى الواحد بلفظين ،ثم يكون أحدهما فصيحاً والآخر غير فصيح " كأنهم قالوا : إنه يصح أن تكون ههنا عبارتان أصلُ المعنى فيهما واحدٌ ،ثم يكون لإحداهما

---

(١) الديوان بشرح العكبري : ٣ / ٢١ .

(٢) المصدر السابق : ٣ / ٢٢ .

في تحسين ذلك المعنى وتزيينه ، وإحداث خصوصية فيه تأثير لا يكون للأخرى "(١)

وقال أيضا :

"... ان سبيل المعاني سبيل أشكال الحُليّ ، كالخاتم والشَّنف والسِّوار ، فكما أن من شأن هذه الأشكال أن يكون الواحد منها غفلاً ساذجاً ، لم يعمل صانعه فيه شيئاً أكثر من أن أتى بما يقعُ عليه اسم الخاتم إن كان خاتماً ، والشَّنْفِ إنْ كان شَنْفاً ، وأن يكون مصنوعًا بديعاً قد أغْرَب صانعه فيه ، كذلك سبيلُ المعَاني ، أن ترى الواحَد منها غُفلاً ساذجاً عامياً موجوداً في كلام الناس كلهم ، ثم تراه نفسه وقد عمد إليه البصير بشأن البلاغة وإحداث الصور في المعاني ، فيصنع فيه مايصنع الصَّنَعُ الحَاذِقُ حتَّى يُغْرِب في الصَّنعة ، ويُدِقَّ في العمل ، ويُبْدِعَ في الصياغة ، وشواهدُ ذلك حاضرةٌ لك كيف شئتَ ، وأمثلته نُصب عينيك من أين نظرت .

تَنظُر إلى قول الناس : " الطبع لا يَتغيَّر " و " لستَ تَستَطِيعُ أن تخرج الإنسان عَمّا جُبِل عليه " ، فترى معنى غُفلاً عامياً معروفاً في كل جِبلٍ وأُمةٍ ، ثم تنظر إليه في قول المتنبي :

يُرَادُ مِنَ القَلْبِ نِسْيَانَكُمْ ∴ وَتَأبَى الطِّبَاعُ عَلى النَّاقِلِ

فتجده قد خرج في أحسن صورة وتراه قد تحول جوهرة بعد أن كان خرزة ، وصار أعجب شيء بعد أن لم يكن شيئاً "(٢)

الشاهد الثاني والستون بعد المائتين : (*) (السريع)

قول أبي نواس :

وَلَيْسَ عَلى اللَّهِ بِمُسْتَنكَرٍ ∴ أنْ يَجْمَعَ العَالَمَ فِي وَاحِدِ (٣)

---

(١) الدلائل ، رضا : ٣٢٤-٣٢٥ ، خفاجي : ٣٩٦-٣٩٧ ، شاكر : ٤٢٢-٤٢٣ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣٢٥ ، خفاجي : ٣٩٧ ، شاكر : ٤٢٢ ، ٤٢٣ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٢٥-٣٢٨ ، خفاجي : ٣٩٧-٤٠٠ ، شاكر : ٤٢٤-٤٢٨ .

(٣) سبق تخريجه : ٥٣٢

الشاهد فيه كسابقه .

فقول أبي نواس قد حصل له الحسن وفاق على قولنا : " غيرُ بديع في قدرة الله تعالى أن يجمع فضائل الخلق كلِّهم في رجلٍ واحد " لمزية حصلت في معناه .

قال الشيخ :

" إن اللفظ يكون فصيحاً من أجل مزية تقع في معناه لا من أجل جَرْسِه وصَدَاه " (١)

---

(١) الدلائل ، رضا : ٣٢٥ ، خفاجي : ٣٩٧ ، شاكر : ٤٢٤ .

هـ - " دلالة مراتب التشبيه على أن الفصاحة والبلاغة للمعاني "

الشاهد الثالث والستون بعد المائتين : (*) (الطويل)

أأنْ أُرْعِشَتْ (١) كَفَّا أَبِيكَ وَأَصْبَحَتْ .·. يَدَاكَ يَدَيْ لَيْثٍ فَإِنَّكَ غَالِبُهْ (٢) (٣)

والبيت أورده الشيخ من غير عزو، وهو للفرزدق من أبيات قالها في ابنه لَبطَة، وكان ممن عق أباه (٤)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٢٦ ، خفاجي : ٣٩٨ ، شاكر : ٤٢٥ .

(١) رواية الحماسة لأبي تمام - ت : عسيلان - : " أرعِشَت " بالبناء للمجهول .

(٢) رواية حماسة أبي تمام : " فَإِنَّكَ ضاربه "
ورواية الديوان والأغاني " فإنك جاذبه "
ورواية " العققة والبررة " : " فإنك حاربه "

(٣) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :
الديوان : ١٠٥ ، الحماسة - لأبي تمام - " عسيلان " : ٢/١٦٦ رقم الشاهد (٦٠٩) ، العققة والبررة - ضمن نوادر المخطوطات - : ٢/٣٥٦ ، الأغاني : ٢١ / ٣٢٧ .

(٤) نُسب البيت في حماسة أبي تمام لفُرعان بن الأعرف في ابنه منازل ، وكذلك ذكر أبو عبيدة في كتابه العققة والبررة بعض أبيات القصيدة دون ذكر بيت الشاهد ونسبها - أيضا - لفُرعان .
جاء في كتاب العققة والبررة (ص ٣٦٠) أن فُرعان قد تزوج على أم منازل - وهو ابنه - امرأة شابة ، فغضب منازل لأمه فاستاق ماله من أبيه واعتزل مع أمه ، فقال فُرعان هذه الأبيات /
وذكر أبو عبيدة في موضع آخر من كتابه أنها للفرزدق قال :
" وممن عق أباه لبطة بن الفرزدق ، وكان يطيع امرأته ، وكانت تحرشه عليه ، فقال الفرزدق . . . الأبيات " / ٢/٣٥٦ .
وذكر الأستاذ عبد السلام هارون أنها تنسب لفرعان أو للفرزدق أو للبطة ابن الفرزدق ، ويبدو لي أن البيت أصلاً لفُرعان أخذه الفرزدق ، وكان كثيراً ما يغير على أشعار الشعراء ، وكان يقول : ضوّال الشعر أحب إليّ من ضوّال الإبل
وفرعان هو ابن الأعرف أحد بني مرة بن عبيدة بن الحارث بن عمرو =====

وهو أول[1] الأبيات وبعده :

إذا غَلَبَ[2] ابنٌ بالشَّبابِ أبالَهُ ∴ كبيراً فإنَّ اللهَ لابُدَّ غالبُهْ

رأيتُ تباشيرَ العُقوقِ هي التي ∴ مِنْ ابن امرئٍ مَا إنْ يزالُ يُعاتبُهْ[3]

ولمَّا رآني قد كَبِرْتُ وأنَّني ∴ أخو الحيِّ واسْتغنى عَن المَسْحِ شاربُهْ

أصاخَ لِغِرْبانِ[4] النَّجِيِّ وإنَّهُ ∴ لأزْوَرُ عن بَعْضِ المَقالَةِ جانبُهْ

=== ابن مقاعس بن كعب بن سعد شاعر مخضرم، وله ابن اسمه منازل كان قد عقَّه في الجاهلية، ولوى يده، فدعا عليه فلويت يده، ويعد منازل في الصحابة التقى به عمر بن الخطاب وسأله عن التواء يده فذكر له ما حدث، فقال عمر: الله أكبر هذا دعاء آبائكم في الجاهلية، فكيف في الإسلام؟ /انظر ترجمته: العقفة والبررة: ٣٦٠-٣٦٢، المؤتلف: ٥١، معجم الشعراء: ٣١٦، الإصابة: ٣/٤٧٧، "ضمن ترجمة ابنه منازل".

(١) هذا على رواية الديوان أما رواية الحماسة "وهي منسوبة لفرعان" فإن أول الأبيات:

جَزَتْ رَحِمٌ بيني وبينَ مُنازِلٍ ∴ جَزاءً كَما يَسْتَنْزِلُ الدينَ طالبُهْ

وقبل الشاهد:

وكانَ لَهُ عِنْدِي إذا جاعَ أوْ بَكى ∴ عَلَى الزَّادِ أحْلَى زادِنا وأطايبُهْ

وربَّيتُهُ حتَّى إذا ما تَركتُهُ ∴ أخا القومِ واسْتغْنَى عَن المَسْحِ شاربُهْ

وبعد هما الشاهد وبعده:

وجمَّعتُها دُهْماً جِلاداً كأنَّها ∴ أشاءُ نَخيلٍ لَمْ تُقَطَّعْ جَوانبُهْ

فأخْرَجَني مِنْهَا سَليباً كأنَّني ∴ حُسامٌ يَمانٍ فارقَتْهُ مَضاربُهْ /

الحماسة: ٢/١٦٦،

(٢) رواية الأغاني: "إذا غالبَ".

(٣) رواية "العقفة والبررة": "يغالبه".

(٤) رواية "العقفة والبررة" "لعريان النجي" يقال فلان عريان النجي: إذا كان يناجي امرأته ويشاورها ويصدر عن رأيها، وهذه الرواية أشبه بالقصة.

ورواية الأغاني: "لغربان النجي".

وغربان النجي: قرناء السوء.

استشهد به على أن التشبيه أبين وأوضح شيء في الكشف عن شبهة من قال أن المزية للفظ لا للمعنى .

فقول الفرزدق حصلت له المزية و وجب له الحسن ؛ لأنه أراد أن يثبت لابنه قوة الليث فبالغ في وصفه بأن حذف الأداة ووجه الشبه ، وجعل يديه هي يدى الليث بعينه . قال الشيخ :

" واعلم أنه ليس شيء أبين وأوضح وأحرى أن يكشف الشبهة عن متأمله في صحة ما قلناه من " التشبيه " ، فإنك تقول : " زيد كالأسد " أو " مثل الأسد " أو " شبيه بالأسد " فتجد ذلك كله تشبيهاً غفلاً ساذجاً ثم تقول : " كأن زيداً الأسد " ، فيكون تشبيهاً أيضاً ، إلَّا أنَّك ترى بينه وبين الأول بَوْناً بعيداً ؛ لأنك ترى له صورة خاصة ، وتجدك قد فخَّمت المعنى ، وزدت فيه ، بأن أفدت أنه من الشجاعة ، وشدَّة البطش ، وأن قلبه قلبٌ لا يخامره الذُّعر ، ولا يداخله الرَّوع ، بحيث يتوهم أنه الأسد بعينه ، ثم تقول : " لَئن لَقيتَهُ لَيَلْقَيَنَّك منه الأسد " فتجده قد أفاد هذه المبالغة ، لكن في صورة أحسن ، وصفة أخص ، وذلك أنك تجعله في " كأن " يتوهَّم أنه الأسد ، وتجعله ههنا يُرَى منه الأسد على القَطْع ، فيخرج الأمر عن حد التوهُّم إلى حد اليقين ثم إن نظرت إلى قوله :

أأَن أُرْعِشَتْ كَفَّا أَبِيكَ وَأَصْبَحَتْ ∴ يَدَاكَ يَدَي لَيثٍ فَإِنَّكَ غَالِبُهْ

وجدته قد بدا لك في صورة آنق وأحسن[1] "

الشاهد الرابع الستون بعد المائتين : (*) (البسيط)

قول أرطاة بن سهية :

إِنْ تَلْقَنِي لَا تَرَى غَيرِي بِنَاظِرَةٍ ∴ تَنْسَ السِّلَاحَ وَتَعْرِفْ جَبْهَةَ الأَسَدِ[2]

---

(١) الدلائل ، رضا : ٣٢٦ ، خفاجي : ٣٩٨ ، شاكر : ٤٢٥ .

(*) الدلائل ، رضا : ٤٢٥ ، خفاجي : ٣٩٨ ، شاكر : ٣٢٦ .

(٢) سبق تخريجه : ٥٧٩ .

استشهد به الشيخ على أنه كلما ارتقينا في درجات التشبيه كلما ازدادت الصورة حسناً ورونقاً ، وفي هذا دليل على أن الفصاحة والبلاغة للمعاني ، وما ذاك إلا أنه قد فُخِّم المعنى ، وبُولِغ فيه ، فبيت الشاهد ازداد حسناً عن الشاهد السابق؛ لأنه بولغ فيه في التشبيه ، فحذف المشبه وبقي المشبه به ، فَجَعَل نفسه الأسد بعينه على القطع لا على التوهم . قال الشيخ :

" ثم إن نظرت إلى قول أرطاة بن سهية : - - - - - -

وجدته قد فَضَل الجميع ، ورأيته قد أُخرج في صورة غير تلك الصُّور كلِّها " (١)

ويظهر من كلام الشيخ أنه ربط بين التشبيه والاستعارة ربطاً محكماً ، وجعل التشبيه كالأصل في الاستعارة ، وأن حسنها يتوقف على قدر إخفاء التشبيه .

فالاستعارة عنده تشبيه بولغ فيه .

و ـ فصاحة الكناية :

الشاهد الخامس والستون بعد المائتين : (*) (المنسرح)

بيت ابن هرمة :

" وَلاَ أَبْتَاعُ إِلَّا قَرِيبَةَ الأَجَلِ " (٢)

استشهد به في الرد على من قال :

" إن التفسير يجب أن يكون كالمُفَسَّر " أي أنه لا يجوز أن يكون للفظ المُفَسَّر فضل من حيث المعنى على لفظ التفسير فرد عليهم الشيخ ببيت الشاهد وأنه محال أن يكون المعنى في قول الشاعر :

" وَلَا أَبْتَاعُ إِلَّا قَرِيبَةَ الأَجَلِ "

كحال من قال : (أنا مضياف " ، فإن من شأن المعاني أن تختلف بها الصور . قال الشيخ :

---

(١) الدلائل ، رضا : ٣٢٦ ، خفاجي : ٣٩٨ ، شاكر : ٤٢٥ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٢٧-٣٣١ ، خفاجي : ٣٩٩-٤٠٢ ، شاكر : ٤٢٧-٤٣١ .

(٢) مضى : ص ٦٥٨

" اعلم أن قولهم : " إن التفسير يجب أن يكون كالمُفَسَّر " دَعوى لا تصحّ لهم إلّا من بعد أن ينكروا الذي بَيَّنّاه من أنّ مِنْ شأن المعاني أن تختلف بها الصّور، ويدفعوه أصلاً ، وحتّى يدّعوا أنه لا فَرْق بين " الكناية " و " التصريح " وأنّ حال المعنى مع " الاستعارة " كحاله مع ترك الاستعارة ، وحتى يُبطِلوا ما أَطْبق عليه العقلاء من أنّ " المجاز " يكون أبداً أبلغ من الحقيقة ، فيزعموا أن قولنا : " طويل النجاد " و " طويل القامة " واحدٌ ، وأنّ حال المعنى في بيت ابن هَرْمة :

* وَلا أَبْتَاعُ إِلَّا قَريبَةَ الأَجَلْ *

كحاله في قولك : أنا مضياف "(١)

واستشهد به بعد ذلك على أن حقيقة الكناية أنها إثباتٌ لمعنى من طريق المعقول دون طريق اللفظ . (٢)

---

(١) الدلائل ، رضا : ٣٢٧ ، خفاجي : ٣٩٩ ، شاكر : ٤٢٦-٤٢٧ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣٣١ ، خفاجي : ٤٠٢ ، شاكر : ٤٣١ .

ز ـ فصاحة الاستعارة :

الشاهد السادس والستون بعد المائتين : (*) (الخفيف)

قول المتنبي :

نَحْنُ رَكْبٌ (١) مِلْجِنِّ (٢) فِي زِيِّ نَاسٍ ∴ فَوقَ طَيرٍ لَهَا شُخُوصُ الجِمَالِ (٣)

وهو من قصيدة قالها في مدح عبدالرحمن بن المبارك الأنطاكي (٤) ومطلعها :

صِلَةُ الهَجْرِ لِي وَهَجْرُ الوِصَالِ ∴ نَكَسَانِي فِي السُّقْمِ (٥) نُكْسَ الهِلَالِ (٦)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٣٣ ، خفاجي : ٤٠٤ ، شاكر: ٤٣٤ .

(١) رواية سر الفصاحة والمفتاح والإيضاح وشرح أبيات الإيضاح :
" نَحْنُ قَومٌ " .
ورواية " مواهب الفتاح " : " نَحْنُ جِنٌّ بَرَزْنَ فِي زِيِّ نَاسٍ "

(٢) يريد " مِنَ الجِنِّ " فحذف النون .

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري : ٣ / ١٩٤ ، العرف الطيب : ٤ / ٣٣٨ ، الخصائص : ٣٠٢ ، الوساطة : ٢٨٤ ، الإبانة عن سرقات المتنبي : ١١٤ ، سر الفصاحة : ١٠٦ ، المفتاح : ١٥٨ ، الإيضاح : ٢ / ٤١٦ ، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - : رقم الشاهد (٣٥٢) ، شروح التلخيص " مواهب الفتاح " : ٤ / ٦٦ ، " عروس الأفراح " : ٤ / ٦٧ .

(٤) لم أقف له على ترجمة بعد .

(٥) السُّقْم والسَّقَم : المرض وهما لغتان فصيحتان / الصحاح " سقم " : ٥/١٩٤٩

(٦) نَكَسْتُ الشيءَ أنكُسُهُ نَكْساً : قلبته على رأسه فانتكس ، ونَكَّسْتُهُ تنكيساً ، والنُّكس " بالضم " : عَوْدُ المريض بعد النَّقَهِ ، والنَّكْس " بضم النون " ، الاسم " وبفتحها " : المصدر والمعنى : كنت صحيح الجسم كامل الخلق ، فنكسني وصل الهجر ، وبعد الوصال إلى أن أعادني إلى السقم ، كما يعاد الهلال إلى المحاق بعد تمامه . / الصحاح " نكس " : ٣ / ٩٨٦ ، لسان العرب " نكس " : ٦/٢٤٣ ، شرح العكبري للديوان : ٣ / ١٩١ .

وقبل الشاهد :

وَلِحَتْفٍ فِي العِزِّ يَدْنُو مُحِبٍّ .·. وَلِعُمْرٍ يَطُولُ فِي الذُّلِّ قَالِي (١)

وبعده الشاهد وبعده :

مِنْ بَنَاتِ الجَدِيلِ تَمْشِي بِنَافِي البِيدِ (م) .·. مَشْيَ الأَيَّامِ فِي الآجَالِ (٢)

استشهد به الشيخ على أن الاستعارة ليست نقل اسم عن شيء إلى شيء ، ولكنها ادّعاء معنى الاسم لشيء ، فالاستعارة إما أن تنفي عن المشبه اسم جنسه ، فتقول : ليس هو آدميا وإنّما هو ملك .

أو هو عدم إرادة إخراج الشيء عن جنسه جملة فتقول هو ملك في صورة آدمي ، وعلى القول الأخير خرج قول المتنبي ، فبالغ وادّعى أن ركبه ركب من الجن في صدور الأمور العجيبة منهم قد تزيوا بزي الناس ، وادّعى أن جمالهم تخيل للناظر في سرعتها أنها طير على الحقيقة ، لكنها في شكل الجمال ، قال الشيخ :

" واعلم أن العقلاء بنوا كلامهم إذا قاسوا وشبهوا ، على أن الأشياء تستحق الأسامي لخواصّ معانٍ هي فيها دون ماعداها ، فإذا أثبتوا خاصة شيء لشيء ، أثبتوا له اسمه ، فإذا جعلوا " الرجل " بحيث لا تنقص شجاعته عن شجاعة الأسد ، ولا يعدم منها شيئاً قالوا : " هو أسد " ، وإذا وصفوه بالتناهي في الخير والخصال الشريفة ، أو بالحسن الذي يَبْهَر قالوا : " هو ملك " وإذا وصفوا الشيء بغاية الطيب قالوا : " هو مسك " وكذلك الحكم أبداً . ثم إنهم إذا استقصوا في ذلك نفوا عن المشبه اسم جنسه فقالوا : " ليس هو بإنسان ، وإنما هو أسد " و " ليس هو آدميًا وإنّما هو ملك " كما قال الله تعالى : " مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ "(٣) ثم إن لم يريدوا أن يخرجوه عن جنسه جملةً قالوا : " هو أسد في صورة إنسان " و " هو ملك في صورة آدمي "

---

(١) الديوان بشرح العكبري : ٣ / ١٩٣ .

(٢) المصدر السابق : ٣ / ١٩٤ .

(٣) يوسف : ٣١ .

وقد خرج هذا للمتنبي في أحسن عبارة وذلك في قوله :

- - - - - -   البيت " (١)

وإنما لجأ المتنبي لهذه الطريقة من أجل المبالغة في المعنى . قال ابن جني في " باب من غلبة الفروع على الأصول " :

" هذا فصل من فصول العربية طريف تجده في معاني العرب ، كما تجده في معاني الإعراب ، ولا تكاد تجد شيئاً من ذلك إلّا والغرض فيه المبالغة . . . وآخر من جاء به شاعرنا فقال :

نَحْنُ رَكْبٌ مِلْجِنِّ في زِيِّ نَاسٍ ∴ فَوقَ طَيرٍ لَهَا شُخُوصُ الجِمَالِ

فجعل كونهم جناً أصلاً ، وجعل كونهم ناساً فرعاً ، وجعل كون مطاياه طيراً أصلاً ، وكونها جمالاً فرعا فشبه الحقيقة بالمجاز في المعنى الذي منه أفاد المجاز من الحقيقة ما أفاد " (٢)

وذكر ابن سنان الخفاجي أن ابن جني قد حمل البيت على الكلام المقلوب ، وهذا يُفسد المعنى وذكر أنه جعل تقديره نحن رَكْبٌ مِنَ الإنس في زي الجن فوق جمال لها شخوص طير وعلق على ذلك بقوله :

" وهذا عندي تعسف من أبي الفتح لا تقود إليه ضرورة ، ومراد أبي الطيب المبالغة على حسب ما جرت به عادة الشعراء ، فيقول : نَحْنُ قَوْمٌ مِنَ الجِنّ لجوبنا الفلاة والمهامه والقفار التي لا تسلك وقلة قَرَقنا (٣) فيها ، إلا أننا في زي الإنس ، وهم على الحقيقة كذلك ، ونحن فوق طير من سرعة إبلنا ، إلا أن شخوصها شخوص الجمال ، ولا شك أيضاً في ذلك (٤) .

---

(١) الدلائل ، رضا : ٣٣٢-٣٣٣ ، خفاجي : ٤٠٤ ، شاكر : ٤٣٣-٤٣٤ .

(٢) الخصائص : ١/٣٠٠-٣٠٢-٣٠٣ .

(٣) القرق : الجماعة / اللسان " قرق " : ١٠ / ٣٢٢ .

(٤) سر الفصاحة : ١٠٦ .

ولقد ذكرت آنفا رأي ابن جني في البيت ، وأنه بناه على المبالغة ، وجعل كونهم جنًّا أصلاً ، فهو على خلاف ما أورده ابن سنان عن ابن جني .

وفي البيت لطيفة بلاغية أحببت الإشارة إليها وهي الحذف في قوله " ملجن " ، فيبدو لي أن سر الحذف هنا يرجع إلى أنَّ الشاعر يتحدث عن موقف غريب ، وهو كونهم جنًّا ، فالحذف هنا يزيد من غرابة الموقف ، ويضفي عليه نوعاً من الغموض ، أو لأن الشاعر تحدث عن وجه كونهم جناً ، وهو سرعة صدور الأفعال منهم ، فَحَذْف النون يرمز إلى تلك السرعة .

الشاهد السابع الستون بعد المائتين : (*) (الكامل)

قول لبيد (١) :

وَغَدَاةِ رِيحٍ قَدْ كَشَفْتُ (٢) وَقِرَّةٍ .:. إِذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا (٣) (٤)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٣٤ ، خفاجي : ٤٠٦ ، شاكر : ٤٣٧ .

(١) وقد أعاد الشيخ الاستشهاد بالبيت على نفس الموضع ، انظر الدلائل : رضا: ٣٥٤ ، خفاجي : ٤٢٤ ، شاكر : ٤٦٠ ، ٤٦١ .

(٢) رواية الديوان والعمدة : " قد وزعت " .
وررواية البديع لابن المعتز ، والدلائل تحقيق خفاجي ، شاكر ، ورواية الإيضاح وشرح أبيات الإيضاح : " قد كشفت " .

(٣) جعل الشيخ عبد القاهر ، الضمير هنا ، والضمير في أصبحت عائداً إلى " الغداة " ، وجعله الزمخشري عائداً للقرة .
ورأى الخطيب القزويني أن ماذهب إليه الزمخشري أظهر .
ويبدو أن قول الزمخشري هو الأفضل كما قال الخطيب لأن المراد أن القرة ، وهي البرد الشديد ، قد عم جميع النواحي والجهات حتى كأنها بعير زمامه في يد ريح الشمال ، فهي تذهب بها في نواحيها المختلفة .

(٤) انظر البيت في : شعر لبيد بن ربيعة : ٤٣ ، ديوان لبيد بن ربيعة العامري : ٢٢٨ ، البديع لابن المعتز : ١١ ، رسائل ابن المعتز : ١٠ ، الوساطة ٣٤ ، بديع القرآن : ١٨ ، الموازنة - ت : محي الدين عبد الحميد - : ١٨ ، العمدة : =====

وهو من قصيدة . مطلعها :

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا ∴ بِمِنىً (١) تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجَامُهَا (٢)

وقبل الشاهد :

بَاكَرْتُ حَاجَتَهَا الدَّجَاجَ بِسُحْرَةٍ ∴ لِأُعَلَّ مِنْهَا حِينَ هَبَّ نِيَامُهَا

وبعده الشاهد وبعده :

بِصَبُوحِ صَافِيَةٍ وَجَذْبِ كَرِينَةٍ (٣) ∴ بِمُوَتَّرٍ (٤) تَأْتَالُهُ (٥) إِبْهَامُهَا

=== ٢٦٩ ، الصناعتين ٣١٤ ، الإيضاح : ٢ / ٤٤٤ ، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - الشاهد رقم (٣٩٢) ، شروح التلخيص : " عروس الأفراح " : ٤ / ١٥٤ عقود الدرر : (٥ ب) .

(١) مِنى : هو جبل أحمر عظيم ، ليس بالحِمَى جبل أطول منه ، وهو يُشرف على ما حوله من الجبال ، وفي أصله ماءة لبني زَبَّان في أرض غَنِيٍّ ، ومِنًى عن يسار طريق أهل البصرة إلى مكة للمُصعِد ./ معجم ما استعجم : ٢ / ٣ / ٨٧٧ غول : جبل داخل الحمى في غربي جبل حِلّيت ، وله هضبات خُمْسٌ يُدْعَين هضبات غَول ./ معجم ما استعجم : ٢ / ٣ / ٨٧٦ .

(٢) الرِّجام : جبل آخر مستطيل في الأرض بناحية طخفة ليس بينه وبينها إلا طريقٌ يُدعَى العَرْج وهو طريق أهل أضاخ إلى ضرية ، وبين الرِّجام وضرية ثلاثة عشر ميلاً ونحوها ، وفي أصل الرِّجام ماء عذب لبني جعفر / معجم ما استعجم : ٢ / ٣ / ٨٧٧ .

(٣) الكرينة : المغنية الضاربة بالعود أو الصنج . / التاج " كرن " ٩ / ٣٢٠ .

(٤) بِمُوَتَّرٍ : أي بعودٍ ذي أوتار / معجم مقاييس اللغة " وتر " : ٦ / ٨٣ .

(٥) تأتاله : تصلحه . / اللسان " أتل " : ١١ / ٩ .

استشهد به الشيخ على أن القول بأن الاستعارة هي : " تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على سبيل النقل " فتكون بذلك صفة للفظ - تعريف غير جامع ، لأن هناك نوعًا من الاستعارة لا ينطبق عليه هذا التعريف لأنه لا يتصور تقدير النقل فيه ألبتة . وعلى ذلك يسقط القول بأن الاستعارة صفة للفظ قال الشيخ :

" واعلم أنه قد كَثُرَ في كلام الناس استعمال لفظ " النقل " في " الاستعارة "، فمن ذلك قولهم : " إنَّ الاستعارة تعليق العبارة على غير ما وُضِعَت له في أصل اللغة على سبيل النقل "

وقال القاضي أبو الحسن : " الاستعارة ما اكتُفِي منه بالاسم المستعار عن الأصلي ، ونُقلت العبارة فجُعلت في مكان غيرها "(١) " (٢)

فرد الشيخ على ذلك ببيت الشاهد، وأنه لا يتصور تقدير النقل فيه ألبتة فلا نستطيع أن نزعم أن لفظ " اليد " قد نقل عن شيء إلى شيء ، وذلك لأنه ليس المعنى على أنه شبه شيئاً باليد ، فنزعم أنه نقل لفظ " اليد " إليه ، وإنّما المعنى المراد هو إثبات أنّ الشمال في تصريفها " الغداة " على طبيعتها شَبّهَ الإنسان قد أخذ يقلب الأمور ، ويصرفها بيديه كيف شاء ، فلما أثبت لها فعل الإنسان باليد استعار لها " اليد " .

قال الشيخ :

" واعلم أن في " الاستعارة " ما لا يُتَصَوَّر تقدير النقل فيه ألبتة وذلك مثل قول لبيد : وَغَدَاةِ رِيحٍ . . .

لا خلاف في أن " اليد " استعارة ، ثم إنك لا تستطيع أن تزعم أن لفظ " اليد " قد نقل عن شيء إلى شيء . وذلك أنه ليس المعنى على أنَّه شَبَّهَ شيئاً باليد ، فيمكنك أن تزعم أنه نقل لفظ " اليد " إليه ، وإنما المعنى على أنه أراد أن يُثبت

---

(١) الوساطة : ٤١ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣٣٣ ، خفاجي : ٤٠٥ ، شاكر : ٤٣٤ .

للشَّمال في تصريفها " الغَدَاة " على طبيعتها ، شَبّه الإنسان قَدْ أَخَذَ الشيء بيده يقلبه ويصرفه كيف يريد ، فلما أثبت لها مثل فعل الإنسان باليد ، استعار لها " اليد " وكما لا يمكنك تقدير " النقل " في لفظ " اليد " كذلك لا يمكنك أن تجعل الاستعارة فيه من صفة اللفظ . ألا ترى أنه مُحال أن تقول : إنه استعار لفظ " اليد " للشَّمال ؟ وكذلك سبيل نظائره ، مما تجدهم قد أثبتوا فيه للشيء عُضواً من أعضاء الإنسان . من أجل إثباتهم له المعنى الذي يكون في ذلك العضو من الإنسان . . . " (١)

وهكذا يثبت الشيخ أن الاستعارة ليست نقل الاسم عن الشيء إنما هى ادعاء معنى الاسم للشيء ، وأن ما قالوه من أنها نقل للعبارة عما وضعت له كلام قد تسامحوا فيه ، قال الشيخ :

" . . فقد تبيَّن من غير وجهٍ أن " الاستعارة " إنما هي ادِّعاء معنى الاسم للشيء . لا نَقلُ الاسم عن الشيء . وإذا ثبت أنها ادِّعاء معنى الاسم للشيء علمت أن الذي قالوه من " أنها تعليقٌ للعبارة على غير ما وُضِعت له في اللغة ، ونقلٌ لها عَمَّا وُضِعَت له " كلامٌ قد تسامحوا فيه ، لأنه إذا كانت " الاستعارة " ادِّعاء معنى الاسم ، لم يكن الاسم مُزالاً عمَّا وُضِعَ له . بل مُقَرّاً عليه " (٢)

واستشهد الشيخ بالبيت في أسرار البلاغة على الاستعارة المفيدة مبيناً صورة هذه الاستعارة ، وأنها قائمة على التخيل والوهم والتقدير في النفس ، فعنده أن الاستعارة المفيدة إما أن تكون اسما أو فعلاً ، فإذا كانت اسما فإنه يقع مستعاراً على قسمين :-

---

(١) الدلائل ، رضا : ٣٣٤ ، خفاجى : ٤٠٦ ، شاكر : ٤٣٥ - ٤٣٦ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣٣٥ ، خفاجي : ٤٠٧ ، شاكر : ٤٣٧ .

الأول : أن تنقله عن مسماه الأصلي إلى شيء آخر ثابت معلوم فتجريه عليه ، وتجعله متناولاً له تناول الصفة مثلاً للموصوف ، وذلك قولك " رأيت أسداً " وأنت تعني رجلاً شجاعاً .

الثاني : أن يؤخذ الاسم عن حقيقته ، ويوضع موضعاً لا يبين فيه شيء يشار إليه ، فيقال هذا هو المراد بالاسم ، والذي استعير له ، وجعل خليفة لاسمه الأصلي ونائباً منابه .

وجاء بالبيت شاهداً على هذا القسم ، فقد جعل للشمال يداً ومن المعلوم أن ليس هناك مشار إليه يمكن أن تجرى اليد عليه (١) ، ثم قال :

" بل ليس أكثر من أن تخيل إلى نفسك أن الشمال في تصريف الغداة على حكم طبيعتها كالمدّبّر المصرّف لما زمامه بيده ، ومقادته في كفّه ، وذلك كله لا يتعدّى التخيل والوهم والتقدير في النفس من غير أن يكون هناك شيء يُحَسّ ، وذات تتحصل ، ولا سبيل لك إلى أن تقول : كَنى باليد عن كذا ، وأراد باليد هذا الشيء ، أو جعل الشيء الفلاني يداً كما تقول : كَنى بالأسد عن زيد وعنَى به زيداً ، وجعل زيداً أسداً ، وإنما غايتك التي لا مُطّلع وراءها أن تقول : أراد أن يُثبت للشمال في الغداة تصرُّفاً كتصرُّف الإنسان في الشيء يقلّبُه فاستعار لها اليد حتى يبالغ في تحقيق الشبَه ، وحُكم الزمام في استعارته للغداة حكم اليد في استعارتها للشمال إذ ليس هناك مشار إليه يكون الزمام كناية عنه ، ولكنّه وفّى المبالغة شرطها من الطرفين فجعل على الغداة زماماً ، ليكون أتم في إثباتها مصرّفة كما جعل للشمال يداً ليكون أبلغ في تصييرها مصرّفة " . (٢)

---

(١) أسرار البلاغة - هـ - ريتر - : ٤٢ - ٤٣ .

(٢) أسرار البلاغة - هـ . ريتر - : ٤٣ - ٤٤ .

فالشيخ عبدالقاهر يرى أنَّ في هذه الصورة استعارة واحدة حصلت لا من التشبيه ذاته ،لأنه لا معنى لأن تقول : "إذ أصبح شيء مثل اليد للشمال" إنما حصلت الاستعارة من إضافة اليد للشمال .

فالشاعر جعل الشمال كذي اليد من الأحياء ، ولم يرد أن يجعل شيئًا كاليد ، أما دور التشبيه هنا فإنه وقع كالمناسبة التي يعتمد عليها الخيال في إثبات الاستعارة . قال الفخر الرازي ملخصاً رأي الشيخ :-

" وأما الثاني " فعندما تكون جهة الاشتراك وصفاً إنما يثبت كما له في المستعار منه بواسطة شيء آخر فيثبت ذلك الشيء للمستعار مبالغة في إثبات ذلك المشترك".(١)

أما رأى الشيخ بالتفصيل فهو :

" ويفصل بين القسمين أنك إذا رجعت في القسم الأول إلى التشبيه الذي هو المغزى من كل استعارة تفيد وجدته يأتيك عفواً ،كقولك في " رأيت أسداً " رأيت رجلاً كالأسد " أو " رأيت مثل الأسد " أو " شبيهاً بالأسد "، وإن رمته في القسم الثاني ،وجدته لا يؤاتيك تلك المؤاتاة إذ لا وجه لأن تقول : "إذ أصبح شيء مثل اليد للشمال " ،أو " حصل شبيه باليد للشمال" ، وإنما يتراءى لك التشبيه بعد أن تخرق إليه ستراً ،وتعمل تأملاً وفكراً ، وبعد أن تُغيِّر الطريقة ، وتخرج عن الحد الأول كقولك : " إذ أصبحت الشمال ، ولها في قوة تأثيرها في الغداة شَبهُ المالك تصريف الشيء بيده ، وإجرائه على موافقته ، وجَذبه نحو الجهة التي تقتضيها طبيعته ، وتنحوها إرادته " فأنت كما ترى تجد الشبه المنتزع ههنا -إذا رجعت إلى الحقيقة ووضعت الاسم المستعار في موضعه الأصلي - لا يلقاك من المستعار نفسه بل مما يضاف اليه ،ألا ترى أنك لم تُرد أن تجعل الشمال كاليد ومشبهة باليد كما جعلت

---

(١) نهاية الإيجاز: ٩٥ .

الرجل كالأسد ، ومشبهاً بالأسد ، ولكنك أردت أن تجعل الشمال كذي اليد من الأحياء ، فأنت تجعل في هذا الضرب المستعار له - وهو نحو الشمال ذا شيء ، وغرضك أن تثبت له الحكم من يكون له ذلك الشيء في فعل أو غيره لا نفس ذلك الشيء فاعرفه " (١)

والملاحظ أن الشيخ لم يصرح بمصطلح الاستعارة التخييلية ، وإنما يُفهم من قوله : " ليس أكثر من أن تخيل إلى نفسك أن الشمال في تصريف الغداة على حكم طبيعتها كالمُدَبِّر المصَرِّف لما زمامه بيده ، ومقادته في كفّه ، وذلك كله لا يتعدّى التخيل والوهم " (٢)

وكذلك لم يصرح الشيخ بالاستعارة المكنية ، وإن كان الذين جاءوا بعده استضاءوا بكلامه عند تقسيم الاستعارة إلى تصريحية ومكنية ، وقد مهد لذلك الفخر الرازي ، وإن لم يذكر الاصطلاحين . قال :

" اعلم أن الاستعارة تارة تعتمد نفس التشبيه وتارة لوازمه " فالأول " : ما إذا اشترك شيئان في وصف وأحدهما أنقص من الآخر ، فيعطى الناقص اسم الزائد مبالغة في تحقيق ذلك الوصف له كقولك رأيت أسداً ، وأنت تعني رجلاً شجاعاً وعنت لنا ظبية ، وأنت تريد امرأة " وأما الثاني " فعندما تكون جهة الاشتراك وصفاً إنما يثبت كماله في المستعار منه بواسطة شيء آخر ، فيثبت ذلك الشيء للمستعار له مبالغة في إثبات ذلك المشترك كقوله :

وَغَداةِ رِيحٍ قَدْ كَشَفْتُ وَقِرَّةٍ ∴ قَدْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا " (٣)

ولقد استشهد الخطيب القزويني بالبيت في الإيضاح . وكان موافقاً الشيخ في أن إثبات اليد للشمال تخيلية والظاهر أنه ناقل " عنه قال الخطيب :

---

(١) الأسرار هـ. ريتر : ٤٤ - ٤٥ .

(٢) المصدر السابق : ٤٤ .

(٣) نهاية الإيجاز : ٩٤ - ٩٥ .

" قد يُضمر التشبيه في النفس، فلا يصرح بشيء من أركانه سوى لفظ المشبه، ويَدلُّ عليه بأن يُثبت للمشبه أمرٌ مختص بالمشبه به، من غير أن يكون هناك أمرٌ ثابت حساً أو عقلاً أُجرى عليه اسم ذلك الأمر فيُسَمَّى التشبيه استعارة بالكناية أو مكنياً عنها، وإثبات ذلك الأمر للمشبه استعارة تخييلية والعَلَم في ذلك قول لبيد :

وَغَـداةِ رِيحٍ ...

فإنه جعل للشمال يداً، ومعلوم أنه ليس هناك أمرٌ ثابت حساً أو عقلاً تجري اليد عليه، كإجراء الأسد على الرجل الشجاع، ... ولكن لما شَبَّه الشَّمال - لتصريفها القِرَّة على حكم طبيعتها في التصريف - بالإنسان المصرِّف لما زِمامُه بيده، أثبت لها يداً على سبيل التخييل، مُبالغةً في تشبيهها به، وحكم الزمام في استعارته للقِرَّة - حكم اليد في استعارتها للشَّمال، فجعل للقِرَّة زِماماً؛ ليكون أتم في إثباتها مُتَشرِّفةً، كما جعل للشَّمال يداً؛ ليكون أبلغ في تصييرها مُتَصرِّفَةً، فوفَّى المبالغة حقَّها من الطرفين" (١)

وقد ذهب السكاكي إلى خلاف ما ذهب إليه الشيخ، فالاستعارة التخييلية عنده هي اللفظ المستعمل في صورة وهمية اخترعها الخيال لتلائم لازم المشبه به، فاليد في قول لبيد مستعارة من معناها الحقيقي إلى شيء متوهم ومتخيل في الشمال يشبه اليد في الإنسان، وكأن لبيداً اجتهد في أن يشكل الشمال في شكل إنسان ويجري عليها أحواله وصفاته . قال السكاكي :

" هي - أي الاستعارة التخييلية - أن تسمي باسم صورة متحققة صورة عندك وهمية محضة تقدرها مشابهة لها مفرداً في الذكر في ضمن قرينة مانعة عن حمل الاسم على ما يسبق منه إلى الفهم من كون مسماه شيئاً متحققاً وذلك مثل

---

(١) الإيضاح : ٢ / ٤٤٤ - ٤٤٥ .

أن تشبه المنية بالسبع في اغتيال النفوس وانتزاع أرواحها بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفاع وضرار، ولا رقة لمرحوم ، ومساس بقيا على ذي فضيلة تشبيهاً بليغاً حتى كأنها سبع من السباع فيأخذ الوهم في تصويرها في صورة السبع واختراع مايلازم صورته ويتم بها شكله من ضروب هيئات وفنون جوارح ، وأعضاء وعلى الخصوص مايكون قوام اغتيال السبع للنفوس بها وتمام افتراسه للفرائس بها من الأنياب والمخالب ثم تطلق على مخترعات الوهم عندك أسامي المتحققة" (١)

ذكر ابن المعتز في رسائله أن أحسن استعارة اشتمل عليها بيت واحد من الشعر قول لبيد :

وَغَدَاةِ رِيحٍ . . .   البيت (٢)

ومعنى الشاهد : أراد الشاعر أن يصف نفسه بالكرم البالغ والجود النادر لذا وصف نفسه بالكرم في الوقت الذي يشتد فيه القحط ، وقد وصفه بأنه أشد الأوقات وأصعبها على الناس ، فكم من غداة تهب فيها الشمال وهي أبرد الرياح قد كفّ بجوده عادية البرد عن الناس ، وذلك بنحر الجزر، وتوفير المؤونة لهم . وبالغ في وصف الشمال بالشدة بأن أثبت لها يداً ليدل على شدة تحكمها وتسلط بردها ، وانتشاره في جميع النواحي وكذلك أثبت الزمام لها ، أو للقرة.

---

(١) مفتاح العلوم : ١٥٩ - ١٦٠.

(٢) رسائل ابن المعتز : ١٠.

الشاهد الثامن والستون بعد المائتين : (*) (الطويل)

إذا هزّه في عظم قِرْنٍ (١) تهللت (٢) .'. نواجذ أفواه المنايا الضواحك (٣)

ذكره الشيخ من غير عزو، وأشار إلى أنه من أبيات الحماسة ، وهو لتأبط شرًّا (٤) ، في ابن عم له يصفه بركوب الأهوال ، وبذل الأموال .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٢٥ ، خفاجي : ٤٠٦ ، شاكر: ٤٣٦ .

(١) الضمير يعود إلى سيفه .

(٢) قِرْنٍ : أي المثل والكفوء ، هو قَرْنه في السن ، وقِرْنه في الحرب ، القَرن بالفتح مثلك في السن ، وبالكسر : مثلك في الشجاعة ./ أساس البلاغة " قرن " : ٣٦٤ .

(٣) انظر البيت في :

الحماسة - ت : عسيلان - : ١ / ٧٦ رقم (١٣) ، الحيوان : ٦/٢٥٦ ، العقد الفريد : ٢ /٣٣٧ ، أمالي القالي : ٢ / ١٣٨ ، نقد الشعر: ٨٩ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٢ / ٦٩١ ، زهر الآداب : ٢ / ٣٥٨ ، سمط اللآلي : ٢ / ٧٦٢ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ١/ ٤٩ .

(٤) هو ثابت بن جابر بن سفيان ، أبو زهير الفهمي ، من مضر (٠٠٠-٨٠ق هـ) وأمه امرأة يقال لها أميمة ، يقال انها من بني القين بطن من فهم ، وهو شاعر عدّاء من فتاك العرب في الجاهلية ، كان من أهل تهامة ، شعره فحل ، وسمي تأبط شرًّا لأنه أخذ سيفاً تحت إبطه فسُئلت أمه عنه فقالت : تأبط شرّا وخرج ، وقيل إنه لُقِّب به حين تأبط جراباً ملأه أفاعي / انظر ترجمته :

الأغاني : ٢١/ ١٢٧-١٧٣ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ١/ ٣٧-٤١ ، شرح شواهد المفني : ١ / ٥١ ، ٥٢ ، خزانة الأدب (دار صادر) : ١/ ٦٦ ، ٣٥٨/٣ ، ٤٦٧ ، المحبر : ١٩٦ - ١٩٧ ، الأعلام : ٢ / ٩٧ .

وذكر في الحماسة - ت : عسيلان - أن الأبيات تنسب لتأبط شرا وغيره .

وأول الأبيـــات :

إنِّي لَمُهدٍ مِنْ ثَنائِـي فَقاصِـــدٌ ∴ بِهِ لابنِ عَمِّ الصِّدْقِ شَمْسِ بنِ مالِـكِ

وقبـل الشـاهد :

إذا حَاصَ عَيْنَيهِ كَرى النَّومِ لَمْ يَزَلْ ∴ لَهُ كالِيءٌ مِنْ قَلْبِ شَيْحَانَ فاتِـــكِ
(١) (٢) (٣)

إذا طَلَعَتْ أُولَى العَدِيِّ فَنَفْـرُه ∴ إلى سَلَّةٍ مِنْ صَارِمِ الغَرْبِ بَاتِـكِ

وبعـد هـا الشـاهد وبعده :

يَرَى الوَحْشَـةَ الأُنْسَ الأَنِيسَ وَيَهْتَدِي ∴ بِحَيْثُ اهْتَدَتْ أُمُّ النُّجُومِ الشَّوَابِكِ
(٤) (٥)

وجاء في نقد الشعر أن بعد بيت الشاهد قوله :

قَلِيلُ التَّشَكِّي لِلْمُهِمِّ يُصِيـــــبُهُ ∴ رَحِيبُ مُنَاخِ العِيسِ سَهْلُ المَبَارِكِ (٦)

الشاهد فيـه كسابقه .

ففي البيت استعارة تخييلية ، فإنه لما جعل المنايا تضحك جعل لها الأفواه والنواجذ التي يكون الضحك فيها ، فلا يمكن أن يقال أنه استعار لفظ " النواجذ "

---

(١) رواية نقد الشعر : إذا خاط ، وحَاصَ بمعنى خاط ، حاص الثوب يَحُوصُـهُ حَوصاً وحِيَاصَـةً : خاطه . / اللسان " حوص " : ٧ / ١٨ .

(٢) الكرى : النَّوم ، والكرى النعاس . / اللسان " كرا " : ١٥ / ٢٢١ .

(٣) شيحان : الشيحان والشائح والشيح : الحازم الحذر / اللسان " شيح " : ٢ / ٥٠١ .

(٤) أم النجوم : المَجَرَّة / الصحاح " أمم " : ٥ / ١٨٦٣ .

(٥) الشوابك : المشتبكة شَبَكَتِ النُّجُومُ واشْتَبَكَتْ وتَشَابَكَتْ : تدخل بعضها في بعض ، واختلطت ، وكذلك الظلام . / اللسان " شبك " : ١٠ / ٤٤٧ .

(٦) انظر الأبيات في :-

الحماسة " ت- عسيلان " : ١ / ٧٥ - ٧٦ ، نقد الشعر : ٨٨ - ٨٩ .

ولفظ " الأفواه " ؛ لأن ذلك يوجب أن يكون في المنايا شيء يشبه الأفواه والنواجذ وهذا محال .

قال الشيخ :

" . . . فأنت الآن لا تستطيع أن تزعم في بيت الحماسة أنه استعار لفظ " النواجذ " ولفظ " الأفواه " لأن ذلك يُوجب المحال وهو أن يكون في المنايا شيء قد شبهه بالنواجذ ، وشيء قد شَبَّهَهُ بالأفواه ، فليس إلا أن تقول : إنه لما ادَّعى أنَّ المنايا تُسَرُّ وَتَسْتَبْشِر إذا هو هَزَّ السيف ، وَجَعَلها لسرورها بذلك تضحك أراد أن يُبالغ في الأمر ، فجعلها في صورة من يَضحك حتى تبدو نواجذه من شدة السرور " (١)

ومعنى الشاهد :

أراد الشاعر أن يصف ممدوحه بالشجاعة المتناهية ، والبطولة التي لا تُدَانَى ، فذكر أن ممدوحه إذا سقط سيفه على عظم شجاع مثله كان ذلك إيذانا بالقضاء عليه ، ولزم من ذلك أن تفرح المنايا وتتهلل سروراً لهذا النصر العظيم ، وبالغ في تصوير انتصاره هذا حيث شبه المنايا بالإنسان الضاحك المستبشر ، ولما كان من مستلزمات الضحك ظهور النواجذ استعارها للمنايا ، للمبالغة في تصوير شدة فرحها .

قال التبريزي في شرح البيت :

" قوله في عظم قرن إيذان بأنه لا يتعرض له إلا من يقاربه بأساً وشدة ، ونسبة التهلل إلى النواجذ مجاز وسعة ، وهذا كما يقال سُرَّ فلان بكذا حتى صار كل سن له ضحك ، وقد سمي ما يبدو من الأسنان عند الضحك الضواحك وقوله : إذا هزَّه في عظم قرن أي إذا هزه وضربه به ضحك الموت ، وهو مثل

---

(١) الدلائل ، رضا : ٣٣٥ ، خفاجي : ٤٠٧ ، شاكر : ٤٣٧ .

فكأنه قال إذا هزه لعظم قرن ، وقد تقام حروف الصفات بعضها مقام بعض إذا لم يشكل ويحتمل أن يكون المراد أنه إذا ضربه به نشب في عظمه ، فهزه فيه أي حركه ليتخلص منه والتهلل الضحك ، شبه بتهلل البرق ولمعانه وهو خلاف قوله والموت خزيان ينظر " (١)

الشاهد التاسع والستون بعد المائتين : (*) (الطويل)

المتنبي :

خَمِيسٌ بِشَرقِ الأَرْضِ وَالغَرْبِ زَحْفُهُ ∴ وَفِي أُذُنِ الجَوْزَاءِ مِنْهُ زَمَازِمُ (٢) (٣)

والبيت من قصيدة قالها في مدح سيف الدولة الحمداني ، ومطلعها :

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأْتِي العَزَائِمُ ∴ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الكِرَامِ المَكَارِمُ (٤)

وقبل الشاهد :

أَتَوْكَ يَجُرُّونَ الحَدِيدَ كَأَنَّهُم ∴ سَرَوْا بِجِيَادٍ مَا لَهُنَّ قَوَائِمُ

إِذَا بَرَقُوا لَمْ تُعْرَفِ البِيضُ مِنْهُمُ ∴ ثِيَابُهُمُ مِنْ مِثْلِهَا وَالعَمَائِمُ (٥)

وبعد هما البيت وبعده :

تَجَمَّعَ فِيهِ كُلُّ لِسْنٍ وَأُمَّةٍ ∴ فَمَا تُفْهِمُ الحُدَّاثَ إِلاَّ التَرَاجِمُ (٦)

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ١ / ٤٨ - ٤٩ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٣٥ ، خفاجي : ٤٠٦ ، شاكر : ٤٣٦ .

(٢) الزمزمة : صوت خفي لا يكاد يفهم ، والزمزمة صوت الرعد المتتابع ، والزمزمة أيضاً الصوت البعيد تسمع له دوي / اللسان (زمم) : ١٢ / ٢٧٤ .

(٣) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في : الديوان بشرح العكبري : ٣ / ٣٨٤ .

(٤) الديوان : ٣ / ٣٧٨ .

(٥) الديوان : ٣ / ٣٨٤ .

(٦) الديوان : ٣ / ٣٨٥ .

الشاهد فيه كسابقه .

فإنه لا يمكن الزعم ، بأن المتنبي قد استعار لفظ " الأذن " لأن ذلك يوجب أن يكون في الجوزاء شيء أريد تشبيهه بالأذن. وهذا محال .

فالقصد أنه لما جعل الجوزاء تسمع أثبت لها " الأُذُن " التي يكون بها السمع من الإنسان. قال الشيخ :

" لما جعل " الجوزاء " تسمع - على عادتهم في جعل النُّجوم تعقل ، ووصفهم لها بما يُوصَف به الأناسِيّ - أثبت لها " الأُذُن " التي بها يكون السمع من الأناسِيّ " (١)

وقال :

" . . . لا تستطيع أن تزعم أن المتنبي قد استعار لفظ " الأُذُن " ، لأنه يوجب أن يكون في " الجوزاء " شيء قد أراد تشبيهه بالأُذُن ، وذلك من شنيع المحال " (٢)

ومعنى الشاهد :

أن هذا الجيش لكثرته وعظمه قد ملأ الآفاق ، فسُمع له ضجيج ودوي عظيم بلغ أُذُن الجوزاء ، وهذه الأصوات لشدتها زمازم لا تبين ولا تفسر.

جاء في التبيان للعكبري :

" المعنى : يقول : هذا الجيش لكثرته قد عمَّ الشرق والغرب ، وبلغ صوتهم الجوزاء ، وخصَّها بالذكر من سائر البروج ؛ لأنها على صورة الإنسان ، هذا قول الواحدي .

وقال أبو الفتح : لو كان لها أُذُن سمعت بها ، والمعنى : أن هذا الجيش لعظم أمره ، وكثرة أهله قد ملأ ما بين الشرق والغرب ، وفي أُذُن الجوزاء من أصوات أهله زمازم لا تفسر ، وأخلاط لا تبين ، وأشار بهذا أن الأصوات تبلغ السماء بكثرتها ،

---

(١) الدلائل ، رضا : ٣٣٥ ، خفاجي : ٤٠٧ ، شاكر : ٤٣٦ .

(٢) المصدر السابق ، رضا : ٣٣٥ ، خفاجي : ٤٠٧ ، شاكر : ٤٣٧ .

وتقطع أبعد المسافات بشدتها،ولم نسمع في وصف جيش مثل هذا " (١).

الشاهد السبعون بعد المائتين : (*) (البسيط)

قولـــه :

فَأَسْبَلَتْ لُؤْلُؤاً مِنْ نَرْجِسٍ (٢) وَسَقَتْ (٣) .·. وَرْداً وَعَضَّتْ عَلَى العُنَّابِ بِالْبَرَدِ (٤)

وذكره الشيخ من غير عزو . وهو للوأواء الدمشقي (٥) .

والبيت ثاني أبيات أربعة وقبله :

قَالَتْ وَقَدْ فَتَكَتْ فِينَا لَوَاحِظُهَا .·. كَمْ ذَا؟ أَمَا لِقَتِيلِ الحُبِّ مِنْ قَوَدِ (٦)

---

(١) التبيان في شرح الديوان : ٣/٣٨٤ .

(*) الدلائل ،رضا : ٣٤٥، خفاجي : ٤١٦، شاكر: ٤٤٩ .

(٢) رواية الديوان وخاص الخاص ، والمثل السائر " وأمطرت " ، ورواية ديوان الصبابة : " فأمطرت " ، ورواية أمالي المرتضى ، والدلائل تحقيق خفاجي وشاكر : " وأسبلت " ، ورواية تزيين الأسواق : " واستمطرت " .

(٣) ورد في الدلائل تحقيق شاكر :
" وسقمت " بزيادة ميم واعتقد أنه خطأ مطبعي .

(٤) الديوان : ٨٤ . ديوان المعاني : ١ / ٢٥٦ - نسب للمحدثين - يتيمة الدهر : ١ / ٢٧٥ ، خاص الخاص : ١٥٠ ، أمالي المرتضى : ٢ / ١٣٠، سر الفطاحة : ١٠٩ ، من غير عزو ـ، فوات الوفيات : ٣ / ٢٤٠، المثل السائر : ٢ / ٧٥ ، تحرير التحبير : ١ / ١٦٤، تزيين الأسواق : ٢٢٨، ديوان الصبابة : ٦٩ ، الكشكول : ٢ / ٣ / ٤ .

(٥) الوأواء الدمشقي : هو محمد بن أحمد الغسّاني الدمشقي أبو الفرج المعروف بالوأواء (.. - نحو ٣٨٥ هـ) شاعر مطبوع ، حلو الألفاظ ، في معانيه رقة ،كان مبدأ أمره منادياً بدار البطيخ في دمشق له ديوان شعر مطبوع./ انظر ترجمته :
يتيمة الدهر : ١ / ٢٧٢ - ٢٨٢ ، فوات الوفيات : ٣ / ٢٤٠ - ٢٤٥ ، الأعلام : ٥ / ٣١٢ .

(٦) ديوانه : ٨٣ .

وبعده الشاهد وبعده :

إِنْسِيَّةٌ لَوْ رَأَتْهَا الشَّمْسُ مَا طَلَعَتْ ∴ مِنْ بَعْدِ رُؤْيَتِهَا يَوماً عَلَى أَحَدِ
كَأَنَّمَا بَيْنَ غَابَاتِ الجُفُونِ لَهَا ∴ أُسْدُ الحِمَامِ مُقِيمَاتٍ عَلَى الرَّصَدِ (١)

استشهد به الشيخ على أن المزية في الاستعارة هي في إثبات شدة الشبه ، أي أنَّهَا ليست في نفس المعنى الذي يقصد إليه المتكلم ، والذي يوجب نقل معنى لفظ إلى معنى لفظ آخر ، ولكن في طريق إثباته للمعنى وتقريره إيَّاه ، فبلاغة الاستعارة لا تكون في المثبت وإنما في الإثبات .

قال الشيخ :

" واعلم أنه قد يهجس في نفس الإنسان شيء يَظُنُّ من أجله أنَّهُ ينبغي أن يكون الحكم في المزيَّة التي تحدُث بالاستعارة ، أنها تحدث في المُثْبَت دون الإثبات ، وذلك أن تقول : إنّا إذا نظرنا إلى " الاستعارة " وجدناها إنما كانت أبلغ من أجل أنها تدل على قُوَّةِ الشبه ، وأنَّهُ قد تَنَاهى إلى أن صار المُشَبَّه لا يتميَّز عن المشبه به في المعنى الذي من أجله شُبِّه به . وإذا كان كذلك كانت المزيَّةُ الحادثةُ بها حادثةً في الشَّبَه ، وإذا كانت حادثة في الشَّبَه كانت في المُثْبَت دون الإثبات .

والجواب عن ذلك أن يقال : إن الاستعارة ، لَعَمْري ، تقتضي قُوَّة الشَّبَه ، وكونَهُ بحيث لا يَتَميَّز عن المُشَبَّه به ، ولكن ليس ذاك سبب المزيَّة ، وذلك لأنه لو كان ذاك سبب المزية ، لكان ينبغي إذا جئت به صريحاً ، فقلت " رأيت رجلاً مساوياً للأسد في الشجاعة ، وبحيث لولا صورته لظننت أنك رأيت أسداً ، وما شاكل ذلك من ضروب المبالغة ، أن تجد لكلامك المزية التي تجدها لقولك : " رأيت أسداً " وَلَيْسَ يخفى على عاقلٍ أنَّ ذلك لا يكون" (٢)

---

(١) ديوانه : ٨٥ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣٤٤ خفاجي : ٤١٥ ، شاكر : ٤٤٨-٤٤٩ .

ثم قـال :

" ... فأنت الآن إذا نظرت إلى قوله :

فَأَسْبَلَتْ لُؤْلُؤاً مِنْ نَرْجِسٍ ...

فرأيته قد أفادك أنّ " الدّمع " كان لا يحرم (١) من شَبَه اللؤلؤ، و " العين " من شبه النّرجس - شيئاً ، فلا تحْسَبَنّ أنّ سببَ الحُسنِ الذي تراه فيه، والأريحية التي تجدها عنده ، أنه أفادك ذلك فحسب ، وذاك أنك تستطيع أن تجيء به صريحاً فتقول : " فأسبلت دمعاً كأنه اللؤلؤ بعينه ، من عينٍ كأنها النّرجس حقيقة " ، ثم لا ترى من ذلك الحسن شيئاً . ولكن اعلم أنّ سبب أن راقك ، وأدخل الأريحية عليك ، أنّه أفادك في إثبات شدّة الشَبَه مزيّةً ، وأوجدك فيه خاصّة قد غُرِزَ في طبع الإنسان أن يرتاح لها ، ويجد في نفسه هِزّة عندها " (٢)

وهذا البيت عدّه المرتضى في أماليه من التشبيه قال :

" وأما تشبيه خمسة بخمسة فقول الوأواء الدمشقي ... " (٣)

وكذلك عدّه ابن سنان الخفاجي من التشبيه وليس هو عنده باستعارة . قال :

" وليس يقع الفرق عندي بين التشبيه والاستعارة بأداة التشبيه فقط، لأن التشبيه قد يرد بغير الألفاظ الموضوعة له ، ويكون حسناً مختاراً ، ولا يعده أحد في جملة الاستعارة لخلوه من آلة التشبيه ، ومن هذا قول الشاعر: (٤)

سَفَرْنَ بُدوراً وَانْتَقَبْنَ أَهِلَّةً ∴ وَمِسْنَ غُصُوناً وَالْتَفَتْنَ جآذِرَا

وقول الآخر :

وَأَسْبَلَتْ لُؤلؤاً مِنْ نَرْجِسٍ فَسَقَتْ ∴ وَرْداً وَعَضّتْ عَلَى العُنّابِ بِالبَرَدِ

---

(١) وفي تحقيق شاكر : " لا يَخْرِمُ " .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣٤٥ ، خفاجي : ٤١٥-٤١٦ ، شاكر : ٤٥٠ .

(٣) أمالي المرتضى : ٢/ ١٣٠ .

(٤) هو أبو القاسم الزاهي .

وكلاهما تشبيه محض ، وليس باستعارة . وإن لم يكن فيهما لفظ من ألفاظ التشبيه ، وإنما الفرق بين الاستعارة والتشبيه ما حكيناه أولاً(١) " (٢)

والظاهر أن ابن سنان قد خلط في مقالته هذه بين التشبيه والاستعارة وخرج عن الحد الذي وضعه في الفرق بينهما فقول الوأواء :

وَأَسْبَلَتْ لُؤْلُؤاً . .

جعله تشبيهاً ، وهو في الحقيقة استعارة ؛ لأن لفظ " أَسْبَلَتْ " خرج مخرج ماليست العبارة له في أصل اللغة ، فالمراد باللؤلؤ هنا " الدمع " فجاء بالمشبه به وحذف المشبه وهكذا النرجس والورد والعناب ، فأدخل صور الاستعارة في التشبيه .

وكذلك عدّه الثعالبي من التشبيه قال :

" هذا البيت مما أحسن فيه ، وضمنه خمس تشبيهات بغير أداة التشبيه " (٣)

وقال في خاص الخاص " أبو الفرج الوأواء من عجائبه أنه خَمَّسَ مَارَبَّعَ أبو نواس من التشبيهات في بيت واحد فقال : . . . البيت " (٤)

وكذلك عدّه ابن أبي الإصبع من التشبيه ، ووازن بينه وبين بيت أبي نواس :

تَبْكِي فَتُذْرِي الدُّرَّ مِنْ نَرْجِسٍ .·. وَتَلْطِمُ الوَرْدَ بِعُنَّابِ

فذكر أن بيت الوأواء هو عين بيت أبي نواس إلا أن بيت أبي نواس ثبت له الفضل بالسبق إلى نفس المعنى ، ونفس التشبيه . قال :

---

(١) يقصد بقوله ما حكيناه أولاً ما ذكره من رأي الرماني في الفصل بين الاستعارة والتشبيه حيث ذكر أن الفرق هو " أن التشبيه على أصله لم يغير عنه في الاستعمال ، وليس كذلك الاستعارة ؛ لأن مخرج الاستعارة مخرج ماليست العبارة له في أصل اللغة " / سر الفصاحة : ١٠٩ .

(٢) سر الفصاحة : ١٠٩ - ١١٠ .

(٣) يتيمة الدهر : ١ / ٢٧٥ .

(٤) خاص الخاص : ١٥٠ .

" وعندي أن بيت الوأواء هو عين بيت أبي نواس ، وإنما حصلت فيه زيادة التشبيه لاتساع وزنه ، فثبت الفضل لبيت أبي نواس بالسبق إلى نفس المعنى ، ونفس التشبيه ، واعلم أن زيادة التشبيه بما زاد في بيت أبي الفرج الوأواء عن اللفظ لاتساع الوزن " (١)

وعدّه ابن الأثير من الاستعارة ؛ لأنه إذا أُظهر التشبيه صار البيت ضرباً من الكلام الغث المستكره . قال :

" وقد عُلِمَ وتحقق أن من الواجب في حكم الفصاحة والبلاغة ألا يظهر المستعار له ، وإذا أُظهر ذهب ما على الكلام من الحُسن والرّونق .

ألا ترى أنّا إذا أوردنا هذا البيت الذي هو :

فَأَمْطَرَتْ لُؤلؤاً مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ ∴ وَرْداً وَعَضَّتْ عَلَى العُنَّابِ بِالبَرَدِ

وجد عليه من الحُسن والرّونق مالا خفاء به ، وهو من باب الاستعارة ، فإذا أظهرنا المستعار له صِرنا إلى كلام غثّ ، وذاك أنّا نقول : " فأمطرت دمعاً كاللؤلؤ من عينٍ كالنرجس وسقَتْ خدّاً كالورد ، وعضّت على أنامل مخضوبة كالعُنّاب بأسنان كالبَرَد ، وفرّق بين هذين الكلامين للمتأمّل واسع " (٢)

وهذا البيت قد استحسنه النقاد القدماء - كما رأينا - حتى أن أبا هلال العسكري رأى أنه أجمع بيت قيل (٣)

إلا أن ناقدنا المعاصر الدكتور شوقي ضيف رأى أن بيت الوأواء الدمشقي مليء بالاستعارات الساذجة التي لا حياة ولا حركة فيها ، وإنما هي ركام من الصور التي لا تثير شعوراً ولا تطرب إحساسا ، قال بعد أن ذكر بيت الوأواء الدمشقي :

---

(١) تحرير التحبير : ١ / ١٦٤ .

(٢) المثل السائر: ٢ / ٧٥ .

(٣) ديوان المعاني : ١ / ٢٥٦ .

" فإنك تراه يملأ بيته بالاستعارات إذ استعار اللؤلؤ للدمع ، والنرجس للعين ، والورد للخد ، والعُنّاب للأصابع ، والبرد للأسنان ولكن كأن هذه الاستعارات لا تثير فينا شيئاً من اللذة الفنية التي كنا نشعر بها في أثناء القرنين الثاني والثالث ، وانظر إلى أصل هذا البيت عند أبي نواس :-

يَا قَمَراً أَبْرَزَهُ مَأْتَمٌ .·. يَنْدُبُ شَجْواً بَيْنَ أَتْرَابِ

يَبْكِي فَيُذْرِي الدُّرَّ مِنْ نَرْجِسٍ .·. وَيَلْطِمُ الوَرْدَ بِعُنَّابِ

فإنك ترى الوأواء يأخذ ناحية التشبيه من أبي نواس دون أن يأخذ معهما ما فيها من حياة وحركة ، وبذلك غدا التشبيه كأنه جامد ، فالشاعر لا يُشيع فيه شيئا من الحركة ، إنما شيء واحد هو الذي يهتم به ، وهو هذا الركام من الصور التي لا نحس فيها شعوراً ، فقد تحجّرت في التاريخ ، وأصبحت تراثاً محفوظاً في الفن ، ولا بد للشاعر إذا كان يريد أن يستخدمها من أن يعيد لها حياتها وشعورها أما أن يأتي بها على هذا النظام ، فإننا نحس بثقل التعبير ، وأنه لا يكاد ينهض بما يحمله ، وكأني بهذه الصور المحفوظة من اللؤلؤ والنرجس والعُنّاب والبَرد والورد إذا وضعناها متلاصقة على هذا النحو تعبّر تعبيراً أوسع من المعنى الذي أراده الشاعر ، وماذا يريد أن يقول ؟ إنه يقول إن صاحبته بكت وَعَضّتْ أناملها ، ولكنه أبى إلا أن يشق على نفسه في تعبيره حتى يُرْضي ذوق عصره من تصنعه وتكلفه فجعل البكاء أمطاراً والدموع لؤلؤاً والعين نرجساً والخد ورداً والبنان عُنّاباً والأسنان بَرداً ، وما فائدة الزمن ؟ وما الرقي الذي أصابه الشعر في القرن الرابع إن لم يجنح الشاعر إلى مثل هذا التعقيد في صورة ؟ وإنه لرقي معكوس أن يشق الشاعر على نفسه في التعبير على هذا النمط ، فإذا بالبيت لا يعبر إلا عن تعقيد في التصوير والخيال ".(١)

---

(١) الفن ومذاهبه : ٢٨٥ .

الشاهد الواحد والسبعون بعد المائتين : (*)   (السريع)

قول أبي نواس :

(١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦)

تَبْكي فَتُذري الدُّرَّ عَنْ نَرْجِسٍ ∴ وَتَلْطِمُ الوَرْدَ بِعُنّـابِ

والشاهد أحد أبيات قالها أبو نواس حين رأى صاحبته جنان، وهي تلطم خديها . (٧)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٤٥، خفاجي : ٤١٦، شاكر : ٤٥٠.

(١) رواية المنصف في نقد الشعر والعمدة : " يبكي " .

(٢) رواية الديوان والعمدة وديوان المعاني (٣٧) : " فيذري "

ورواية ديوان المعاني (٢٤٥)، وخاص الخاص، وأحسن ماسمعت :

" فيلقي الدُّرَّ من " .

ورواية رسائل الثعالبي : " فتلقي " .

(٣) رواية المنصف : " الدمع " .

ورواية تحرير التحبير : " فتذري الطلَّ مِنْ نَرجِسٍ "

(٤) رواية المنصف : " من عينه "

ورواية أمالي المرتضى : " من طَرْفِهَا " .

وذكر ابن رشيق في العمدة أن هناك من يرويه : " فيذري الدُّرَّ من جفنه "

(٥) رواية ديوان المعاني : (٣٧) : " الوجه " .

(٦) انظر البيت في :

الديوان : ٢٤٢ ، البديع لابن المعتز : ٧٤، الوساطة : ٣٨، ديوان المعاني : ٣٧، ٢٥٤، المنصف في نقد الشعر : ١٩٨، رسائل الثعالبي : " دار صعب " : ١٦١، خاص الخاص : ١١١، أحسن ماسمعت : ٩٧، أمالي المرتضى : ٢/٢٥٥، العمدة : ١ / ٢٩٣، تحرير التحبير : ١/ ١٦٤.

(٧) جاء في شرح الديوان :

" وحدث أن مات بعض آل عبد الوهاب الثقفي ، فذهب أبو نواس إلى دار قريبه من منازل الثقفيين ، وأطل منها على المأتم ليرى جنان وهي تلطم خديهـا وفي يدها خضاب ، وقد راعه اللؤلؤ المتحدر من عينها على خدين من ورد .

وقبل الشاهد :

يَاقَمَراً أَبْرَزَهُ(١) مَأْتَمٌ ∴ يَنْدُبُ(٢) شَجْوًا بَيْنَ أَتْرَابِ

وبعد الشاهد :

لا تَبْكِ مَيْتاً حَلَّ فِي حُفْرَةٍ ∴ وَابْكِ قَتِيلاً لَكَ بِالبَابِ

أَبْرَزَهُ المَأْتَمُ لِي كَارِهاً ∴ بِرَغْمِ دَايَاتٍ وَحُجَّابِ

لاَزَالَ مَوْتاً دَأْبُ أَحْبَابِهِ ∴ وَلَمْ تَزَلْ رُؤْيَتُهُ دَابِي

الشاهد فيه كسابقه، فليست بلاغة الاستعارة في أنه نقل لفظ الدر إلى الدمع، والنرجس للعين، والورد للخد، والعناب للإصبع، وإنما في طريقة توكيد الحكم، فالشاعر هنا يصف محبوبته حال البكاء، وحتى في هذه الحالة التي يكون الإنسان فيها في حالة غير محببة، نراه يصف محبوبته بأرق المعاني وألطفها مبالغة في وصفها بكمال الحسن، فتخيل الدمع وهو ينحدر من عينيها الدُّر في حسنه، والعين في صفائها وجمالها النرجس بعينه، وتخيل خدها عند الندب الورد في حمرته، ولون الأصابع العناب في روعة لونه .

ذكر ابن المعتز أن من محاسن الكلام " حسن التشبيه "، وذكر منه بيت الشاهد . قال :

" ومن عجائب التشبيه قوله(٣) أيضا (من السريع) :

تَبْكِي فَتُذْرِي الدُّرَّ مِنْ نَرْجِسٍ ∴ وَتَلْطِمُ الوَرْدَ بِعُنَّابِ " (٤)

---

(١) رواية ديوان المعاني ورسائل الثعالبي، وخاص الخاص، وأحسن ماسمعت : " ياقمرًا أَبْصَرْتُ في ».

(٢) رواية رسائل الثعالبي : " تندب " .

(٣) أي أبو نواس .

(٤) كتاب البديع - ابن المعتز - : ٧٤ .

وقد أعجب بهذا البيت واستحسنه سفيان بن عيينة.(١)

جاء في خاص الخاص (في عجائب الشعر والشعراء) :

" وقال عمر بن شبة قال سفيان بن عيينة لرجل من أهل البصرة قد أحسن والله أبو نواسكم في قوله :

يَاقَمَراً أَبْصَرْتُ فِي مَأْتَمٍ .·. يَنْدُبُ شَجْواً بَيْنَ أَتْرَابِ

يَبْكِي فَيُلْقِي الدُّرَّ مِنْ نَرْجِسٍ .·. وَيَلْطِمُ الوَرْدَ بِعُنَّابِ

وإذا أعجب به سفيان مع زهده وورعه فما الظن بغيره " (٢)

ولقد ذكر أبو هلال في ديوان المعاني أن بيت أبي نواس مأخوذ من قول الأسود بن يعفر :(٣)

---

(١) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي ، أبو محمد الكوفي (ت : ١٩٨هـ) بمكة ، وهو أحد الزهاد ، وكان من الحفاظ المتقنين وأهل الورع والدين ، ثقة ، ثبت . / انظر ترجمته :
تاريخ الثقات : ١٩٤ - ١٩٥ ، رقم (٥٧٧) ، مشاهير علماء الأمصار : ١٤٩ - ١٥٠ ، كتاب الثقات : ٦ / ٤٠٣ ، ذكر اسماء التابعين : ١/١٦٥ ، ٢ / ١٠٣ ، الكاشف : ١ / ٣٠١ ، تهذيب التهذيب : ٤ / ١١٧ - ١٢٢ ، تقريب التهذيب : ١/ ٣١٢ رقم (٣١٨) .

(٢) خاص الخاص : ١١١ .

(٣) هو الأسود بن يعفر النهشلي الدارمي التميمي ، أبو نهشل ، وأبو الجراح (... نحو ٢٢ ق هـ) شاعر جاهلي من سادات تميم من أهل العراق ، كان فصيحاً جواداً نادم النعمان بن المنذر ، ولما أسن كف بصره ، ويقال له : " أعشى بني نهشل " له ديوان شعر مطبوع جمعه الدكتور : نوري حمودي القيسي / انظر ترجمته :
الشعر والشعراء : ١ / ٢٦١ ، ٢٦٢ ، طبقات فحول الشعراء : ١/ ١٤٧ ، سمط اللآلي : ١ / ٢٤٨ ، نهاية الأرب : ٣ / ٦٦ ، خزانة البغدادي - دار صادر - : ١/ ١٩٥ ، الأعلام : ١ / ٣٣٠ .

يَسْعَى بِهَا ذُو(١) تُومَتَينِ(٢) مُقَرْطَقٌ(٣) ∴ قَنَأَتْ(٤) أَنَامِلَهُ مِنَ الفِرْصَادِ(٥) (٦)

قـال :

" أجود ما قيل في الخضاب بأنامل المرأة من قديم الشعر قول الأسود بن يعفر :

يَسْعَى بِهَا ذُو تُومَتَينِ . . .

---

(١) الهاء في قوله " بها " تعود على سُلافةٍ ذكرها في بيت قبله، وهو :

وَلَقَدْ لَهَوتَ وَلِلْشَبَابِ بَشَاشَةٌ ∴ بِسُلَافَةٍ مُزِجَتْ بِمَاءِ غَوَادِي

والسلافة أول الخمر ، والغوادي جمع غادية وهي السحابة التي تأتي غدوة / اللسان " فرصد " : ٣ / ٣٣٤.

(٢) التومة : الحبَّة من الدُّر . / اللسان " فرصد " : ٣ / ٣٣٤

رواية ديوان المعاني : " ذو تؤمتين " .

رواية اللسان والتاج : " ذو نومتين " .

(٣) القرطق : القَباء وهو تعريب كُرْته (أي الثوب " / اللسان (قرطق) : ١٠ / ٣٢٣.

ورواية الديوان : " مُشَمِّرٌ "

رواية جمهرة اللغة والصناعتين : " كأنما "

رواية ديوان المعاني " مقرطق "

رواية أساس البلاغة واللسان والتاج : " منطق "

(٤) قنأت : قنأ الشيء يَقْنَأُ قُنُوءاً : اشْتَدت حُمرَته / اللسان " قنأ " : ١ / ١٣٤.

(٥) الفرصاد : العنب أو التوت وهو الأحمر منه ، والفِرصاد الحُمرة . / اللسان " فرصد " : ٣ / ٣٣٣ .

(٦) انظر البيت في :

ديوانه : ٢٩ ، جمهرة اللغة : ٣ / ٢٨٧ ، ديوان المعاني : ١ / ٢٥٤ ، أساس البلاغة : ٣٧٨ ، اللسان : " قنأ " : ١ / ١٣٤ ، " فرصد " : ٣ / ٣٣٣ ، التاج " فرصد " : ٢ / ٤٥١.

فأخذ المحدثون ذلك وتصرفوا فيه فمن أحسن ذلك قول أبي نواس :

يَاقَمَرًا أَبْصَرْتُ فِي مَأْتَمٍ ...

يَبْكِي فَيُلْقِي الدُّرَّ مِنْ نَرْجِسٍ ...

وقال ديك الجن (١) :

وَدَّعْتُهَا لِفِرَاقٍ فَاشْتَكَتْ كَبِدِي ∴ وَشَبَّكَتْ (٢) يَدَهَا مِنْ لَوْعَةٍ بِيَدِي

وَحَاذَرَتْ أَعْيُنَ الوَاشِينَ وَانْصَرَفَتْ ∴ تَعَضُّ مِنْ غَيْظِهَا العُنَّابَ بِالبَرَدِ

فَكَانَ أَوَّلَ عَهْدِ العَيْنِ يَوْمَ نَأَتْ ∴ بِالدَّمْعِ آخِرَ عَهْدِ القَلْبِ بِالجَلَدِ (٣)

ومن البديع في هذا المعنى قول الآخر :

قَالُوا الرَّحِيلُ فَأَسْرَعَتْ أَطْرَافُهَا ∴ فِي خَدِّهَا وَقَدْ اكْتَسَيْنَ خِضَابَا

فَاخْضَرَّ مَوْضِعُ كَفِّهَا فَكَأَنَّمَا ∴ غَرَسَتْ بِأَرْضِ بَنَفْسَجٍ عُنَّابَا

---

(١) هو أبو محمد عبدالسلام بن رغبان بن عبدالسلام الكلبي الحمصي (١٦١-٢٣٥هـ) من ساكني حمص، وهو من شعراء الدولة العباسية، لُقِّب بديك الجن لخروجه إلى البساتين كثيراً ومعاقرته الخمر، وديك الجن: دويبة توجد في البساتين، وقيل لُقِّب بذلك؛ لأن عينيه كانتا خضراوين، لم يبرح ربوع الشام طوال حياته، وهو استاذ أبي تمام، عشق فتاة نصرانية أسمها "ورد بنت الناعمة" أو "دُنيا" كما يذكر ابن خلكان ويعتبر ديك الجن في طليعة شعراء القرن الثالث الهجري، كان يتشيع لأهل البيت فلم يجاره في مدحهم ورثائهم إلا السيد الحميري، وكان ديك الجن ماجناً خليعاً عاكفاً على اللهو، متلافاً لما ورثه، وشعره في غاية الجودة./انظر ترجمته :

الوزراء والكتاب : ١٠٢، الأغاني : ١٤/ ٥١-٦٨، وفيات الأعيان : ٢/ ١٨٤ - ١٨٨، حياة الحيوان الكبرى : ١/ ٤٩٧، الأعلام : ٤/ ٥، معجم المؤلفين : ٣/ ٥/ ٢٢٤.

(٢) رواية الديوان : "إذْ شَبَّكَتْ".

(٣) ديوانه : ١٣٦، رقم (٣٣).

وقال الناشي ء وهو أحسن الواصفين لهذا المعنى :

مِنْ كَفِّ جَارِيَةٍ كَأَنَّ بَنَانَهَا .·. مِنْ فِضَّةٍ قَدْ طُرِّفَتْ عُنَّابَا

وَكَأَنَّ يُمْنَاهَا إِذَا نَطَقَتْ بِهِ .·. يُلْقِي عَلَى يَدِهَا الشِّمَالِ حِسَابَا" (١)

ورأى الثعالبي أن أحسن ما سُمع في النساء والتشبيب قول أبي نواس،(٢)

وذكر المرتضى في أماليه أن قول أبي نواس مأخوذ من قول المجنون :

وَيُبْدِي الحَصَى مِنْهَا إِذَا قَذَفَتْ بِهِ .·. مِنَ البُرْدِ أَطْرَافَ البَنَانِ المُخَضَّبِ (٣)

قال بعد أن ذكر بيت المجنون :

" وهذا هو الأصل استعاره الناس من بعد ، فقال الشاعر:(٤)

النَّشْرُ مِسْكٌ وَالوُجُوهُ دَنَا .·. نِيرٌ وَأَطْرَافُ الأَكُفِّ عَنَمْ

وأغرب أبو نواس في قوله :

تَبْكِي فَتَذْرِي الدُّرَّ في طَرْفِهَا .·. وَتَلْطِمُ الوَرْدَ بِعُنَّابِ" (٥)

وذكره ابن رشيق في تشبيه أربعة بأربعة ، وعلق عليه بأنه مليح جداً . قال :

" وقد تقدم أبو نواس فقال :

يَبْكِي فَيُذْرِي الدُّرَّ مِنْ نَرْجِسٍ .·. وَيَلْطِمُ الوَرْدَ بِعُنَّابِ

وهذا مليح جداً ، سُئل ابن مناذر : مَنْ أشعر الناس ؟ فقال : الذي يقول :

---

(١) ديوان المعاني : ١ / ٢٥٤ .

(٢) أحسن ما سمعت : ٩٦-٩٧ .

(٣) ديوان مجنون ليلى : ٦٤ .

(٤) البيت للمرقش الأكبر، وهو جاهلي (ت: ٧٥ق هـ) ، فهو إذاً سابق للمجنون " قيس بن الملوح " ت : ٦٨هـ" ، فكيف يكون قد أخذ منه ؟ !
يبدو أن الثعالبي لم يكن يعرف قائل البيت مع أن القصيدة مشهورة ؟
انظر البيت في :
المفضليات : ٢٣٨ ، رقم القصيدة (٥٤) ، الصناعتين : ٢٧٤ .

(٥) أمالي المرتضى : ٢ / ٢٥٥ .

يَاقَمَراً أَبْصَرْتُ فِي مَأْتَمٍ ∴ يَنْدُبُ شَجْواً بَينَ أَتْرَابِ
يَبْكِي فَيُذْرِي الدُّرَّ مِنْ نَرْجِسٍ ∴ وَيَلْطِمُ الوَرْدَ بِعُنَّابِ

هذا أشعر الجن والإنس ، وقد جاء بالشعر على سجيته - أعني أبا نواس - وشاهد ذلك ظاهر في لفظه ، وإلاّ فهو قادر أن يجعل مكان الدُّر الطل حتى يتناسب الكلام ، لكنه لم يكن يؤثر التصنيع ، ولا يراه فضيلة لما فيه من الكلفة ، ومن الناس من يرويه كذلك ، ومنهم من يرويه " فيذري الدُّر من جفنه " (١)

وقد قلب بعضهم بيت أبي نواس فقال :

وَأَعْوَرٌ أَبْصَرْتُ فِي مَأْتَمٍ ∴ يَنْدُبُ شَجْواً بِتَخَالِيطِ " (٢)

ولقد وازن صاحب الوساطة بين بيت أبي نواس ، وبيت أبي تمام الذي يقول فيه :-

مَلْطُومَةٌ بِالوَرْدِ أُطْلِقَ دُونَهَا (٣) ∴ فِي الخَلْقِ فَهْوَ مَعَ المَنُونِ مُحَكَّمُ

فقال :

" فسبق أبو نواس بفضل التقدم والإحسان ، وحصل هو على نقص السرق والتقصير ، لكنه أحسن في بقية البيت فجبر بعض ذلك النقص " (٤)

ولم يستحسن ناقدنا المعاصر الدكتور شوقي ضيف بيت المتنبي - بيت الشاهد - فرأى أن غرض المتنبي هنا ليس هو التعبير عن صوره وإنما زخرفة وتعقيد هذه الصور ، وهذه الصور وإن كانت تحوي شعوراً إلاّ أنه شعور بغير لذة . قال :

" فإنك تحس كأن الشاعر لا يريد أن يعبر عن صوره فقط ، وإنما يريد قبل كل شيء أن يعقد في هذه الصور ، فتراه يأتي بالقمر وخوط البان والعنبر

---

(١) العمدة : ١ / ٢٩٣ .
(٢) ديوان المعاني : ٣٧ .
(٣) رواية الديوان - دار صعب - : " مظلومة للورد أطلق طرفها " : ٢٥١
(٤) الوساطة : ٣٨ .

والغزال ، أما حبه وأما أفكاره نحو صاحبته فكأني بها لا تعنيه ، ولقد كان حريًّا بالمتنبي أن يصف لنا اللذة والرغبة والحيرة والانفعالات التي يسببها الحب ، ثم يتركنا نرسم الجمال نحن لأنفسنا رسماً خيالياً ، لا هذا الرسم الذي يتحكم فيه ، والذي لا يعطينا حسه إلا عن طريق هذا التركيب والتعقيد في جَلب صوره ووضعها متعاقبة بهذا الشكل الذي قد يحوي شعوراً ، ولكنه شعور بغير لذة " (١)

الشاهد الثاني والسبعون بعد المائتين : (*) (الوافر)

قول المتنبي :

بَدَتْ قَمَراً وَمَالَتْ خُوطَ بَانٍ ∴ وَفَاحَتْ عَنْبَراً وَرَنَتْ غَزَالا (٢)

الشاهد فيه كسابقه ، ومعنى الشاهد :

أنها بدت في طلعتها وحسنها قمراً ، ومالت في مشيتها كأنها الغصن الذي يتمايل مع النسيم ، وفاحت رائحتها عنبراً ، ونظرت نظرة الغزال ، وفي قوله " رنت " من الحسن ما ليس في (نظرت) وبيت الشاهد يستشهد به المتأخرون على التشبيه المفروق وهو أن يؤتى بمشبه ومشبه به ثم آخر وآخر . (٣)

الشاهد الثالث والسبعون بعد المائتين : (*) (المديد)

قول ابن المعتز :

أَثْمَرَتْ أَغْصَانُ رَاحَتِهِ ∴ بِجِنَانِ (٤) الحُسْنِ عُنَّابَا (٥)

---

(١) الفن ومذاهبه : ٢٨٦ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٤٥ ، خفاجي : ٤١٦ ، شاكر : ٤٥٠ .

(٢) سبق الاستشهاد به في فصل المجاز الحكمي ، انظر الشاهد السادس بعد المائتين ص ٧٣٦ .

(٣) انظر : التلخيص : ٢٧٣ ، معاهد التنصيص : ٢ / ٨٣ .

(*) الدلائل ، رضا ٣٤٦ ، خفاجي : ٤١٦ ، شاكر : ٤٥١ .

(٤) رواية الديوان والدلائل تحقيق شاكر ، وكذلك استحسنها الخفاجي في تحقيقه : " لجناة الحسن " والجناة : القاطفون ، ويبدو أن هذه الرواية أدق وألطف . لما فيه من زيادة المعنى .

(٥) لم أجده فيما لدي من مصادر إلا في : ديوانه : ٤٠ .

وهو من قصيدة مطلعها :

جَارَ هَذَا الدَّهْرُ أَوْ آبَتَا ∴ وَقَرَاكَ الـهمّ أَوْصَابَا

وقبل الشاهد :

غُصُنٌ يَهْتَزُّ فِي قَمَرٍ ∴ رَاكِضاً للوَشِي سَحَّابَا

وبعده الشاهد وبعده :

لَامَهُ فِيَّ الوُشَاةُ وَكَمْ ∴ ذَا مَنِي مِنْهُم وَكَمْ عَابَا (١)

استشهد به الشيخ على أن حُسن الاستعارة وروعتها يظهر كلما ازداد التشبيه خفاءً ، فإن ظهر التشبيه قَبُحَتْ . فلو أننا عدنا إلى البيت وأظهرنا التشبيه وقلنا :

أثمرت أصابع يده التي تشبه الغصن لطلاب الحسن مايشبه العناب من أطرافها المخضوبة لكان كلاماً ، ولذا كان بيت ابن المعتز أحسن من بيت الوأواء الدمشقي :

" وَعَضَّتْ عَلَى العُنَّابِ بِالبَرَدِ "

لأن بيت الوأواء لم يظهر فيه التشبيه ، وإنما يمكن إظهاره بسهولة بخلاف ماجاء في بيت ابن المعتز . قال الشيخ :

" واعلم أن من شأن الاستعارة أنك كلما زدت إرادتك التشبيه إخفاء ازدادت الاستعارة حسناً ، حتى أنك تراها أغرب ماتكون إذا كان الكلام قد أُلِّف تأليفاً إن أردت أن تفصح فيه بالتشبيه خرجت إلى شيء تعافه النفس ويلفظه السمع ، ومثال ذلك قول ابن المعتز :

أَثْمَرَتْ أَغْصَانُ رَاحَتِهِ ∴ بِجنانِ الحُسْنِ عُنَّابَا

ألا ترى أنك لو حملت نفسك على أن تظهر التشبيه ، وتفصح به احتجت إلى أن تقول : أثمرت أصابع يده التي هي كالأغصان لطالبي الحسن شبيه العنَّاب

---

(١) انظر الأبيات في :
ديوانه : ٤٠ .

من أطرافها المخضوبة ، وهذا مالا تخفى غثاثة من أجل ذلك كان موقع العنَّاب في هذا البيت أحسن منه في قوله :

" وَعَضَّتْ عَلَى العُنَّابِ بِالبَرَدِ "

وذاك لأن إظهار التشبيه فيه لا يقبح هذا القبح المفرط ، لأنك لو قلت : وعضّت على أطراف أصابع كالعنّاب بثغر كالبرد كان شيئًا يتكلم بمثله ، وإن كان مرذولاً ، وهذا موضع لا يتبين سره إلاّ من كان ملتهب الطبع حادّ القريحة " (١)

الشاهد الرابع والسبعون بعد المائتين : (*) (الكامل)

قول لبيد :

وَغَـدَاةِ رِيحٍ قَدْ كَشَفْتُ وَقِـرَّةٍ .:. إِذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا (٢)

سبق الاستشهاد به على نفس الموضع عند الشاهد السابع والستين بعد المائتين .

الشاهد الخامس والسبعون بعد المائتين : (*) (الرجز)

* سَقَتْهُ كَفُّ اللَّيْلِ أَكْؤُسَ(٣) الكَرَى * (٤)

---

(١) الدلائل ، رضا : ٣٤٦ ، خفاجي : ٤١٦ ، شاكر : ٤٥٠-٤٥١ .
(*) الدلائل ، رضا : ٣٥٤ ، خفاجي : ٤٢٤ ، شاكر : ٤٦٠ .
(٢) انظر : ٨٧٤ ، من البحث .
(٣) رواية الدلائل ، تحقيق شاكر : " أَكْوَاسَ " وهو جمع كأس ، ويجمع أيضاً على كؤوس وكئاس ، ويحكى كياس بغير همز ، فإن صح ذلك فهو على البدل ، قلب الهمزه في كأس ألفاً في نية الواو ، فقال كاسٌ كَنَارٍ ثم جمع كاساً على كياس والأصل كِواس فقلبت الواو ياء للكسرة التي قبلها . / اللسان (كأس) : ٦ / ١٩٠ .
(*) الدلائل ، رضا : ٣٥٥ ، خفاجي : ٤٢٥ ، شاكر : ٤٦١ .
(٤) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلاّ في : الوساطة : ٢١١ بدون عزو .

ذكره الشيخ من غير نسبة ، وذكر هذا الشطر فقط، ونسبه الأستاذ محمد عبدالمنعم خفاجي لأبي نواس ، وذكر أن هذه النسبة مذكورة في الوساطة، والصحيح أن البيت مذكور في الوساطة من غير عزو. (١)

الشاهد فيه : عاد الشيخ مرة أخرى يدلل ويثبت أن الاستعارة ليست هي نقل لفظ شيء لشيء، فهناك نوع من الاستعارة لا يصح أن يكون المستعار فيه اللفظ ألبتة ، ولا يصح أن تقع الاستعارة فيه إلا على المعنى ، وهي ما أُطلق عليه الاستعارة التخييلية.

فالشاعر هنا لم يرد أن يشبه شيئاً بالكف ، فإنه لما جعل الليل ساقياً جعل له كفاً ؛ لأن الساقي إنَّما يناول الكأس بالكف . وكذلك " الأكواس " ، فإنه لما جعل الكرى كالشراب استعار له الأكواس؛ لأن الشراب إنَّما يُسقى في الأكواس .

قال الشيخ :

" وليس هذا الضَّرْبُ من الاستعارة بدون الضرب الأول في إيجاب وَصف " الفصاحة " للكلام ، لا بل هو أقوى منه في اقتضائها ، والمحاسن التي تظهر به ، والصُّور التي تحدث للمعاني بسببه ، آنق وأعجب ، وإن أردت أن تزداد علماً بالذي ذكرت لك من أمره فانظر إلى قوله :

* سَقَتْهُ كَفُّ اللَّيْلِ أَكْؤُسَ الكَرَى *

وذلك أنه ليس يخفى على عاقلٍ أنه لم يرد أن يشبه شيئاً بالكف ، ولا أراد ذلك في " الأكواس " ، ولكن لما كان يقال : " سُكْرُ الكَرَى " ، و " سُكْر النَّوم " استعار للكرى " الأكواس " . . .

ثم إنه لمَّا كان الكرى يكون في الليل ، جعل الليل ساقياً ، ولما جعله ساقياً جعل له كفّاً ، إذ كان السَّاقي يناول الكأس بالكَفِّ " (٢)

---

(١) لم أقف على قائله ، وقد بحثت في ديوان أبي نواس فلم أجده فيه.

(٢) الدلائل ، رضا : ٣٥٥ ، خفاجي : ٤٢٥ ، شاكر : ٤٦١ .

وذكر القاضي الجرجاني أن معنى الشاهد سرقه آخر، فقال :

سَقَاهُ الكَرَى كَأسَ النُّعَاسِ فَرَأْسُهُ .·. لِدينِ الكَرَى فِي آخِرِ اللَّيلِ سَاجِدُ

فالسرقة عنده قد وقعت ؛ لأن الأخذ كان في اللفظ المستعار قال :

" . . . بل جميع الشعر كذلك ؛ لأن الألفاظ منقولة متداولة ، وإنما يدعى ذلك في اللفظ المستعار أو الموضوع . . . " (١)

الشاهد السادس والسبعون بعد المائتين : (*) (البسيط)

* وَقَدْ سَقَى القَوْمَ كَأسَ النَّعْسَةِ السَّهَرُ (٢) * (٣)

ذكر الشيخ عجز البيت دون الصدر ، ومن غير نسبة ، وهو لأبي دَهْبَل الجمحي (٤) ، وصدره :

---

(١) الوساطة : ٢١١ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٥٥ ، خفاجي : ٤٢٥ ، شاكر : ٤٦١ .

(٢) هذه رواية الحماسة " ت: عسيلان " ، وشرح الحماسة للمرزوقي ، وشرحها للتبريزي ، والحماسة البصرية .
ورواية الديوان وأمالي المرتضى : " وَقَدْ سَقَى القومَ كَأسَ النَّشْوَةِ السَّهَرُ " .
ورواية الأغاني : " وَقَدْ سَقَاهُمْ بِكَأسِ الشَّقْوَةِ السَّفَرُ "
ورواية الأشباه والنظائر : " وَقَدْ سَقَاهم بِكَأسِ النَّشْوَةِ السَّهَرُ "
ورواية إصلاح ماغلط فيه النمري : " وَقَدْ سَقَاهُمْ بِكَأسِ النَّوْمَةِ السَّفَرُ " .

(٣) انظر البيت في :
ديوانه : ٩٢ ، الحماسة " تحقيق : عسيلان " : ٢ / ١٠٢ رقم (٥٥٣) ، الأغاني : ١٦ / ١١٨ ، الأشباه والنظائر : ٢ / ١٥٥ ، أمالي المرتضى : ١ / ١١٨ ، إصلاح ماغلط فيه النمري : ١٣٣ ، الحماسة البصرية : ٢ / ١٢٧ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٣ / ١٣٥٠ رقم (٥٤٨) ، شرح الحماسة للتبريزي : ٣ / ١٦٦ .

(٤) أبو دَهْبَل : بفتح " الدال والباء " هو وهب بن زمعة بن أُسيد بن أحيحة ابن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، من أشراف بني جمح بن لؤي بن غالب من قريش أحد الشعراء العشّاق المشهورين من أهل مكة . قال المرتضى : =====

* أَقُولُ وَالرَّكْبُ قَدْ مَالَتْ عَمَائِمُهُمْ * (١)

وهو من قصيدة أولها :

يَا أَحْسَنَ النَّاسِ لَوْلَا أَنَّ قَائِلَهَا ∴ قِدْمًا لِمَنْ يَبْتَغِي مَيْسُورَهَا عَسِرُ

وبعده أبيات قبل الشاهد :

وَإِنَّمَا دَلُّهَا سِحْرٌ لِطَالِبِهِ ∴ وَإِنَّمَا قَلْبُهَا لِلْمُشْتَكِي حَجَرُ

هَلْ تَذْكُرِينَ كَمَا لَمْ أَنْسَ عَهْدَكُمُ ∴ وَقَدْ يَدُومُ لِعَهْدِ الْخُلَّةِ الذِّكَرُ

وبعدها الشاهد وبعده :

يَا لَيْتَ أَنِّي بِأَثْوَابِي وَرَاحِلَتِي ∴ عَبْدٌ لِأَهْلِكِ هَذَا الشَّهْرِ مُؤْتَجَرُ

فَقَدْ أَطَلْتِ اعْتِلَالاً دُونَ حَاجَتِنَا ∴ بِالْحَجِّ امْضِ فَهَذَا الْحِلُّ وَالنَّفَرُ (٢)

=== هو " من شعراء قريش ، وممن جمع إلى الطبع التجويد " ، وهو شاعر محسن مدّاح ، له مدائح في معاوية ، وعبدالله بن الزبير وأخبار كثيرة مع عمرة الجمحية ، وعاتكة بنت معاوية ، في شعره رقة وجزالة ، ولّاه عبد الله ابن الزبير بعض أعمال اليمن ، توفي بعُليب سنة (٦٣هـ) ، وفي معجم البلدان عُليب موضع بتهامة " / انظر ترجمته :

الأغاني : ٧ / ١١٤ - ١٤٥ ، المؤتلف والمختلف : ١١٧ ، أمالي المرتضى : ١ / ٧٩ ، الشعر والشعراء : ٢ / ٦١٨ ، ٦٢١ ، الموشح : ٦٣ ، ١٧٢ ، شرح الشواهد الكبرى للعيني - على هامش خزانة الأدب - دار صادر - " : ١ / ١٤١ - ١٤٢ ، ذيل سمط اللآلي : ٣ / ٨٨ ، الأعلام : ٣ / ٨٥ ، ١٢٤ / ١٢٥ .

(١) رواية الأغاني ، وإصلاح ماغلط فيه النمري ، والحماسة البصرية : " قُولِي وَرَكْبُكِ قَدْ مَالَتْ عَمَائِمُهُمْ " .

(٢) ديوانه : ٩٢ - ٩٣ .

استشهد به الشيخ على أن استعارة الكأس هنا نظيرها قول الشاعر في الشاهد السابق " أكؤس الكرى " فقد شبه السهر بالساقي ، وشبه النعسة بالشراب، ولما كان الشراب يستلزم أن يكون له كأس استعار الكأس للنعسة على سبيل الاستعارة التخييلية.

والمعنى كما شرحه المرزوقي :

" قوله : " وقد مالَتْ عَمَائِمُهُم " يريد لِغَلَبَةِ النوم عليهم ، ومجاهدة السير والسرَى فيهم ، ومزاولتهم السَّهرَ ، حتَّى كأنَّهم سَقَاهُم كُؤوس النُّعاس فَسَكِروا " (١)

الشاهد السابع والسبعون بعد المائتين : (*) (الطويل)

الحكم بن قنبر (٢) :

وَلَولا آعْتِصَامِي (٣) بِالمُنَى كُلَّمَا بَدَا .·. لِيَ اليَأْسُ مِنْهَا لَمْ يَقُمْ بِالْهَوَى صَبْرِي

---

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٣ / ١٣٥١ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٥٥ ، خفاجي : ٤٢٥ ، شاكر: ٤٦٢ .

(٢) هو الحكم بن معمر بن قنبر بن جحاش بن سلمة بن ثعلبة بن مالك بن طريف بن محارب ، وهو شاعر إسلامي ، وكان مع تقدمه في الشعر سجّاعاً كثير السجع ، وكان هجّاءً خبيث اللسان ، وكان بينه وبين الرماح ابن أبرد المعروف بابن ميادة مهاجاة ومواقف ، وهو متأخر أدركه الأصمعي ، توفي سنة ١٥٠ هـ / انظر ترجمته :
الأصمعيات : ٣٢ ، ٣٣ ، الأغاني : ٢ / ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، الموشح : ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، سمط اللآلي : ١ / ١٦ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر: ٤ / ٤٠٧ ، ٤٠٩ ، معجم الأدباء : ١٠ / ٢٤٠-٢٤٥ ، الخزانة للبغدادي - دار صادر - : ٢٠٤ ، الأعلام : ٢ /٢٦٧ .
وذكر الأستاذ خفاجي أنه توفي سنة (٢٠٧ هـ) وأنه كان يتهاجى ومسلم بن الوليد ، ولم يذكر على أي شيء اعتمد في ترجمته هذه .

(٣) رواية الدلائل تحقيق رضا : " لو اعتصامي " .

وَلَوْلَا ٱنْتِظَارِي كُلَّ يَوْمٍ جَدَى غَدٍ ∴ لَرَاحَ بِنَعْشِي الدَّافِنُونَ إِلى قَبْرِي
وَقَدْ رَابَنِي وَهْنُ المُنَى وَٱنْقِبَاضُهَا ∴ وَبَسْطُ جَدِيدِ اليَأْسِ كَفَّيهِ فِي صدري (١)

الشاهد فيه كسابقه وموضعه قوله :

* وَبَسْطُ جَدِيدِ اليَأْسِ كَفَّيهِ فِي صَدْرِي *

فإنه لمّا شبه اليأس في غلبته على نفسه بالشخص المتمكن من الشيء القادر عليه ، وكانت اليد في الإنسان هي موضع الإمساك بالشيء ، استعار الكفين لليأس .

وهذه الأبيات هي نفثة شاعر يعيش بين الرجاء واليأس وإن كان اليأس يغلب عليه ، وهي أسوأ حالة يكون فيها أمثاله يعتصم بالأماني في مواجهة اليأس، ويمسك عليه حياته رجاؤه في الغد ، ولكن اليأس المتجدد يتمكن من نفسه فما أشقاه !

قال الشيخ :

" ليس المعنى على أنه استعار لفظ الكفين لشيء، ولكن على أنه أراد أن يصف اليأس بأنه قد غلب على نفسه ، وتمكن في صدره ، ولما أراد ذلك وصفه بما يصفون به الرجل بفضل القدرة على الشيء ، وبأنه متمكن منه وأنه يفعل فيه كل ما يريد كقولهم : قد بسط يديه في المال ينفقه ويصنع فيه ما يشاء، وقد بسط العامل يده في الناحية وفي ظلم الناس : فليس لك إلاّ أن تقول أنه لما أراد ذلك جعل لليأس كفين ، واستعارهما له فأما أن توقع الاستعارة فيه على اللفظ فمما لا تخفى استحالته على عاقل " (٢) .

الشاهد الثامن والسبعون بعد المائتين : (*) (الرجز)

* فَنَامَ لَيْلِي وَتَجَلَّى هَمِّي * (٣)

---

(١) لم أقف على الأبيات فيما اطلعت عليه من مصادر .
(٢) الدلائل ، رضا : ٣٥٥ ، خفاجي : ٤٢٥ ، شاكر: ٤٦٢ .
(*) الدلائل ، رضا : ٣٥٦ ، خفاجي : ٤٢٦ ، شاكر: ٤٦٣ .
(٣) الرجز لرؤبة وقد سلف ذكره : ٦٩٩ .

استشهد به الشيخ على أن المجاز كالاستعارة بل هو أدل في إثبات أن الفصاحة والبلاغة للمعاني لا للألفاظ ، فلا يمكن الزعم أنّ المجاز أكسب لفظ (نام) ولفظ " الليل " مذاقاً لم يكن لهما من قبل .

قال الشيخ :

" والقول في " المجاز " هو القول في " الاستعارة " لأنه ليس هو بشيء غيرها ، وإنما الفرقُ أن " المجاز " أعم من حيث أن كُلَّ استعارة مجاز ، وليس كل مجاز استعارة .

وإذا نظرنا من " المجاز " فيما لا يُطلق عليه أنه " استعارة ازداد خطأ القوم قُبحاً وشناعةً . . .

وكذلك يلزم أن يكون السببَ في أن كان قول الشاعر :

* فَنَامَ لَيْلِي وَتَجَلَّى هَمِّيٌّ *

أفصح من قولنا : فنمتَ في ليلي أن كسب هذا المجازُ لفظ " نَامَ " ولفظ " الليل " مذاقة لم تكن لهما . وهذا مما ينبغي للعاقل أن يستحي منه وأن يأنف من أن يَهمِل النَّظَر إهمالاً يؤديه إلى مثله ، ونسأل الله تعالى العصمة والتوفيق " (١)

الشاهد التاسع والسبعون بعد المائتين : (*) (الطويل)

* قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ * (٢)

سبق الاستشهاد به على نفس الموضع . (٣)

---

(١) الدلائل ، رضا : ٣٥٦ ، خفاجي : ٤٢٦ ، شاكر : ٤٦٢-٤٦٣ .
(*) الدلائل ، رضا : ٣٦٠ ، خفاجي : ٤٣٠ ، شاكر : ٤٦٨ .
(٢) هذا صدر بيت لامرئ القيس ، وقد سبق تخريجه .

(٣) انظر : ٨٣٦ . من البحث .

الفَصل الثَاني عَشَر

شواهد الأخذ والسرقة

أ- الموازنة بين المعنى المتحد واللفظ المتعدد .

ب- الموازنة بين الشعرين والإجادة فيهما من الجانبين .

ج- وصف الشعر والإدلال به .

إن مشكلة السرقات الأدبية في النقد العربي مشكلة ذات جذور ضاربة في القدم ، فقد شغلت حيزاً كبيراً من تفكير واهتمام النقاد القدماء ، فتفاوتت جهودهم وآراؤهم في هذه القضية ، فلا يعدو جهد بعضهم عن أن يكون مجرد تعليقات خاطفة وملحوظات عابرة كما في كتب الطبقات والتراجم (الشعر والشعراء ، طبقات فحول الشعراء) على أن هذه التعليقات لا يستهان بها ، فقد مهدت الطريق أمام اللاحقين .

وأول دراسة نقدية قامت حول السرقات نجدها في كتاب عيار الشعر لابن طباطبا العلوي .

إلا أن أبرز الدراسات الجادة ذات القيمة النقدية العالية نجدها في كتابي " الوساطة " للجرجاني ، و" الموازنة " للآمدي ، حيث وضعا حجر الأساس لهذه القضية ، فرأى الآمدي أن من المعاني ما هو عام مشترك ، وهذا لاتدخله السرقة ، ومنها ما هو خاص مبتكر ، وهذا ما تكون فيه السرقة ، ويحصل فيه الأخذ .

وفصَّل القاضي الجرجاني القول في هذه القضية ووسع أبعادها ، فجعل للسرقة أنواعاً ، وفرق بين كثير من المصطلحات المتشابهة ، ورأى أن هناك سرقة ممدوحة ، وسرقة مذمومة .

كما فصَّل القول في المعاني المشتركة ، والمعاني الخاصة .

ثم جاء أبو هلال العسكري ، وصرَّح بأن قضية الأخذ والنسج على منوال الآخرين ليس عيباً ، وإنَّما هو أمر لازم حتمي ، وهو باب للمفاضلة بين الناس . قال :

" ليس لأحد من أصناف القائلين غنىً عن تناول المعاني ممن تقدمهم ، والصب على قوالب من سبقهم "(١)

وقال أيضاً :

" وإنما تتفاضل الناس في الألفاظ ورصفها ، وتأليفها ونظمها "(٢)

---

(١) الصناعتين : ٢١٧ . (٢) المصدر السابق نفس الصفحة .

ثم جاء الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، وأدار دفة هذه القضية ووجهها ، وجهة جديدة ، وسلك بها مسلكاً طريفاً كان له أكبر الأثر في النقد العربي .

ونحن لا ننكر أن لابن قتيبة أيضا فضل السبق في هذا الاتجاه حيث فاضل في كتابه الشعر والشعراء بين كثير من المعاني المتفقة للشعراء ، إلا أنه لم يخرج عن ذلك .

والفرق بين ابن قتيبة وأبي هلال العسكري ، والشيخ عبد القاهر يكمن في أن الشيخ رعى هذه النواة التي وضعها السابقون ، وسقاها بفكره حتى ترعرعت ، فكانت نظرية فنية ، ومقياساً ثابتاً للموازنة ، ومعياراً محكماً للمفاضلة بين الشعراء .

ولقد رسم الشيخ نظريته هذه رسماً واضحاً ، ووضع لها منهجًا ثابتًا ، فرأى أن الاتفاق بين الشاعرين إما أن يكون في الغرض على وجه الجملة والعموم كأن يتجه كل منهما إلى وصف ممدوحه بالشجاعة والسخاء ، وهذا الأمر لا يكون فيه أخذ ولا سبق .

وإما أن يكون الاتفاق في وجه الدلالة على الغرض ، وهذا الاتفاق يكون على وجهين :-

- أن يكون مما يشترك الناس في معرفته ، وهو مستقر في العقول والعادات ، كالتشبيه بالأسد في الشجاعة ، وبالبحر في السخاء ، فهذا لا أخذ فيه .
- أن يكون مما ينتهي إليه المتكلم بنظر وتدبر ، ويناله بطلب واجتهاد ، فهذا النوع الذي قد يدّعى فيه التفاضل والسبق .

أما العامي الذي لحقته الصنعة ، ورُكّب عليه معنى جديد ، ودخل إليه من باب الكناية والتعريض ، فإنه يصير من قبيل الخاص الذي قد يقع فيه الأخذ . (١)

هذا ما مهد به الشيخ لنظريته الفنية الجديدة في السرقات ، والتي كانت نتاجاً لنظرية النظم ، وذلك بعكس دراسة السابقين لهذه القضية ، فقد اعتمدوا فيها

---

(١) أسرار البلاغة :ـ هـ ، ريتر - : ٣١٣-٣١٥ .

على الفصل بين اللفظ والمعنى ،وقدعاب الشيخ في كتابه الدلائل نظرتهم هذه ، فرأى أنه قد يتحد الغرض ،ولكن لا يمكن أن يتحد تركيب الصورة ؛لأن لكل شاعر أسلوبه وشخصيته المميزة ،ومن هنا فلا سرقة ،وإنما تأثر اللاحق بالسابق في معنى صيغ في قالب جديد ،وفي هذه الصياغة الجديدة تقع المفاضلة والمايزة بين المُؤثِّر والمُتأثِّر .

قال الشيخ عبد القاهر شارحاً نظريته :

" واعلم أن قولنا " الصورة " إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا ،فلمَّا رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصُّورة فكان تبيُّن إنسانٍ من إنسان وفرس من فرس بخصوصية تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذاك ،وكذلك كان الأمر في المصنوعات ،فكان تَبَيُّن خاتمٍ من خاتمٍ ،وسوارٍ من سوار بذلك ،ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين ،وبينه في الآخر بَيْنُونة في عقولنا ،وفَرْقاً عَبَّرنا عن ذلك الفرق ، وتلك البينونة بأن قلنا : " للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك "...

واعلم أنه لو كان المعنى في أحد البيتين يكون على هيئته وصفته في البيت الآخر ،وكان التالي من الشاعرين يجيئك به معاداً على وجهه لم يُحْدِث فيه شيئاً ولم يغيِّر له صفةً ،لكان قول العلماء في شاعر : " إنه أخذ المعنى من صاحبه فأحسن وأجاد " وفي آخر " إنه أساء وقصر " لَغْواً من القول ،من حيث كان محالاً أن يُحْسِن أو يُسيء في شيء لا يصنعُ به شيئاً وكذلك كان يكون جعلهم البيت نظيراً للبيت ومناسباً له . خطأً منهم ،لأنه محال أن يُناسب الشيء نفسه ،وأن يكون نظيراً لنفسه .

وأمرٌ ثالث ، وهو أنهم يقولون في واحد : " إنه أخذ المعنى فظهر أخذه " وفي آخر : " إنه أخذه فأَخْفَى أَخْذَه " ، ولو كان المعنى يكون معاداً على صورته وهيئته وكان الآخذ له من صاحبه لا يصنع شيئاً غير أن يبدِّل لفظاً مكان لفظ ،لكان الإخفاء فيه مُحالاً ،لأن اللَّفظ لا يُخْفِي المعنى ،وإنما يخفيه إخراجه في صورةٍ غير التي كان عليها " (١)

---

(١) الدلائل ،رضا : ٣٨٩-٣٩٠ ،خفاجي : ٤٦٢-٤٦٣ ،شاكر : ٥٠٨-٥٠٩ .

ويقول في موضع آخر من الدلائل :

" وإنا لنراهم يقيسون الكلام في معنى المعارضة على الأعمال الصناعية كنسج الديباج وصوغ الشّنف والسوار وأنواع ما يصاغ وكل ما هو صنعة وعمل يد بعد أن يبلغ مبلغاً يقع التفاضل فيه ثم يعظم حتى يزيد فيه الصانع على الصانع زيادة يكون له بها صيتٌ ويدخل في حد ما يعجز عنه الأكثرون وهذا القياس وإن كان قياساً ظاهراً معلوماً وكالشيء المركوز في الطباع حتى ترى العامة فيه كالخاصة فإنّ فيه أمراً يجب العلم به وهو أنه يتصوّر أن يبدأ هذا فيعمل ديباجاً ويبدع في نقشه وتصويره فيجيء آخر ويعمل ديباجاً آخر مثله في نقشه وهيئته وجملة صفته حتى لا يفصل الرائي بينهما ولا يقع لمن لم يعرف القصة ولم يخبر الحال إلا أنهما صنعَة رجل واحد وخارجان من تحت يد واحدة ، وهكذا الحكم في سائر المصنوعات كالسوار يصوغه هذا ويجيء ذاك فيعمل سواراً مثله ويؤدي صنعته كما هي حتى لا يغادر منها شيئاً ألبتة ، وليس يتصور مثل ذلك في الكلام، لأنه لا سبيل إلى أن تجيء إلى معنى بيت من الشعر أو فصل من النثر فتؤديه بعينه وعلى خاصيته وصنعته بعبارة أخرى حتى يكون المفهوم من هذه هو المفهوم من تلك لا يخالفه في صفة ولا وجه ولا أمر من الأمور ، ولا يَغُرّنّكَ قول الناس : قد أتى بالمعنى بعينه وأخذ معنى كلامه فأدّاه على وجهه فإنه تسامح منهم والمراد أنه أدّى الغرض فأما أن يؤدي المعنى بعينه على الوجه الذي يكون عليه في كلام الأول حتى لا تعقل ههنا إلا ما عقلته هناك وحتى يكون حالهما في نفسك حال الصورتين المشتبهتين في عينك كالسوارين والشنفين ففي غاية الإحالة وظن يفضي بصاحبه إلى جهالة عظيمة . . . " (١)

---

(١) الدلائل : رضا : (٢٠١ - ٢٠٢ ، خفاجي : ٢٧٠ ، ٢٧١ ، شاكر : ٢٦٠ - ٢٦١ .

ونخلص من هذا كله أن المعوّل عنده ليس هو اتحاد معاني الشعراء وتلاقيها بل المهم في الأمر هو تلك الصورة التي صيغت بها تلك المعاني .

فموضوع السرقة عند الشيخ عبد القاهر " لون من ألوان اشتراك الشعراء في المعنى وسبب يمهد للموازنة بين المعاني ، ويرى الفرق في الصور التي يتناول بها الشعراء معنى واحداً ، بل إنه يرى الشاعر عندما يأخذ معنى غيره أهلاً لأن يوازن بين معناه والمعنى الأصلي الذي استوحاه . " (١)

وقال الأستاذ أحمد بدوي معلقاً على دراسة الشيخ :

" لقد كانت دراسة عبد القاهر للسرقة وسيلة لدراسة ألوان المعاني الشعرية ، وأصول هذه المعاني ، ومايحدثه التخييل فيها من ألوان الجمال ، وكيف يمهد السابق للاحق سبيل الإجادة ، وكيف يزيد الشاعر في المعنى ، أو يأخذ العامي من المعاني ، فيضيف إليه مايجعله طريفاً " (٢)

ورأى الدكتور شوقي ضيف أن الشيخ بنظريته هذه قد أنكر السرقات في الشعر جملة بحجة أن لكل شاعر أسلوبه . قال :

" كان من أطرف ماوصل إليه عبد القاهر عن طريق نظريته في النظم أنه أنكر السرقات في الشعر جملة ؛ لأن لكل شاعر أسلوبه ونظمه في عرض المعنى الذي يشترك فيه مع غيره ، ومن ثم يخطيء من يظن أن شاعراً أخذ معنى من شاعر آخر ، فلم يترك فيه شيئاً ، وأن مثل من يزعم هذا الزعم مثل من يرى خيال الشيء فيظنه الشيء نفسه " (٣)

ويبدو لي أن الشيخ لم ينكر السرقات جملة كما ذكر الدكتور شوقي ضيف ، فقد وافق من سبقوه في أن الشاعر قد يأخذ من شاعر آخر ، فيجيد الأخذ ، وقد يقصر ويسيء . (٤) .

---

(١) عبد القاهر الجرجاني ، أحمد بدوي : ٢٧٧ .

(٢) المرجع السابق : ٢٧٨ .

(٣) النقد من فنون الأدب العربي : ٦٠ . نقلاً عن كتاب النقد التحليلي : ٣٣٩ .

(٤) الدلائل ، رضا : ٣٨٩ ، أسرار البلاغة : ٢١٣ .

ووافقهم في أن السرقة منها مايكون ظاهراً ، ومنها مايكون خفياً ، إلا أننا نستطيع أن نقول بأن الشيخ لم ينكر السرقات في الشعر جملة ، بل إنه جعل لكلمة السرقة مدلولاً مغايراً لمدلولها عند من سبقوه ، فهي عنده تعني الاختصاص والسبق والتقدم والأولوية والتفاضل ، وليس عنده سارق ومسروق بل مفيد ومستفيد قال :

" . . . نعم إذا كان هذا شأنه ، وههنا مكانه ، وبهذا الشرط يكون إمكانه ، فهو الذي يجوز أن يدعي فيه الاختصاص والسبق والتقدم والأولية ، وأن يجعل فيه سلف وخلف ، ومفيد ومستفيد ، وأن يقضي بين القائلين فيه بالتفاضل والتباين " (١)

وهكذا نرى أن الشيخ عبد القاهر قد ترفع عن استعمال لفظ سرقة ، فهي لم ترد عنده إلا على سبيل الحكاية ، وذلك إيمانا منه بأن الأخذ ليس عيباً يُعَيَّر به الشاعر ، فَيُعَد عمله لأجلها سرقة ، فلفظ سرقة فيه نوع من التجريح للأديب أما لفظ الأخذ فهو أخف وقعاً على النفس .

ويبدو لي أن تسمية القضية بقضية التأثير والتأثر أدق علمياً - والله أعلم -

" ولا شك في أن عبد القاهر بهذا قد نأى بمشكلة السرقات عن دائرة الاتهام والظن ، وتلفيق أخذ المعاني ، وجعلها جزءاً من علم البلاغة يتوصل عن طريقها إلى أسراره ، ومواطن جماله ودقائقه ، وأصبحت بذلك مشكلة فنية خالصة تختص بالمعاني ، وتطورها ، وتأثر الشعراء بعضهم ببعض إلى غير ذلك من دقائق تنفي وجود سرقة إلّا أن يكون نسخاً ومكابرة " (٢)

ولقد أخذ الدكتور شوقي ضيف على نظرية الشيخ في السرقات مأخذاً ، فرأى أن هذا الاتجاه جعل الشعراء يقفون مكانهم لا يحاولون التقدم بحثاً عن معانٍ جديدة مخترعة بل اكتفوا بالاتكاء على المعاني القديمة ، ومحاولة إخراجها في صورة جديدة .

قال :

---

(١) الدلائل ، رضا : ٣٨٩ ، أسرار البلاغة : ٣١٣ .

(٢) النقد التحليلي عند الشيخ عبد القاهر : ٣٣٨ .

" . . . كان التحوير عند هؤلاء الشعراء[١] عملاً فنياً طريفاً ، غير أنا لا نتقدم إلى القرن الرابع حتى نحس بتحول في هذا التحوير، إذ يصبح نوعاً من التلفيق ، فالشعراء لا يضيفون إلى الأفكار عناصر جديدة من زخرف أو حضارة أو ثقافة ، وبذلك أصبحت تشبه " الصور الفوتوغرافية " فهي تحافظ على الأصل بأشكاله ، وأوضاعه ، وهذا كل ماتستطيع آلة المصوّر أن تقدمه ، ومع ذلك فلا بد لها من صلاحية في استعمالها واستخدامها ، ولكن ليس للمصور عمل في صوره إنما هي أشياء آلية هي آلة تُخرج ، وعليه أن يرصد ماتخرج " (٢)

وقال أيضا :

" ومهما يكن فإنّ الناقد لا يحس إزاء شعراء القرن الرابع ، ومابعده من قرون بالإعجاب الذي كان يحسه إزاء أسلافهم من شعراء القرنين الثاني والثالث، فقد شمل الحياة الفنية غير قليل من الركود والجمود ، فالماء ساكن ، وليس عليه أمواج ولا رياح ، وكأني بالحضارة العربية قد ضلت طريقها ، فوقفت عند تقليد الأوضاع القديمة ، وقلما ظهر جديد في الشعر والفن إلا هذا التلفيق الواسع للماضي ، وأفكاره وصوره " (٣)

ولقد أيده في هذه النظرة الدكتور الصاوي ، فقال :

" ولقد صدق الدكتور شوقي ضيف حين ذكر أن هذا الاتجاه جعل الشعراء لا يبحثون عن موضوعات جديدة إنما انصب عملهم على التحوير في المعاني القديمة مادامت هي محك الجمال الفني عند أنصار الصورة الشعرية الذين جعلوا من الشعر صناعة يجهد الشاعر نفسه فيها حتى يصل إلى صياغة جديدة تعجب أهل البلاغة ، وتحمل الصياغة الجديدة للمعنى القديم " (٤)

---

(١) يقصد بهم شعراء القرنين الثاني والثالث .

(٢) الفن ومذاهبه في الشعر العربي : ٢٩٩-٣٠٠ .

(٣) المرجع السابق : ٣٠١ .

(٤) النقد التحليلي عند عبدالقاهر الجرجاني : ٣٣٨ .

ومن المؤكد أن الشيخ عبد القاهر لم يقصد من وراء عمله هذا تعقيم الخيال الأدبي ، وصرف الشعراء عن ابتكار المعاني ، ولا ترتب على عمله ما ادّعاه الكاتبان بدليل أن الشعراء في عصره وبعد عصره ظلوا في ابتكار المعاني ، وفي استحداث الصور البديعية .

حتى العصور التي يرى بعض مؤرخي الأدب أنها عقمت من المعاني كانت حافلة بالمعاني الجديدة ، وبالصياغات الرائعة .

الشاهد الثمانون بعد المائتين : (*) (الطويل)

• قال الفرزدق :

أَتَرْجُو رُبَيْعٌ (١) (٢) أَنْ تَجِيءَ (٣) صِغَارُهَا ∴ بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا رُبَيعاً (٤) كِبَارُهَا (٥)

وهو من أبيات يهجو بها بني ربيع بن الحرث بن عمرو بن كعب بن سعد ابن زيد مناة بن تميم . (٦)

وهو أول أبيات ثلاثة وبعده :

(*) الدلائل ، رضا : ٤٣١ ، خفاجي : ٤٦١ ، شاكر: ٤٦٩ .

(١) رواية التمثيل والمحاضرة : " ترجّى رُبيعٌ " .

(٢) رواية بهجة المجالس : " كليباً " .

(٣) رواية التمثيل والمحاضرة : " أن يجيء " .

رواية التمثيل والمحاضرة وبهجة المجالس : " عليك " .

(٤) ورواية الديوان : " رَبيعاً " بفتح الراء .

(٥) انظر البيت في :

ديوانه : ١ / ٢٧٢ ، نقائض جرير والفرزدق : ١ / ١٢٤ ، البيان والتبيين : ٣ / ٢٠٨ ، الشعر والشعراء : ١٣٧ ، الأغاني : ١٩ / ١٥ ، الصناعتين : ٢٥٠ ، التمثيل والمحاضرة : ٦٩ ، بهجة المجالس : ٢ / ٥٣٠ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٤ / ٢٦ ، نهاية الأرب : ٣ / ٧٢ .

(٦) نقائض جرير والفرزدق : ١ / ٢٧٢ ، الاشتقاق : ٢٤٥ ، القاموس : " ربع " : ٣ / ٢٧ .

عُطُونَ صَخَابُو العَشيِّ كَأَنَّهُمْ ∴ جِدَاءٌ مِنَ المِعزَى شَدِيدٌ يَعَارُهَــا

إِذَا النَّجْمُ وَافَى مَغْرِبَ الشَّمْسِ حَارَدَتْ ∴ مَقَارِي عُبَيدٍ وَاشْتَكَى القِدْرَ جَارُهَا (١)

وفي النقائض ذكر بيت الشاهد وبعده :

كَأَنَّ رُبَيعاً حِينَ تُبْصِرُ مِنْقَــراً ∴ أَتَانٌ دَعَاهَا فَاسْتَجَابَتْ حِمَارُهَــا

واحتذاه البعيث فقال : (الطويل)

أَتَرْجُو كُلَيبٌ أَنْ يَجِيءَ حَدِيثُهَــا ∴ بِخَيرٍ وَقَدْ أَعْيَا كُلَيباً قَدِيمُهَــا (٢)

وهو من قصيدة مطلعها :

أَأَنْ أَمْرَعَتْ (٣) مِعْزَى عَطِيَّةَ وَارْتَعَتْ ∴ تِلَاعاً (٤) مِنَ المَرُّوتِ (٥) أَحْوَى (٦) جَمِيمُهَــا (٧)

وقبل الشاهد :

كُلَيبٌ لِئَامُ النَّاسِ قَدْ تَعْلَمُونَــهُ ∴ وَأَنْتَ إِذَا عُدَّتْ كُلَيبٌ لَئِيمُهَــا

لَقِيٌّ (٨) مُقْعَدَ الأَحْسَابِ مُنْقَطَعٌ بِــهِ ∴ إِذَا القَوْمُ رَامُوا خُطَّــةً لَا يَرُومُهَــا

وبعد الشاهد :

عَلَى عَهْدِ ذِي القَرْنَينِ كَانَتْ مُجَاشِعٌ ∴ أَعِزَّاءَ لَا يَسْتَطِيعُهَا مَنْ يَضِيمُهَــا

---

(١) ديوان الفرزدق : ١ / ٢٧٢ ، النقائض : ١ / ١٢٤ .

(٢) انظر البيت في :
الصناعتين : ٢٥٠ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٤ / ٢٧ ، نقائض جرير والفرزدق : ١ / ١٢٥ ، ١ / ١٠٩ .

(٣) أمرعت : أخصبت . / القاموس المحيط " مرع " : ٣ / ٨٧ .

(٤) التلاع : مسايل الماء . / القاموس المحيط " تلع " : ٣ / ١٠ .

(٥) المَرُّوت : بالفتح ثم التشديد والضم وسكون الواو وتاء مثناة ، اسم نهر ، وقيل موضع في ديار بني تميم ./ معجم البلدان : ٥ / ١١١ .

(٦) الأحوى : الشديد الخضرة . / القاموس المحيط " حوى " : ٤ / ٣٢٣ .

(٧) جميمها : الجَمُّ والجَمَمُ الكثير من كل شيء ، والجميم من النبات ماكثر منه ./ اللسان " جمم " : ١٢ / ١٠٤ .

(٨) لَقِيٌّ : رجل شَقِيٌّ لَقِيٌّ لا يزال يَلقى شراً / اللسان " لقا " : ١٥ / ٢٥٤ .

استشهد الشيخ بهذين الشاهدين على جَليِّ الاحتذاء فمضمون معنى البيتين واحد وهو أن الخير لم يأتِ من كبار القوم وعظمائهم فهل يُرجى من صغارهم؟

وهما من ناحية التركيب لا اختلاف بينهما إلا في أسماء الأشخاص (ربيع - كليب) وفي آخر صدر البيت (صغارها - حديثها) ، وآخر العجز (كبارها - قديمها) وهذه الفروق لم تغير في التركيب ولم تزد في المعنى شيئاً وهذا من الحذو المعيب .

قال الشيخ :

" واعلم أن " الاحتذاء " عند الشعراء وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه أن يبتدئ الشاعر في معنىً له وغرضٍ أسلوباً - والأسلوب الضَّرْبُ من النظم والطريقة فيه - فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الاسلوب فيجيء به في شعره ، فَيُشَبَّه بمن يقطع من أديمه نَعْلاً على مِثال نَعْلٍ قد يقطعها صاحبها ، فيقال : " قد احتذى على مثاله " وذلك مثل أن الفرزدق قال . . . واحتذاه البعيث" (١) الاحتذاء هنا في الأسلوب ، وكأن الشيخ يحاول أن يبتعد عن القول بأن المعنى متحد في البيتين ، ولعله يعلل ذلك بأن قديمها غير كبارها ، وحديثها غير صغارها عند التدقيق في معاني الألفاظ وما توحي به .

ثم قال الشيخ :

" وهذا الذي كتبت من جَليِّ الأخذ في " الحذو " (٢)

ورأى أبو هلال العسكري أن هذا من الأخذ المعيب وإن ادَّعى الآخذ أنه لم يأخذه وإنما وقع له ما وقع للأول .

قال :

---

(١) الدلائل ، رضا : ٣٦١ ، خفاجي : ٤٣٠ ، شاكر : ٤٦٨-٤٦٩ .

(٢) الدلائل : رضا : ٣٦٢ ، خفاجي : ٤٣١ ، شاكر : ٤٧٠ .

" وقبح الأخذ أن تعمد إلى المعنى فتتناوله بلفظه كله أو أكثره ، أو تخرجه في معرض مستهجن ، والمعنى إنما يحسن بالكسوة . . . فمما أخذ بلفظه ومعناه ، وآدّعى آخذه (أو آدُّعِيَ له) أنه لم يأخذه ، ولكن وقع له كما وقع للأول كما سئل أبو عمرو بن العلاء عن الشاعرين يتفقان على لفظ واحد ومعنىً . . . فقال : عقول رجال توافت على ألسنتها . . .

وقال البعيث :

أَتَرْجُو كُلَيْبٌ أَنْ يَجِيءَ حَدِيثُهَا ∴ بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا كُلَيْباً قَدِيمُهَا

وقال الفرزدق :

أَتَرْجُو رُبَيْعٌ أَنْ تَجِيءَ صِغَارُهَا ∴ بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا رُبَيعاً كِبَارُهَا

ومثل هذا كثير في أشعارهم جداً . . . والأخذ إذا كان كذلك كان معيباً ، وإن آدَّعِيَ أنَّ الآخر لم يسمع قول الأول بل وقع لهذا كما وقع لذاك ، فإن صحة ذلك لا يعلمها إلا الله عز وجل والعيب لازم للآخر . . .) (١)

والفرزدق أخذ بيته من بيت شُعيث بن عبد الله من كنانة بلقين (٢) :

أَتَرْجُو حُيَيٌّ أَنْ تَجِيءَ صِغَارُهَا ∴ بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا عَلَيكَ كِبَارُهَا (٣)

يهجو به رجلاً من بلقين يقال له عقال بن هاشم ، وعقال يقول فيهم :

فَمَا كِنَانَةُ فِي خَيْرٍ بِخَائِرَةٍ ∴ وَلَا كِنَانَةُ فِي شَرٍّ بِأَشْرَارِ (٤)

---

(١) الصناعتين : ٢٤٩ - ٢٥٠ .

(٢) ذكر الآمدي في المؤتلف والمختلف أن البيت لحُرَيث بن عَنَّاب وهو أحد بني نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيّئ ، شاعر محسن مكثر عاش في عصر عمر بن الخطاب إلى زمن معاوية ./ انظر: المؤتلف والمختلف : ١٦١ .

(٣) الصناعتين : ٢٥٠ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٣ / ١٤٧٩ ، رقم (٦٢٤) .

(٤) شرح الحماسة للمرزوقي : ٣ / ١٤٨٠ .

وقال ابن سلام في أَخْذِ الفرزدق :

" وكان الفرزدق أكثرهم مقلداً ، والمُقَلَّد البيت المستغني بنفسه المشهور الذي يُضرب به المثل ". (١)

وللفرزدق في هذا المعنى - أيضا - يهجو بني فقيم :

تُرَجَّى أَنْ تَرِيدَ بَنُو فُقَيـــمٍ ∴ صِغَارُهُمْ وَقَدْ أَعْيَوْا كِبَـــارَا (٢)

قال الفرزدق :

إِذَا مَا قُلْتُ قَافِيَـةً شَـرُوداً ∴ تَنَحَّلَهَا (٣) ابْنُ حَمْرَاءِ العِجَانِ (٤) (٥)

ساقه الشيخ دليلاً على احتذاء البعيث للفرزدق ، وأن ما صنعه بالبيت كان انتحالا .

الشاهد الواحد بعد المائتين : (*) (الطويل)

قال البُعَيث : (٦)

كُلَيبٌ لِئَامُ النَّاسِ قَدْ يَعْلَمُونَــهُ (٧) ∴ وَأَنْتَ إِذَا عُدَّتْ كُلَيْبٌ لَئِيمُهَا (٨)

---

(١) طبقات فحول الشعراء : ١٣٧.

(٢) ديوانه : ١ / ٣٠٩.

(٣) رواية النقائض : " تنخلها " وجاء في شرحها : " تنخلها " أي أخذ خيارها ، وتنحلها انتحلها .

(٤) يعني بابن حمراء العجان " البُعَيث ".

(٥) انظر البيت في :

شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٤ / ٢٧ ، نقائض جرير والفرزدق : ١ / ١٢٥.

(*) الدلائل ، رضا : ٣٦١ ، خفاجي : ٤٣١ ، شاكر : ٤٦٩.

(٦) هو خداش بن بشر بن خالد ، أبو زيد التميمي (٠٠٠-١٣٤ هـ) المعروف بالبعيث المجاشعي ، خطيب شاعر من أهل البصرة كانت بينه وبين جرير مهاجاة دامت نحو أربعين سنة . / انظر ترجمته :

البيان والتبيين : ١ / ٤٥ ، ٣٧٤ ، ٣ / ١٠ ، الشعر والشعراء : ١ / ٥٠٤ ، المؤتلف والمختلف : ٥٦ ، الأعلام : ٢ / ٣٠٢.

(٧) رواية النقائض : " قد تعلمونه ".

وذكر في النقائض أن الشطر الأول يروى : " أَلَيسَ كُلَيبٌ أَلأَمَ النَّاسِ كُلِّهِـم "

(٨) لم أجد البيت فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في : نقائض جرير والفرزدق : ١ / ١٠٩.

وقبل الشاهد :(١)

تَعَرَّضْتَ لِي حَتَّى ضَرَبْتُكَ ضَرْبَةً(٢) ∴ عَلَى الرَّأْسِ يَكْبُو لِلْيَدَيْنِ أَمِيمُهَا (٣)

إِذَا قَاسَهَا الآسِي(٤) النِّطَاسِيُّ(٥) أُرْعِشَتْ ∴ أَنَامِلُ كَفَّيْهِ وَجَاشَتْ هُزُومُهَا(٦)

وبعد هما الشاهد وبعده :

لَقِيَ مُقْعَدُ الأَحْسَابِ مُنْقَطَعٌ بِهِ ∴ إِذَا الْقَوْمُ رَامُوا خُطَّةً لاَ يَرُومُهَا

•• قال البحتري : (الطويل)

بَنُو هَاشِمٍ فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبِ ∴ كِرَامُ بَنِي الدُّنْيَا وَأَنْتَ كَرِيمُهَا (٧)

وهو من قصيدة يمدح بها المهتدي بالله ومطلعها :

سَقَى دَارَ لَيْلَى حَيْثُ حَلَّتْ رُسُومُهَا ∴ عِهَادٌ مِنَ الْوَسْمِيِّ(٨) وُطْفٌ غُيُومُهَا (٩)

---

(١) سبق ذكر مطلع القصيدة عند الشاهد : " الثمانون بعد المائتين : ص٩١٣ .

(٢) ذُكر في النقائض أنه يروى أيضا " صَكَكْتُكَ صَكَّةً " .

(٣) الأميم : أمّه : شَجَّةٌ آمَّةٌ ، وهي التي تبلغ أُمَّ الدِّمَاغِ حِينَ يَبْقَى بينها وبين الدِّماغ جلدٌ رقيقٌ ، وَيُقال رجل أَمِيمٌ للذي يَهْذِي مِنْ أُمِّ رَأْسِهِ / الصحاح " أمم " : ٥ / ١٨٦٥ .

(٤) الآسي : جمعها الإساءُ أي الأطبة./ الصحاح :" أسا ":٦/٢٢٦٨ ، ٩٨٣/٣

(٥) النِّطَاسِي : المتطبب الحاذق بالطب العالم بالأمور / الصحاح " نطس ": ٣ / ٩٨٣ ، اللسان " نطس " : ٦ / ٢٣٢ .

(٦) هزومها : صدوعها ، وكل نقرة في الجسد هزمة ، وهي من هزم الشيء يهزِمه هزماً فانهزم : غمزه بيده فصارع فيه وَقْرةٌ / الصحاح " هزم ": ٥ / ٢٠٥٨ . اللسان " هزم " : ١٢ / ٦٠٨-٦٠٩ .

(٧) ديوان البحتري : ١ / ١٢٥ .

(٨) المصدر السابق : ١ / ١٢٤ .

(٩) وطفٌ : أي مسترخية الجوانب لكثرة مائها / الصحاح " وطف " : ٧٢٨ .

وقبل الشاهد :

هَنَتْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَوَاهِبٌ ∴ مِنَ اللَّهِ مَشْكُورٌ لَدَيْكَ جَسِيمُهَا

وَتَأْيِيدُ دِينِ اللَّهِ إِذْ رُدَّ أَمْرُهُ ∴ إِلَيْكَ فَرَوَّى فِي الأُمُورِ عَلِيمُهَا

وبعد ها الشاهد وبعده :

إِذَا مَامَشَتْ فِي جَانِبَيْكَ بِأَوْجُهٍ ∴ تُهَضِّمُ أَقْمَارَ الدُّجَى وَتُضِيمُهَا

رَأَيْتَ قُرَيْشاً حَيْثُ أُكْمِلَ مَجْدُهَا ∴ وَتَمَّتْ مَسَاعِيهَا وَتَابَتْ حُلُومُهَا (١)

الشاهد فيه كسابقه ، فالبحتري أخذ بيت البعيث ، ولم يزد عليه إلا أن عكس معناه ، فالبعيث وصف مهجوه باللؤم ، فجعل قبيلته كليباً ألأم الناس ، ومهجوه ألأم بني كليب ، أما البحتري ، فجعل بني هاشم أكرم الناس في الشرق والغرب ، وجعل ممدوحه أكرم بني هاشم .

ويبدو لي أن قول البحتري " أنت كريمها " أبلغ في التركيب من قول البعيث " وأنت إذا عُدَّت كليب لئيمها " فالبحتري لم يفصل بين المبتدأ " أنت " ، والخبر " كريمها " بل جاء به تالياً له ليدل على أن صفة الكرم ثابتة له لاصقة به .

أما البعيث فقد فصل بين المبتدأ ، وهو ضمير المهجو ، والخبر الذي أراد إثباته له ، فكان الهجاء فيه أخف وطأة من أنه لو قال : " وأنت لئيمها " ، فهذا التعبير أشد هجاء ، وألهب سوطاً للمهجو .

الشاهد الثاني والثمانون بعد المائتين : (*) (الطويل)

• قول أبي نواس :

---

(١) ديوان البحتري : ١ / ١٢٥ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٦١-٣٦٢ ، خفاجي : ٤٣١ ، شاكر : ٤٧٠ .

وَلَمْ أَدْرِ (١) مَنْ هَمْ (٢) غَيْرَمَاشَهِدَتْ لَهُمْ (٣) ∴ بِشَرْقِيِّ سَابَاطَ (٤) الدِّيَارُ البَسَابِسُ (٥) (٦)

والشاهد من أبيات أولها :

وَدَارِ نَدَامَى عَطَّلُوهَا وَأَدْلَجُوا ∴ بِهَا أَثَرٌ مِنْهُمْ جَدِيدٌ وَدَارِسُ

وبعده أبيات قبل الشاهد :

مَسَاحِبُ مِنْ جَرِّ الزِّقَاقِ عَلَى الثَّرَى ∴ وَأَضْغَاثُ رَيْحَانٍ جَنِيٌّ وَيَابِسُ

حَبَسْتُ بِهَا صَحْبِي فَجَدَّدْتُ عَهْدَهُمْ ∴ وَإِنِّي عَلَى أَمْثَالِ تِلْكَ لَحَابِسُ

وبعدها الشاهد وبعده :

أَقَمْنَا بِهَا يَوماً وَيَوماً وَثَالِثاً ∴ وَيَوماً لَهُ يَوْمُ التَّرَحُلِ خَامِسُ

• قول أبي خراش الهذلي (٧) : (الطويل)

---

(١) رواية زهر الآداب : " لم أرَ " .

(٢) رواية الوساطة وزهر الآداب : " منهم " .
ورواية أمالي الزجاجي ، والدرر اللوامع : " ماهم " .

(٣) رواية زهر الآداب وتحرير التحبير والدرر اللوامع : " ماشهدت به " .

(٤) الساباط : سقيفة بين حائطين أو بين دارين من تحتها طريق نافذ والجمع سوابيط وساباطات ، وقيل هو ساباط كسرى بالمدائن ، وقيل هو اسم موضع./ اللسان " سبط " : ٧ / ٣١١ .

(٥) البسابس : البَرُّ المُقْفِر الواسع./ اللسان " بسبس " : ٦ / ٢٩ .

(٦) انظر البيت في :
ديوانه - دار الكتاب العربي - : ٣٧ ، أمالي الزجاجي : ٩٣ ، الوساطة : ٢٠٦ ، ديوان الحماسة للمرزوقي : ٢ / ٧٨٣ ، زهر الآداب : ٣/٧٩٤ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٢ / ١٤٣ ، المثل السائر : ٢/٣٤٦ - ٣٤٧ ، ذكر بعض أبيات القصيدة وأغفل الشاهد - تحرير التحبير : ٥٠٨ ، الدرر اللوامع : ٢ / ١٦٨ .

(٧) هو خويلد بن مُرَّة الهذلي أحد بني قِرْد ، واسم قرد عمرو بن معاوية بن سعد بن هُذيل ، وأبو خراش شاعر فحل من شعراء هُذيل المذكورين الفصحاء ، مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، أسلم ومات في خلافة عُمر بن======

وَلَمْ أَدْرِ⁽¹⁾ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ⁽²⁾ .·. سِوَى أَنَّهُ قَدْ⁽³⁾ سُلَّ مِنْ⁽⁴⁾ مَاجِدٍ مَحْضِ (٥)

=== الخطاب - رضي الله عنه - نهشته أفعى فمات ، وكان من عدّائي العرب المشهورين / انظر ترجمته :
الشعر والشعراء : ٦٤٦-٦٤٨ ، الأغاني : (٢١ / ٢٠٤ ، الإصابة : ١ / ٤٥٧ رقم ٢٣٤٥ .
وقد نسب ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير الأبيات لدريد ، وفي نسبته خطأ ، فجميع المصادر التي اطلعت عليها تنسبه لأبي خراش الهذلي .

(١) رواية الإنصاف : " ولا أدرِ " .

(٢) جاء في ديوان الهذليين أن الرجل الذي ألقى عليه رداءه من أسد شنوءة .

(٣) رواية الكامل والوساطة ، ومعاني أبيات الحماسة ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي : " على أنه " .
رواية ديوان الهذليين وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، والإصابة ، ورواية بهجة المجالس : " ولكنه " .
ورواية سمط اللآلي : " خلا أنه " .

(٤) رواية الكامل وعيار الشعر والأغاني والأشباه والنظائر للخالديين ومعاني أبيات الحماسة ، وبهجة المجالس ، وسمط اللآلي ، والإنصاف وشرح شواهد المغني ، والإصابة : " عن " .

(٥) انظر البيت في :
ديوان الهذليين : ٢ / ١٥٨ ، الكامل : ٢ / ١٣٥ ، عيار الشعر : ١١٢ ، الأغاني : ٢١ / ٢٠٤ ، الوساطة : ٢٠٦ ، الأشباه والنظائر للخالديين : ١ / ١٧٢ ، معاني أبيات الحماسة : ١١٢ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٢ / ٧٨٧ ، زهر الآداب : ٣ / ٧٩٥ ، بهجة المجالس : ٢ / ٥٠٣ ، تحرير التحبير : ٣ / ٥٠٧ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٢ / ١٤٣ ، ١٤٥ ، معجم البلدان " قوسي " : ٤ / ٤١٣ ، شرح المفصل : ١ / ٣ / ١١٧ ، الإنصاف في مسائل الخلاف : ١ / ٣٩٠ ، الإصابة : ١ / ٤٥٧ ، شرح شواهد المغني : ١ / ٤٢٠ ،
وللأبيات قصة مشهورة مؤدّاها أن خراش بن أبي خراش وعروة بن مرة ====

وأول هذه الأبيات - :

حَمِدْتُ إِلَهِي بَعْدَ عُروَةَ (١) إِذْ نَجَا ∴ خِرَاشٌ وَبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

وبعده أبيات قبل الشاهد :

فَوَاللَّهِ لاَ أَنْسَى (٢) قَتِيلاً رُزِئْتُهُ (٣) ∴ بِجَانِبِ قَوْسَى (٤) مَامَشَيْتُ عَلَى الأَرْضِ

بَلَى إِنَّهَا تَعْفُو الكُلُومُ وإِنَّمَا ∴ نُوَكَّلُ بِالأَدْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي

وبعدهما الشاهد وبعده :

وَلَمْ يَكُ مَثْلُوجَ (٥) الفُؤَادِ مُهَبَّجًا (٦) ∴ أَضَاعَ الشَّبَابَ فِي الرَّبِيلَةِ (٧) وَالخَفْضِ (٨)

== أخا أبي خراش أَسَرَتْهُما بنو دارم وبنو هلال ، وهما حَيَّان من ثمالة ، فأخذ بنو هلال عروة ، وقتلوه ، أما بنو دارم ، فأخذوا خراشاً ، واختلفوا في أمر قتله ، وشُغلوا في أمره ، وبينما هم كذلك ألقى عليه رجل منهم ثوبه وطلب منه أن يفر وينجو بنفسه ، فحين وصل الخبر إلى أبي خراش مدح هذا الشخص ، وهو لا يعرفه ، وقد اختلفت الروايات فيمن أُلقِيَ عليه الرداء ، أهو خراش أم عُروة ويبدو لي أن البيت واضح في أنَّ الذي نَجَا هو خراش . كما أن هناك بعض الاختلافات في رواية القصة./ انظر:

الكامل : ٢/١٣٥ ، الأشباه والنظائر للخالديين : ١/١٧٥ ، معاني أبيات الحماسة : ١١٢ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٢/١٤٣ .

(١) عروة : أخو أبي خراش .

(٢) رواية معجم البلدان : " ماأنسى " .

(٣) رزئته : الرَّزِيئة المصيبة / القاموس المحيط " رزأ " : ١ / ١٧ .

(٤) قوسى : بالفتح ثم السكون ، وسين ثم ألف مقصورة تكتب ياء ، يجوز أن يكون فَعْلى من القُوس بالضم ، وهو معبد الراهب ، أو من القوس ، وهو الزمان الصعب ، أو من الأقوس ، وهو الرجل المشرف ، قيل : بلد بالسراة وبه قُتل عُروة أخو أبي خراش الهذلي ونجا ولده / انظر:

معجم البلدان : " قوس " : ٤ / ٤١٣ .

(٥) المثلوج الفؤاد : البليد / القاموس المحيط " ثلج " : ١ / ١٨٧ .

(٦) المهبج : الثقيل النفس / القاموس المحيط : " هبج " : ١ / ٢١٩ .

(٧) الربيلة : النعمة والسمن / القاموس المحيط : " ربل " : ٣ / ٣٩١ .

(٨) الخفض : الدعة والعيش الحسن / القاموس المحيط : " خفض " : ٢ / ٣٤١ .

كذلك استشهد بهما الشيخ على أنهما من جلي الأخذ في " الحذو " ، وساق لذلك قصة حكاها العسكري جرت بين ابن الرومي والبحتري مؤداها أن البحتري رأى أن بيت أبي نواس مأخوذ من بيت أبي خراش وعلق ابن الرومي على هذا ، بأن المعنى قد اختلف .

وأجابه البحتري قائلاً : أما ترى حذو الكلام حذواً واحداً .

ويبدو لي أن البيتين ليسا من الحذو الجلي كما ذكر الشيخ وإن كان الغرض واحداً ، وهو مدح مجهول بفعل حميد .

فالمعنى كما قال ابن الرومي قد اختلف ، وطريقة التركيب قد تباينت ، فأبو نواس صرح بعدم معرفته للأشخاص فقال (ولم أدر من هم) أما أبو خراش فقد فاقه في التعبير ، وزاد عليه في المعنى حيث جاء بصورة شعرية أثبت فيها عدم معرفته ذات الممدوح وفي نفس الوقت دلت وأشادت بمكرمة ذلك المجهول فأين قول (من هم) من قول (من ألقى عليه رداءه) وأبو نواس جعل الديار البسابس هي الشاهد عليهم ، والدليل على معرفتهم ، أما أبو خراش فنصب المجد الخالص والأصل الكريم دليلاً على ممدوحه ، فأكد كونه ماجدًا (بأن) المؤكدة و(قد) التي تدل على تحقق وقوع الفعل ، وانظر إلى كلمة (سُلَّ) وكيف دلت على تغلغله في ذلك المجد وتمكنه منه .

فأين شهادة الديار القفر ، من شهادة المجد المؤكد ؟

الشاهد الثالث والثمانون بعد المائتين : (*) (الطويل)

• قول البحتري :

وَلَنْ يَنقُلَ الحُسَّادُ مَجْدَكَ بَعْدَمَا ∴ تَمَكَّنَ رَضْوَى (١) وَاطْمَأَنَّ (٢) مُتَالِعُ (٣)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٦٢ ، خفاجي : ٤٣١-٤٣٢ ، شاكر : ٤٧٠-٤٧١ .

(١) رضوى : بفتح أوله وسكون ثانيه جبل بالمدينة ، وقيل هو من ينبع على مسيرة يوم ومن المدينة على سبع مراحل ميامنه طريق مكة ، ومياسره طريق البر براء لمن كان مصعداً إلى مكة ، وهو على ليلتين من البحر ، وقيل هو جبل ======

وهو من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ، ومطلعها :

أَلَمَّتْ وَهَلْ إِلْمَامُهَا لَكَ نَافِـعُ .·. وَزَارتْ خَيَالاً وَالعُيُونُ هَوَاجِـعُ

وقبل الشاهد :

وَلَا يَعْلَمُ الأَعْدَاءُ مِنْ فَرْطِ عَزْمِـهِ .·. مَتَى هُوَ مَصْبُوبٌ عَلَيهِم فَوَاقِـعُ

خَلَائِقُ مَا تَنْفَكُّ تُوقِفُ حَاسِـداً .·. لَهُ نَفَسٌ فِي إِثْرِهَا مُتَرَاجِـعُ

وبعد هما الشاهد وبعده :

أَأَكْفُرُكَ النَّعْمَاءَ عِنْدِي وَقَدْ نَمَتْ .·. عَلَيَّ نُمُوَّ الفَجْرِ وَالفَجْرُ سَاطِعُ

وَأَنْتَ الَّذِي أَعْزَزْتَنِي بَعْدَ ذِلَّتِي .·. فَلَا القَوْلُ مَخْفُوضٌ وَلَا الطَّرْفُ خَاشِعُ

=== لجهينة ، وحدّده ووصفه صاحب معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية بأنه جبل ضخم شامخ يضرب إلى الحمرة يقع على الضفة اليمنى لوادي ينبع ، ثم يشرف على الساحل ليس بينه ، وبين البحر شيء من الأعلام ، وإذا كنت في مدينة ينبع البحر رأيت رضوى رأى العين شمالاً شرقياً ، سكانه جهينة ، وله أودية كثيرة يصب معظمها في وادي ينبع / انظر:

معجم البلدان : ٣ / ٥١ ، معجم المعالم الجغرافية : ١٤١ .

(٢) متالع : جبل بنجد فيه عين يقال لها الخرّارة ، وقيل هو جبل بناحية البحرين بين السّودة والاحساء ، وفي سفح هذا الجبل عين يسيح ماؤها يقال لها عين متالع ، وقيل هو ماء في شرقي الظهران عند الفوارة في جبل القنّان لبني عميلة ، وحدّده صاحب معجم المعالم الجغرافية بأنه جبل بالقصيم ، والقصيم إقليم من نجد ينتظمه وادي الرمة ، وقيل متالع أحد أبانين فكان يقال : أبان ومتالع فغلب عليهما اسم أبانين ، وهما جبلا القصيم ، يمر وادي الرمة بينهما ، ثم يمر ببريدة القصيم . / انظر :

معجم البلدان : ٥ / ٥٢ ، معجم المعالم الجغرافية : ٢٨٠ .

(٣) ديوانه ـ دار بيروت ـ : ١ / ٨٦

ديوانه ـ صيرفي ـ : ٢ / ١٣٠٥ ، أخبار البحتري : ١٥٦ ، أخبار أبي تمام : ٨٤ ، الموازنه ـ محمد محيي الدين ـ : ٣٢٠ ، الموشح : ٢٩٨ .

(الكامل)

* قول أبي تمام :

وَلَقَدْ جَهِدْتُمْ أَنْ تُزِيلُوا عِـزَّهُ (١) ... فَإِذَا أَبَانٌ (٢) قَدْ رَسَا وَيَلَمْلَمُ (٣) (٤)

وهو من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق (٥) حين عُزِل من الجزيرة مطلعها :

أَرْضٌ مُصَرَّدَةٌ وَأُخْـرَى تُثْجَـمُ ... تِلْكَ التي رُزِقَتْ وَأُخْرَى تُحْـرَمُ

وقبل الشـاهد

وَأَخَا فَكُم كَي تُفْمِدُوا أَسْيَافَكُمْ ... إِنَّ الدَّمَ المُغْتَرَّ يَحْرُسُهُ الـدَّمُ

وبعده الشاهد وبعده :

وَطَعَنْتُمُ في مَجْدِهِ فَثَنَتْكُـمُ ... زُعُفٌ (٦) يُفَلُّ بِهَا السِّنَانُ اللَّهْذَمُ

---

(١) رواية أخبار البحتري وأخبار أبي تمام والموشح :

" وَلَقَدْ أَرَدْتُمْ مَجْدَهُ وَجَهِدْتُمْ)

(٢) أبان ويلملم جبلان

وأَبان : بفتح أوله : جبل ، وهما أَبَانَان : أبان الأَبيَض ، وأَبَانٌ الأسود بينهما نحو فرسخ ، ووادي الرُّمَّة يقطع بينهما ، كما يقطع بين عَدَنة وبين الشَّرَبَّة ، فأبان الأبيض لبني جُرَيد من بني فَزَارَة خاصة ، والأسود لبني والبة من بني الحارث ابن ثعلبة بن دُودان بن أسد./ انظر : معجم ما استعجم : ١/ ٩٥ ،

ويلملم ، ويقال ألملم والململم المجموع : موضع على ليلتين من مكة وهو ميقات أهل اليمن وفيه مسجد مُعاذ بن جبل ، وقال المرزوقي هو جبل من الطائف على ليلتين أو ثلاث ./ انظر : معجم البلدان (باب الياء واللام وما يليهما) ٥/ ٤٤١ .

(٣) رواية الموشـح :

" فَإِذَا أَبَانٌ قَدْ رَسَا وَمُتَالِـعُ

(٤) ديوان أبي تمام (الديوان الكامل) دار صعب : ٢٤٢

ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٣/ ٢٠٠ ، أخبار أبي تمام للصولي : ٨٤ ، أخبار البحتري للصولي : ١٥٦ ، الموازنة : ٣٢٠ ، الموشح : ٢٩٨ .

(٥) سبقت ترجمته : ٣١٠ .

(٦) زُعف : وصف للسيوف بشدة الفتك وسرعته / اللسان " زعف " : ٩/ ١٣٤ .

••• قول الفرزدق : (الكامل)

فَادْفَعْ بِكَفِّكَ إِنْ أَرَدْتَ بِنَاءَنَا .·. ثَهْلَانَ (١) ذَا الهَضَبَاتِ هَلْ (٢) يَتَحَلْحَلُ (٣)

وهو من قصيدته التي مطلعها :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا .·. بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

وقبل الشاهد :

أَحْلَامُنَا تَزِنُ الجِبَالَ رَزَانَةً .·. وَتَخَالُنَا جِنّاً إِذَا مَا نَجْهَلُ

وبعده الشاهد وبعده :

وَأَنَا ابْنُ حَنْظَلَةَ الأَغَرِّ وَإِنَّنِي .·. فِي آلِ ضَبَّةَ لَلْمُعَمُّ المُخْوَلُ

استشهد الشيخ بهذه الأبيات على أنها من خفي الأخذ وذهب الصولي والمرزباني إلى أنّ البحتري نقل بيت أبي تمام معنىً ولفظاً . قال الصولي :

" وقال أبو تمام :

وَلَقَدْ أَرَدْتُمْ مَجْدَهُ وَجَهِدْتُمُ .·. فَإِذَا أَبَانُ قَدْ رَسَا وَيَلَمْلَمُ

فقال البحتري ونقله لفظاً ومعنى :

وَلَنْ يَنْقُلَ الحُسَّادُ مَجْدَكَ بَعْدَمَا .·. تَمَكَّنَ رَضْوَى وَاطْمَأَنَّ مُتَالِعُ " (٤)

---

(١) رواية ثمار القلوب وأمالي المرتضى " شهلانُ ذو الهضبات ".

(٢) رواية أمالي المرتضى " شهلانُ ذو الهضبات لا يتحلحل "
رواية أراجيز العرب " شهلانٌ ذا الهضبات ما يتحلحل "
ورواية اللسان : " شهلانُ ذو الهضبات ما يتحلحل "

(٣) انظر البيت في :
ديوان الفرزدق - جمعه عبد الله الصاوي - ٧١٧ ، نقائض جرير الفرزدق : ١٨٨/١ ، الموازنة : ٣٢٠ ، أمالي المرتضى : ٤٥/٢ ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : ٥٥٦/٢ ، أراجيز العرب : ٥٥ ، لسان العرب : "حلل" ، ١٧٣/١١ .

(٤) أخبار البحتري للصولي : ١٥٦ ،
وكذلك انظر : الموشح : ٢٩٨ .

وقد قصر الاثنان في الأخذ عن الفرزدق حيث بنوا ذلك الأخذ بناءً واهنـــاً ، فالبحترى عبر تعبيراً مباشراً عن المعنى ، أما أبو تمام فقد زاد في المعنى قليـــلاً بأن أكد نفاذ طاقة الحساد وعدم مقدرتهم على زعزعة عزهم بقوله (ولقد) وتصريحه بأنهم جهدوا .

أما الفرزدق فصاغ معناه في صورة أدق وآنق فقال : " فَآدفع بكفك " وهي صـــورة فيها حث على الحركة والجهد ، وفعل الأمر (فادفع) يدل على التعجيز ، وكذلك تقديم الجار والمجرور (بكفك) والفصل بين الجملة الفعلية والمفعول به (بناءنا) بجملة (إن أردت) للتهكم والسخرية واظهار العجز التام .

وعبر عن رسوخ مجدهم بقوله (شَهْلَانَ ذَا الهَضَبَاتِ) فزاد على من سبقه بوصف الجبل بأنه ذو هضبات ، وهذا تأكيد لعظمه وقوة رسوخه وتمكنه .

وكذلك جاء بالاستفهام الدال على التعجيز (هل يتحلحل) أو الدال علـــى النفي أي (لا يتحلحل) ليزيد صورة رسوخه تأكيدا .

جاء في الموازنة :

" أَفَتَرى البحتري ماسمع هذا من قول الفرزدق ، ولا من قول غيره فنقله كما سمعه أبو تمام فنقله ؟ " (١)

فكأنه يشير إلى أن البحتري ، وأبا تمام قد أخذا بيتيهما عن الفرزدق ، فللفرزدق فضل السبق والتصوير الدقيق .

الشاهد الرابع والثمانون بعد المائتين : (*) (الوافر)

• قال ذو الرمـــة :

---

(١) الموازنـــة ـ محمد محيى الدين عبد الحميد ـ : ٣٢١ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٦٢ ، خفاجي : ٤٣٢ ، شـــاكر: ٤٧١ .

وَشِعْرٍ قَدْ أَرِقْتُ لَهُ غَرِيبٍ .·. أُجَنِّبُهُ المُسَانَدَ وَالمُحَالاَ
فَبِتُّ أُقِيمُهُ وَأَقُدُّ مِنْهُ .·. قَوَافِيَ لاَ أُرِيدُ لَهَا مِثَالاَ

والشاهد من قصيدة يمدح بها بلال بن أبي بردة (٧) ، ومطلعها :

أَرَاحَ فَرِيقُ جِيرَتِكِ الجِمَالاَ .·. كَأَنَّهُمُ يُرِيدُونَ ٱحْتِيَالاَ

وبعد الشاهد :

غَرَائِبَ قَدْ عُرِفْنَ بِكُلِّ أُفْقٍ .·. مِنَ الآفَاقِ تُفْتَعَلُ ٱفْتِعَالاَ

استشهد به الشيخ على أن الشاعر لا يكون محتذيًا إلا بما يكون به آخذًا ، أما إنشاد الشعر وقراءته فلا يسمى احتذاءً . قال :

" وجملة الأمر أنهم لا يجعلون الشاعر " مُحْتَذِيًا " إلّا بما يجعلونه به آخذًا ومُسْتَرِقًا . . . فأما أن يجعل إنشادُ الشِّعْرِ وقراءته " احتذاءً " فما لا يعلمونه كيف ؟ " (٨)

---

(١) رواية الموشح : " طريف " ، ورواية كتاب القوافي : " كريم " .

(٢) رواية تأويل مشكل القرآن ، والصحاح واللسان : " سند " : " أجانبه المساند " .

(٣) والمساند من السناد وهو عيب في الشعر : وهو اختلاف ما يجب مراعاته قبل الروي من الحروف والحركات / كتاب القوافي : ١٢٩ .

(٤) المُحال من الكلام - بالضم - : ما عدل عن وجهه كالمستحيل وأحال : أتى به " / القاموس المحيط : (حول) : ٣ / ٣٧٤ .

(٥) رواية الديوان : " لا أَعُدُّ " .

(٦) انظر البيت في :
ديوانه : ٣ / ٢ / ١٥٣٢ ، الموشح : ١٢ ، تأويل مشكل القرآن : ٢٠ ، كتاب القوافي : ١٢٩ ، الصحاح : " سند " : ٢ / ٤٩٠ ، اللسان : " سند " : ٣ / ٢٢٢ .

(٧) سبقت ترجمته : ص ٤٧ .

(٨) الدلائل ، رضا : ٣٦٢ ، خفاجي : ٤٣٢ ، شاكر : ٤٧١ .

الشاهد الخامس والثمانون بعد المائتين : (*) (البسيط)

• دَعِ المَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا ∴ وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الكَاسِي[1] (٢)

ذكره الشيخ من غير نسبه ، وهو للحطيئة يمدح بغيضاً[3] ، ويهجو الزبرقان

(*) الدلائل ، رضا : ٣٦٢-٣٦٣ ، خفاجي : ٣٣٢ ، شاكر : ٤٧١ .

(١) أي ذو طعم وذو كسوة ، وجاء في شرح شافية ابن الحاجب أنه لا ضرورة إلى جعل طاعم بمعنى النسبة بل الأولى أن يقال هو اسم فاعل من طعم يطعم مسلوباً منه معنى الحدوث ، إلا أن الشارح رد ذلك وجعله من النسبة مثله مثل " الكاسي " / انظر :

شرح شافية ابن الحاجب : ٢ / ٨٨ .

وانظر كذلك :

شرح المفصل : ١/٦/١٥ ، شرح الاشموني : ٢ / ٥٠٥ .

(٢) انظر البيت في :

ديوانه : ١٠٨ ، معاني القرآن للفراء : ٢/ ١٦ ، الأمثال لابن سلام : ١٦٨ ، عيون الأخبار : ٢ / ٥/١٩٥ ، الشعر والشعراء : ١/ ٣٣٤ ، الكامل للمبرد - دار الفكر - ١/١/ ٢٥٠ ، عيار الشعر : ١١٣ ، العقد الفريد : - دار الفكر - : ٢ / ٢٩٩ ، الأشباه والنظائر للخالديين : ١ / ١٠٤ ، الموشح : ٢٦ ، ديوان المعاني : ١ / ١٧٤ ، الصناعتين : ٥٠٨ ، الإعجاز والإيجاز : ١٤٦ ، التمثيل والمحاضرة : ٦٣ ، جمع الجواهر في الملح والنوادر : ٢٧٧ ، محاضرات الأدباء : ٢ / ٤٤٧ ، شرح المفصل : ١/٦/١٥ ، شرح الأشموني مع شرح الشواهد للعيني : ٢ / ٥٠٥ - ذكر الشطر الثاني فقط - شرح المضنون به على غير أهله : ٤٨٢ ، شرح شافية ابن الحاجب : ٢ / ٨٨ نهاية الأرب للنويري : ٣/٥ ٢٧ ، شرح شواهد المغني : ١/ ٣٧٨ ، معاهد التنصيص : ٤ / ٦ .

(٣) هو بغيض بن عامر بن شمّاس بن لأي بن أنف الناقة جعفر بن قريع ، كان من رؤساء بني تميم في الجاهلية وقد أدرك الإسلام ، ولم يرد في شيء من الطرق أنه وفد على النبي - صلى الله عليه وسلم ./ الإصابة : ١/ ١٧٧ ، رقم (٧٨١) .

ابن بدر وقد شكاه الزبرقان بها إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١)
والشاهد من قصيدة مطلعها :

وَاللّهِ مَا مَعْشَرٌ لَامُوا امْرَءًا جُنُبًا(٢) ∴ فِي آلِ لَأْيِ بنِ شَمَّاسٍ بِأَكْيَاسِ

وقبل الشاهد :

جَارٌ لِقَوْمٍ أَطَالُوا هُونَ مَنْزِلِهِ ∴ وَغَادَرُوهُ مُقِيمًا بَيْنَ أَرْمَاسِ
مَلُّوا قِرَاهُ وَهَرَّتْهُ كِلَابُهُمُ ∴ وَجَرَّحُوهُ بِأَنْيَابٍ وَأَضْرَاسِ

وبعد هما الشاهد وبعده :

وَابْعَثْ يَسَارًا(٣) إِلَى وُفْرٍ(٤) مُذَمَّمَةٍ(٥) ∴ وَاحْدِجْ(٦) إِلَيْهَا بِذِي عِرْكَيْنِ(٧) قِنْعَاسِ(٨)

---

(١) وقصة أبيات هذه القصيدة التي منها بيت الشاهد مشهورة في كتب الأدب ، وملخصها : أن الحطيئة جاور الزبرقان بن بدر فلم يَحْمَد جِوارَه ، فتحول عنه إلى بغيض ، فأكرمه ، وأحسن جِواره ، فقال أبياته هذه يهجو الزبرقان ويمدح بغيضاً ، فشكاه إلى عمر ، فقال عمر : ما هجاك ؟ أما ترضى أن تكون طاعماً كاسياً . قال : إنَّه لا يكون في الهجاء أشدّ من هذا ، فأرسل عمر إلى حسان بن ثابت يحكمه في الأمر ، فقال حسان لم يَهجُه ولكن سَلَح عليه - أي بال عليه - فحبسه عمر ، ثم أطلقه وأخذ عليه عهداً ألاَّ يهجو أحداً من المسلمين ./

(٢) الجُنُب : الغريب / مختار الصحاح :" جنب" : ١١٢ .

(٣) يسار : راعي الزبرقان . / ديوان الحطيئة : ١٠٨ .

(٤) وفر : وطاب وافرة ، والوطاب سقاء اللبن / اللسان" وطب" : ١/ ٧٩٧ .

(٥) مذممة : يذمها الضيفان والذم ضد الحمد / مختار الصحاح" ذمم" : ٢٢٤ .

(٦) واحْدِج : أي ارحل / القاموس" حدج " : ١ / ١٨٩ .

(٧) بذي عركين : العرك الضاغط ، والعَرَك حز مرفق البعير جنبه حتى يخلص منه . / اللسان "عرك" : ١ / ٤٦٥ ، تاج العروس" عرك" ٧ / ١٦٠ .

(٨) قِنْعَاسٍ : بعير قنعاس ضخم شديد . / القاموس المحيط : " قنعس" : ٢ / ٢٥٣ .

استشهد به الشيخ على أن نقل كلمة من البيت ووضع أخرى مكانها لا يسمى احتذاء، وإنما يسمى سلخاً (١)، وهو أمر مستقبح عند نقاد العرب.

قال الشيخ:

"وإذا عمد عامد إلى بيت شعر فوضع مكان كُلِّ لفظةٍ لفظاً في معناه، كمثل أن يقول في قوله:

دَعِ المَكَارِمَ لا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِها ∴ وَاقْعُدْ فإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الكَاسِي

ذَرِ المَآثِرَ لا تَذْهَبْ لِمَطْلَبِها ∴ وَاجْلِسْ فإِنَّكَ أَنْتَ الآكِلُ اللَّابِسْ

لم يجعلوا ذلك "احتذاءً" ولم يُؤَهِّلُوا صاحبه لأن يسموه "مُحْتَذِياً" ولكن يُسَمُّون هذا الصنيع "سَلْخاً"، ويَرْذُلونه ويُسَخِّفُون المتعاطِيَ له (٢).

ومعنى الشاهد: "اترك المكارم ولا تسافر ولا ترحل من منزلك لطلب المكارم، ولا تسع في حصولها، واقعد في مكانك، فإنك ذو طعم، وذو كسوة يعني همتك مصروفة إلى طعام تطعمه ولباس تلبسه لا على أن تحصّل المكارم والمنازل الشريفة" (٣)

وقد جعل بعضهم بيت الحطيئة أهجى بيت قالته العرب (٤) وقد أخذه الحطيئة من قول الأعشى:

أَبَا ثَابِتٍ لا تَعْلَقَنْكَ رِمَاحُنَا ∴ أَبَا ثَابِتٍ وَاقْعُدْ فإِنَّكَ طَاعِمُ

طَعَامَ العِرَاقِ المُسْتَجَادَ الَّذِي تَرَى ∴ وَفِي كُلِّ عَامٍ كُسْوَةٌ وَدَرَاهِمُ (٥)

إلَّا أن الحطيئة زاد عليه زيادة بيّنة.

وما أقرب هذا المعنى من قول الآخر:

---

(١) السلخ: هو أن تعمد إلى بيت، فتضع مكان كل لفظ لفظاً في معناه/ التعريفات: ١٢١.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٦٢ - ٣٦٣ - خفاجي: ٤٣٢، شاكر: ٤٧١.

(٣) شرح المضنون به على غير أهله: ٤٨٢.

(٤) ديوان المعاني: ١ / ١٧٤، الإعجاز والإيجاز: ١٤٥ - ١٤٦، نهاية الأرب للنويري: ٣ / ٢٧٥.

(٥) الأشباه والنظائر للخالديين: ١ / ١٠٣.

إِذَا مَاكُنْتَ ذَا أَكْلٍ وَشُـــرْبٍ ∴ فَلَا تَطْمَحْ إِلَى نَيلِ المَعَالِـــي (١)

ومثله أيضا قول الآخر :

وَإِنِّي وَجَدْتُ مِنَ المَكَارِمِ حَسْبُكُمْ ∴ أَنْ تَلْبَسُوا خَزَّ الثِّيَابِ وَتَشْـبَعُوا

فَإِذَا تُذُوكِرَتِ المكارم مَـــرَّةً ∴ فِي مَجْلِسٍ أَنْتُم بِهِ فَتَقَنَّعُـــوا (٢)

وهذا المعنى ضد قول امرئ القيس :

فَلَو أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَـةٍ ∴ كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ المَالِ

وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤَثَّـــلٍ ∴ وَقَدْ يُدْرِك المجد المؤثل أمثالي (٣)

ولقد ذكر ابن قتيبة بيت الشاهد في الأبيات التي لا مثل لها (٤) .

وذكره ابن طباطبا في الشعر المحكم النسج وقال :

" فقوله " الكاسي " عجيبة الوقع " (٥)

الشاهد السادس والثمانون بعد المائتين : (*) (الطويل)

• فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُـــلْبِهِ ∴ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْكَـلِ (٦)

ساقه الشيخ شاهداً على أن منشد الشعر لا يسمى محتذياً ، ولو كان كذلـــك لقيل أنه قائل شعر. قال :

(. . . فمن أين يجوز لنا أن نقول في صَبِّي يقرأ قصيدة امرئ القيس : إنـــه احتذاه في قوله :

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّـى بِصُـــلْبِهِ . . . . . .

---

(١) الأشباه والنظائر للخالديين : ١ / ١٠٤ .

(٢) الأمثال لابن سلام : ١٦٨ .

(٣) الأشباه والنظائر للخالديين : ١ / ١٠٤ .

(٤) عيون الاخبار : ٢ / ٥ / ١٩٥ .

(٥) عيار الشعر : ١١٣ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٦٣ ، خفاجي : ٣٣٢ ، شاكر : ٤٧٢ .

(٦) البيت لامرئ القيس وقد سبق تخريجه : ١٧٦ - ١٧٧ .

والعجب من أنهم لم ينظروا فيعلموا أنه لو كان منشد الشعر " محتذياً " لكان يكون قائل شعر، كما أن الذي يحذَو النَّعل بالنَّعل يكون قاطع نَعْلٍ ". (١)

الشاهد السابع والثمانون بعد المائتين : (*) (الطويل)

• بيت أبي نخيلة (٢) في مسلمة بن عبد الملك (٣) :

أَمَسْلَمَ إنِّي يَاابْنَ كُلِّ خَلِيفَـةٍ (٤) .·. وَيَا جَبَلَ الدُّنْيَا وَيَاوَاحِدَ الأَرْضِ (٥)
شَكَرْتُكَ إِنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ التُّقَى (٦) .·. وَمَاكُلُّ مَنْ أَوْلَيْتَهُ (٧) صَالِحًا (٨) يَقْضِـي

---

(١) الدلائل ، رضا : ٣٦٣ ، خفاجي : ٤٣٢ ، شاكر : ٤٧١ ، ٤٧٢ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٠ ، خفاجي : ٤٣٩-٤٤٠ ، شاكر : ٤٧٢ .

(٢) أبونخيلة : قيل هوا اسمه لأن أمه ولد ته تحت نخلة وكنيته أبو الجنيد ، وقيل : ان اسمه الجنيد بن الجون وهو مولى لبني حماد ، وقيل : هو يعمر بن حزن (وقيل حزم) بن زائدة بن لقيط بن أبزى بن ظالم بن مخاشن ابن حمان وحمان هو عبد العزى بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وقيل له حمان لأنه كان يحم شفتيه، وأبو نخيلة شاعر راجز محسن متقدم في القصيد والرجز ، وهو كثير المحاسن .
انظر ترجمته : المؤتلف والمختلف : ١٩٣ ، سمط اللآلي : ١ / ١٣٥ ، زهر الآداب : ٤ / ٩٩٦ .

(٣) ذكر الآمدي في المؤتلف والمختلف أنه يقوله في مسلمة بن هشام بن عبد الملك

(٤) رواية زهر الآداب (أمسلم يانجل خير خليفة) .

(٥) رواية أمالي القالي :

" ويافارس الهيجا وياقمر الأرض "

ورواية زهر الآداب والمؤتلف والمختلف :

" ويافارس الهيجا وياجبل الأرض "

(٦) رواية الفاضل :

" شكرتك إنَّ الشُّكر مِنِّي سَجِيَّة "

(٧) رواية عيون الأخبار : " وماكل من أقرضته " .

(٨) رواية المؤتلف والمختلف وعيون الأخبار : " وماكل من أوليته نعمة " .

وَأَنْبَهْتَ لِي ذِكْرِي وَمَاكَانَ خَامِلاً (١) (٢) .·. وَلَكِنَّ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ (٣)

• • قول أبي تمام : (الطويل)

لَقَدْ زِدْتَ أَوْضَاحِي (٤) آمْتِدَاداً وَلَمْ أَكُنْ .·. بَهِيماً (٥) وَلاَ أَرْضِي (٦) مِنَ الأَرْضِ مَجْهَلا (٧)

---

(١) ومعنى (أنبهت) : (نَبُه) الرجل شَرُف واشتهر فهو نبيه ونابه وهو ضد الخامل ونَبَّهه تنبيهاً رفعه من الخمول .

رواية الموازنة وأمالي القالي : " نَوَّهت مِنْ ذِكْري " .

ورواية الفاضل وزهر الآداب : " ونَبَّهتَ مِنْ ذِكْري " .

ورواية بهجة المجالس والعمدة : " وَأَحْيَيْتَ مِنْ ذِكْري " .

ورواية المؤتلف والمختلف : " وَأَحْيَيْتَ لي ذِكْري " .

(٢) رواية بهجة المجالس : " وماكُنتُ خَامِلاً " .

(٣) انظر الأبيات في : المؤتلف والمختلف : ١٩٣، أمالي القالي : ١ / ٣٠، زهر الآداب : ٤/ ٩٩٥-٩٩٦، وانظر الشطر الأول في : سمط الآلي : ١/ ١٣٥، والبيت الثاني والثالث في : عيون الأخبار : ٣ / ١٦٥، الفاضل ٩٩، بهجة المجالس : ١ / ٣١٣.

والبيت الثالث في :

الموازنة - (محمد محيي الدين عبد الحميد)-: ٩٠، العمدة : ١ / ٤٣ .

(٤) الأوضاح : جمع وَضَح وهو البياض يقال هذا فرس به أوضاح وهذا كالمثل المضروب لما يملكه من المال، أو لما يبلغه من الرتب والجاه / ديوان أبي تمام بشرح الخطيب : ٣/ ٩٩ / القاموس المحيط " وضح " : ١ / ٢٦٤.

(٥) بهيماً : البهيم من الخيل الأسود / القاموس المحيط " بهم " : ٨٣.

(٦) ضبطت كلمة (أرضى) في الديوان بشرح الخطيب بفتح الضاد على أنها فعل مضارع .

وذكر محقق دلائل الإعجاز الأستاذ محمود شاكر أن من ضبط (أرضى) بالفتح فقد أخطأ المعنى .

والصواب ضبطها بالكسر ويعني بها أرضه ودياره .

(٧) المجهل المفازة التي لا أعلام فيها يهتدى بها وضربه مثلا للخمول بمعنى أن ديار قومه ديار مشهورة / مختار الصحاح " جهل " : ١١٥.

وَلَكِنْ أَيَادٍ صَادَفَتْنِي جِسَامُهَا .·. أَغَرَّ(١) فأَوفَتْ(٢) بِي أَغَرَّ مُحَجَّلَا(٣) (٤)

والبيتان من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات ومطلعها :

لَهَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَقُولَ وَتَفْعَلَا .·. وَنَذْكُرَ بَعْضَ الفَضْلِ مِنْكَ(٥) فَتَفضلَا(٦)

وقبل الشاهد :

رَدَدْتَ(٧) المنَى خُضْراً تَثَنَّى غُصُونُهَا .·. عَلَينَا وَأَطْلَقْتَ الرَّجَاءَ المُكَبَّلَا

وَمَا يَلْحَظُ العَافِي جَدَاكَ مُؤَمِّلَا .·. سِوَى لَحْظَةٍ حَتَّى يَعُودَ(٨) مُؤَمَّلَا

وبعد الشاهد :

إِذَا أَحْسَنَ الأَقْوَامُ أَنْ يَتَطَاوَلُوا .·. بِلَا مِنَّةٍ(٩) أَحْسَنْتَ أَنْ تَتَطَوَّلَا

---

(١) رواية الديوان - دار صعب - :
" فألفت " بمعنى (لقيت) ، ورواية حماسة ابن الشجري : " فخلتني "
وما جاء في الدلائل موافق لرواية الديوان بشرح الخطيب التبريزي .

(٢) الغُرَّة بالضم بياض في جبهة الفرس فوق الدرهم./ مختار الصحاح ،
" غرر " : ٤٧١ .

(٣) التحجيل : بياض في قوائم الفرس أو في ثلاث منها / مختار الصحاح
" حجل " : ١٢٤ .

(٤) انظر الشاهد في : ديوان أبي تمام (الديوان الكامل) - دار صعب - :
٢٢٣ . ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٩٩ - ١٠٠ ،
العمدة : ١ / ٤٢ ، سمط اللآلي : ١ / ١٣٥ ، حماسة ابن الشجري :
١١٤ .

(٥) رواية الديوان بشرح الخطيب التبريزي : " عنك " .

(٦) رواية الديوان بشرح التبريزي : " وتفضلا " .

(٧) رواية الديوان بشرح التبريزي : " رجَعْتَ " .

(٨) رواية الديوان بشرح التبريزي : " يؤوب " .

(٩) رواية الديوان بشرح التبريزي : " بلا نِعْمَةٍ " .

استشهد بهما الشيخ على أن الشاعر المحتذي يكون أحق بالبيت من صاحبه إن هو أحدث فيه صورة جديدة لم تكن فيه، فالفضيلة هنا للصورة، لا للفظ .

فقول العلماء "كساه لفظاً" إنما أرادوا باللفظ هنا الصورة الحادثة في البيت.

فالبيتان مثال على ما تفعله صنعة الشاعر في الصورة والمعنى واحد .

قال الشيخ :-

" ومما إذا تفكر فيه العاقل أطال التعجب من أمر الناس، ومن شدة غفلتهم قول العلماء حيث ذكروا "الأخذ" و "السرقة" : إنَّ مَنْ أخذ معنى عارياً فكساه لفظاً من عنده كان أحق به، وهو كلام مشهور متداول يقرؤه الصِّبيان في أول كتاب "عبد الرحمن" (١)

ثم لا ترى أحداً من هؤلاء الذين لهجُوا بجعل الفضيلة في "اللفظ"، يفكِّر في ذلك فيقول : مِنْ أينَ يُتَصَوَّر أن يكون ههنا معنىً عارٍ من لفظ يَدُلُّ عليه ؟ ثم من أين يعقل أن يجيء الواحد منا لمعنى من المعاني بلفظ من عنده، إن كان المرادُ باللفظ نطق اللسان ؟

ثم هَبْ أنه يصح له أن يفعل ذلك فمن أين يجب إذا وضع لفظاً على معنىً أن يصير أحقَّ به من صاحبه الذي أخذه منه، إن كان هو لا يَصنَع بالمعنى شيئاً، ولا يُحْدِث فيه صِفَة، وَلَا يَكسِبُه فضيلة ؟ وإذا كان كذلك، فهل يكون لكلامهم هذا وجهٌ سِوَى أن يكون "اللفظ" في قولهم : "فكساه لفظاً من عنده" عبارةً عن صُورةٍ يُحْدِثها الشاعر أو غير الشاعر للمعنى ؟ فإن قالوا : بلى يكون، وهو أن يستعير للمعنى لفظاً .

قيل : الشأن في أنَّهم قالوا : "إذا أخذ معنى عارياً فكساه لفظاً من عنده كان أحق به" و "الاستعارة" عندكم مقصورة على مُجَرَّد اللفظ، ولا ترون المستعير

---

(١) هو في مقدمة "الألفاظ الكتابية" لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني، (ت : ٣٢٤هـ) - نقلا عن هامش الدلائل : رضا، خفاجي، شاكر .

يصنع بالمعنى شيئاً ، وترون أنه لا يُحْدِث فيه مزية على وجه من الوجوه ، وإذا كان كذلك ، فمن أين ، ليت شعري ، يكون أحق به فاعرفه " (١)

فالمعنى المشترك في البيتين أن للشاعر ذكراً قديماً حسناً إلا أن للممدوح فضلاً في إبرازه وإظهاره والزيادة عليه ، فأبو تمام عمد إلى بيت أبي نخيلة الأخير وكساه صورة جديدة ، فأحسن وأجاد ، وإن كان أبو نخيلة فاقه حين عبر عن علو ذكره بقوله " (وأُنبهت لي ذكري) ، فأظهر الأمر المعنوى في صورة الحسي ، فالرفع أمر حسي ، والذكر معنوي وهذه استعارة مكنية فيها روعة وجمال ، وهي مقتبسة من قوله تعالى : " وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكْ " (٢)

أما أبو تمام فقد عبر عن ذيوع ذكره الحسن بالبياض الممتد ليؤكد نقاءه وصفاءه بقوله (لَقَدْ زِدْتَ أَوضَاحِي امتداداً)

ومن الصور التي أحسن فيها أبو تمام وأجاد ، أن أبا نخيلة نفى أن يكون مجهول الذكر خامله بقوله : " وماكان خاملاً " .

أما أبو تمام فلم يرض بهذا النفي الساذج فقال " ولم أكن بهيماً ولا أرضي من الأرض مجهلاً " فجاء بصورة البهيم وصورة الأرض المجهولة ، ونفى أن تكون إحدى الصورتين متمثلة فيه .

واكتفى أبو نخيلة في بيان أثر الممدوح في إعلاء ذكره بقوله :

" ولكن بعض الذكر أنبه من بعض "

وهو تعبير مباشر لا يوفي الممدوح حقه من الشكر أما أبو تمام فقد كان أجود مدحاً ، وأكثر وفاءً في إظهار كرم الممدوح . فاستعمل لفظ " أياد " وهو مجاز مرسل علاقته الآليه أو المحليه ، وفي التجوز بالمحل عن الحال دليلٌ على سعة كرمه ، ثم جاء بصورة الأغر المحجل فهذه الأيادي قد صادفته أغر ولكنها لم تتركه كما هو

---

(١) الدلائل ، رضا : ٣٦٩-٣٧٠ ، خفاجي : ٤٣٨-٤٣٩ ، شاكر : ٤٨٣-٤٨٤ .

(٢) الشرح : ٤ .

إنما زادت في إبرازه بأن جعلته أغر محجلاً وشرح التبريزي البيت بقوله :

" يقول : لمّا أكرمتني زدت في شرفي ، وقَدْري ، وهذا المعنى مِثل قولهم بَيّض فلان وجهي إذا فعل به فعلاً حسناً . . وقوله : " ولم أكن بهيماً " لما ذكر الأوضاح التي تكون في الخيل دَعَاه ذلك إلى أن يذكر " البهم " وهو الذي ليس به وضَح ، ولا يخالط لونَه لونٌ غيره ، يقول : رَفعتني بين الناس وشهرتني ؛ لأنهم يصفون الفرس إذا كان أبلق بالشّهرة ، وإنما ذلك لكثرة أوضاحه ، إلا أنهم لا يحمَدون البلق كحمدهم المحجّلة ، وقد بَيَّن معناه البيتُ الذي بعده ، فزعم أنّ الممدوح وجَدَه أغرَّ فزاده حُجُولاً " (١)

ورأى البكري في السمط أن أبا تمام قد أخذ قول أبي نخيلة " ونبهت من ذكري وماكان خاملاً "

إلا أنه كشف معناه وحَسَّنه بالصناعة . (٢)

وعلق ابن رشيق على قول الطائي بقوله :

" فطمح بنفسه إلى حيث ترى وجعل الغرة من كسبه - وهي في الوجه مشهورة - والتحجيل من زيادات الممدوح - وهو في القوائم . (٣)

ومثل هذا المعنى قول علي بن الجهم في مدح المتوكل :

وَمَا الشِّعْرُ مِمَّا أَسْتَظِلُّ بِظِلِّهِ ∴ وَلا زَادَنِي قَدْراً وَلَا حَطَّ مِنْ قَدْرِي

ثم قال :

وَلَكِنَّ إِحْسَانَ الخَلِيفَةِ جَعْفَرٍ ∴ دَعَانِي إِلَى مَا قُلْتُ فِيهِ مِنَ الشِّعْرِ (٤)

---

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٩٩-١٠٠ .

(٢) سمط اللآلي : ١ / ١٣٥ .

(٣) العمدة : ١ / ٤٣ .

(٤) ديوان علي بن الجهم : ١٤٧ .

العمدة : ١ / ٤٢ .

الشاهد الثامن الثمانون بعد المائتين : (*) (الكامل)

• وَحَذِرْتُ مِنْ أَمْرٍ فَمَرَّ بِجَانِبِي ∴ لَمْ يَنْكِنِي (١) وَلَقِيتُ مَالَمْ أَحْــذَرِ (٢)

ذكره الشيخ من غير نسبة وهو لسهم بن حنظلة بن حلوان (٣)

وقبل الشاهد :

كَمْ مِنْ عَدُوٍّ قَدْ رَمَانِي كَاشِحٍ ∴ وَنَجَوْتُ مِنْ أَمْرٍ أَغَرَّ مُشَــهَّرِ

•• قال لبيد (٤) : (المنسرح)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧١ ، خفاجي : ٤٤٠-٤٤١ ، شاكر : ٤٨٥ .

(١) نكى العَدُو وفيه نكايةً قَتَل وَجَرَح / القاموس المحيط " نكى " : ٤ / ٤٠٠ .

وروايه المؤتلف والمختلف وخزانة الأدب : " لم يُبكِني " ، ورواية الموازنة : لم يلقني .

(٢) انظر البيت في :-

الموازنة : ٢٧٧ ، - من غير نسبة - ، المؤتلف والمختلف : ١٣٦ ، خزانة الأدب : ٩ / ٤٣٥ .

(٣) هو سهم بن حنظلة بن جأوان وقيل بن حلوان وقيل بن خاقان بن خويلد أحد بني شيبة بن غنى بن أعصر فارس مشهور شاعر محسن ، أدرك الجاهلية والإسلام وهو شامي ذكر الميمني في تحقيق السمط أنه وجد له بيتان في الألفاظ : ٢٤٨ ، يدلان على أنه أدرك إمارة عبد الملك بن مروان ، توفي نحو (٧٠ هـ) / انظر ترجمته :

المؤتلف والمختلف : ١٣٦ ، جمهرة أنساب العرب لابن حزم : ٢٤٨ ، سمط اللآلي : ٧٤٠ ، الإصابة : ٢ / ١١٥ رقم (٣٧٠٨) ، خزانة الأدب : ٩ / ٤٣٥ الأعلام : ٣ / ١٤٤ ، من الضائع من معجم الشعراء للمرزباني : ٧٢ .

(٤) هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وكان يقال لأبيه ربيع المقترين لجوده وسخائه ، قتلته بنو أسد في يوم ذي علق ، ولم يكن لبيد قد تجاوز سن الطفولة .

وعم لبيد أبو براء عامر بن مالك ملاعب الأسنة ، وكان لبيد كثيراً ما يصاحبه في أسفاره .

ولبيد أحد شعراء الجاهلية المعدودين فيها ، والمخضرمين ممن أدرك الإسلام = = = = =

أَخْشَـى عَلَى أَرْبَدَ(١) الحُتُوفَ وَلَا .·. أَرْهَبُ(٢) نَوْءَ السِّمَاكِ(٣) وَالأَسَـدِ(٤) (٥)

=== وأسلم، وهو من أشرف الشعراء المجيدين الفرسان القُرّاء المعمرين/انظر ترجمته :

طبقات فحول الشعراء: ١/١٣٥، الشعر والشعراء: ١/٢٨٠-٢٩١، تاريخ الطبري: ٣/١٤٥، ٦/١٨٥، الأغاني: ١٥/٣٦١-٣٧٩، الإعجاز والإيجاز ١٤٤، أمالي المرتضى: ١/١٩٠، نهاية الأرب: ٣/٧٠، خزانة البغدادي - دار صادر - : ١/٣٣٧.

(١) هو عمرو بن زهير بن جذيمة بن جزء بن خالد بن جعفر وفي بعض المصادر: " هو أربد بن قيس" ، وكنيته أبو المِغوار، وقيل " أبو الحزاز" ، أمه فاطمة بنت زهير بن جعونه ، وقيل أسماء بنت زهير سباها قيس، فولدت له أربد ، ثم تزوجها ربيعة ، فولدت له لبيداً ، وحراماً / انظر ترجمته :
الأغاني: ١٧/٥٦، معجم الشعراء: ٢١٠، سمط اللالي: ١/٢٩٧، خزانة الأدب - دار صادر - : ٢/٢٥٠.

(٢) رواية معجم الشعراء : " أخاف " .

(٣) السِّماك : أحد نجمين نيرين أحدهما السِّماك الأعزل والآخر السِّماك الرامح ، ويقال أنهما رجلا الأسد ، والذي هو من منازل القمر الأعزل ، وبه ينزل القمر وهو شآم ، وسمي أعزل ؛ لأنه لا شيء بين يديه من الكواكب كالأعزل الذي لا رمح معه ، ويقال سمي أعزل لأنه إذا طلع لا يكون في أيامه ريح ولا برد ، وهو أعزل منها ، والرامح وليس هو من المنازل ولا نوء له ، وهو إلى جهة الشمال ، والأعزل إلى جهة الجنوب .
وطلوع السماك الأعزل مع الفجر في تشرين الأول . / اللسان " سمك" : ١٠/٤٤٤

(٤) الأسد : يطلق في الفلك على البرج الخامس والكوكبة التي يحتويها وهو مشتق من أسد نيميان الذي قتله هرقل كما تقول الأساطير الإغريقية وألمع نجمين في الكوكبة قلب الأسد والصرفة ، وبها أربع منازل قمرية هي الصرفة والجبهة والزبرة والطرف، ويطلق اسم الأسديات على وابل من الشهب يتشعب من الكوكبه ، وتمر به الأرض في نوفمبر، ويشاهد في أعداد كبيره كل ٣٣ سنة / الموسوعة العربية : ١٤٧.

(٥) انظر البيت في :
ديوانه : ٣٩ رقم (١٣) ، شرح ديوان لبيد : ١٥٨ ، الكامل - مكتبة المعارف - : =====

والشاهد من أبيات يرثي بها لبيدا أخاه لأمه أربد ، وقد أحرقته الصاعقة (١) .

والبيت من قصيدة مطلعها :

مَا إِنْ تُعَرِّي المَنُونُ مِنْ أَحَدِ .·. لَا وَالِدٍ مُشْفِقٍ وَلَا وَلَدِ

وبعده بيت الشاهد وبعده :

فَجَّعَنِي الرَّعْدُ وَالصَّوَاعِقُ بِالْـ .·. ـفَارِسِ يَوْمَ الكَرِيهَةِ النَّجُدِ

... قال البحتري : (الكامل)

لَوْ أَنَّنِي أُوفِي التَّجَارِبَ حَقَّهَا .·. فِيمَا أَرَتْ لَرَجَوْتُ مَا أَخْشَاهُ (٢)

وهو من قصيدة يمدح بها أبا عيسى بن صاعد بن مخلد (٣) مطلعها :

أَرَجٌ لِرَيَّا طَلَّةٌ رَيَّاهُ .·. لَا يُبْعِدُ الطَّيْفَ (٤) الَّذِي أَهْدَاهُ

وقبل الشاهد :

عَيْشٌ لَنَا بِالأَبْرَقَيْنِ تَأَبَّدَتْ .·. أَيَّامُهُ ، وَتَجَدَّدَتْ ذِكْرَاهُ

وَالعَيْشُ مَا فَارَقْتَهُ فَذَكَرْتَهُ .·. لَهَفًا وَلَيْسَ العَيْشُ مَا تَنْسَاهُ

وبعد الشاهد وبعده :

والشَّيءُ تُمْنَعُهُ تَكُونُ بِفَوْتِهِ .·. أَجْدَى مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي تُعْطَاهُ

=== ٢ / ٣٢٥ ، الأغاني : ١٧ / ٥٥-٦٢ ، الأشباه والنظائر للخالديين : ١ / ٣٢ ، معجم الشعراء : ٢١٠ ، سمط اللآلي : ١ / ٢٩٨ ، الحماسة البصرية : ١ / ٢٠٩ ، السيرة النبوية - بهامش الروض الأنف - : ٤ / ٢٠٧ .

(١) وملخص قصته : أنه وفد أربد مع عامر بن الطفيل على الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وأراد به سوءًا فدعا عليهما الرسول - صلى الله عليه وسلم - فأرسل الله على أربد في طريقه صاعقة فأحرقته ، ومات عامر بن الطفيل بالطاعون ، وهو نازل في حي من بني سلول / انظر الخبر في :

الكامل - مكتبة المعارف - : ٢ / ٣٢٥ ، الأغاني : ١٧ / ٥٦ ، معجم الشعراء : ٢١٠ ، سمط اللآلي : ٢٩٨ ، خزانة الأدب - مكتبة الخانجي : ٢ / ٢٥٠ .

(٢) ديوانه : ١ / ٣٣٥ .

(٣) سبقت ترجمته (٢٦٦) .

(٤) ويبدو لي أن الضبط بالرفع أجود " لا يبعد الطيفُ " على أن الطيف فاعل ، وهو دعاء ورجاء ، ويمكن أن تكون يبعد مضارع بَعُد ضد قرب ، ويمكن أن تكون مضارع بَعِد بمعنى " هلك " .

وأما على الضبط بالنصب فتكون الجملة مجرد إخبار لا روعة فيه .

فالأبيات مأخوذة من معنى المثل القائل :

" حـرًّا أَخَافُ عَلَى جَانِي كَمْأَةٍ لا قُـرًّا " (١)

وهو مثل يضرب " للذي يخاف من شيء فيسلم منه ، ويصيبه غيره مما لم يَخَفه " (٢)

فالشاعر الأول ربط المعنى بصورة حسية ، فقوله " مَرَّ بِجَانِبي " صور الأمر الـذي يحذ ر منه ، وكأنه شخص ، أو جسم من الأجسام قاربه ، ولم يلحقه منه ضرر ، وهو تصـوير لطيف .

أما لبيد ، فقد استعان بنوء السماك والأسد ، فهو قد خشي على أخيه الموت ، ولم يخطر له على بال أن حتفه سيكون بسبب نوء السماك والأسد هذان الكوكبان اللذان يستبشر بهما لأنه لاريح فيهما ولا برد .

وجاء الثالث وزاد المعنى اتساعاً فقال : لو كنت أعطي التجارب والمصـائب حقها وأعرف كيف أقدرها وأعالجها لتمنيت المكروه لما فيه من الخير ، فالمصـائب كثيراً ما تكون نعمة في ثوب نقمة ، وهذا المعنى هو معنى قوله تعالى : " وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَـيئاً وَهُوَ خَيرٌ لَكُمْ ، وَعَسَى أَنْ تُحِبوا شَـيئاً وَهُوَ شَرٌ لَكُمْ " (٣)

وفي هذا المعنى قال أبو تمام :

قَدْ يُنْعِمُ اللَّهُ بِالْبَلْوَى وَإِنْ عَظُمَتْ ∴ وَيَبْتَلِي اللَّهُ بَعْضَ القَوْمِ بِالنِّعَمِ (٤)

وعلق المرزباني على بيت البحتري - وهو البيت الثالث من أبيات الشاهد - ، فقـال :

" وأخذه البحتري ، فأحسن وطغى اقتداراً على العبارة واتسـاعاً فـي المعنى " (٥)

---

(١) جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري : ١ / ٣٧٣ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣٧٠ ، خفاجي : ٤٤٠ ، شاكر : ٤٨٥ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ٢١٦ .

(٤) ديوانه - دار صعب - : ٢٧٩ .

(٥) الدلائل ، رضا : ٣٧١ ، خفاجي : ٤٤١ ، شاكر : ٤٨٥ .

الشاهد التاسع والثمانون بعد المائتين : (*) (السريع)

• قال إبراهيم بن المهدي (١) :

يَامَنْ لِقَلْبٍ صِيغَ مِنْ صَخْرَةٍ .·. فِي جَسَدٍ مِنْ لُؤْلُؤٍ رَطِبِ (٢)

جَرَحْتُ خَدَّيهِ بِلَحْظِي فَمَا .·. بَرِحْتُ حَتَّى اقْتَصَّ مِنْ قَلْبِي (٣)

•• قال أحمد بن أبي فنن (٤) : (الكامل)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧١ ، خفاجي : ٤٤١ ، شاكر : ٤٨٦ .

(١) هو إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور ، المعروف بابن شكلة ، الهاشمي ، وشكلة أمه كان أبوها من أصحاب المازيار يقال له شاه أفرند فقتل مع المازيار وسُبيت بنته شَكْلة ، فَحُمِلت إلى المنصور ، فلما كَبِرت تزوجها محمد المهدي " وإبراهيم أخو هارون الرشيد " وكان إبراهيم بن المهدي رجلاً عاقلاً فهماً ديناً أديباً شاعراً ، راوية للشعر وأيام العرب خطيباً فصيحاً حسن المعارضة إلى أن تبذّل الغناء . / انظر ترجمته :
تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٢ / ٢٦٦-٢٨٨ ، الأغاني : ١٠ / ٦٩-٧٠ ، ٩٦-١٤٩ ، من الضائع من معجم الشعراء للمرزباني : ١٣ .

(٢) رواية تهذيب تاريخ ابن عساكر :
" في جسد لؤلؤ رطب " .
ويبدو أن الرواية ناقصة للوزن .

(٣) لم أجد البيتين إلا في :
تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٢ / ٢٨٥ .

(٤) ورد ذكره في الموشح : ٣١١-٣١٢
نسب البيت في المثل السائر لأبي تمام ، وهو غير موجود في ديوانه ونسب في تهذيب تاريخ ابن عساكر لأحمد بن أبي قين .
هو أحمد بن صالح بن أبي معشر مولى المنصور ، وقيل مولى الربيع بن يونس ، وقيل مولى بني هاشم . كنيته أبو عبد الله ، وكان أسود اللون ، وهو شاعر مجيد من شعراء بغداد في أيام المتوكل ، أكثر المدح للفتح ابن خاقان . / انظر ترجمته :
طبقات ابن المعتز : ٣٩٦-٣٩٧ ، أخبار أبي تمام : ٧٠ ، ٧١ ، ١٩٦ ، تاريخ بغداد : ٤ / ٢٠٢-٢٠٣ ، سمط اللآلي : ١ / ٢٤٥ ، فوات الوفيات : ١ / ٧٠ .

أَدْمَيْتُ (١) بِاللَّحَظَاتِ (٢) وَجْنَتَهُ (٣) .·. فَاقْتَصَّ نَاظِرُهُ (٤) مِنَ القَلْبِ (٥)

وقبل بيت الشاهد ثلاثة أبيات :

صَبٌّ بِحُبِّ مُتَيَّمٍ صَبِّ .·. حبيبه فَوْقَ نِهَايَةِ الحُبِّ

أَشْكُو إِلَيْهِ صَنِيعَ جَفْوَتِهِ .·. فَيَقُولُ مُتْ فَأَيْسَرُ الخَطْبِ

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلى مَحَاسِنِهِ .·. أَخْرَجْتُهُ عَطِلاً مِنَ الذَّنْبِ (٦)

الشاهد فيه كسابقه . فابن أبي فنن أخذ بيت إبراهيم بن المهدي معنى ولفظاً ولكنه بنقاء عبارته وحسن مأخذه صار أولى به. قال الشيخ :

" . . . ففي هذا دليل لمن عقل أنهم لا يعنُون بحُسن العبارة مجرد اللفظ، ولكن صورة ، وصفة ، وخصوصية تحدث في المعنى ، وشيئاً طريق معرفته على الجملة العقلُ دون السمع ، فإنه على (٧) كل حال لم يَقُل في البحتري أنه " أحسن فطغى اقتداراً على العبارة من أجل حروف :

" لَوْ أَنَّنِي أُوفِي التَّجَارِبَ حَقَّهَا "

وكذلك لم يصف ابن أبي فنن بنقاء العبارة من أجل حروف :

" أَدْمَيْتُ بِاللَّحَظَاتِ وَجْنَتَهُ " " (٨)

---

(١) رواية الموشى : " أَدْمَيْتَ " بالفتح .

(٢) رواية ديوان المعاني : " بالألحاظ "

(٣) رواية الموشى : " وَجْنَتَها " .

(٤) رواية الموشى : " نَاظِرُها " .

(٥) انظر البيت في : شعر أحمد بن أبي فنن - ضمن (شعراء عباسيون)-: ١٤١ ، الموشى : ٢٢٤ ، ديوان المعاني : ١ / ٢٨٤ ، تاريخ بغداد : ٤ / ٢٠٣ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٢ / ٢٨٥ ، المثل السائر : ٣ / ٢٤٠ .

(٦) تهذيب ابن عساكر : ٢ / ٢٨٥ .

(٧) الضمير هنا عائد على المرزباني أو على بن هارون، انظر: الدلائل ، رضا : ٣٧٠ - ٣٧١ ، خفاجي : ٤٤٠ - ٤٤١ ، شاكر : ٤٨٥ - ٤٨٦ .

(٨) الدلائل ، رضا : ٣٧١ ، خفاجي : ٤٤١ ، شاكر : ٤٨٦ .

ولعل البيت الثاني حَسُن وفاق البيت الأول ، لأنه أدق تركيباً وألطف معنى ، فقد قدم الجار والمجرور " باللحظات " لأهميتها عند الشاعر، فهو يريد أن يدل على قوة وعمق تأثير اللحظات ، وليس قصده وهمه بيان موقعها من أنها كانت على الوجنات ، كما فعل الأول ، وقدم لفظ " خديه " .

ومن أسرار الجمال في البيت الثاني مجيء " الفاء " في قوله : " فاقتص " ، والتي دلت على سرعة ذلك الاقتصاص ، فهي قد أسرعت بجرح قلبه بألحاظها كما جرح هو بلحظه خديها .

" فالفاء " هنا حلت محل العبارة الطويلة في البيت الأول " فَمَا بَرِحْتُ حَتَّى " .

وابن أبي فنن كان أكثر شوقاً ، وتلهفاً لرؤية ذلك الحبيب من إبراهيم بن المهدي ، ومحبوبه أكثر جمالاً ورقة ، فابن المهدي جاء بلفظ " لحظي " مفرداً ، وجعله يُعقب جرحاً ، أما ابن أبي فنن فجاء به جمعاً " اللحظات " ، وجعلها دامية ، فصَوَّر حدة تلك النظرات وتلهفها على تأمل جمال ذلك الحبيب الذي لا تشبع النفس من النظر إليه ، فاللحظ يدافع بعضه بعضاً ليحظى بالنظر إلى ذلك الوجه الصبوح .

وإن كُنْتُ أرى أن صورة الجراح والدماء لا تناسب هذا الموقف الذي يتطلب رقة الإحساس .

وبعد هذا التحليل أقول : إن بيت ابن المهدي لا يخلو من اللمحات الجميلة ، فانظر مثلاً إلى كلمة " خديه " ، فهي أرق من كلمة " وجنته " بل أدق لأن الحمرة تظهر على الخدين أوضح مما تظهر على الوجنة ، ثم إن قوله " من لؤلؤ رطب " تمهيد لما ادعاه من أنه جرح خديه ، وبيت ابن أبي فنن خال من ذلك .

وأخيراً هذه المقابلة بين القلب الصخر والجسد الرطب مقابلة جميلة ، فما أقسى أن يكون صاحب الوجه الجميل والجسم الناعم قاسي القلب ، وهذا وإن لم يكن في المعنى المشترك لكنه يمهد له .

ذكر أبو هلال العسكري أن بيت ابن أبي فنن من بديع المعاني . (١)

---

(١) ديوان المعاني : ١ / ٢٨٤ .

وجعله ابن الأثير من الضرب الثالث من السلخ وهو:

" أخذ المعنى ويسير من اللفظ ، وذلك من أقبح السرقات ، وأظهرها شناعة على السارق " (١)

وبذلك خالف أبا هلال العسكري والشيخ عبد القاهر.

وقد بينت من خلال تحليل الشاهدين ما يخالف قول ابن الأثير.

وأخذ ابن الرومي بيت الشاهد فقال :

جَرَحَتْهُ العُيونُ فَاقْتَصَّ مِنْهَا ∴ بِجَوًى في القُلُوبِ دَامِي النُّدُوبِ (٢)

الشاهد التسعون بعد المائتين : (*) (البسيط)

• دَعِ المَكَارِمَ لا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا ∴ وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الكَاسِي (٣)

• • قول القائل : (البسيط)

ذَرِ المَفَاخِرَ لا تَذْهَبْ لِمَطْلَبِهَا ∴ وَاجْلِسْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الآكِلُ اللابِسْ

استشهد به الشيخ على أن البلاغة والفصاحة للمعاني وليست للألفاظ، فالتفاضل بين صورتين معناهما واحد إنما يعود إلى المعنى لا إلى اللفظ ، فلا يمكن أن يتصور أن تكون صورة المعنى في أحد البيتين هي نفسها في البيت الآخر. إلاَّ أن يعمد عامد إلى البيت فيغير فيه بعض الألفاظ من غير تغيير في صورة التركيب ، وما كان كذلك لا يُعْتَدّ به ولا يسمى صاحبه صانعاً ؛ لأنه لم يصنع شيئاً يُعد به صانع كلام فبيت الحطيئة لم يكن شعراً من أجل معاني الألفاظ مفردة وهي بمعزل عن معاني النظم والتأليف ، فهو لم يسمَّ شعراً إلاَّ للنظم الواقع فيه من كون " المكارم " مفعولاً (لِدَعْ) وكون قوله " لا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِها " جملة أكدت الجملة قبلها ، وكون " اقْعُدْ "

---

(١) المثل السائر : ٣ / ٢٤٠.

(٢) ديوان ابن الرومي : ١ / ١٧٣.

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٢ ، خفاجي : ٤٤٢ ، شاكر: ٤٨٧.

(٣) سبق تخريجه : ٩٣٣.

معطوفاً بالواو على مجموع ماضى ، وكون جملة " أنت الطاعم الكاسي " معطوفة بالفاء على " اقعد " فالذي يجيء فلا يُفيد شيئاً من هذا التركيب لا يعد صانعاً شيئاً ألبتة . (١)

قال الشيخ :

" وجملة الأمر أنه كما لا تكون الفضة أو الذهب خاتماً أو سواراً أو غيرهما من أصناف الحُلي بأنفُسهما ، ولكن بما يحدث فيهما من الصورة ، كذلك لا تكون الكلم المفردة التي هي أسماء وأفعال وحروف ، كلاماً وشعراً ، من غير أن يُحدِث فيها النظم الذي حقيقته تَوخّي معاني النحو وأحكامه .

فإذن ليس لمن يتصدّى لما ذكرنا ، من أن يعمد إلى بيت فيضع مكان كل لفظة منه لفظة في معناها ، إلا أن يُسترَكّ عقله ، ويُستخَفّ " (٢)

الشاهد الواحد والتسعون بعد المائتين : (*) (الكامل)

• قال حسّان :

يُغشَوْنَ حَتّى مَا تَهِرُّ كِلَابُهُمْ (٣) ∴ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ المُقْبِلِ (٤)

---

(١) الدلائل ، رضا : ٣٧٢-٣٧٣ ، خفاجي : ٤٤٣ ، شاكر : ٤٨٨ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣٧٣ ، خفاجي : ٤٤٣ ، شاكر : ٤٨٨ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٣ ، خفاجي : ٤٤٣ ، شاكر : ٤٤٨ .

(٣) رواية كتاب سيبويه ، وشرح أبيات سيبويه للسيرافي :

" حتى لا تهر " .

(٤) انظر البيت في :

ديوانه - دار الكتاب العربي - : ٣٦٢ ، الكتاب : ٣ / ١٩ ، الشعر والشعراء : ١ / ٣١٢ ، النوادر للقالي : ١١٧ ، شرح أبيات سيبويه : ٦٩/٢ ، المنصف في نقد الشعر : ٢٥٠ ، المصون : ٢٣ ، ديوان المعاني : ٣٢/١ ، ٣٧ ، زهر الآداب : ٤ / ١١٥٨ ، العمدة : ١٣٩/٢ ، بهجة المجالس : ١ / ٢٩٧ ، ٢ / ٥٠٤ ، المحاسن والمساوئ : ٧٥ ، الأمالي لابن الشجري : ٢ / ١٠ ، محاضرات الأدباء : ٥٣٢/٢ ، شرح المفصل : ======

•• وقول القائل : (الكامل)

يُغْشَوْنَ حَتَّى مَا تَهِرُّ كِلَابُهُم .·. أَبَداً وَلَا يَسْأَلُونَ مَنْ ذَا المُقْبِلِ

وهو من قصيدة يمدح بها عمرو بن الحارث الغساني من أولاد جفنة الغسانيين ، ومطلعها :

أَسَأَلْتَ رَسْمَ الدَّارِ أَمْ لَمْ تَسْأَلِ .·. بَيْنَ الجَوَابِي (١) فَالبُضَيْعِ (٢) فَحَوْمَلِ

وقبل الشاهد :

أَوْلَادُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمُ .·. قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الكَرِيمِ المُفْضِلِ

وبعده :

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ (٣) عَلَيْهِمُ .·. بَرَدَى (٤) يُصَفَّقُ (٥) بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ

=== ١ / ٣ / ٢٦ ، ٢ / ٦ / ١٣٣ ، شرح جمل الزجاجي : ٢/١٦٨ ، مغني اللبيب : ١ / ١٢٩ ، شرح شواهد المغني : ١ / ٣٧٨ ، ٣٨٢ ، ٤٧٦ ، همع الهوامع : ٢ / ٩ ، الأشموني : ٢ / ٢٩٦ ، الدرر اللوامع : ٢ / ٧٠ .

(١) الجابية : بكسر الباء وياء مخففة وأصله في اللغة " الحوض " الذي يجبى فيه الماء للإبل ، وهي قرية من أعمال دمشق ثم من عمل الحيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصفر في شمالي حوران ، وبالقرب منها تل يسمى تل الجابية فيه حيّات صفار نحو الشبر عظيمة النكاية ، والجولان بالفتح ثم السكون قرية ، وقيل جبل من نواحي دمشق ثم من عمل حوران / معجم البلدان : ٢ / ١٨٨ .

(٢) البضيع : وقيل البصيع بالصّاد غير المعجمة ، وهو جبل أسود بالشام / معجم البلدان : ١ / ٤٤٤ .

(٣) البريص : بالصاد المهملة : اسم نهر دمشق ، وهو في شعر حسان يدل على أن البَرِيص اسم الغوطة بأجمعها ، فإنه يقول : يسقون ماء بَرَدَى - وهو نهر دمشق - مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ . / معجم البلدان : ١ / ٤٠٧ .

(٤) بَرَدَى : بثلاث فتحات أعظم نهر بدمشق ، مخرجه من قرية يقال لها =====

والشاهد يُستشهد به في كتب الأدب على أنه أمدح بيت قالته العرب. (١)

ويستشهد به النحاة على أنّ " حتى " هنا حرف ابتداء بدليل رفع " ماتهرُّ " إلاّ أن الكسائي رأى جواز نصب " ماتهر " ورد بعدم السماع .

ورأى ابن مالك أنّ حتى هنا جارة وبعدها " أن " مضمرة . (٢)

والشاهد فيه كسابقه، فالزاعم هنا حاول تغيير التركيب إلا أنه قد فشل في ذلك .

قال :

" . . . فإذن ليس لمن يتصدى لما ذكرنا من أن يعمد إلى بيت فيضع مكان كل لفظة منها لفظة في معناها، الا أن يُسْتَرَكَّ عقله ، ويُسْتَخَفَّ ، ويُعَدَّ مَعَدَّ الذي حُكي أنه قال : إنّي قلت بيتاً هو أشعر من بيت حسّان . . . فقيل هو بيت حسان ، ولكنك قد أفسدته " (٣)

ومن أوجه الفساد في قول الزاعم ، أنه وصل بين الجملتين بالواو " ولا يسلون " مع أن الفصل هنا أمكن كما فعل حسّان لأن غرض الشاعر أن يبالغ في امتداح القوم، فغشيان الناس ديارهم دون أن تهر كلابهم دليل على كرمهم ، وعدم سؤالهم عن

=== " قنوا " من كورة الزّبداني على خمسة فراسخ من دمشق من جهة بعلبك من عيون هناك تنصب إلى الفيجة مراصد الاطلاع : ١ / ١٨١ .

(٦) يصفق : يمزج / اللسان " صفق " : ١٠ / ٢٠٢ .

(١) زهر الآداب : ٤ / ١١٥٨ .

(٢) انظر في ذلك :

كتاب سيبويه : ٣ / ١٨ ، شرح أبيات سيبويه للسيرافي : ٢ / ٦٩ ، شرح جمل الزجاجي : ٢ / ١٦٨ ، مغني اللبيب : ١ / ١٢٩ ، الدرر اللوامع : ٢ / ٧ .

(٣) الدلائل ، رضا : ٣٧٣ ، خفاجي : ٤٤٣ ، شاكر : ٤٨٨ .

السـواد القادم مبالغة في بيان عظيم ذلك الكرم .

وقوله " مَنْ ذَا " ليس كقول حسان " عن السواد " فكلمة السواد صرّحت بكثـــرة القاصدين ، أما قوله " من ذا " فهو استفهام على الحقيقة ليس فيه تصريح بالكثـــرة .

فمعنى الشاهد :

أن أبناء جفنة بلغوا من الكرم مبلغاً لا يدانيهم فيه أحد ، فجعل لذلك كلابهـــم لا تنبح من يغشاهم لاعتيادها على الأضياف ، وهم على كثرة من يأتيهم - بدليـــل يُغشون للمجهول فدل على الكثرة - لا يسألون عن الشخوص المقبلة لعلمهم بأنهـــم طلّاب إحسان ومعروف ، فيستقبلونهم ويضيفونهم ولا يحملونهم مشقة الطلب والسؤال .

ذكر ابن وكيع أن أبا نواس قد أخذ هذا المعنى فقال :

إلى بَيْتِ حَانٍ لا تَهِرُّ كِلَابُـهُ (١) ∴ عَلَيَّ وَلَا يَخْشَوْنَ طُولَ ثَوَائِـي (٢)

وأنه لا فرق بين المعنيين . (٣)

وقال حاتم الطائي في هذا المعنى :

فإن (٤) كِلَابِي قَدْ أَقَرَّتْ (٥) وَعُوِّدَتْ ∴ قَلِيلٌ عَلَى مَنْ يَعْتَرِينِي هَرِيرُهَا (٦)

---

(١) رواية الديوان " ولا يُنكرنَ "

(٢) ديوانه : ٤٠٢ .

(٣) المنصف في نقد الشعر : ٢٥ .

(٤) رواية الديوان : " وإنّ " .

(٥) رواية الديوان " أُهِرَّت " .

(٦) ديوانه - دار صادر - : ٦٣ .

تمهيـــد :

بعد أن شـــرح الشيخ فكرته في أن الفصاحة للمعاني لا للألفاظ ، واســـتدل على ذلك بأنه مامن بيتين اتحد معناهما واختلفت صور إلا وكان مَرَد ذلك إلى التركيب ثم أهاب بالعقول أن تدقق النظر فيما كتبه العلماء من الموازنات قـــال :

" واعلم أنه إنما أُتِي القوم من قِلَّة نظرهم في الكتب التي وضعها العلماء فـــي اختلاف العبارتين على المعنى الواحد ، وفي كلامهم في أخذ الشاعر مـــن الشاعر ، وفي أن يقول الشاعران على الجُملة في معنى واحد ، وفي الأُشـــعار التي دونوها في هذا المعنى ، ولو أنهم كانوا أخذوا أنفسهم بالنظر فـــي تلك الكتب ، وتدبَّروا مافيها حقَّ التَّدَبر، لكان يكون ذلك قد أيقظهم مـــن غفلتهم ، وكشف الغطاء عن أعينهم " (١)

ثم قسم هذا الفصل قسمين :

القســـم الأول :

الموازنة بين شـــعرين أحدهما كان معناه غفلاً ساذجاً ، والآخر فيه صنعة .

والقسم الثانـــي :

كلا طرفي الموازنة فيه صنعة وإجادة .

قـــال :

" وقد أردت أن أكتب جَملة من الشعر الذى أنت ترى الشاعرين فيه قـــد قالا في معنى واحد وهو ينقسم قسمين : قسمٌ أنت ترى أحد الشاعرين فيـــه قد أتى بالمعنى غفلاً ساذجاً ، وترى الآخر قد أخرجه في صورة تَروقُ وتُعْجِب . وقسمٌ أنت ترى كل واحد من الشاعرين قد صنع في المعنى وَصَوَّر " (٢)

---

(١) الدلائل ، رضا : ٣٧٣ - ٣٧٤ ، خفاجي : ٤٤٤ ، شاكر : ٤٨٩ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣٧٤ ، خفاجي : ٤٤٤ ، شاكر : ٤٨٩ .

٣ـ الموازنة بين المعنى المتحد واللفظ المتعدد

الشاهد الثاني والتسعون بعد المائتين : (*)　　　　(المنسرح)

• قول المتنبي :

بِئْسَ اللَّيَالِي سَهِرْتُ (١) مِنْ طَرَبِي (٢) ∴ شَوْقاً إِلَى مَنْ يَبِيتُ يَرْقُدُهَا (٣)

وهو من قصيدة قالها في صباه مادحا محمد بن عبيد الله العلوى المشطب (٤) ومطلعها :

أَهْلاً بِدَارٍ سَبَاكَ أَغْيَدُهَا ∴ أَبْعَدَ مَا بَانَ عَنْكَ خُرَّدُهَا (٥)

وقبل الشاهد :

يَا عَاذِلَ الْعَاشِقِينَ دَعْ فِئَةً ∴ أَضَلَّهَا اللَّهُ كَيْفَ تُرْشِدُهَا

لَيْسَ يُحِيكُ الْمَلَامُ فِي هِمَمٍ ∴ أَقْرَبُهَا مِنْكَ عَنْكَ أَبْعَدُهَا

وبعد هما الشاهد وبعده :

أَحْيَيْتُهَا وَالدُّمُوعُ تُنْجِدُنِي ∴ شُئُونُهَا وَالظَّلَامُ يُنْجِدُهَا

ذكر العكبري أن المتنبي نظر إلى قول أبي نواس في هذا المعنى :

(*) الدلائل ، رضا : ٢٧٤ ، خفاجي : ٤٤٥ ، شاكر : ٤٨٩ .

(١) رواية العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ، ورواية الدلائل تحقيق شاكر : " سَهِدْتُ " . ويبدو لي أن هذه الرواية أبلغ لأن بعض أهل العربية فرّقوا بين السهر " بالراء " ، والسهد " بالدال " ، فجعلوا السهر لكل شيء ، أما السهد فهو خاص بالدليغ والعاشق ، / خزانة البغدادي - الخانجي : ٦ / ١٦٣ .

(٢) رواية العرف الطيب : " من طربٍ " ، والطرب خفة تصيب الإنسان لشدة سرور أو حزن / مختار الصحاح : ٣٨٩ .
ويبدو أن رواية العرف " من طربٍ " أولى ؛ لأن في التنكير معنى التكثير والتعظيم ، أي حزن عظيم كثير .

(٣) لم أجد البيت إلا في :
ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ١ / ٢٩٨ ، العرف الطيب : ٣ / ٣٣ ، خزانة البغدادي - مكتبة الخانجي : ٦ / ١٦١ .

(٤) قال ابن ماكولا :
" الأُشتر النقيب أبو الحسين محمد بن عبد الله بن علي بن عبيد الله بن علي بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، مدحه المتنبي ، وكان يلقب : المصهرج ، قاله لنا الشريف النسابة " .
وذكر العكبري أن الممدوح كان جواداً شهماً جميل الصورة ، فقد واقع قوماً من العرب بظاهر الكوفة ، وهو شاب دون العشرين سنة ، فقتل منهم جماعة ، وجُرِح في وجهه فكسته الضربة حُسناً ، فمدحه المتنبي بقصيدته التي منها بيت الشاهد .
وذكر الأستاذ محمود شاكر في كتابه " المتنبي " أن المشطب هذا كان من لِدَات أبي الطيب وأسنانه ، وكان يدرس معه في " كتاب فيه أولاد أشراف الكوفة " ثم رجح الأستاذ شاكر أن يكون المتنبي أخا المشطب من الرضاع . / انظر :
التبيان للعكبري : ١ / ٣٠٧ ، الإكمال : ١ / ٨١ ، المتنبي - محمود شاكر - : ١ / ٢٧-٢٨-٤٢-٧٤ .

(٥) خُرَّدُهَا : جمع خَرِيدة ، وخَرِيد ، وخَرُود ، وهي الفتاة البكر التي لم تمسس قط / اللسان : " خرد " : ٣ / ١٦٢ .

شَكَونَا إلى أَحْبَابِنَا طُولَ لَيْلِنَا ∴ فَقَالُوا لَنَا مَا أَقْصَرَ اللَّيْلَ عِنْدَنَا (١)

وذلك أن طول الليل كناية عما يكون فيه من الهموم والآلام، ومنها السهر، وقصر الليل كناية عما يكون فيه من المسرات، والمباهج ومنها النوم الهادئ العميق.

ومن هنا كان بيت أبي نواس أغزر معنى، وأدق تصويراً لما يعانيه الشاعر، ولما يعيش فيه أحبابه، وألطف أداءً لما فيه من الكنايتين، ولعل ذلك سر قول العكبري "نظر" ولم يقل أخذ مثلاً.

• مع قول البحتري : (الكامل)

لَيْلٌ يُصَادِفُنِي وَمُرْهَفَةَ الحَشَا ∴ ضِدَّيْنِ أَسْهَرُهُ لَهَا وَتَنَامُهُ (٢)

وهو من قصيدة يمدح بها أبا العباس أحمد بن محمد بن بِسْطَام، (٣) مطلعها :

عَهْدِي بِرَبْعِكَ مَثْلاً آرَامُهُ (٤) ∴ يَجْلُى بِضَوْءِ خُدُودِهِنَّ ظَلَامُهُ

---

(١) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ١ / ٣٠١.

(٢) لم أجده في ديوانه طبعة -بيروت-، وهو موجود في ديوانه -صيرفي- ٤ / ٢٠٣٧.

(٣) هو أحد القواد في عصر المأمون والواثق، ولاه المأمون حصنًا من حصون الروم سنة (٢١٧ هـ) . قال اليعقوبي :
"وغزا المأمون بلاد الروم في هذه السنة، وهي سنة (٢١٧هـ)، وصار إلى حصن من حصون الروم يقال له لؤلؤة، فأقام عليه حيناً لم يفتحه، فبنى عليه حصنين أنزل فيهما أبا اسحاق والرجال، ثم قفل متوجهاً إلى قرية يقال لها: "سَلَغوس" وخلّف على حصنه أحمد بن بسطام."
وفي عهد الواثق وجهه إلى نصيبين، فضرب وحبس، وحرّق الدور. / انظر :
تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٤٦٧ - ٤٨١.

(٤) آرامه : الآرام الظّباء الخالصة البياض، الواحدة ريم. / حياة الحيوان الكبرى : ١ / ٥٢٨.

وبعده بيتان قبل الشاهد :

إِلْمَامَةً(١) بِالدَّارِ إِنَّ مُتَيَّمًا ∴ يَكْفِيهِ أَكْثَرَ شَوْقِهِ إِلْمَامُهُ

أَمْسَى يُضَرِّمُ فِي جَوَانِحِهِ الجَوَى ∴ بَرْقٌ يَشُبُّ مَعَ العَشِيِّ ضِرَامُهُ

وبعد هما البيت وبعده :

مَحْجُوبَةٌ فَإِذَا بَدَتْ فَكَأَنَّهَا ∴ بَدْرُ السَّمَاءِ تَمَامُهُ وَتَمَامُهُ

فالمتنبي جاء بالمعنى مباشراً ،فهو " يريد ذم الليالي التي سهر فيها ، ولم ينم لما أخذه من القلق ، وخفة الشوق إلى من يحب ، وهو كان يرقد الليالي ، لأنه كان خالياً من الشوق ،لا يجد من أسباب امتناع الرقاد مايجده العاشق ، وأين الخلي من الشجي " (٢)

على أن بيت المتنبي لا يخلو من اللطائف، والأسرار، فقوله : " من يبيت يرقدها " محكم البناء والتركيب ، فالاسم الموصول " مَنْ " حمل كل معاني اللوم والعتاب لتلك المحبوبة التي تنام قريرة العين .

وفي تكرار معنى " يبيت - ويرقد " تأكيد لعدم مبالاتها .

أما البحتري ،فقد تأنق في صياغة هذا المعنى ،فجاء بتركيب ضمنه كل ماتحمله نفسه من ضيق وتبرم ، ومايقاسيه من آلام الشوق وتباريح الوجد ، فحذف المسند إليه " هو "، وجاء مباشرة بالمسند " ليل " ؛ لأنه سبب بلواه، ومحط شكواه، وجاء به مُنَكَّراً استعظاماً لقسوته ،ففيه يكابد آلام الحنين . وتشتد عليه وطأة الوجد ، فما أن يجن الليل حتى تظهر صورة مرهفة الحشا في الخيال ،فالواو هنا دلت على تلازمهما واقترانهما .

---

(١) إلمامة : الزيادة القصيرة ،يقال هو يزورنا لِمَامًا - بالكسر - أي غِبًّا . / القاموس المحيط : ٤ / ١٧٩ .

(٢) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ١ / ٣٠١ .

وفي استحضار صورة تلك المحبوبة ، ووصفها بأدق الصفات ، وهو كونها ضامرة الخاصرة تصوير لذلك الحب ، وذلك الشوق الذي تعج به النفس .

وقوله " ضِدّين " تصريح بالمعنى الذي يدور في نفسه ، وفي هذا التصريح غاية اللوعة والحسرة أن يكون هو وصاحبته " ضِدّين " ، ولو في النوم والسهر مع أنّ لهما دلالتهما على كل علاقة بينهما ، وذلك مايعنيه بيت المتنبي :

أَنْتَ الحَبِيبُ وَلَكِنِّي أَعُـوذُ بِـهِ ∴ مِنْ أَنْ أَكُونَ مُحِبًّا غَيْرَ مَحْبُـوبِ (١)

الشاهد الثالث والتسعون بعد المائتين : (*) (البسيط)

• قول البحتري :

وَلَوْ مَلَكْتُ زَمَاعاً(٢) ظَلَّ يَجْذِبُنِي ∴ قَوْداً(٣) لَكَانَ نَدَى كَفَّيْكَ مِنْ عُقُلِي(٤) (٥)

وهو من قصيدة يمدح بها إبراهيم بن المدبر(٦) ومطلعها :

---

(١) ديوانه بشرح العكبري : ١ / ١٧٦ .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٧٤ ، خفاجي : ٤٤٥ ، شاكر: ٤٩٠ .

(٢) الزماع : المضاء في الأمر والعزم عليه / اللسان " زمع " : ٨ / ١٤٣ .

(٣) القَوْد : نقيض السّوق ، يَقُود الدّابة من أمامها ، ويسوقها من خلفها ، فالقَوْد من أمام ، والسوق من خلف ، قُدْتُ الفرس وغيره أَقُودُهُ قوداً ومقادة ، وقيدودة ، وقاد البعير واقتاده : جرّه خلفه . / اللسان " قود " : ٣ / ٣٧٠ .

(٤) العُقل : جمع عقال وهو حبل يشد به البعير في وسط ذراعه ./ المصباح المنير: ٧٣ .

(٥) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلاّ في :
ديوانه - صيرفي - : ٣ / ١٨٧٣ ، ولم يرد البيت في طبعة بيروت .

(٦) هو إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر (أبو إسحاق) (٠٠-٢٧٩هـ) وزير من الكتاب المترسلين الشعراء من أهل بغداد ، تولى ولايات جليلة ، واستوزره المعتمد العباسي لما خرج من سامراء يريد مصر سنة (٢٦٩ هـ) وتقلد ديوان الضياع للمعتمد . / انظر ترجمته :
الوزراء والكتاب: ١٠٢ ، أخبار البحتري للصولي : ٧٦-٨٢-١١٣ ، ١١٤ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٤ ، ١٥٧ ، الكامل لابن الأثير: ٦ / ٧٥ ، الأعلام : ١ / ٦٠ .

لَئِنْ ثَنَى الدَّهْرُ مِنْ سَهْمِي فَلَمْ يَصِلِ ∴ وَرَدَّ مِنْ يَدِيَ الطُّولَى فَلَمْ تَنَلِ

وقبل الشاهد :

أَأَتْرُكُ السَّهْلَ مِنْ جَدْوَاكَ أَتْبَعُهُ ∴ وَأَطْلُبُ النَّائِلَ الأَقْصَى إِلَى الجَبَلِ

نَعَمْ وَجَدْتُ المُخَلَّى لَيْسَ يَحْمَدُ مِنْ ∴ مَرْعَاهُ مَا يَحْمَدُ المَحْظُورُ فِي الطِّوَلِ (١)

أَقْصِرْ بِرَأْيِيَ إِنْ شَرَّقْتُ عَنْكَ غَداً ∴ وَمَرَّ بَعْدَكَ لِي لَيْلٌ فَلَمْ يَطُلِ

وبعد ها الشاهد وبعده :

مَا بَعْدَ جُودِكَ لَوْلَا مَا يُجَاوِرُهُ ∴ بِسُرِّ مَنْ رَاءَ مِنْ جَهْلٍ وَمِنْ بَخَلِ

فَكَيْفَ أَنْظُرُ مُخْتَاراً إِلَى بَلَدٍ ∴ يَكُونُ يَاسِي أَعْلَى فِيهِ مِنْ أَمَلِي

•• مع قول المتنبي : (الطويل)

وَقَيَّدْتُ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ مَحَبَّةً (٢) ∴ وَمَنْ وَجَدَ الإِحْسَانَ قَيْداً تَقَيَّدَا (٣)

فالبحتري صرّح بأنّه لو كان يزمع الرحيل ، وكان في هذا الرحيل منافع تجذبه وتغريه ، وتقوده قوداً ، لكان كرم الممدوح من القيود التي تعوقه وتقيده عن الرحيل .

أما المتنبي فلم ينتظر الرحيل ليمتحن وفاءه للممدوح بل أكد حبس نفسه باستعمال الفعل الماضي " وقيدت " أي نفسي رهينة محبتك منذ أمد ، ولم يقل " وأقيد " فيكون التقييد أمراً مستحدثاً .

والبحتري صرّح بأن الذي قيده هو كرم الممدوح ، أما المتنبي فكان أنزه حيث جعل نفسه مترفعة غير طامعة ، فالذي قيده هو محبته للممدوح " وقيدت نفسي في ذراك محبة " ، ثم بعد ذلك إحسان الممدوح وتفضله . وفي قوله " قيداً تقيدا " تأكيد على تأكيد .

---

(١) الطِّوَل : الحبل الذي يُطَوَّل للدابة فترعى فيه / اللسان " طول " : ١١ / ٤١٣ .

(٢) الذَّرى بالفتح كل ما استترت به ، يقال : أنا في ظل فلان ، وفي ذراه أي في كنفه وستره ودفئه / اللسان " ذرا " : ١٤ / ٢٨٤ .

(٣) سبق تخريجه والحديث عنه ، انظر الشاهد (الحادي والستين) : ٣١٤ .

الشاهد الرابع والتسعون بعد المائتين : (*) (الطويل)

• قول المتنبي (١) :

إِذَا اعْتَلَّ سَيْفُ الدَّولَةِ اعْتَلَّتِ الأَرْضُ ∴ وَمَنْ فَوقَهَا وَالبَأْسُ وَالكَرَمُ المَحْضُ (٢)

والشاهد أحد أبيات ثلاثة قالها المتنبي لما مرض سيف الدولة ، وبيت الشاهد أولها ، وبعده :

وَكَيْفَ انْتِفَاعِي بِالرُّقَادِ وَإِنَّمَا ∴ بِعِلَّتِهِ يَعْتَلُّ فِي الأَعْيُنِ الغُمْضُ

شَفَاكَ الَّذِي يَشْفِي بِجُودِكَ خَلْقَهُ ∴ لأَنَّكَ (٣) بَحْرٌ كُلُّ بَحْرٍ لَهُ بَعْضُ

ومعنى الشاهد :

" إذا اعتل سيف الدولة - الممدوح - اعتلت لعلته الأرض ، ومن عليها من الناس والقوة ، والكرم الخالص ؛ لأنه قوام كل شيء ، فإذا اعتل له كل شيء " (٤)

ولقد خصص البأس والكرم المحض بالذكر بعد أن ذكرهما في الاعتلال العام ، وهو قوله : " والأرض ومن عليها " ، لأنهما أبرز ، وأعظم صفات الممدوح .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٥ ، خفاجي : ٤٤٥ ، شاكر : ٤٩٠ .

(١) جاء في الوساطة ، والتبيان للعكبري أن بيت المتنبي مأخوذ من قول أبي تمام :

وَإِنْ نَجِدْ عِلَّةً نُعَمَّ بِهَا ∴ حَتَّى تَرَانَا نُعَادُ مِنْ مَرَضِهْ

وللمتنبي بيت آخر في هذا المعنى ذكره صاحب الوساطة ، وهو قوله :

وَمَا أَخُصُّكَ مِنْ بُرْءٍ بِتَهْنِئَةٍ ∴ إِذَا سَلِمْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري : ٢ / ٢١٨ ، العرف الطيب : ٤ / ٢٣ ، الوساطة : ٢٤٠ ، يتيمة الدهر : ١ / ١٤٢ ، العمدة : ٢ / ٧٠ .

(٣) رواية العرف الطيب : " فإنك " .

(٤) التبيان : ٢ / ١٣٥ .

وذكر ابن رشيق أن قوله : " والبأس والكرم " حشو ، وهو ما يسميه البعض الاتكاء (١) - إلاّ أن يحمل على قوله تعالى " فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّان (٢) " ، فأعاد ذكرهما ، وهما من الفاكهة لفضلهما ، فهو في هذه الحالة أمر سائغ . قال :

" فقوله : " والبأس " حشو ؛ لأن قوله : " ومن فوقها " دال على الإنس والجن جميعاً ، والبأس والكرم جميعاً ، اللهم إلاّ أن يحمله على تأويلهم في قول الله تعالى : " فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّان " ، فأعاد ذكرهما ، وهما في الفاكهة لفضلهما ، وقوله تعالى : " مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ " (٣)

فإنّ هذا سائغ وليس بحشو حينئذٍ " (٤)

وبيت المتنبي من ذكر الخاص بعد العام ، وله في البلاغة مكان ، فهو من الإطناب ، ومنه قوله تعالى: " حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى " (٥) وهو كثير في القرآن ، وفي الفصيح من كلام العرب .

** مع قول البحتري : (الطويل)

ظَلِلْنَا نَعُودُ الجُودَ مِنْ وَعْكِكَ الَّذِي .·. وَجَدْتَ وَقُلْنَا اعْتَلَّ عُضْوٌ مِنَ المَجْدِ (٦) (٧)

وهو من قصيدة قالها في مدح إبراهيم بن المدبر ، ويذكر علة نالته ، ومطلعها :

---

(١) وذلك أن يكون في داخل البيت من الشعر لفظ لا يفيد معنى ، وإنما أدخله الشاعر لإقامة الوزن ، فإن كان في القافية فهذا استدعاء./ انظر: العمدة : ٢ / ٧٠.

(٢) الرحمن : ٦٨ .

(٣) البقرة : ٩٨ .

(٤) العمدة : ٢/ ٧٠.

(٥) البقرة : ٢٣٨.

(٦) رواية الديوان : " المَجْدَ " .

(٧) ديوان البحتري : ١ / ٢٤٤، الوساطة : ٢٤٠، العمدة : ٢ / ٧٠.

بِأَنفُسِنَا لَا بِالطَّوَارِفِ وَالتُّـــلْدِ ∴ نَقِيكَ الَّذِي تُخْفِي مِنَ الوَجْدِ أَوْتُبْدِي

وبعده بيت قبل الشاهد :

بِنَا مَعْشَرَ العَافِينَ مَابِكَ مِنْ أَذًى ∴ فَإِنْ أَشْفَقُوا مِمَّا أَقُولُ فَبِي وَحْـــدِي

وبعده الشاهد وبعده :

وَلَمْ نُنْصِفِ اللَّيْثَ اقْتَسَمْنَا نَوَالَـــهُ ∴ وَلَمْ نَقْتَسِمْ حُمَّاهُ إِذْ أَقْبَلَتْ تَـــسْرِي

إِذَا تَأَمَّلْنَا البيتين وجدنا أنَّ الغرض المشترك بينهما يعتمد على معنيـــين ، أحدهما أصل ، وهو اعتلال الممدوح ، والآخر فرع ، وهو اعتلال الأرض ومن عليها ، وقد عمد المتنبي إلى الأصل ، وجاء بالمعنى صريحاً ، فقيد اعتلال الأرض باعتـــلال الممدوح ، وذلك عن طريق الشرط بـ" إذا " .

وقوله : " ومن فوقها " بعد ذكر " الأرض " ليدل على أن كرمه وإحســـانه قد شمل كل كائن حي يدب على الأرض ، وكل جماد قائم عليها ، فهو قوام كل شيء.

أما البحتري فذكر الفرع أولاً وجعله عماد الصورة ، ثم ذكر الأصل صريحاً " مِنْ وَعْكِكَ الَّذِي وَجَدْتَ " ، وعول في الفرع على الفحوى ، ودلالة الفحوى على اعتـــلال الأرض هي قوله : " ظَلِلْنَا نَعُودُ الجُودَ " ، فعيادة الجود تدل على اعتلاله ، واعتلال الجود دلَّ على اعتلال الأرض ، وهذه صورة بارعة حية فيها حركة وتجسيد تفتـــح لخيال السامع جنان المعاني .

وقوله : " ظَلِلْنَا نَعُودُ " دل على كثرة زيارة الجود ، وقلق واضطراب الزائرين عليه ، لحاجتهم الماسة إليه .

وقوله : " وقلنا اعتل عضو من المجد " ، وصف للممدوح بالمجد الخالد ، فهـــذا الجود الذي عمَّ الأرض إنَّما هو عضو من أعضاء مجده التليد ، فصفاته لا تنحصر فـــي هذا الجود ، فإن كان اعتلال عضو منه قد أحدث في الكون ما أحدث فكيف إذا اعتلت كل أعضـــائه ؟

ولعلي بن الجهم (١) في هذا المعنى :

وإذا رابكم من الدهر ريب .·. عم ما خصكم جميع الأنام (٢)

ولأبي هفان (٣) :

قالوا اعتللت فقلت كلا (م) .·. إنما اعتل العباد

والدين والدنيا لعلته .·. وأظلمت البلاد (٤)

---

(١) هو علي بن الجهم بن بدر، أبو الحسن (٠٠ - ٢٤٩هـ) من بني لؤي ابن غالب ، شاعر رقيق الشعر أديب ، من أهل بغداد كان معاصراً لأبي تمام ، وخص بالمتوكل العباسي ، ثم غضب عليه المتوكل ، فنفاه إلى خراسان ، فأقام مدة ، وانتقل إلى حلب ، ثم خرج منها بجماعة يريد الغزو ، فاعترضه فرسان من بني كلب فقاتلهم ، وجرح ، ومات من جراحه ، له ديوان شعر مطبوع / انظر ترجمته :

تاريخ الطبري : ٩ / ١٥٢ ، ١٦١ ، ١٧٠ ، ١٧٥ ، ١٩٦ ، ٢٦٤ ، الأغاني : ١٠ / ٢٠٣ ، ٢٣٤ ، معجم الشعراء : ٢٨٦ ، سمط اللآلي : ٥٢٦ ، طبقات الحنابلة : ١ / ٢٢٣ ، تاريخ بغداد : ١١ / ٣٦٧ ، الأعلام : ٤ / ٢٧٠ .

(٢) ديوان : ١٨٢ ، ورواية الديوان " فإذا " ، الوساطة : ٢٣٩ .

(٣) أبو هفان : عبد الله بن أحمد بن حرب المهزمي العبدي ، شاعر وراوية من أهل البصرة ، سكن بغداد وأخذ عن الأصمعي وغيره ، كان فقيراً يلبس مالا يكاد يستر جسده ، له عدة مؤلفات منها : (أخبار أبي نواس) ، (أخبار الشعراء) ، (صناعة الشعر) / انظر ترجمته - :

سمط اللآلي : ١ / ٣٣٥ ، نزهة الألبا : ١٥٦ ، لسان الميزان : ٣ / ٢٤٩ - ٢٥٠ .

(٤) الوساطة : ٢٣٩ ، التبيان للعكبري : ٢١٨ .

الشاهد الخامس والتسعون بعد المائتين : (*) (الكامل)

• قول المتنبي :

يُعْطِيكَ مُبْتَدِئًا فَإِنْ أَعْجَلْتَهُ (١) .·. أَعْطَاكَ مُعْتَذِرًا كَمَنْ قَدْ أَجْرَمَا (٢)

والشاهد من قصيدة له قالها في صباه يمدح بها إنساناً، وأراد أن يستكشف مذهبه ، ومطلعها :

كُفِّي أَرَانِي وَيْكِ لَوْمَكِ أَلْوَمَا .·. هَمٌّ أَقَامَ عَلَى فُؤَادٍ أَنْجَمَا (٣)

وقبل الشاهد :

لَمْ تَجْمَعِ الأَضْدَادَ فِي مُتَشَابِهٍ .·. إِلاَّ لِتَجْعَلَنِي لِغُرْمِي مَغْنَمَا

كَصِفَاتِ أَوْحَدِنَا أَبِي الفَضْلِ الَّتِي .·. بَهَرَتْ فَأَنْطَقَ وَاصِفِيهِ وَأَفْحَمَا

وبعد الشاهد :

وَيَرَى التَّعَظُّمَ أَنْ يُرَى مُتَوَاضِعًا .·. وَيَرَى التَّوَاضُعَ أَنْ يُرَى مُتَعَظِّمَا

ومعنى بيت المتنبي :

" أنه يعطي من قبل أن تسأله ، فإن أعجلته أعطاك معتذراً إليك ، كأنه قد أتى بذنب " (٤)

•• مع قول أبي تمام : (الطويل)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٥ ، خفاجي : ٤٤٦ ، شاكر : ٤٩٠ .

(١) رواية العرف الطيب ، والدلائل تحقيق شاكر : " مبتدراً " .

(٢) انظر البيت في :
ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٤ / ٣٠ ، العرف الطيب : ٤ / ٤٦٨ ، المنصف في نقد الشعر : ١٢٤ .

(٣) أنجم : أقلع / التكملة والذيل والصلة " نجم " : ٦ / ١٥٢ .

(٤) التبيان في شرح الديوان : ٤ / ٣٠ .

أَخُو عَزَمَاتٍ فِعْلُهُ فِعْلُ مُحْسِنٍ ∴ إِلَيْنَا وَلَكِنْ عُذْرُهُ عُذْرُ مُذْنِبِ (١) (٢)

وهو من قصيدة يمدح بها خفاش بن لهيعة الحضرمي (٣)، مطلعها :

تَقِي جَمَحَاتِي لَسْتُ طَوْعَ مُؤَنِّبِي ∴ وَلَيْسَ جَنِيبِي إِنْ عَذَلْتِ بِمُصْحِبِي

وقبل الشاهد :

رَأَيْتُ لِعَيَّاشٍ خَلَائِقَ لَمْ تَكُنْ ∴ لِتَكْمُلَ إِلَّا فِي اللُّبَابِ المُهَذَّبِ

لَهُ كَرَمٌ لَوْ كَانَ فِي المَاءِ لَمْ يَغِضْ ∴ وَفِي البَرْقِ مَا شَامَ امْرُؤٌ بَرْقَ خُلَّبِ (٤)

وبعد الشاهد :

إِذَا أَمَّهُ العَافُونَ أَلْفَوْا حِيَاضَهُ ∴ مِلَاءً وَأَلْفَوْا رَوْضَهُ غَيْرَ مُجْدِبِ

---

(١) رواية الديوان، ورواية المنصف في نقد الشعر :

" أخو أزمات "

ويبدو لي أنها أجود ، لأن الموقف هنا موقف عطاء ، وفك أزمات .

(٢) لم أجده إلا في :

ديوان أبي تمام - دار صعب - : ٢٧، المنصف في نقد الشعر : ١٢٤ .

(٣) ورد اسم " خفاش " في ديوانه - دار صعب - ، وفي أخبار البحتري وأبي تمام للصولي ، وفي العقد الفريد ، ورد اسم " عَيَّاش " ، وفي النجوم الزاهرة ، ورد اسم " عباس " ، وعياش بن لهيعة قصده أبو تمام في مصر ، وكان قائد شرطتها سنة (٢٠١هـ) ومدحه في بادئ الأمر ، ونال منه العطايا ، ثم حدث أن استسلفه أبو تمام مائتي مثقال ، فشاور زوجته ، فقالت : هو شاعر يمدحك اليوم ويهجوك غداً فاعتل عليه واعتذر إليه ، ولم يقض حاجته ، فهجاه أبو تمام ، وظل يهجوه حتى بعد موته ./ انظر : العقد الفريد - دار الفكر - : ١/١٦٥، ١٩٦، ٤/٢٣٩، أخبار أبي تمام : ١٢١، أخبار البحتري : ١٤٥ ، النجوم الزاهرة : ٢ / ١٦٨ .

(٤) شام البرق : نظر إليه أين يقصد وأين يمطر/ اللسان " شيم " : ١٢ / ٣٣٠ .

وبرقٌ خُلَّبٌ : الذى لا غيث فيه كأنه خادع يومض حتى تطمع بمطره ثم يخلفك . / اللسان " برق " : ١ / ٣٦٤ .

ولأبي تمام بيت آخر في هذا المعنى :

يُعْطِي عَطَاءَ الْمُحْسِنِ الْخَضِلِ النَّدِى ∴ عَفْوًا وَيَعْتَذِرِ اعْتِذَارَ الْمُذْنِبِ (١)

ولقد ذكر ابن وكيع التنيسي صاحب كتاب المنصف في نقد الشعر أن المتنبي أخذ معنى بيته من قول ابن المعذل :

يُعْطِيكَ فَوقَ الْمُنَى مِنْ فَضْلِ نَائِلِهِ ∴ وَلَيْسَ يُعْطِيكَ إِلَّا وَهْوَ مُعْتَذِرُ

ولقد فاضل بين بيت ابن المعذل هذا، وبين بيت المتنبي، وبيت أبي تمام. فرأى أن بيت ابن المعذل أجودها لأنه شرط أن عطاء الممدوح فوق المنى وأنه لا يُعطي مبتدئاً ولا معاوداً إلاَّ وهو معتذر أما أبو تمام فلم يشترط هذا الشرط إنما قال (بذل محسن) ولفظ محسن قد يطلق على من أعطى أقل العطاء.

أما بيت أبي الطيب فأقلها جودة لأنه لم يَحُد العطية بقلة ولا كثرة .

قال :

" وقول ابن المعذّل أَجْوَدَها، لأنه شرط أن عطاءه فوق المنى ؛ ولأنه لا يُعطي مبتدئاً ولا معاوداً إلاَّ وهو معتذر، وأبو تمام لم يشرط هذا الشرط إنما ذكر فقال : "بذل محسن" "واعتذار مذنب"، ولم يقل إن عطيته فوق المنى وقد يستحق المعطى اسم المحسن بأقل إعطاء، ويجوز أن يعتذر لعلمه بقلة العطية .

وبيت ابن المعذّل أرجح لفظاً ، وإن كان في بيت أبي تمام مُطابقة مليحة، ولم يحصل لأبي الطيب غير أنه يُعطيك ولم يَحُدَّ العَطية بقلة ولا كثرة ، فإن أعجلته أعطاك واعتذر .

وما يقع اعتذاره بعد الإعجال إلَّا لأمرين :

أحدهما : أنه أَحْوَجك إلى المسألةِ أو قلَّة ما حَضَره من العطاء. كما حكى أن شاعراً أعجل بعض الأمراء وهو عبد الله بن طاهر، فدفع إليه ما أمكنه أن يجود به وكتب إليه :

---

(١) ديوان أبي تمام : ١٩٠.

أَعَجَلْتَنَا فَأَتَـاكَ عَاجِلُ بِرِّنَـا .·. قُلاًّ وَلَوْ أَمْهَلْتَنَـا لَمْ نُقْـلِلِ

فَخُذِ القَلِيلَ وَكُنْ كَأَنَّكَ لَمْ تَسَلْ .·. وَنَكُون نَحْنُ كَأَنَّنَا لَمْ نُسْـأَلِ

ومن اعتذر بعد الإكثار أولى ممن اعتذر بالكرم من إعجال أو تقصير فعبد الصمد أولى بشعره ممن أخذ منه " (١)

الشاهد السادس والتسعون بعد المائتين : (*) (الطويل)

• قول المتنبـي :

كَرِيمٌ مَتَى اسْتُوهِبْتَ مَاأَنْتَ رَاكِبٌ .·. وَقَدْ لَقِحَتْ حَرْبٌ فَإِنَّكَ نَازِلُ (٢)

وهو من قصيدة قالها فى مدح سيف الدولة عند دخول رسول الروم فى صفر سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة ومطلعها :

دُرُوعٌ لِمَلْكِ الرُّومِ هٰذِى الرَّسَائِلُ .·. يَرُدُّ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَيُشَاغِلُ

وقبل الشاهد :

إِذَا مَطَرَتْ مِنْهُم وَمِنْكَ سَحَائِبٌ .·. فَوَابِلُهم طَلٌّ وَطَلُّكَ وَابِلُ

وبعد الشاهد :

أَذَا الجُودِ أَعْطِ النَّاسَ مَاأَنْتَ مَالِكٌ .·. وَلَا تُعْطِيَنَّ النَّاسَ مَاأَنَا قَائِلُ

ومعنى بيت المتنبي :

" يريد أنه جواد كريم مايُسئل شيئاً إلاَّ أعطاه ، فيقول: أنت كريم لا يبخل على من استوهبه ، ولا يمنع من سأله ، فلو سئل من أحوج مايكون إليه شيئاً لوهبه" (٣)

---

(١) المنصف في نقد الشعر : ١٢٥ - ١٢٦ .
(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٥ ، خفاجي : ٤٤٦ ، شاكر : ٤٩١ .
(٢) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٣ / ١١٦ .
العرف الطيب : ٤ / ٢٤٤ .
(٣) شرح العكبري (التبيان) : ٣ / ١١٧ .

•• مع قول البحتري : (البسيط)

ماضٍ عَلَى عَزْمِهِ فِي الجُودِ لَوْ وَهَبَ الْـ .·. شَبَابَ يَوْمَ لِقَاءِ البِيضِ مَا نَدِمَا (١)

وهو من قصيدة يمدح بها رافع بن هرثمة (٢) مطلعها :

بِاللَّهِ آلَى يَمِيناً بَـرَّةً قَسَـمَا .·. مَاكَانَ مَازَعَمَ الوَاشِـي كَمَا زَعَمَـا

وقبل الشاهد :

وَطَاوَلُوهُ إِلَى العَلْيَـا فَفَاتَهُـمُ .·. نَجْمُ السَّمَاءِ تَعَلَّى فَوْقَـهُ وَسَـمَا

يَأْتِي مَرَجُّوهُ أَفْوَاجًا لِنَائِلِـهِ .·. يَسْتَرْفِدُ الفَـوْجُ بِالفَوْجِ الَّذِي اقْتَحَمَا

وبعد الشاهد :

لَا يَبْرَحُ الحَزْمُ يَسْتَوفِي عَزِيمَتَـهُ .·. أَقَامَ مُتَّئِـداً أَوْ سَـارَ مُعْتَزِمَا

فالمعنى المتحد في البيتين تصوير كرم الممدوح وعطائه أفضل مايملك .

فممدوح المتنبي إن استوهب فرسه الذي يركبه للقاء العدو والدفاع عن العرض والحمى، ولو كان ذلك في أشد الأوقات حرجا ، وهو وقت اشتداد الحرب واحتدامها فإنه لاشك نازل .

---

(١) ديوان البحتري : ٢ / ١٤٨ .

(٢) رافع بن هرثمة ، وقيل لم يكن هرثمة أباه وإنما كان زوج أمه ، وهو رافع بن نُوْمَرد ، ولي خراسان من قِبَل محمد بن طاهر في سنة (٢٧١هـ) عندما عزل الموفق عمرو بن الليث الصَّفَّار عن إمرة خُراسان ، ثم وردت كتب الموفق على رافع بقصد جُرجان فحاصرها سنتين ، واستولى على طبرستان ، وعزل عن خراسان في ولاية المعتضد ، فخرج على أمير خراسان ، وقُتل رافع (٢٨٣ هـ) ، وكان أميراً جواداً عالي الهمة واسع الممالك . / انظر:
تاريخ الطبري : ٩ / ٦٢١ ، ١٠ / ٣١ ، ٤٤ ، ٥٠ ، الكامل لابن الأثير: ٧ / ٣٦٧ - ٣٦٩ ، ٤٥٧ - ٤٥٩ ، العبر: ٢ / ٤٠٧ ، البداية والنهاية : ١١ / ٧٣ ، شذرات الذهب : ٢ / ١٨٢ ، سير أعلام النبلاء : ١٣ / ٤٠٦ .

والمتنبي قد أحسن حين بدأ البيت بالمسند مباشرة (كريمٌ) وحذف المسند إليه (هو) لإبراز صفة الكرم فيه وتعظيمها ، وقوله (متى استوهبت) دل على أنه يهب في جميع الأوقات والأزمنة ، فلا يحد عطاءه زمان ولا مكان .

ومجيء الاسم الموصول (ما أنت) لتفخيم عطائه وتعظيمه وبناء جمله الصلة على المبتدأ (أنت) والخبر (راكب) وبناء الخبر على اسم الفاعل تصوير لتأهب الممدوح واستعداده وحاجته الملحة لهذا الفرس .

والفصل بين فعل الشرط (استوهبت) وجوابه (فإنك نازل) بقوله (وقد لقحت حربٌ) ومجيء هذه الجملة مسبوقة بقد وتنكير المسند إليه (حربٌ) تعظيم وتهويل لتلك الحرب وبيان شدة وطأتها . وهذه الصورة أشادت ببالغ كرم الممدوح فبينت أنه في هذا الوقت الحرج العصيب والذي يكون فيه أشد حاجة لذلك الفرس ، فما أن يُطْلَب منه ويسأله إياه أحد حتى يبادر بالنزول عنه ،

وانظر إلى قوله (فإنَّكَ نازل) ولطيف موقعُ "الفاء" هنا والتي دلت على سرعة نزوله من غير أن تكون هناك مهلة للتفكير ؛ ولأن عمل الممدوح هذا من البطولات النادرة العجيبة جاء بـ(إنَّ) ليؤكد للسامعين هذه الصورة ويقرها في نفوسهم .

أما البحتري فقد زاد على المتنبي بقوله :

(ماضٍ) ، فهو وإنْ كان ابتداؤه البيت مشابهًا لابتداء المتنبي في التركيب ، من البناء على حذف المسند إليه والإتيان مباشرة بالمسند ، إلاَّ أن لفظة البحتري هنا (ماضٍ) كانت أبرع وأدق ، فهو ليس كريماً فقط بل ماضٍ وعازم على ذلك الكرم ، لا يصده صاد ولا يمنعه مانع .

وفاق البحتري المتنبي في تصوير جود ممدوحه ، فممدوحه أجود ؛ لأنه يهب شبابه ، وعبر عن بذل نفسه (بالشباب) ليدل على نفاسة هذا الموهوب ، وقيد وهب شبابه بـ(لقاء البيض) ليدل على أن ممدوحه لا يهبه للهو أو لعبث ، وإنما للحرب ، وفي هذا غاية البذل والشجاعة .

أما ممدوح المتنبي فإنه أقل جوداً ،فأقصى مايهبه هو جَوَادُه ، وأين بذل الشباب من بذل الجَوَادِ ؟ .

وقوله (لقاء البيض) أبرع تصويراً من قول المتنبي (لقحت الحرب) وإن كانت العبارتان كناية عن شدة الحرب إلَّا أنَّ البحتري نَقَلَنا إلى أرض المعركة ، وأرانا صورة الاحتدام حية في قوله (لقاء البيض) فلشدة الحرب والاحتدام ،فإنك لا ترى أجساداً ،وإنما ترى سيوفاً يصطك بعضها ببعض .

وزاد البحتري أيضاً على المتنبي بقوله ((مانَدِمَا)) حيث صرَّح بعدم ندمه على مايبذل وفي هذا تأكيد لسماحة نفسه في العطاء .

الشاهد السابع والتسعون بعد المائتين : (*) (الخفيف)

• قول المتنبي :

وَالَّذِي يَشْهَدُ الوَغَى سَاكِنَ القَلْـ ∴ ـبِ كَأَنَّ القِتَالَ فِيهَا ذِمَامُ (١) (٢)

(٣)
وهو من قصيدة له في مدح أبي الحسين علي بن أحمد المرِّي الخراساني،وكان بينهما مودة وقد كان أبو الطيب نزل عليه ضيفاً فأراد أبوالحسن الانصراف عن أنطاكية فقال فيه قصيدته هذه والتي مطلعها :

(*) الدلائل ، رضا : ص٢٧٥-٢٧٦ ، خفاجي : ٤٤٦ ،شاكر: ٤٩١ .

(١) الذمام : الحرمة والعهد ./ مختار الصحاح : (ذمم) : ٢٢٣ .

(٢) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٣ / ٣٤٧ ، العرف الطيب : ٤ / ٤٦٩ .

(٣) هو والي حِمى جَرَش ، من أعمال دمشق نزل به المتنبي بعد أن رحل عن بدر بن عمار واحتمى بحماه ، وذلك سنة(٣٣٣هـ) تقريباً ، وقد كانت بينهما مودة وهما بطبرية ، واضطر المتنبي إلى الرحيل عنه بعد أن لاحقته مكايد الأعور بن كروس أو العلويين / المتنبي - محمود شاكر - ١/ ١٥٣-١٥٥-٥٧ .

أَيْنَ أَزْمَعتَ أَيُّ هَذا الهُمَامُ ∴ نَحْنُ نَبْتُ الرُّبَى وَأَنْتَ الغَمَامُ

وقبل الشاهد :

كُلُّ عَيشٍ مَالَمْ تُطِبْهُ حِمَامُ ∴ كُلُّ شَمْسٍ مَالَمْ تَكُنْهَا ظَلَامُ

أَزِلِ الوَحْشَةَ الَّتي عِنْدَنا يَا ∴ مَنْ بِهِ يَأْنَسُ الخَمِيسُ اللُّهَامُ

وبعد الشاهد :

وَالَّذِي يَضْرِبُ الكَتَائِبَ حَتَّى ∴ تَتَلاَقَى الفِهَاقُ وَالأَقْدَامُ

وذكر العكبري (١) أنَّ قول المتنبي هذا مأخوذ من قول أبي تمام : (٢)

مُتَسَرِّعِينَ (٣) إِلَى الحُتُوفِ كَأَنَّمَا ∴ بَيْنَ الحُتُوفِ وَبَيْنَهُمْ أَرْحَامُ

ومن قول محمد بن نواس :

يَتَبَادَرُونَ إِلى الهِيَاجِ كَأَنَّمَا ∴ بَدَرُوا إِلى صِلَةٍ مِنَ الأَرْحَامِ (٤)

ومعنى بيت أبي الطيب :

" والَّذِي يَشْهَد الحرب غير مضطرب الجأش، كأن القتال عاهده، أن لا يُقتل فهو يسكن إلى القتل سكونه إلى الذمام، فهو يحضرها ثابت النفس غير حافل بشدَّتها (٥) .

• قول البحتري : (الطويل)

لَقَدْ كَانَ ذَاكَ الجَأْشُ جَأْشَ مُسَالِمٍ ∴ عَلَى أَنَّ ذَاكَ الزِّيَّ زِيُّ مُحَارِبِ (٦)

---

(١) التبيان : ٣ / ٣٤٧ .

(٢) ديوان أبي الطيب بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ١٥٦ .

(٣) رواية الديوان : " مسترسلين " .

(٤) التبيان : ٣ / ٣٤٧ .

(٥) نفس المرجع السابق والصفحة .

(٦) ديوان البحتري : ٢ / ٣٥٥ ، ديوان المعاني : ١ / ١١٧ ، التشبيهات : ١٥١ .

وهو من قصيدة قالها في رفع أهل الجزيرة لأبي سعيد (١) ، ومطلعها :

هَبيهِ لِمُنْهَلِّ الدُّموعِ السَّوَاكِبِ ∴ وَهَبَّاتِ شَوقٍ فِي حَشَاهُ لَوَاعِبِ

وقبل الشاهد :

وَغَدْوَةِ تِنِّينِ المَشَارِقِ إِنْ غَدَا ∴ فَبِتَّ حَرِيقًا فِي أَقَاصِي المَغَارِبِ

وَهَدَّةِ يَوْمٍ لابنِ يُوسُفَ أَسْمَعَتْ ∴ مِنَ الرُّومِ مَن بَينَ الصَّفَا فَالأَخَاشِبِ

وبعد الشاهد :

مَفَازَةُ صَدْرٍ لَوْ تَطَرَّقُ لَمْ يَكُنْ ∴ لِيَسْلُكَهَا فَرْدًا سُلَيْكُ المَقَانِبِ

تَسَرَّعَ حَتَّى قَالَ مَنْ شَهِدَ الوَغَى ∴ لِقَاءُ أَعَادٍ أَمْ لِقَاءُ حَبَائِبِ

ذكر أبو هلال العسكري أن بيت البحتري من أجود ما قيل في سكون الجأش في الحرب (٢)

فبيت المتنبي لا يزيد معناه على أن ممدوحه ساكن القلب في الحرب ، فالقتال عنده لشجاعته كأنه ذمام وحرمة يطمئن إليها .

أما البحتري فكان أسلوبه محكماً ، فقد صاغ المعنى العميق ذا الشعب والفروع في اللفظ اليسير مع براعة في التركيب ودقة في التصوير ، فوصف ممدوحه وصفاً مؤكداً فأبرزه في صورة رابط الجأش ، وبدأ البيت بقوله (لقد) فجاء بلام التوكيد

---

(١) هو محمد بن يوسف الثغري طائي من أهل مرو وكان من قواد حميد الطوسي ، وأخبار الثغرى منثورة في كتب التاريخ ، والأغاني ، وقد كان الثغري حاميا للثغور ، ثم ولاه العباسيون الجزيرة والشام ، وعزله المتوكل ، ثم أعاده إلى ولاية أرمينيا ، توفي عام (٢٣٦هـ) / انظر ترجمته :
تاريخ الطبرى : ٩ / ١١-١٤ ، ١٦-٢٣ ، ٢٩ ، ٣٢-٤٩ ، ٥٤ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ١٨٥
أخبار البحترى للصولي : ٢٩-٦٣ ، ٦٤ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٢٣ ، ١٤٦ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٥٦ ، ١٨٧ .

(٢) ديوان المعاني : ١ / ١١٧ .

مقرونة بقد التي تفيد تحقيق وقوع الفعل . وجاء باسم الإشارة (ذاك) الذي يُشار به للبعيد ليفخم ويعظم رباطة جأشه .

وانظر إلى قوله (ذاك الجأش جأش) بسكون طائر وخفض جناح ، ودع النفس تقف وقفة قصيرة عند لفظ " ذاك الجأش " حتى يشيع فيها ذاك التشوف ، فإذا جاء لفظ (جأش) الثاني مضافاً إلى (سالم) كان ذاك بياناً للمراد من لفظ (الجأش) الأول فيقع معناه في النفس موقعاً متكناً .

وحتى لا تسكن نفس السامع إلى هذا القرار وتظنه نهاية المطاف جاء بقوله (على أنّ ذاك) ف" على " هنا شدت الأسماع ولفتت الأنظار إلى معنى جديد ، وهي دعوة جديدة للنفس أن تعود للتأمل والاستشراف ، وجاء به مؤكداً (بأن) تعظيماً وتفخيماً لذاك الزي .

وفي تكرار هذا التركيب في شطري البيت .

(لَقَدْ كَانَ ذَاكَ الجَأْشُ جَأْشَ . . - عَلَى أَنَّ ذَاكَ الزِّيَّ زِيُّ . . .)

يجعل للبيت رنيناً قوياً يهز النفس عند سماعه ، وهذا الرنين القوى يناسب قوة جأشه .

الشاهد الثامن والتسعون بعد المائتين : (*) (الكامل)

• قول أبي تمام :

الصُّبْحُ مَشْهُورٌ بِغَيْرِ دَلَائِلِ .·. مِنْ غَيْرِهِ ٱبْتُغِيَتْ وَلَا أَعْلَامِ (١)

وهو من قصيدة قالها في مدح الواثق (٢) ، يهنئه فيها بالخلافة ، ويرثي المعتصم ، ومطلعها :

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٦ ، خفاجي : ٤٤٧ ، شاكر : ٤٩١ .

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٢٠٨ .

(٢) هو هارون بن أبي إسحاق محمد المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور بويع بالخلافة بسر من رأى بعد موت أبيه المعتصم (٢٢٧ هـ) ولد الواثق (سنة ١٩٦ هـ) ، أمه أم ولد اسمها قراطيس ، كان فصيحاً =====

مَالِلدُّمُوعِ تَرُومُ كُلَّ مَرَامِ ∴ وَالجَفْنُ ثَاكِلُ هَجْعَةٍ وَمَنَامِ

وقبل الشاهد :

لَاقَدْحَ فِي عُودِ الإِقَامَةِ بَعْدَمَا ∴ مَتَّتْ إِلَيْكَ بِحُرْمَةٍ وَذِمَامِ

مَذْخُورَةٍ أَحْرَزْتَهَا بِحُكُومَةٍ ∴ لِلَّهِ تَعْلُو أَرْؤُسَ الحُكَّامِ

لَسْنَا مُرِيدِي حُجَّةٍ تَشْفِي بِهَا ∴ مِنْ رِيبَةٍ سَقْمَاً مِنَ الأَسْقَامِ

وبعد الشاهد :

فَأَقِمْ مُخَالِفَنَا بِكُلِّ مُقَوَّمٍ ∴ وَاحْسِمْ مُعَانِدَنَا بِكُلِّ حُسَامِ

•• مع قول المتنبي : (الوافر)

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الأَذْهَانِ(١) شَيءٌ ∴ إِذَا(٢) احْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلِ (٣)

=== شاعراً لبيباً أحسن إلى بني عمه ، وبرّهم ، وأصلح الاضطرابات الداخلية ، وافتتح جزيرة صقلية ، مات بسر من رأى (٢٣٢هـ) وكانت خلافته خمس سنين وستة أشهر وعمره ست وثلاثون سنة وأحد عشر شهراً وأربعة أيام . / انظر :

تاريخ الطبري : ٩ / ١٢ ، ١٧ - ١١١ - ١١٣ - ١٢٠ ، ١٢٣ - ١٥٧ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ٢١٦ ، ٢٢٣ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٣٠٦ ، ٤١٣ ، ٤٣٩ .

الفخري في الآداب السلطانية : ٢٣٦ ، التنبيه والإشراف : ٣٢٨ ، مروج الذهب : ٤ / ٦٥ ، سمط النجوم العوالي : ٣ / ٣٣٠ - ٣٣٥ .

(١) رواية الديوان والتمثيل والمحاضرة ودلائل الإعجاز ونهاية الأرب : " الأفهام " .

(٢) رواية معاهد التنصيص : " متى احتاج "

(٣) انظر البيت في :

ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٣ / ٩٢ ، العرف الطيب : ٤ / ٣٦٧ ، التمثيل والمحاضرة : ١١١ ، ٢٤٣ ، محاضرات الأدباء : ١ / ٧٥ ، يتيمة الدهر : ١ / ٢٠٣ ، بديع القرآن : ٢٨٠ ، نهاية الأرب : ٣ / ١٠٦ ، معاهد التنصيص : ٤ / ١١٨ .

والشاهد من قصيدة قالها حين حضر مجلس سيف الدولة ، وبين يديه أُتْرُجّ(١) وطَلْع ،(٢) وهو يمتحن الفرسان ، وعنده ابن حبش شيخ المَصِّيصَة ،(٣) فقال له : لا تتوهم هذا للشرب ، فقال أبو الطيب :

شَدِيدُ البُعْدِ مِنْ شُرْبِ الشَّمُولِ(٤) .·. تُرُنجُ الهِنْدِ أَوْ طَلْعُ النَّخِيلِ

ومعه أبيات أُخر.

فلم يتبين معنى البيت المذكور لبعض القوم ،فقال المتنبي :

أَتَيْتُ بِمَنْطِقِ العَرَبِ الأَصِيلِ .·. وَكَانَ بِقَدْرِ مَاعَايَنْتُ قِيلِي

فَعَارَضَهُ كَلامٌ كَانَ مِنْهُ .·. بِمَنْزِلَةِ النِّسَاءِ مِنَ البُعُولِ

---

(١) الأُتْرُجّ : معروف واحدته تُرُنجة وأُتْرُجة ، ويقال : تُرُنجة ، وتُرُنج ، واللغة الفصيحة أُتْرُج وأُتْرُجَّة ، وهو شر رائحته طيبة ،وله فوائد طبية كثيرة ذكرها النويري في نهاية الأرب./ التبيان للعكبري : ٣ / ٩٠ ، اللسان " ترج " : ٢ / ٢١٨ ، نهاية الأرب: ١١ /١٧٨-١٨٤ ، معجم الألفاظ الفارسية المعربة : ٣٤.

(٢) الطَّلْع : هو أول مايُرى من عِذق النخلة ، والعذق " القِنْو " اللسان " طلع " : ٨ / ٢٣٨ ،" عذق " : ١٠ / ٢٣٩.

(٣) المَصِّيصَة : بالفتح ثم الكسر والتشديد ، وياء ساكنة وصاد أخرى ، وقيل بتخفيف الصادين : مدينة على شاطيء جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية ، وبلاد الروم ،كانت من الأماكن التي يُرابط بها المسلمون قديماً ، والمصِّيصة أيضا قرية من قرى دمشق قرب بيت لهيا ، وجاء في اللسان والصحاح ، المصيصة ثغر من ثغور الروم معروفة بتشديد الصاد الأولى ، ومصيصة بلد بالشام ،ولا تقل مصِّيصة بالتشديد./ انظر :
الصحاح :" مصص" : ٣/ ١٠٥٧ ،مراصد الاطلاع : ٣ /١٢٨٠، اللسان " مصص" : ٧/ ٩٣ ،آثار البلاد وأخبار العباد : ٥٦٤.

(٤) الشمول : اسم من أسماء الخمر، وقيل هي الباردة التي هبت عليها ريح الشمال ، وقيل هي التي تشمل القوم بريحها . / فقه اللغة : ٢٧٤.

وَهَذَا الدُّرُّ مَأْمُونُ التَّشَظِّي ∴ وَأَنْتَ السَّيفُ مَأْمُونُ الفُلُولِ
وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الأَفْهَامِ شَيءٌ ∴ إِذَا احْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلِ

ومعنى الشاهد :

حين أنكر المنكر كلام المتنبي ، ووصفه بالغموض ، وعدم الوضوح قام المتنبي مدافعاً عن شعره ، فذكر أن ماأتى به إنما هو من كلام العرب الخُلَّص ، وقد أتى به بعد المعاينة ، فأغناه ذلك عن أن يقول :

أنت شديد البعد عن شرب الشمول ، وفي مجلسك ترنج الهند ، وذلك أنهم قالوا له لما لم تقل :

بَعِيدٌ أَنْتَ مِنْ شُرْبِ الشَّمُولِ ∴ عَلَى النَّارَنْجِ أَوْ طَلْعِ النَّخِيلِ

فسفه من هذه المعارضة ، ورأى أنها كلام ساقط ، وإنكار ضعيف ، فوقع ذلك الضعيف من قوته ، وذلك السقوط من رفعته موقع النساء من البعول ، والرَّعية من الملك الجليل ؛ لأنه قد أتى بكلام لا ينكر صوابه ولا تدفع صحته ، ثم أشار إلى أنَّ شعره دُرٌّ لا يخاف تشققه وتغيره ، فلا يمكن الاعتراض عليه ، وهو ليس ككل دُرٍّ ؛ لأنَّ الدُّرَّ الذي تعارف عليه النَّاس إذا طال عليه الأبد لابد له من التغير والتبدُّل إلا هذا الدُّر فإنه يزيد حسناً على مر الأيام ، فشعره لقوته ، ومتانته لا يحتاج إلى توضيح ، فهو كالنَّهار لا يحتاج عاقل للاستدلال عليه بدليل ؛ لأن من يحتاج إلى أن يعلم النهار بدليل يدل عليه لم يصح في فهمه شيء .(١)

فالمعنى المتحد في البيتين الاستدلال على الأمر بوضوح النهار .

فأبو تمام لم يزد على هذا المعنى شيئاً بل اقتصر على كون أمر خلافة ممدوحه واضحاً لا يحتاج إلى إعلام كالصبح مشهور ولا يحتاج إلى دليل .

أما المتنبي فقد نقل المعنى إلى شعره ، وزاد المعنى اتساعاً ، فهو لم يقتصر على كون شعره واضحاً وضوح النهار ، بل عرض بكل من يطلب الدليل على وضوحه

---

(١) التبيان للعكبري : ٣ / ٩٢ .

بأنه لا يعقل ولا يفهم شيئاً، وصاغ اتهامه هذا " بإذا " الشرطية، ليجزم ويؤكد وقوع ذلك الاتهام كلما تكرر طلب الدليل .

الشاهد التاسع والتسعون بعد المائتين : (*) (الوافر)

• قول أبي تمام :

وَفِي شَرَفِ الحَدِيثِ دَلِيلُ صِدْقٍ .·. لِمُخْتَبِرٍ عَلَى شَرَفِ القَدِيمِ (١) (٢)

وهو من قصيدة قالها في مدح بني عبد الكريم الطائيين (٣) ومطلعها :

أَرَامَةُ كُنْتِ مَأْلَفَ كُلِّ رِيمِ .·. لوِ استَمْتَعْتِ بِالأُنُسِ القَدِيمِ

وقبل الشاهد :

فَلَوْ شَاهَدْتَهُمْ وَالزَّائِرِينَ .·. لَمَا مِزْتَ البَعِيدَ مِنَ الحَمِيمِ

أُولَئِكَ قَدْ هُدُوا فِي كُلِّ مَجْدٍ .·. إِلى نَهْجِ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ

أَحَلَّهُمُ النَّدَى سِطَةَ المَعَالِي .·. إِذَا نَزَلَ البَخِيلُ عَلَى التُّخُومِ

فُرُوعٌ لَا تَرِفُّ عَلَيكَ إِلَّا .·. شَهِدْتَ لَهَا عَلَى طِيبِ الأُرُومِ

(*) الدلائل، رضا : ٣٧٦، خفاجي : ٤٤٧، شاكر : ٤٩١ .

(١) رواية الديوان والدلائل، تحقيق شاكر : (على الشرف القديم) .

(٢) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٣/١٦٣، الموازنة محيي الدين عبد الحميد - : ٣٢١ .

(٣) لم أقف على ترجمة لهم في كتب التاريخ المشهورة، وكل ما عثرت عليه ما جاء في دائرة المعارف الإسلامية من أنهم كانوا يقطنون " حمص " وهم ولاة نعمة أبي تمام، ومن أجل الانتصار لهم ألف قصائده الهجائية في أسرة عتبة بن أبي عاصم - وهم طائيون - . جاء في دائرة المعارف :

" وانتقل - أبو تمام - من دمشق إلى حمص، وبدأ فيها حياته الشعرية، فنظم القصائد الهجائية في أسرة عتبة بن أبي عاصم، خدمة لولاة نعمته بني عبد الكريم " .

وأضاف صاحب كتاب " أبو تمام حياته وحياة شعره " : " كما أن آل عبد الكريم هؤلاء ليسوا من الشهرة في التاريخ بحيث نضعهم في صف من اتصل بهم أبو تمام بعد سنة ٢١٤هـ، من كبار رجال الدولة الإسلامية وقوادها " / انظر : دائرة المعارف الإسلامية : ١/٣٢٠، أبو تمام حياته وحياة شعره : ٩٩-١٠١ .

وبعدها الشاهد وبعده :

لَهُمْ غُرَرٌ تَخَالُ إِذَا آسْتَنَارَتْ ∴ بَوَاهِرُهَا ضَرَائِرَ لِلنُّجُومِ

وذكر الآمدي في الموازنة أنه شبيه بقول أبي تمام قول البحتري :

عَلَى أَنَّا تَوَكَّلُ بِالأَدَانِي ∴ وَتُخْبِرُنَا الفُرُوعُ عَنِ الأُصُولِ (١)

ولشيوع المعنى وتداوله بين الناس لا يعد الكلام فيه أخذاً ولا سرقة قال :

" وهذا معنًى شَائِعٌ فِي الكَلَامِ أيضاً ، مشهور كثير على الأفواه أن يقولوا : إنَّ العروق عليها ينبت الشجر، ومن أشبه أباه فما ظلم ، والعصا من العُصَيَّة، والغصن من الشجرة ، ودلّت على الأم السَّخْلَةُ (٢) ، ومثل هذا لا يكون مأخوذاً مستعاراً " (٣)

•• مع قول المتنبي : (البسيط)

أَفْعَالُهُ نَسَبٌ لَوْلَمْ يَقُلْ مَعَهَا ∴ جَدِّي الخَصِيبُ عَرَفْنَا العِرْقَ بِالْغُصُنِ (٤)

وهو من قصيدة مدح بها أبا عبد الله محمد بن عبد الله القاضي الأنطاكي ، (٥) ومطلعها :

أَفَاضِلُ النَّاسِ أَغْرَاضٌ لِذَا الزَّمَنِ ∴ يَخْلُو مِنَ الهَمِّ أَخْلَاهُمْ مِنَ الفِطَنِ

---

(١) لم أجده في ديوانه .

(٢) السَّخْلَةُ : ولد الشاة من المعز والضأن ذكرا كان أو أنثى . / اللسان "سخل" : ١١ / ٣٣٢ .

(٣) الموازنة - محيي الدين عبد الحميد - : ١ / ٣٢ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٦ ، خفاجي : ٤٤٧ ، شاكر : ٤٩١ .

(٤) انظر البيت في :

ديوان المتنبي بشرح العكبري : ٤ / ٢١٦ ، الوساطة : ٣٠٧ ، المنصف في نقد الشعر : ٥٨٣ .

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الخطيب الخصيبي ، القاضي الأنطاكي ، كان ينوب عن والده في مجلس القضاء بأنطاكية ، وكان داهية من دهاة عصره ، قصده المتنبي حين خرج من عند ممدوحه أحمد المري ، ودخل أنطاكية سنة ٣٣٤هـ / انظر :

المتنبي - محمود شاكر - : ١ / ١٥٩ - ١٦٠ .

وقبل الشاهد :

الفَاصِلُ الحُكْمَ عَيَّ الأَوَّلُونَ بِهِ ∴ وَالمُظْهِرُ الحَقَّ للسَّاهِي عَلَى الذَّهِنِ

وبعده الشاهد وبعده :

العَارِضُ الهَتِنُ ابْنُ العَارِضِ الهَتِنِ ابـ ∴ ـنِ العَارِضِ الهَتِنِ ابْنِ العَارِضِ الهَتِنِ (١) (٢)

ومعنى الشاهد :

" هو معروف عند الناس بأفعاله الكريمة ، وقد عرف أنه من ولد الخطيب ، فلو لم ينتسب مع أفعاله لعرفناه ، كما يستدل بالغصن على الأصل " (٣)

ذكر ابن وكيع (٤) أن قوله :

" أَفْعَالُهُ نَسَبٌ " مأخوذ من قول البحتري :

وَلَسْتُ اعْتَدُّ لِلْفَتَى نَسَبَاً ∴ مَالَمْ يَكُنْ فِي فِعَالِهِ نَسَبُهْ (٥)

وعجز البيت مأخوذ من قول ابن الرومي :

كَدَأْبِ عَلِيٍّ فِي المَوَاطِنِ جَدُّهُ ∴ أَبِي حَسَنٍ وَالغُصْنُ مِنْ حَيْثُ يَخْرُجُ (٦)

وقال غيره في هذا المعنى :

وَالابْنُ يَنْشَا عَلَى مَاكَانَ وَالِدُهُ ∴ إِنَّ الأُصُولَ عَلَيْهَا يَنْبُتُ الشَّجَرُ (٧)

وهو أيضا كقول الآخر :

---

(١) العارض : السحاب الذي له رعد وظل ./ فقه اللغة : ٢٧٩ .

(٢) الهتن : المتتابع ، هتن المطر والدمع يهتن هتناً وهتوناً وتهتاناً إذا مطر متتابعاً / الصحاح " هتن " : ٦ / ٢٢١٦ .

(٣) التبيان في شرح الديوان : ٤ / ٢١٦ .

(٤) المنصف في نقد الشعر : ٥٨٣ .

(٥) ديوانه : ١ / ٢٢٧ ورواية الديوان : (حَسَبَهُ) .

(٦) ديوانه : ٢ / ٤٩٥ .

(٧) المنصف في نقد الشعر : ٥٨٣ .

وَإِذَا جَهِلْتَ مِنْ امرِىءٍ أَعْرَاقَـهُ ∴ وَأُصُولَهُ فَانْظُرْ إِلى مَايَصْنَعُ (١)

ولقد امتدح ابن وكيع بيت المتنبي ورأى أنه أفضل الجميع لأنه ذكر المعنى الطويل في الموجز القصير .

قال بعد ذكر الأبيات السابقة :

" ولكنه جمع الطويل في الموجز القليل " (٢)

وفي هذا المعنى قول أبي تمام :

فُرُوعٌ لَا تَرِفُّ عَلَيكَ إِلاَّ ∴ شَهِدْتَ لَهَا عَلَى طِيبِ الأُرُومِ (٣)

فبيت أبي تمام معناه مباشر، فكل ماذكره أنه جعل شرف ممدوحه دليلاً صادقاً على شرف نسبه .

أما المتنبي ، فبدأ حديثه بجملة موجزة ، وهي قوله (أَفْعَالُهُ نَسَبٌ) وهذه الجملة تحوي معنىً لطيفاً حيث قلبت المفاهيم المتعارف عليها في الأنساب ، فجعل أفعال الممدوح الحميدة هي نسبه الذي يشتهر به ، ثم أعقب هذا الإيجاز بتفصيل أفاد الكلام تأكيداً ، وزاد المعنى وضوحاً وتقريراً ، فجاء بجملة الشرط (لَوْلَمْ يَقُلْ مَعَهَا جَدِّي الخَصِيبُ) .

ثم أخذ يحرك الخيال وينشطه لفهم المعنى المراد ، فجعل جواب الشرط صورة (العِرْقِ وَالغُصْنِ) ، فالغصن إن كان يحمل الثمار الناضجة اليانعة ، عرفنا أصالة ذلك العرق وطيب أصله .

الشاهد الثلاثمائة : (*) (الكامل)

• قول البحتري :

---

(١) التبيان فى شرح الديوان : ٤ / ٢١٦ ، الوساطة : ٣٠٧ .

(٢) المنصف فى نقد الشعر : ٥٨٣ .

(٣) ديوانه : (دار صعب) : ٢٥٦ ، الوساطة : ٣٠٧ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٦ ، خفاجي : ٤٤٧ ، شاكر : ٤٩١-٤٩٢ .

وَأَحَبُّ آفَاقِ البِلَادِ (١) إلى فَتَى (٢) ∴ أَرْضٌ يُنَالُ بِهَا كَرِيمُ المَطْلَبِ (٣)

وهو من قصيدة قالها في مدح أبي صالح (٤)، مطلعها :

إمَّا أَلَمَّ فَبَعْدَ فَرْطِ تَجَنُّبِ ∴ أَوْ آبَهُ هَمٌّ، فَمِنْ مُتَأَوِّبِ

وقبل الشاهد أبيات عدة، سأذكر منها ما يوضح المعنى وهو قوله :

إنَّ الفِرَاقَ جَلَا لَنَا عَنْ غَادَةٍ ∴ بَيْضَاءَ تَجْلُو عَنْ شَتِيتٍ (٥) أَشْنَبِ (٦)

---

(١) رواية التبيان : "أوطان"، رواية الوساطة : "أقطار".

(٢) رواية الديوان والوساطة والدلائل تحقيق شاكر والتبيان : "إلى الفتى".

(٣) انظر البيت في :

الديوان : ١/١٤١، الوساطة : ٢٧٧، الإبانة عن سرقات المتنبي : ٧٩، التبيان للعكبري : ١ / ١٨٣.

(٤) هو عبد الله بن محمد بن يزداد، كان أخص الناس بالبحتري، وكان عنده أدب وفضل، وكانت توقيعاته وأجوبته من أحسن التوقيعات والأجوبة، تولى الوزارة للمستعين، وضبط الأموال، فصعب ذلك على أمراء الدولة، وكان قد ضيق عليهم فتهددوه بالقتل، فهرب، وهو الذي قتل أوتامش وكاتبه شجاعا "- أوتامش من رؤساء الأتراك استوزره المستعين إثر مبايعته بالخلافة، وأطلق يده في بيوت المال، فاقتطع لنفسه أموالاً كثيرة، مما أوغر صدر الموالي وبقية الجند عليه، فقتلوه وقتلوا معه كاتبه شجاع ابن القاسم ونهبوا دورهما"./ انظر :

تاريخ الطبري : ٩/٢١٧، ٢٦٤، ٣٨٨، ٣٩٨، ٤٤٠-٤٤١، ٤٥٨، ٤٦١، ٤٦٧، والفخري في الآداب السلطانية : ٢٤٢، أخبار البحتري : ١١٣، الفهرست : ١٧٩، معجم الشعراء : ٤٣٩، تاريخ ابن الأثير : ٥ / ٣١٣.

(٥) الشتيت : الثغر المفرّق المُفَلَّج / اللسان "شتت" : ٢ / ٤٨.

(٦) الشنب : ماء ورقة تجري على الثغر، وقيل رقة وبَرْد وعذوبة في الأسنان/ اللسان "شنب" : ١ / ٥٠٦.

أَلْوَتْ بِمَوعِدِهَا القَدِيمِ وَأَيْسَتْ ∴ مِنْهُ بِلَيِّ بَنَانَةٍ لَمْ تُخْضَبِ

وَعَذَرْتُ سَيْفِي فِي نُبُوِّ غِرَارِهِ ∴ أَنِّي ضَرَبْتُ فَلَمْ أَقَعْ بِالمَضْرِبِ

وبعدها البيت وبعده :

كَمْ مَشْرِقِيٍّ قَدْ نَقَلْتُ نَوالَهُ ∴ فَجَعَلْتُهُ لِي عُدَّةً بِالمَغْرِبِ

••• مع قول المتنبي : (الطويل)

وَكُلُّ امْرِيءٍ يُولِي الجَمِيلَ مُحَبَّبٌ ∴ وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ العِزَّ طَيِّبُ (١)

وهو من قصيدة قالها في مدح كافور الإخشيدي،(٢) وكان قد حمل إليه ستمائة دينار ،مطلعها :

أُغَالِبُ فِيكَ الشَّوقَ وَالشَّوْقُ أَغْلَبُ ∴ وَأَعجَبُ مِنْ ذَا الهَجْرِ وَالوَصْلُ أَعْجَبُ

وقبل الشاهد :

أَحِنُّ إِلى أَهْلِي وَأَهْوَى لِقَاءَهُمْ ∴ وَأَيْنَ مِنَ المُشْتَاقِ عَنْقَاءُ مُغْرِبُ

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا أَبُو المِسْكِ أَوْ هُمُ ∴ فَإِنَّكَ أَحْلَى فِي فُؤَادِي وَأَعْذَبُ

ذكر الثعالبي في الإعجاز والإيجاز(٣) أن أبا بكر الخوارزمي ، جعل أبا الطيب المتنبي أميرالشعراء في عصره لقصيدته التي أولها :

* مَنِ الجَآذِرُ فِي زِيِّ الأَعَارِيبِ * (٤)

وقوله :

وَكُلُّ امْرِيءٍ يُولِي الجَمِيلَ مُحَبَّبٌ

---

(١) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ١ / ١٨٣ ،الوساطة : ٢٧٧ ،الإعجاز والإيجاز : ٢١٧ ،يتيمة الدهر : ١ / ٢٠١ ،التمثيل والمحاضرة : ١١١ ، الإبانة عن سرقات المتنبي : ٧٩ ، نهاية الأرب : ٣ / ١٠٥ .

(٢) سبقت ترجمته ،انظر: ١١٠ ص البحث .

(٣) ٢٥١ .

(٤) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ١ / ١٥٩ .

وذكره في التمثيل والمحاضرة على أنه من أمثال المولدين السائرة . (١)

وذكره صاحب الوساطة على أنه من سرقات المتنبي من البحتري . (٢)

وذكره العميدي على أنه من سرقات المتنبي . (٣)

فالبحتري صاغ فكرته في قالب جامد ، ولو أننا حاولنا تفسير البيت لما اختلف التفسير كثيراً عن صياغة الشاعر ، ولقلنا إن مقصده : أن أحب البلاد إلى الفتى هي التي ينال فيها المطلب الكريم .

أما المتنبي فقد تفنّن في صياغة الفكرة ، فبدأها بصيغة العموم " كل " وبنى عليها كلامه ، وصيغة العموم هذه زادت المعنى اتساعاً وامتداداً .

ولم يكتف المتنبي بذلك بل أعاد بناء فكرته بناء خيالياً يساعد في تقريرها وتوكيدها في النفوس ، فجعل العزّ نباتاً ينمو ، وجعل الأرض التي ينمو فيها العزّ أرضاً طيبة خصبة ، ووصل صدر البيت بعجزه عن طريق الواو ليبين اتحاد الفكرتين ، ويؤكد أنهما جملة واحدة مما يزيد تقريرها وتوكيدها .

الشاهد الواحد بعد الثلاثمائة (*) (الطويل)

• يقول المتنبي :

يُقِرُّ لَهُ بِالفَضْلِ مَنْ لا يَوَدُّهُ .·. وَيَقْضِي لَهُ بِالسَّعْدِ مَنْ لا يُنَجِّمُ (٤)

وهو من قصيدة قالها في مدح سيف الدولة أبي الحسن علي بن عبد الله العدوي ، ويصف الجيش سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة بميّا فارقين، (٥) ومطلعها :

---

(١) : ١١١ . (٢) ٢٧٧ .

(٣) الإبانة عن سرقات المتنبي : ٧٩ .

(*) الدلائل، رضا : ٣٧٦، خفاجي : ٤٤٨ ، شاكر : ٤٩٢ .

(٤) لم أجده إلا في :

ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٣/ ٣٥٥ ، العرف الطيب : ٤/ ٤٠٨ .

(٥) أشهر مدينة بديار بكر، وديار بكر ناحية ذات قرى ومدن كثيرة بين الشام والعراق قصبتها الموصل وحَرّان وبها دجلة والفرات، وميّافارقين من أبنية الروم بها بيعة من عهد المسيح عليه السلام./ انظر: آثار البلاد وأخبار العباد : ٣٦٨، ٥٦٥ ، معجم البلدان : ٥/ ٢٣٥-٢٣٨ .

إِذَا كَانَ مَدْحٌ فَالنَّسِيبُ المُقَدَّمُ ∴ أَكُلُّ فَصِيحٍ قَالَ شِعْراً مُتَيَّمُ

وقبل الشاهد :

بِغُرَّتِهِ فِي الحَرْبِ وَالسِّلْمِ وَالحِجَا ∴ وَبَذْلِ اللُّهَا وَالحَمْدِ وَالمَجْدِ مُعْلِمُ

وبعده الشاهد وبعده :

أَجَارَ عَلَى الأَيَّامِ حَتَّى ظَنَنْتُهُ ∴ تُطَالِبُهُ بِالرَّدِّ عَادٌ وَجُرْهُمُ

• مع قول البحتري : (الكامل)

لَا أَدَّعِي لِأَبِي العَلَاءِ فَضِيلَةً ∴ حَتَّى يُسَلِّمَهَا إِلَيهِ عِدَاهُ (١)

وهو من قصيدته التي قالها في مدح صاعد بن مخلد، ويمدح أبا عيسى ابنه (٢)

وبعد الشاهد (٣) :

مَا المَرْءُ تُخْبِرُ عَنْ حَقِيقَةِ سَرْوِهِ ∴ كَالمَرْءِ تَخْبُرُ سَرْوَهُ وَتَرَاهُ

طَمَحَتْ عُيُونُ الحَاسِدِينَ فَفَضَّهَا ∴ شَرَفٌ بَنَاهُ اللَّهُ حَيثُ بَنَاهُ

ذكر العكبري أن بيت الشاهد مأخوذ من قول الآخر :

* وَالفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الأَعْدَاءُ * (٤)

فالمعنى المشترك في البيتين : الاعتراف بالفضل للممدوح ممن لا يحب، فالمتنبي باشر الأذهان بالمعنى، فبدأ البيت بالإقرار والاعتراف

" يقول : من لا يودّه يقر بفضله، ولا يدفعه لبيانه، ومن لا ينجم يقضي له بالسعد، ولا ينكره لاتصاله ...

فلظهوره ووضوحه لا يُنكر فضله، ولظهور آثار السعادة عليه يحكم له بالسعادة من لا يعرف أحكام النجوم من السعادة والنحوسة " (٥)

---

(١) لم أجده إلا في :
ديوان البحتري - بيروت - : ١/ ٣٣٥، ديوانه - صيرفي - : ٤/ ٢٤٠٣.

(٢) سبقت ترجمته ومطلع القصيدة انظر: ص ٢٦٦.

(٣) لم أذكر أبياتاً قبل الشاهد لأن فكرتها مستقلة عن بيت الشاهد .

(٤) التبيان للعكبري : ٣/ ٣٥٥.

(٥) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

أما البحتري فكان بيته يعتمد على عنصر المفاجأة والإثارة ، فبدأ بيته بالنفي (لا أدّعي) ، وأوقع هذا النفي على لفظ " فضيلة " فأشعر النفس بذم الممدوح ، وأثار فيها الغرابة ، إذ كيف يكون نفي الفضيلة مدحاً ؟

ثم جاءت " حتّى " وكشفت النقاب عن المعنى المخبوء ، وفاجأت السامع بمعنى لم يتوقعه بعد ذلك النفي ، فجعل أعداءه يسلمون له بالفضائل ، ويعترفون له بها قبل ذويه ومعارفه .

وتقديم الجار والمجرور (إليه) أكّد أنه حقيق بهذا التسليم، وبتأخير لفظ (عداه) إلى آخر الشطر يكتمل عنصر المفاجأة والاستغراب . حين تَطّلِع النفس على أن التسليم كان من الأعداء.

الشاهد الثاني بعد الثلاثمائة : (*) (المتقارب)

• قول خالد الكاتب (١) :

رَقَدْتَ وَلَمْ تَرْثِ لِلسَّاهِرِ ∴ وَلَيْلُ المُحِبِّ بِلَا آخِرِ (٢)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٦ ، خفاجي : ٤٤٨ ، شاكر : ٤٩٢ .

(١) هو خالد بن يزيد البغدادي ، أبو الهيثم المعروف بالكاتب ، شاعر غزل من الكتّاب ، كان أحد كتّاب الجيش في أيام المعتصم العباسي ، وكان يهاجي أبا تمام ، أكثر شعره في الغزل ، ويتصف بالرّقة ، توفي في بغداد سنة (٢٦٢ هـ) انظر ترجمته :
الأغاني : ٢٠ / ٢٧٤-٢٨٧ ، تاريخ بغداد : ٨/ ٣٠٨ ، سمط اللآلي : ٣١١/١ ، الأعلام : ٢ / ٣٠١ .

(٢) انظر البيت في :
ديوانه : ٤٨٤ ، الأمالي للقالي : ١ / ١٠٠ ، التشبيهات : ٢١٠ ، المختار من شعر بشار : ١٣ ، خاص الخاص : ١١٥ " منسوبا لخالد بن زيد " ، التمثيل والمحاضرة : ٢١٠ - ذكره كاملاً من غير نسبة - وفي " ٢٤٢ " - ذكر العجز فقط وبدون نسبة أيضا - ، ثمار القلوب : ٢ / ٦٣٤ - عجز البيت فقط - ، بهجة =====

وهو أول بيتين وبعده :

وَلَمْ تَدْرِ بَعْدَ ذَهَابِ الرُّقَـا .·. دِ مَاصَنَعَ (١) الدَّمْعُ مِنْ نَاظِـري (٢)

ذكر القالي في أماليه عن البزّار أن علي بن الجهم كان يستنشده شعر خالد الكاتب ، فلا يراه شيئاً حتى أنشده يوماً بيت الشاهد فقال :

" قاتله الله لقد أدمن الرَّمْيَة حتى أصاب الغِرَّة " (٣)

ويمثل هذا قال الثعالبي في المضاف والمنسوب :

" قد أكثر الشعراء في وصف ليل المحب بالطول فما طالوا ، وحصل خالد الكاتب على الغِرَّة والنكتة " (٤)

ووصف الصفدي بيت الشاهد بالرَّشاقة ، قال :

" وما أرشق قول خالد الكاتب ... البيت " (٥)

ولخالد الكاتب في هذا المعنى أبيات كثيرة منها :

يَالَيْلَـةً طَالَتْ عَلَى نَاظِـرِي .·. كَأَنَّهَا كَانَـتْ بِلَا آخِـرِ

سَهِرْتُهَا شَوقاً إِلى رَاقِـدٍ .·. عَدَا الكَرَى عَنْ طَرْفِي السَّاهِـرِ (٦)

وقال أيضا :

نَامَ الخَلِيُّ وَلَيْلُ طَرْفِي سَاهِـرُ .·. يَامُقْلَتَيَّ أَمَا لِلَيْـلِي آخِـرُ (٧)

=== المجالس : ٣ / ٩٢ ، سمط اللآلي : ١ / ٣١١ ، التبيان للعكبري : ٢ / ١١٨ نثار الأزهار : ٢٣ ، الغيث المسجم : ١ / ٣٤٣ .

(١) رواية التشبيهات ، وبهجة المجالس ، والمختار من شعر بشار ، ونثار الأزهار : " مافعل " .

(٢) رواية بهجة المجالس ، والمختار من شعر بشار ، ونثار الأزهار : " بالناظر " .

(٣) ١ / ١٠٠ .

(٤) ٢ / ٦٣٤ .

(٥) الغيث المسجم : ١ / ٣٤٣ .

(٦) ديوانه : ٢٣٦ .

(٧) ديوانه : ٢٧٤ .

• مع قول بشار : (الطويل)

لِخَدَّيكَ مِنْ كَفَّيكَ في كُلِّ لَيْلَةٍ .·. إلَى أَنْ تَرَى ضَوْءَ الصَّباحِ وِسَادُ

تَبِيتُ تُرَاعِي اللَّيْلَ تَرْجُو نَفَادَهُ .·. وَلَيْسَ لِلَيْلِ العَاشِقِينَ نَفَادُ (١)

وهما من قصيدة له يتغزل بسُعْدى (سعاد) ، ومطلعها :

نَبَا بِكَ خَلْفَ الظَّاعِنِينَ وِسَادُ .·. وَمَالَكَ إلَّا رَاحَتَيْكَ عِمَادُ

وبعده بيت الشاهد الأول وبعده :

كَأَنَّكَ لِلشَّوْقِ الغَرِيبِ إذا سَرَى .·. مِنَ الوَجْهِ مَشْدُودٌ عَلَيْكَ صِفَادُ

وبعده بيت الشاهد الثاني وبعده :

تَقَلَّبُ في دَاجٍ كَأَنَّ سَوَادَهُ .·. إذا انْجَابَ مَوْصُولٌ إِلَيهِ سَوَادُ

المعنى المتحد في البيتين . طول ليل المحبين .

فخالد الكاتب جاء بهذا المعنى مباشرًا وأعلن حقيقة ليل المحبين ، وهو كونه طويلاً ليس له آخر .

أما بشار ، فقد زاد على خالد الكاتب حيث بَصُر بالحركة الداخلية التي تمور في نفس المحب ، فعاش معه بوجدانه ، وتغلغل في أعماق نفسه ، فرأى مافيها من حركة الوجد الدائبة ، والشوق الملح ، فهذه الحالة من النزاع الوجداني جعلته يشعر بطول الليل وعدم انقضائه .

وقوله " تُرَاعي الليل " يصور ملل ذلك المحب ، ومحاولته اليائسة في التخلص من ذلك التبرم .

وقوله (ترجو نفاده) وصلت النفس فيه إلى قمة الضيق والتبرم ، فأخذت تبتهل وترجو نفاد الليل .

---

(١) ديوان بشار : ٣/ ١٢٧ ،
المختار من شعر بشار : ١٣ .

وهنا أشفق الشاعر عليها ، فأعلن لها حقيقة ليل المحب وأنه ليس له نفاد ، لعل في وقوفها على هذه الحقيقة ما يسكن هذا الرجاء اليائس .

وفي تقديم المسند (لليل العاشقين) على المسند إليه (نفاد) تخصيص لذلك الليل بعدم النفاد . وفي هذا تأكيد لهذه الحقيقة .

الشاهد الثالث بعد الثلاثمائة : (*) (الوافر)

• قول أبي تمام :

ثَوَى (١) بِالمَشْرِقَيْنِ (٢) لَهُمْ (٣) ضِجَاجٌ .·. أَطَارَ قُلُوبَ أَهْلِ المَغْرِبَيْنِ (٤)

وهو من قصيدة قالها في مدح إسحاق بن إبراهيم المصعبي (٥) ، ويذكر إيقاعه بالمُحَمِّرَة أصحاب بابك (٦) ، وكانوا تواعدوا إلى موضع علم به ، فوقف لهم فيه ، فكلٌّ من جاء قُتِلَ وحُزَّت أذنه ، حتى وَجَّه إلى المعتصم بستين ألف أُذُن .

ومطلعها :-

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٧ ، خفاجي : ٤٤٨-٤٤٩ ، شاكر : ٤٩٢ .

(١) ثوا : الثَّوَاءُ : طول المُقام ، وثوى بالمكان : نزل فيه وأقام . / اللسان " ثوا " : ١٤ / ١٢٥ .

(٢) قال التبريزي :
" القول في " المشرقين " مشهور ، لأنهما مَشْرِقُ الصَّيفِ ومشرق الشتاء ، وكذلك المغربان " / الديوان بشرح الخطيب التبريزي : ٣/ ٢٩٩ .

(٣) رواية الديوان - دار صعب - ، والدلائل تحقيق شاكر : " لها ضجاج " .

(٤) انظر البيت في :
ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٢٩٩ ، ديوانه - دار صعب - ٢٨٥ ، أخبار أبي تمام للصولي : ٧٨ ، أخبار أبي تمام للبحتري : ١٥١ .

(٥) سبقت ترجمته : ٧٢٦ .

(٦) انظر :
الكامل في التاريخ : ٥/ ٢٢٢ - ٢٧٣ - ٢٨٣ - ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

خَشُنْتِ عَلَيهِ أُخْتَ بَنِي خُشَيْنٍ ∴ وَأَنْجَحَ فِيكِ قَوْلُ العَاذِلَينِ

وقبل الشاهد :

لَقِيتَهُمُ بِحَلَّابِ المَنَايَا ∴ بَعِيدِ الرِّزِّ (١) نَائِي الحَجْرَتَيْنِ (٢)

فَمَا أَبْقَيْتَ لِلسَّيْفِ اليَمَانِي ∴ شَجًا فِيهِمْ وَلَا الرُّمْحِ الرُّدَيْنِي

وَقَائِعُ أَشْرَقَتْ مِنْهُنَّ جَمْعٌ (٣) ∴ إِلَى خَيْفَيْ مِنًى (٤) فَالمَوْقِفَيْنِ (٥)

وبعد هذا الشاهد وبعده :

عَمَمْتَ الخَلْقَ بِالنَّعْمَاءِ حَتَّى ∴ غَدَا الثَّقَلَانِ مِنْهَا مُثْقَلَيْنِ

*** مع قول البحتري :- (الطويل)

تَنَاذَرَ أَهْلُ الشَّرْقِ مِنْهُ وَقَائِعًا .. أَطَاعَ لَهَا العَاصُونَ فِي بَلَدِ الغَرْبِ (٦)

---

(١) الرِّزّ : بالكسر الصوت ، وقيل هو الصوت تسمعه من بعيد ، وقيل هو الصوت تسمعه ولا تدري ماهو ، يقال سمعت رِزَّ الرعد./ اللسان " رزز " : ٥ / ٣٥٣ .

(٢) الحجرتان : الناحيتان / اللسان " حجر " : ٤ / ١٦٨.

(٣) جَمْعٌ : اسم للمزدلفة سميت بذلك للجمع بين صلاتي المغرب والعشاء فيها ، وذكر التبريزي في شرح الديوان أن " جَمْع " اسم لِمنًى أو أنه موضع قريب منه. / انظر :
الديوان بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٢٩٩ ، معجم ما استعجم : ١/٢/ ٣٩٢ .

(٤) خَيْفَي مِنًى : الخَيف : ارتفاع وهبوط في سفح جبل أو غلظ ، وخَيْف اسم يقع مضافاً إلى مواضع كثيرة ، ولا يكون خيفاً إلّا بين جبلين ، وأشهرها خيفُ مِنًى ، ومسجده مسجدُ الخَيف ، وقال التبريزي : والخيف من مِنًى على التوحيد إلّا أن التثنية والجمع في مثل هذه الأشياء جائز. /
الديوان بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٢٩٩ ، معجم ما استعجم : ٥٢٦ .

(٥) الموقفين : أراد الموقف بعرفة والموقف بالمزدلفة ، أو موقف إبراهيم ، أو نحو ذلك من المواضع / انظر :
الديوان بشرح التبريزي : ٣ / ٢٩٩ .

(٦) ديوانه - طبعة بيروت - : ٢/ ٦ .
ديوانه - صيرفي - : ١ / ١٠٦

وهو من قصيدة قالها في مدح عبد الله بن دينار بن عبد الله،[(١)] ومطلعها :

رَأَى البَرْقَ مُجْتَازاً فَبَاتَ بِلا لُبِّ ∴ وَأَصْبَاهُ مِنْ ذِكْرِ البَخِيلَةِ مَا يُصْبِي

وقبل الشاهد :

إِذَا أَثْقَلَ الهِلْبَاجُ[(٢)] أَحْنَاءَ سَرْجِهِ ∴ غَدَا طَرْفُهُ يَخْتَالُ بِالمُرْهَفِ الضَّرْبِ

وبعد الشاهد :

لَجَرَّدَ نَصْلَ السَّيْفِ حَتَّى تَفَرَّقَتْ ∴ عَنِ السَّيْفِ مَخْضُوباً جُمُوعُ أَبِي حَرْبِ

••• وقول مسلم : (البسيط)

لَمَّا نَزَلْتَ عَلَى أَدْنَى دِيَارِهِمُ[(٣)] ∴ أَلْقَى إِلَيْكَ الأَقَاصِي بِالمَقَالِيدِ (٤)

وهو من قصيدة قالها في مدح " داود بن يزيد المهلبي "[(٥)] ومطلعها :

---

(١) لم أقف على ترجمة وافية له ، فكل ماوجدته عنه أنه اشترك في محاربة أبي حرب المبرقع اليماني الذي خرج على السلطان بفلسطين سنة (٢٢٧هـ) ، وكان والده دينار من قواد المأمون المشهورين ، وكان أخوه أحمد من أمراء البحر ، وللبحتري فيه مدائح ، وولي أخوه يزيد مصر سنة (٢٤٣هـ) ورجح محقق الديوان الاستاذ الصيرفي أنه كانت هناك مصاهرة بين أسرة دينار وأسرة سهل . / انظر :
الطبري : ٦ / ٣٩٤، ٨/ ٥٦٩-٥٩٣، ٦٠٧، ٩/ ٣٧٧، ٦٥٤، ثمار القلوب: ٦١٤-٦١٥، تحقيق ديوانه - صيرفي - : ١/ ١٠٤ .

(٢) الهِلْبَاجُ ، والهِلْبَاجَةُ ، والهُلَبِجُ والهُلَابِجُ : الأحمق الذي لا أحمق منه ، الجامع كل شر . / اللسان " هلبج " : ٢ / ٣٩٢ .

(٣) رواية شرح ديوان صريع الغواني : " بِلادِهِم " .

(٤) لم أقف عليه إلّا في : شرح ديوان صريع الغواني : ١٦١ .

(٥) هو داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الطائي المهلبي ، أمير من الشجعان العقلاء ، وكان مع أبيه بإفريقية ، تولى إمارتها وأحسن التصرف فيها (١٧٠هـ) ثم عزل عنها بولاية عمه روح بن حاتم سنة (١٧٢هـ) من قبل الرشيد ، ثم ولّى الرشيد داود إمرة مصر في أواخر سنة (١٧٣هـ) فقدمها سنة (١٧٤هـ) وهدّأ الاضطرابات السائدة فيها ، ثم عُزل عنها سنة =====

لَا تَدَعْ بِي الشَّوْقَ إِنِّي غَيْرُ مَعْمُودِ (١) ∴ نَهَى النُّهَى عَنْ هَوَى الْهِيفِ الرَّعَادِيدِ (٢)

وقبل الشاهد :

نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَادَاوُدُ إِذْ عَلِقَتْ ∴ أَيْدِي الرَّدَى بِنَوَاصِي الضُّمَّرِ الْقُـــودِ

دَاوَيْتَ مِنْ دَائِهَا كَرْمَانَ وَانْتَصَفَتْ ∴ بِكَ الْمَنُونُ لِأَقْوَامٍ مَجَاهِيـــدِ

مَلَأْتَهَا فَزَعاً أَخْلَى مَعَاقِلَهـــا ∴ مِنْ كُلِّ أَبْلَخَ (٣) سَامِي الطَّرْفِ صِنْدِيدِ (٤)

وبعد الشاهد وبعده :

لَمَسْتَهُمْ بِيَدٍ لِلْعَفْوِ مُتَّصِـــلٍ ∴ بِهَا الرَّدَى بَيْنَ تَلْيِينٍ وَتَشْـــدِيدِ

أَتَيْتَهُمْ مِنْ وَرَاءِ الأَمْنِ مُطَّلِعـــاً ∴ بِالْخَيْلِ تَرْدِي بِأَبْطَالٍ مَنَاجِيدِ (٥)

ذكر الصولي في أخبار أبي تمام ، وأخبار البحتري أن أبا تمام أخذ قوله من قول مسلم بن الوليد ، وأن البحتري قال في هذا المعنى :

غَدَا غَدْوَةً بَيْنَ الْمَشَارِقِ إِذْ غَدَا ∴ فَبَثَّ حَرِيقاً في أَقَاصِي الْمَغَـــارِبِ (٦)

=== (١٧٥هـ) وولاه الرشيد أمر السند (١٨٤هـ) وبقي على إمرتها حتى توفي (٢٠٥هـ)) / انظر :

تاريخ الطبري : ٨ / ٢٧٢ ، ٥٨٠ ، الكامل لابن الأثير : ٥ / ٨٥ ، ١٩٧ ، النجوم الزاهرة : ٢ / ٣ ، ٧٥-٧٨ ، ١١٦ ، الأعلام : ٢ / ٣٣٦ .

(١) مَعْمُود وَعَمِيد وَمُعَمَّد : هَدَّه العشق . / القاموس المحيط (عمد) : ١ / ٣٢٩ .

(٢) الرعاديد : امرأة رِعديدة : يترجرج لحمها من نَعْمتها . / اللسان " رعد " : ٣ / ١٧٩ .

(٣) أبلخ : البَلَخ مصدر الأَبْلَخ وهو العظيم في نفسه ، الجريء على ما أتى من الفجور ، والبَلَخ التكبر / اللسان " بلخ " : ٣ / ٩ .

(٤) شرح ديوانه : ١٦١ .

(٥) المصدر السابق : ١٦٢ .

(٦) أخبار أبي تمام : ٧٨ ، أخبار البحتري : ١٥١ .

فالمعنى المتحد بين هذه الأبيات : خضوع الشرق والغرب للممدوح . فأبوتمام جعل ممدوحه يقيم في المشرقين ، ولكن بفضل ذلك الجيش العظيم الذي يُسمع له غلبةً وضجيجاً ، أثبت حكمه في بلد الغرب.

وقوله " ضِجَاج " صفة مشبهة على وزن فِعال دلت على عظيم الجلبة وقوتها ، فالضجيج صفة قائمة بهم قياماً ثابتاً لا حادثاً متجدداً .

وتقديم المسند - الجار والمجرور - " لهم " على المسند إليه " ضِجَاج " للتوكيد وتقوية الحكم ، وفي هذا مافيه من كشف لمعاني القوة والشجاعة الكامنة في هذا الجيش. وانظر إلى دقة اختيار أبي تمام لألفاظه التي بعثت في موسيقى البيت جلبة ورنيناً " ضِجَاج - أطار " .

أما البحتري فممدوحه أكثر شجاعة من ممدوح أبي تمام ، فهو لم يكلفه تجهيز الجيوش العظيمة ، فمجرد سماع أهل الشرق لإنذاره بالوقائع يخضع له العاصون في بلاد الغرب ، وقوله : " تناذر " بدلاً من " نذر " دل على شدة الإنذار وقوته ، وتركيب الفعل على هذا الوجه دل على أن هناك حركة فزعٍ وخوف دبت في النفوس ، فأخذ بعضهم ينذر بعضاً .

وتقديم الجار والمجرور في قوله : " أطاع لها العاصون " جزم بانتصار تلك الوقائع، وخضوع العاصين وتسليمهم .

أما مسلم بن الوليد ، فممدوحه أكثر شجاعة ورهبة في صدور أعدائه من ممدوح سَابِقَيه ، فليس هناك ضجيج ، ولا معارك ، ولا تناذر بالوقائع ، ولا إجبار على الخضوع والطاعة ، فهو لم يكلفه هذا العناء ، فهو بمجرد نزوله على أول أطراف الديار يقبل عليه أهل الأقاصي بالإذعان طائعين مختارين ، فقوله : " ألقىٰ إليك الأقاصي " ، تركيب بديع فـ" الإلقاء " صَوَّر إسراعهم للطاعة بمحض إرادتهم، وتقديم الجار والمجرور " إليك " على المسند إليه " الأقاصي " تعظيم وإكبار لهذا الممدوح ، وتنويه بشجاعته .

ومجيء لفظ الأقاصي بالجمع دليل على شمول الطاعة وعموم التسليم .

الشاهد الرابع بعد الثلاثمائة : (*) (البسيط)

• قول محمد بن بشير:(١)

أفْرُغْ لِحَاجَتِنَا مَادُمْتَ مَشْغُولَا .·. فَلَوْ فَرَغْتَ لَكُنْتَ الدَّهْرَ مَبْذُولَا (٢)

•• مع قول أبي علي البصير:(٣)

فَقُلْ لِسَعِيدٍ أَسْعَدَ اللَّهُ جَدَّهُ .·. لَقَدْ رَثَّ حَتَّى كَادَ يَنْصَرِمُ الحَبْلُ
فَلَا تَعْتَزِرْ(٤) بِالشُّغْلِ عَنَّا فَإِنَّمَا .. تُنَاطُ بِكَ الآمَالُ مَا اتَّصَلَ الشُّغْلُ (٥)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٧، خفاجي : ٤٤٩، شاكر: ٤٩٣.

(١) سبقت ترجمته : ص ١١٧.

(٢) لم أقف عليه فيما اطلعت عليه من مصادر .

(٣) هو الفضل بن جعفر بن الفضل بن يونس الكاتب الأنباري ، وهو فارسي الأصل ، وكان ضريراً ، لُقِّب بالبصير لذكائه ، وكان يتشيع وهو أحد الأدباء البلغاء الظرفاء ، وكان مترسلاً بليغاً ، قدم "سُرَّ مَنْ رَأَى" في أول خلافة المعتصم ، ومدحه والخلفاء بعده ، ورؤساء أهل العسكر ، توفي بسر من رأى (٢٥٥هـ) / انظر ترجمته وبعض أشعاره في :
طبقات ابن المعتز: ٣٩٧، ٣٩٨ ، الفهرست : ١٧٨ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٣١٤، ثمار القلوب : ٥٦ ، ٧٣، زهر الآداب : ٢/ ٤٣٥-٤٣٧ ، سمط اللآلي : ١ / ٢٦٦ ، نهاية الأرب ٣ / ٩٣، نكت الهميان : ٢٢٥ ، الأعلام : ٥ / ١٤٧.

(٤) رواية عيون الأخبار ، معجم الشعراء ، وديوان المعاني ، وبهجة المجالس : "ولا تعتذر".

(٥) انظر البيت في :
عيون الأخبار : ٣ / ٨ / ١٢٥ - ذكر البيت الثاني فقط ومن غير نسبة - معجم الشعراء للمرزباني : ٣١٤- ذكر البيت الثاني وقبله بيت آخر - ديوان المعاني : ١ / ١٦٩ ، ذكر البيت الثاني وقبله بيت آخر ومن غير نسبة، التمثيل والمحاضرة : ٩١- البيت الثاني فقط -، بهجة المجالس : ٢ / ٤٩٠ - البيت الثاني فقط وبعده بيت آخر ومن غير نسبة - نهاية الأرب : ٣ / ٩٣ - البيت والثاني فقط.

وقبل بيت الشاهد الثاني :

وَلَكِنْ(١) عِنْدَ مَا نَرْجُوهُ(٢) مِنْكَ فَإِنَّنَا(٣) .·. جَمِيعاً لِمَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنٍ أَهْلُ(٤)

وذكر بعد الشاهد الثاني قوله :

وَلَا تَرْتَفِعْ عَنَّا بِشَيْءٍ وَلِيتَــــهُ .·. كَمَا لَمْ يَصْغُرْ عِنْدَنَا شَأْنَكَ الْعَزْلُ(٥)

والمعنى الذي يجمع البيتين هو عتاب الممدوح على الانشغال عنهم ورجاؤه بأن يلتفت إليهم .

وبتأمل البيتين نجد أن أبا علي البصير أرق مشاعر، وألين عتاباً ، وألطف رجاءً فهو أخبر بتحريك العواطف، واجتذابها ، فقوله : " أسعد الله جَدَّه" دعاء من شأنه أن يثير عاطفة الحنو عند المعاتب ، ويرقق مشاعره .

وقوله : " لقد رثَّ " تأكيد بأن العطاء قد قل .

وقوله : " رَثَّ حتى كَادَ يَنْصَرِمُ الحَبْلُ" كناية عن قرب انقطاع أوشاج الصلات، وفي هذه الكناية عتاب ولوم على القطيعة التي كادت تحل ، فهو لم يجزم بالقطيعة، ولم يعلـــــن الجفاء إعلاناً .

فـ" كاد " هنا أفادت أن القلوب مازالت راغبة في الوصل ، وقوله : " فَلَا تَعْتَذِرْ بالشُّغْلِ عَنَّا " مبدوءاً بلا الناهية يحمل روح الرجاء والاستعطاف، فهو يترجاه أن لا يجعل الشـــغل هو عذره .

وقوله : " فَإِنَّمَا تُنَاطُ بِكَ الآمَالُ مَا اتَّصَلَ الشُّغْلُ" ألطف من قول الأول " فَلَو فَرَغْـــتَ لَكُنْتَ الدَّهْرَ مَبْذُولا " فأبو علي البصير أخلص عاطفة وأكبر حُبَّاً للمعاتَب ، وأكثر رجـــاءً واستعطافاً ، فقد أكد له إناطة الآمال به في جميع الأوقات حتى في وقت انشغاله، فجاء بأسلوب القصر" إنما " لتذكير المخاطب وتنبيهه من غفلته، فإناطة الآمال به وحاجتهم إليه أمر يعلمه .

وفي تقديم الجار والمجرور " تُنَاطُ بِكَ الآمال " كشف عن كثير من مشاعر الرَّجاء المخبوءة في نفس الشاعر ، والعرب يقدمون مثله ، لأن بيانه عندهم أهم ، وهم بشأنه أعنى، أما محمد بن بشير فجعل رجاءه في كرم الممدوح مشروطاً بفراغ المُعَاتَب ، فإن فرغ لهم كان كريماً ، وفيمـــا عدا ذلك تنفي وتمتنع عنه هذه الصفـــة، فجاء بـ"لو" وهي حرف امتناع لامتناع ، وفي هـــذا تقليل لمعنى الرجاء .

---

(١) رواية معجم الشعراء : " فكن" . (٢) رواية معجم الشعراء : " ما أملت فيـك " .
(٣) رواية معجم الشعراء : " فإنما " .
(٤) انظر البيت في : معجم الشعراء للمرزباني : ٣١٤ ، ديوان المعاني : ١/ ١٦٩ .
(٥) انظر البيت في : بهجة المجالس : ٢/ ٤٩٠ .

الشاهد الخامس بعد الثلاثمائة : (*) (الكامل)

• وقول البحتري :

مِنْ غادةٍ مُنِعَتْ وَتَمْنَعُ وَصْلَها (١) .·. فَلَوْ أَنَّها بُذِلَتْ لَنا لَمْ تَبْذُلِ (٢)

وهو من قصيدة قالها في مدح محمد بن علي بن عيسى القمي الكاتب (٣)

ومطلعها :

أَهْلاً بِذَلِكُمُ الخَيالِ المُقْبِلِ .·. فَعَلَ الَّذِي تَهْواهُ (٤) أَوْلَمْ يَفْعَلِ

وبعده بيت قبل الشاهد :

بَرْقٌ سَرَى فِي بَطْنِ وَجْرَةَ فاهْتَدَتْ .·. بِسَناهُ أَعْناقُ الرِّكابِ الضُّلَّلِ

وبعده الشاهد وبعده :

كَالْبَدْرِ غَيْرَ مُخَيَّلٍ وَالْغُصْنِ غَيْـ .·. ـرَ مُمَيَّلٍ وَالدِّعْصِ (٥) غَيْرَ مُهَيَّلِ

•• مع قول ابن الرومي (٦) :

وَمِنَ الْبَلِيَّةِ أَنَّنِي .·. عُلِّقْتُ مَمْنُوعاً مَنُوعَا (٧)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٧ ، خفاجي : ٤٤٩ ، شاكر : ٤٩٣ .

(١) رواية الديوان والموازنة والصناعتين وإعجاز القرآن للباقلاني : " وَتَمْنَعُ نَيْلَها " .

(٢) لم أجد البيت إلا في : ديوانه : ٢/٣٦٦ ، ديوانه – صيرفي – : ٣/١٧٤٢ ، الموازنة : ٢٨٣ ، الصناعتين : ٢٥٤ ، إعجاز القرآن للباقلاني : ٢٢٢ .

(٣) سبقت ترجمته : ٧٦٥ .

(٤) رواية الديوان – صيرفي – : " تهواه " بالنون .

(٥) الدِّعص : ما استدار من الرمل ./ فقه اللغة : ٢٩٩ – ٣٠٠ .

(٦) ونسب البيت في الموازنة والصناعتين لعبد الصمد بن المعذل ، وقد سبقت ترجمته : ٢٤٩ .

(٧) انظر البيت في : ديوان ابن الرومي : ٤ / ١٤٦٢ ، الصناعتين : ٢٥٤ ، الموازنة – محمد محيي الدين – ٢٨٣ .

وهو من قصيدة مطلعها :

وَهَبَتْ لَهُ عَيْنِي الهُجُوعَا ∴ فَأَثَابَهَا مِنْهُ الدُّمُوعَا

وبعده بيت قبل الشاهد :

ظَبْيٌ كَأَنَّ بِخَصْرِهِ ∴ مِنْ ضُمْرِهِ (١) ظَمَأً وَجُوعَا (٢)

وبعد الشاهد :

مَنْ سَائِلٌ قَمَرَ الدُّجَى ∴ مَابَالُهُ تَرَكَ الطُّلُوعَا

ذكر الآمدي في الموازنة بعد قول الشاعر :

ظَبْيٌ كَأَنَّ بِخَصْرِهِ . . .

قوله :

إِنِّي عَلِقْتُ لِشِقْوَتِي ∴ يَاقَوْمِ مَمْنُوعاً مَنِيعَا (٣)

وأعتقد أنه بيت الشاهد مع اختلاف الرواية .

ذكر الآمدي أنَّ البحتري قد أخذ بيته (مِنْ غَادَةٍ مُنِعَتْ) من قول عبد الصمد ابن المعذل إلَّا أنه زاد على عبد الصمد بقوله :

" لَوْ بُذِلَتْ لَنَا لَمْ تَبْذُلِ " (٤)

وذهب أبو هلال العسكري غير مذهب الآمدي ، فرأى أن البحتري قد أخذ بيته من عبد الصمد بن المعذل إلَّا أنه قصر فيه . قال :

" بيت عبد الصمد أبين معنىً مع شدة الاختصار ، وبيت البحتري كالعويص لا يقام (إعرابه) إلَّا بعد نظر طويل " (٥)

وعلق الباقلاني على بيت البحتري ورأى أنه قد طول فيه وتكلف المطابقة ، وتجشَّم الصنعة . قال :

---

(١) رواية الموازنة : " من رِقَّةٍ " ، ورواية الصناعتين " مِنْ دِقَّةٍ " .

(٢) الموازنة : _ محمد محيي الدين _ : ٢٨٣ ، ديوان المعاني : ١ / ٢٥ ، الصناعتين : ٢٥٤ .

(٣) الموازنة : _ محمد محيي الدين _ ٢٨٣ .

(٤) الموازنة : ٢٨٣ .

(٥) الصناعتين : ٢٥٤ .

" فالبيت الأول - على ما تكلف فيه من المطابقة ، وتَجَشَّم الصنعة - ألفاظُه أوفر من معانيه ، وكلماتُه أكثر من فوائده ، وتعلم أن القصد وضع العبارات في مثله ، ولو قال : هي ممنوعة مانعة ، كان ينوب عن تطويله ، وتكثيره الكلام ، وتهويله ، ثم هو معنى متداول مكرّر على كل لسان " (١)

وذهب الدكتور أبو موسى إلى غير ما ذهب إليه الباقلاني ، فعنده أن بيت البحتري من الشعر الرائع الذي لا يقوله إلاّ من كان في طبقته ، فهو رصين البناء محكم النسج ، قال :

" ... فالشعر هو البنية التي أقامها الشاعر ، وحين ندخل فيها تغييراً ما تكون بذلك قد هدمناها ، وصرنا إلى غيرها وقولنا : " هي ممنوعة مانعة " كلام تحت كل لسان ، أما قول البحتري ، فهو شعرٌ لا يقوله إلاّ من كان في طبقته .

وانظر كيف بدأ الحديث عنها بذكر " الغَيَد " وهو شارة النعمة والرَّفه والصون ، والغادة هي الناعمة البينة الغَيَد .

وتأمل كيف انتقل الكلام إلى وصف صونها ، وعفافها وكيف سلك سبيله في بيان ذلك ، فقال : " مُنعت " وأشار بذلك إلى من حولها من أهل بيتها وعشيرتها ، وأنهم أهل حفاظ ومنعة ثم قال : " وتمنع نيلها " فانتقل الكلام إلى ذات نفس الغيداء لأن صونها وعفافها لا يجوز أن يكون أمراً جاءها من خارج نفسها ، نعم .. إن من تمامه أن تكون هذه الخلال خلال الأهل والعشيرة ، لأن شرف النفوس يجري مع كرم العروق .

ثم إن الشاعر وقف عند هذا المعنى وأعطاه البيت كله ، وهو في ذلك يترقى بالمعنى ، ويسمو به ، ويزيد في تأصيله وتقريره ، ويفْتَنُّ في الإبانة عنه ، انظر إلى الجملة الخاصة بوصف منعة العشيرة لها ، تجدها كلمة واحدة " مُنِعَت "

---

(١) إعجاز القرآن : ٢٢٢ - ٢٢٣ .

ولما انتقل الكلام إلى وصف عفافها الذي هو خلقها، طالت الجملة" وتمنع نيلها" وكأن الشاعر يريد أن يُسمع بها، وانتقل إلى صيغة المضارع بعد الماضي في الأولى مشيراً بذلك إلى أنه خلق يتجدد في ذات نفسها، وكأنها تستمده من نبع فيّاض، ثم انظر كيف رجع الكلام ونفى أن يكون صون رهطها لها مما له مدخل في تصوّنها، وحفاظها، وكيف سلك إلى ذلك سبيلاً من التوكيد لا تراه إلّا في حر الكلام " فلو أنها بُذِلَتْ لَنَا لَمْ تَبْذُلِ " و "لو" هذه أكثر ما تكون لبيان امتناع جوابها لامتناع شرطها ، ولهذا عُرفت في كلام المعربين بأنها حرف امتناع لامتناع . . . " (١)

ويبدو لي أن ذكره " بذلها " وإن كان على سبيل الافتراض مما تنبو عنه الطباع السليمة، والأنفة والحِفَاظ، إذ كيف يفترض الشاعر أن قومها ربما بذلوها في حين أنه ذكر " المنع " في أول البيت ؟ وماقيمة هذا المنع إذا كانوا بفرض أن يبذلوها هم فتأبى هي ؟

الشاهد السادس بعد الثلاثمائة : (*) (الطويل)

• قول أبي تمام :

لَئِنْ (٢) كَانَ ذَنْبِي أَنْ أَحْسَنَ (٣) مَطْلَبِي ∴ أَسَاءَ (٤) فَفِي سُوءِ القَضَاءِ لِي العُذْرُ (٥)

وهو من قصيدة قالها يفخر بقومه عند انصرافه من مصر مطلعها :

تَصَدَّتْ وَحَبْلُ البَيْنِ مُسْتَحْصِدٌ شَزْرُ ∴ وَقَدْ سَهَّلَ التَّوْدِيعُ مَاوَعَّرَ الهَجْرُ

وقبل الشاهد :

---

(١) الإعجاز البلاغي : ٣٢٣-٣٢٤.
(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٨، خفاجي : ٥٠٤، شاكر: ٤٩٣-٤٩٤.
(٢) رواية الديوان وأخبار أبي تمام : " فإن كان " .
(٣) رواية الديوان : " أَحْسَنَ " .
(٤) رواية الديوان : " أَسَاءَ " .
(٥) انظر البيت في :-
ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٤ / ٥٧١، ديوانه - دار صعب - : ٤٢٣ ، أخبار أبي تمام : ٥١، أخبار البحتري : ١٦٠.

وَمَا القَفْرُ بِالبِيدِ القَوَاءِ بَلِ الَّتِي[1] ∴ نَبَتْ بِي وَفِيهَا سَاكِنُوهَا هِيَ القَفْـــرُ

وَمَنْ قَاسَرَ الأَيَّامَ عَنْ ثَمَرَاتِهَـــا ∴ فَأَحْجِ بِهِ أَنْ تَنْجَلِي وَلَهَا القَسْــرُ

وبعدها الشاهد وبعده :

قَضَاءُ الَّذِي مَازَالَ فِي يَدِهِ الغِنَى ∴ ثَنَى غَرْبَ آمَالِي وَفِي يَدِي الفَقْـــرُ

رَضِيتُ وَهَلْ أَرْضَى إِذَا كَانَ مُسْخِطِي ∴ مِنَ الأَمْرِ مَافِيهِ رِضَا مَنْ لَهُ الأَمْـــرُ

-- مع قول البحتري : (البسيط)

إِذَا مَحَاسِنِي اللَّاتِـي أُدِلُّ بِهَـا[2] ∴ كَانَتْ ذُنُوبِي فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَذِرُ (٣)

وهو من قصيدة له في مدح علي بن مر الأرمني[4]، ومطلعها :

فِي الشَّيْبِ زَجْرٌ لَهُ لَوْ كَانَ ينزجـر ∴ وَبَالِغٌ مِنْهُ لَولَا أَنَّـهُ حَجَـــرُ

وقبل الشاهد :

قَالَتْ مَشِيبٌ وَعِشْقٌ أَنْتَ بَيْنَهُمَــا ∴ وَذَاكَ فِي ذَاكَ ذَنْبٌ لَيْسَ يُغْتَفَـــرُ

وَعَيَّرَتْنِي سِجَالَ العَدْمِ جَاهِلَــةً ∴ وَالنَّبْعُ عَرْيَانُ مَافِي فَرْعِـهِ ثَمَــرُ

وبعدها أبيات ، وبعدها البيت وبعده :

---

(١) رواية الديوان ـ دار صعب ـ : " القفار " .

(٢) رواية أخبار البحتري ، وأخبار أبي تمام : " اللائي " .

(٣) انظر البيت في :

ديوانه : ٢ / ٣٠٨ ، أخبار أبي تمام : ٥١ ، أخبار البحتري : ١٦٠ ، التمثيل والمحاضرة : ٩٩ ، محاضرات الأدباء : ١ / ٢٣٩ ، نهاية الأرب : ٣ / ٩٨ .

(٤) ذكر محقق الديوان ـ الصيرفي ـ أنه ليس هناك مراجع تشير . إلى أنّ علي بن مر (ويلقب بالطائي) كان يلقب بالأرمني ، ولكن هناك علي بن يحيى الأرمني ، أبو الحسن الذي ولي مصر ، وقد هجا البحتري علي بن مر في قصيدة أخـــرى وكذلك فعل مع ابنه مُر بن علي حيث مدحه مرة ثم هجاه أخرى ./ انظـــر : تحقيق الديوان ـ صيرفي ـ : ٢ / ٩٥٣ ، الطبري : ٩ / ٥٤ .

أَهُزُّ بِالشِّعرِ أَقْوَاماً ذَوِي وَسَنٍ ∴ فِي الجَهْلِ لَوْ ضُرِبُوا بِالسَّيفِ مَا شَعَرُوا

ذكر الصولي أن البحتري قد أخذ بيته من أبي تمام السابق ، " فَإِنْ كَانَ ذَنْبِي أَنْ أَحْسَنَ مَطْلَبِي . . . البيت " .

وقد أخذاه جميعاً من قول أبي حنش الفزاري (١) حين فرّ عن حذيفة بن بدر يوم الهباءة (٢) :

وَكَمْ مِنْ مَوْقِفٍ حَسَنٍ أُحِيلَتْ ∴ مَحَاسِنُهُ فَعُدَّ مِنَ الذُّنُوبِ (٣)

فمعنى البيتين أنه قد يقع اللوم على الإنسان من حيث يتوقع الشكر ، وهذا أشد ألماً للنفس ، وتظهر معالم هذا الألم في بيت البحتري أكثر من بيت أبي تمام .

ويلاحظ أن كلا البيتين بُني على الشرط ، إلّا أنّ البحتري كان أدق في اختيار شرطه .

فأبو تمام جاء بـ(إن) الشرطية ، والبحتري جاء بـ(إذا) وفرقٌ كبير بين معنى الأداتين ، فأبو تمام اقتصر على أن بين أن حسن مطلبه كان ذنباً له ، واعتذر لذلك بسوء القضاء ، واحتجاجه بسوء القضاء احتجاج غير قوى ؛ لأنه مبني على " إن " الشرطية التي لا تجزم بوقوع الشرط ، وتأتي في الأحوال النادرة الوقوع أما البحتري فكان أرهف حساً وأشد ألماً ، فجاء بـ(إذا) الشرطية التي تجزم بوقوع الخبر ، وتأتي في الأفعال الكثيرة الوقوع فأفادت أن محاسنه كثيرة دائمة ، مشهود لها بهذه الكثرة فكيف وقع فيها الشك ؟

---

(١) لعله أبو حنش " عصم " بن النعمان بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير من جشم بن بكر ، وقيل هو أحد بني ثعلبة بن بكر ، وهو فارس العصا ، وهو قاتل شرحبيل الملك بن الحارث بن عمرو المقصور بن حجر آكل المرار الكندي يوم الكلاب " ./ انظر : معجم الشعراء للمرزباني : ٢٧٤ .

(٢) يوم الهباءة " وهو يوم الجفر " لعبسٍ على ذبيان ، والهباءة أرض ببلاد غطفان كانت فيها الموقعة ، وجفر الهباءة وهو مستنقع في هذه الأرض ، وفي هذه الموقعة قُتل حذيفة بن بدر ، / انظر : العمدة : ٢/ ٢٠٢ ، معجم البلدان : ٥/ ٣٨٩ .

(٣) أخبار البحتري للصولي : ١٦٠ .

وٱنظر إلى فعل الأمر (فقل لي) وما يحمله من معاني التضرع والرجاء ، وبناء الأمر على طريقة الحوار فيه احياء للعبارة ففيها أخذ ورد يجعل القاريء أو السامع وكأنه أمام مشهد يسمعه ويراه .

ثم ٱنظر إلى الاستفهام (كيف أعتذر) ومافيه من معنى الحيرة وٱنعدام الحيلة ، والاستغراب في أن يُشَكَّ في محاسنه .

الشاهد السابع بعد الثلاثمائة : (*) (البسيط)

• قول أبي تمام :

* قَدْ يُقْدِمُ العَيْرُ مِنْ ذُعْرٍ عَلَى الأَسَدِ * (١)

ذكر الشيخ صدر البيت ، وعجزه :

أَطَلْتَ رَوْعَكَ حَتَّى صِرْتَ لِي غَرَضاً

وهو من قصيدة له يهجو فيها محمد بن يزيد (٢) ، ومطلعها :

أَفِيَّ تَنْظِمُ قَوْلَ الزُّورِ وَالفَنَدِ .·. وَأَنْتَ أَنْزَرُ مِنْ لَا شَيْءَ فِي العَدَدِ

وقبل الشاهد :

أَنْحَفْتَ جِسْمَكَ حَتَّى لَوْ هَمَمْتَ بِأَنْ .·. أَلْهُو بِصَفْعِكَ يَوْماً لَمْ تَجِدْكَ يَدِي

• • قول البحتري : (الطويل)

فَجَاءَ مَجِيءَ العَيْرِ قَادَتْهُ حَيْرَةٌ .·. إِلَى أَهْرَتِ الشِّدْقَيْنِ تَدْمَى أَظَافِرُهْ (٣) (٤)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٨ ، خفاجي : ٤٥٠ ، شاكر : ٤٩٤ .

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٤/ ٣٥١ ، الموازنة : ٣١٦ ، التمثيل والمحاضرة : ٣٤٤ .

(٢) لم أقف على ترجمة له ، ولعله يقصد بمحمد بن يزيد ، أبا العباس "المبرد" النحوي المشهور (٢١٠- ٢٨٥ هـ ، وقيل : ٢٨٦ هـ) ولكن لا أعلم الداعي إلى هجائه ؟ !

(٣) الهَرَتُ : سَعَةُ الشِّدْقِ ، وَالهَرِيتُ وَاسِعُ الشِّدقين ، وقد هَرِت - بالكسر - وهو أَهْرَتُ الشِّدق وهريته ، وَأَسَدٌ أَهْرَتُ بَيِّنُ الهَرَت ، فالشاعر أراد هنا بأهرت الشدقين الأسد ./ اللسان " هرت " : ٢ / ١٠٣-١٠٤ .

(٤) ديوانه : ١ / ٢٨٤ ، الموازنة : ٣١٦ .

وهو من قصيدة له قالها في مدح يوسف بن محمد ، ومطلعها :

لَهُ الوَيْلُ مِنْ لَيْلٍ بِطَاءٍ أَوَاخِرُه ∴ وَوَشْكِ نوى حَيٍّ تَزَمُّ أَبَاعِرُهْ

وقبل الشاهد :

وَمَاكَانَ بُقْرَاطُ بنُ اشُوطَ عِنْدَهُ ∴ بِأَوَّلِ عَبْدٍ أَسْلَمَتْهُ جَرَائِرُهْ

وَقَدْ شَاغَبَ الإِسْلَامَ خَمْسِينَ حِجَّةً ∴ فَلَا الخَوْفُ نَاهِيهِ وَلَا الحِلْمُ زَاجِرُهْ

وَلَمَّا التَقَى الجَمْعَانِ لَمْ تَجْتَمِعْ لَهُ ∴ يَدَاهُ وَلَمْ يَثْبُتْ عَلَى الخَوْفِ نَاظِرُهْ

وَلَمْ يَرْضَ مِنْ جَرْزَانَ حِرْزاً يُجِيرُهُ ∴ وَلَا فِي جِبَالِ الرُّومِ رَيْداً (١) يُجَاوِرُهْ

فَجَاءَ مَجِيءَ العِيرِ . . البيت .

وبعده :

وَمَنْ كَانَ فِي اسْتِسْلَامِهِ لَائِماً لَهُ ∴ فَإِنِّي عَلَى مَاكَانَ مِنْ ذَاكَ عَاذِرُهْ

ورأى الآمدي أن هذا المعنى متداول كثير الاستعمال . قال :

" أو لم يسمع ما هو كالمجمع عليه من أن العير إذا رأى السبع أقبل إليه من شدة خوفه منه حتى صار مثلاً يتمثل به ، كما يتمثل بالفراشة إذا تهافتت في النار ، وفي ذلك أمثال ، وأشعار كثيرة ، فما أظن علمها سقط عن البحتري " (٢) وكأن الآمدي يرى أنه لا أخذ هنا .

فالصورة المشتركة في البيتين هي صورة إقبال العير على الأسد لفرط ذعره . فأبو تمام صاغ هذه الحقيقة كما هي واقعة ومشاهدة بمعنى صريح مباشر ، فذكر أن العير إذا اشتد خوفه وذعره من الأسد أقبل عليه .

---

(١) ريداً : الريد الحَيْدُ ، وهو الحرف الناتيء من الجبل والجمع ريود /. الصحاح " ريد " : ٢ / ٤٧٩ .

(٢) الموازنة : ٣١٦ .

أما البحتري، فصاغ المعنى صياغة أجود، فقوله : " فجاء مجيء العير" دل على انقياد واستسلام تام من ذلك العير، وَجَعْلِه الحيرة قائدًا دل على فرط الذعر والتخبط في الأمر، وفي تنكير لفظ " حيرة " دليل على عظمها وهولها فهي حيرة غير معهودة .

وانظر كيف أنه لم يصرح بلفظ " أسد " كما فعل أبو تمام بل جاء له بصورة صوَّرت المنظر المفزع المرعب، والذي أصاب العير بتلك الحيرة الشديدة .

" إلى أَهْرَتِ الشِّدْقَينِ تَدْمَى أَظَافِرُهْ "

الشاهد الثامن بعد الثلاثمائة : (*) (الطويل)

• قول معن بن أوس :(١)

إذا انْصَرَفَتْ نَفْسِي عَنِ الشَّيءِ لَمْ تَكَدْ(٢) .·. إلَيهِ(٣) بِوَجْهٍ آخِرَ الدَّهْرِ تُقْبِلُ (٤)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٨، خفاجي : ٤٥٠، شاكر: ٤٩٤.

(١) هو معن بن أوس بن نصر بن زياد المزني (٠٠-٦٤هـ) شاعر فحل من مخضرمي الجاهلية والإسلام، مدح جماعة من الصحابة، كف بصره في أواخر أيامه، وكان كثير التردد إلى عبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فيبالغان في إكرامه، له أخبار مع عمر بن الخطاب، وكان معاوية بن أبي سفيان يفضله ويقول : " أشعر أهل الجاهلية زهير بن أبي سلمى، وأشعر أهل الإسلام ابنه كعب، ومعن بن أوس "، مات في المدينة، وله ديوان شعر مطبوع/انظر ترجمته : جمهرة أنساب العرب: ٢٠٢، سمط اللآلي : ٢/ ٧٣٣، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٣/ ٧٨، شرح شواهد المغني : ٢/ ٨٠٨، خزانة البغدادي : - دار صادر - : ٣/ ٢٥٨، الأعلام: ٧/ ٢٧٣.

(٢) رواية عيون الأخبار: " لم تكن " .

(٣) رواية زهر الآداب : ٣/ ٨٧٣" على " .

ورواية زهر الآداب (٣ / ٨٧٤) " عليه ".

(٤) انظر البيت في :

ديوانه : ٧٤، عيون الأخبار: ١/ ١/ ٢٤، معجم الشعراء للمرزباني : ٤٠٠، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٣/ ١١٣١، أمالي المرتضى : ٢ / ٢٦١، زهر الآداب: ٣/ ٨٧٣، ٨٧٤، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٣/ ٨٠، لباب الآداب ٤٠٠، شرح الشواهد للعيني - هامش خزانة البغدادي - دار صادر-: ٣/ ٤٤٠.

وهو من قصيدة قالها في صديق له كان معن متزوجاً بأخته، فاتفق أنه طلقها، وتزوج غيرها، فآلى صديقه أن لا يكلمه أبداً، فأنشأ معن أبياته يهز بها قلب صديقه، ومطلع القصيدة :

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لأَوْجَلُ (١) ∴ عَلَى أَيِّنَا تَغْدُو المَنِيَّةُ أَوَّلُ

وقبل الشاهد :

وَكُنْتُ إِذَا مَا صَاحِبٌ رَامَ ظِنَّتِي ∴ وَبَدَّلَ سُوءًا بِالَّذِي كُنْتُ أَفْعَلُ

قَلَبْتُ لَهُ ظَهْرَ المِجَنِّ (٢) فَلَمْ أَدُمْ ∴ عَلَى ذَاكَ إِلَّا رَيْثَمَا أَتَحَوَّلُ

وبعدهما البيت، وهو آخر أبيات القصيدة .

يقول المرزوقي في شرح البيت :

" يقول : وإذا رأيت صاحبي يتجنّى عَلَيّ ويتجرّم، ويتطلّب على ما ينتج ظِنَّةً، ويولّدُ تهمة، وطفق يُقبح آثاري ويبدّل حسناتي، اتّخذته عدوًّا، وقلبتُ له ظهر التُّرس متّقيًا منه، ومُدَقِّعًا له، ولم أدُمْ على تلك الحال المتقدّمة معه إلاّ قدرَ ما أتحوّل، وبُطء ما أتنقّل، فقوله " رام ظِنَّتي " أي رام ارتفاع التُّهمة عليّ، وقوله : " بالذي كنتُ أفعل " أي أفعلُه فحذف الضمير استطالةً لصلة الذي .

وقوله : " إذا انصرفَت نفسي " يريد أنّي أمُدُّ نَفَسَ التصبر ما أمكن، فإذا أعجزتني الحالُ العارضة عن الاحتمال انصرفتُ مالكاً عناني، ثم لا يثنيني على ما أعرضت عنه شيء أبد الدهر، وقوله " بوجهٍ " الباء تعلّق بقوله " تُقبل " أي لم تكد تُقبل إليه بوجهٍ من الوجوه، وعلى لون من الألوان ".(٣)

---

(١) رواية زهر الآداب : " على أينا تأتي " .

(٢) المجن : الترس، وقوله : قلبت له ظهر المجن مثل يضرب لمن كان صاحبه على مودة ورعاية ثم حال عن العهد / اللسان " جنن " : ١٣ / ٩٤ .

(٣) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٣ / ١١٣١ .

• • مع قول العباس بن الأحنف : (البسيط)

نَقْلُ(١) الجِبَالِ الرَّوَاسِي مِنْ(٢) أَمَاكِنِها(٣) .·. أَخَفُّ مِنْ رَدِّ(٤) قَلْبٍ(٥) حِينَ يَنْصَرِفُ(٦) (٧)

وبعده :

هَمُّوا بِهَجْرِي وَكَانَتْ فِي نُفُوسِهِمُ .·. بَقِيَّةٌ مِنْ هَوَىً بَاقٍ فَمَا وَقَفُوا

وهما بيتان لا ثالث لهما .

فالمعنى الجامع بين البيتين عدم إقبال النفس على الشيء بعد انصرافها عنه ، أي ثبات النفس على ما استقر فيها .

فعمد معن بن أوس إلى أسلوب الشرط ، وبنى عليه المعنى ، فجاء بـ " إذا " ليؤكد دوام واستمرار انصرافه عن ذلك الشيء ، وقوله " لم تكد " تأكيد آخر لذلك الانصراف ، وتقديم الجار والمجرور " إليه " على الفعل " تقبل " حمل معنى الاستياء والتحقير لذلك الشيء .

أما العباس بن الأحنف ، فكان أروع تصويراً ، فقد استعان بالخيال ، واستقى منه صورة الجبال الرواسي ، وجعلها رمزاً لذلك القلب المنصرف ، وحملها كل معاني العزة والإباء التي تختلج في نفسه ، فهو لم يكتفِ بذكر لفظ " الجبال " ، وإنما اتبعه بوصف " الرواسي " ، ليدل على متانة تلك الجبال وهذه المتانة ، وهذه الصلابة هي نفسه التي تنطوي على العزم القوى الجازم .

وانظر إلى قوله " من أماكنها " ، وكيف أنّ هذا القيد قد زاد في وصف الجبال بالرسوخ ، فصور بهذا القيد استحالة تحركها وزعزعتها .

---

(١) رواية الشعر والشعراء : " رد " .
(٢) رواية الشعر والشعراء : " عن " .
(٣) رواية الديوان والشعر والشعراء : " مواضعها " .
(٤) رواية الديوان : " من نقل " .
(٥) رواية الديوان والشعر والشعراء : " نفس " .
(٦) رواية الديوان والشعر والشعراء : " تنصرف " بالتاء .
(٧) انظر البيت في :-
ديوانه :- دار صادر :- ٢١١ ، الشعر والشعراء : ٢ / ٨٣٤ .

وما أبرع الشاعر حين نكر لفظ " قلب " فدل على أنه قلب قوي ، فكل معاني القوة التي رسمتها صورة الجبال نراها قد تمثلت في تنكير لفظ " قلب " .

وقوله " حين " دل على العزم والسرعة في الانصراف والتعبير عن الانصراف بالجملة الفعلية دليل على تجدد وحدوث الانصراف منه مرة بعد مرة .

الشاهد التاسع بعد الثلاثمائة : (*) (الطويل)

• قول أمية بن أبي الصلت :(١)

عَطَاؤُكَ زَيْنٌ لِامْرِئٍ إِنْ أَصَبْتَهُ (٢) ∴ بِخَيْرٍ (٣) وَمَا كُلُّ العَطَاءِ يَزِيــــنُ (٤)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٨ ، خفاجي : ٤٥١ ، شاكر : ٤٩٤ .

(١) ذكر البكري في السمط أنهما للخريمي ، وبقية المراجع تثبت أنها لأمية بن أبي الصلت .

وأضاف صاحب الوساطة أنها تنسب ، لأمية ولغيره .

(٢) رواية الديوان والاشتقاق والموازنة والصناعتين والأغاني ، وديوان المعانــي ، وشرح المضنون به على غير أهله ، وشعراء النصرانية : " إن حبوتــــه " ، وهي أجود ، لأن الحبــاء العطاء بلا مَنٍّ وَلَا جَزَاء / اللسان " حبـــا " : ١٤ / ١٦٢ ، ورواية طبقات فحول الشعراء : " لامرئ بذل وجهه " واعتقــد أنها خطأ لأن هذه الجملة كررت في البيت الثاني ، ورواية تاريخ ابن عساكر : " إن حموتَه " .

(٣) رواية الديوان ، وديوان المعاني ، والأغاني : " ببذلٍ " .

ورواية الصناعتين ، وشرح المضنون به على غير أهله : " بِسَيْبٍ " .

(٤) انظر البيت في :

ديوانه : ٨٠ ، طبقات فحول الشعراء : ١ / ٢٦٥ ، الاشتقاق : ١٤٤ ، الوساطة : ٣١٤ ، الأغاني : ٨ / ٣٢٨ ، الموازنة - محمد محيى الدين عبد الحميد : ٩٣ ، الصناعتين : ٥٢ ، ديوان المعاني : ١ / ٤٦ ، سمط اللآلي : ١ / ٢٤٢ ، التبيان للعكـــبري : ٤ / ٧٥ ، المثل السائر : ٣ / ٢٤٦ ، شرح المضنون به على غير أهله : ١٧٤ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٣ / ١٢٧ ، شعراء النصرانية : ١ / ٢٢١ .

وبعده بيت آخر فقط :

وَلَيْسَ بِشَيْنٍ لامْرِىءٍ بَذْلُ وَجْهِهِ ∴ إِلَيْكَ كَمَا بَعْضُ السُّؤَالِ يَشِينُ (١)

وهما بيتان قالهما في عبد الله بن جدعان (٢)

ومعنى الشاهد :

" يقول عطاؤك زينة وشرف لمن يصل إليه عطاؤك وليس كل العطاء يزين بل بعض العطاء يشين ، كما إذا أنعم اللئيم الخسيس غير ذي القدر والأصل ، وغير ذي العلم والفضل ، ثم قال : وليس بعيب ونقصان لإنسان سؤال العطاء منك ، كما يشين بعض السؤال ، وهو السؤال من اللئام ؛ لأنك من الكرام ، فكنّى عن السؤال ببذل الوجه ؛ لأن من سأل من غيره ، فكأنه امتهن وجهه .

قوله : «وَمَا كُلُّ العَطَاءِ يَزِينُ» جملة حالية .

قيل هو من المديح الجيد في عبد الله بن جدعان " (٣)

ونظير هذا المعنى قول المتنبي :

وَقَبْضُ نَوَالِهِ شَرَفٌ وَعِزٌّ ∴ وَقَبْضُ نَوَالِ بَعْضِ القَوْمِ ذَامُ (٤)

ولقد ذكر القاضي الجرجاني أن المتنبي قد سفسف فيه . (٥)

وبيت أمية بن أبي الصلت جعله ابن الأثير من الضرب الخامس من السلخ ، وهو أن يؤخذ بعض المعنى . (٦)

---

(١) رواية الوساطة :

" ليس بعارٍ لامرىءٍ " .

(٢) هو عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرَّة بن كعب ابن لؤى بن غالب ، وكان ابن جدعان سيداً جواداً ، انظر ترجمته : الأغاني : ٨/٣٢٧-٣٣٣ .

(٣) شرح المضنون به على غير أهله : ١٧٤ .

(٤) ديوانه بشرح العكبري : ٤ / ٧٥ .

(٥) الوساطة : ٣١٤ .

(٦) المثل السائر : ٣ / ٢٤٦ .

•• مع قول أبي تمـــام : (البسيط)

تُدْعَى عَطَايَاهُ وَفْراً (١) وَهْيَ إِنْ شُهِرَتْ .·. كَانَتْ فَخَاراً لِمَنْ يَعْفُوهُ (٢) مُؤْتَنِفَـــا (٣)

مَازِلْتُ مُنْتَظِراً أُعْجُوبَةً عَنَنَـــا (٤) .·. حَتَّى رَأَيْتُ سُؤَالاً يَجْتَنِي شَـــرَفَا (٥)

وهو من قصيدة يمدح بها أبا دلف العِجلي (٦)، ومطلعها :

---

(١) الوَفْرُ : المال الكثير / الصحاح " وفر " : ٢ / ٨٤٧ .

(٢) يعفوه : العافي السائل والطالب . / اللسان " عفا " : ١٥ / ٧٤ .

(٣) مؤتنفا : استأنف الشيء وائتنفه أخذ أوله وابتدأه ، وقيل استقبله . / اللسان " أنف " : ٩ / ١٤ .

(٤) رواية الموازنة والمثل السائر : " زمَناً " .

(٥) انظر البيت في :
ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٢ / ٣٦٥ - ٣٦٦ ، ديوانه - دار صعب - ١٧٨ ، الموازنة : ٣ ٩ - ٢٩٧ ، المثل السائر : ٣ / ٢٤٦ .

(٦) هو القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل من بني عجل بن لجيم أمـــير الكرخ ، وسيد قومه ، وأحد الأمراء الأجواد الشجعان الشعراء ، قلـــده الرشيد العباسي أعمال " الجبل " ، ثم كان من قادة جيوش المأمـــون ، وأخبار أدبه وشجاعته كثيرة ، وللشعراء فيه أماديح ، وله مؤلفات منهـــا " سياسة الملوك " و " البزاة والصيد " وهو من العلماء بصناعـــة الغناء يقول الشعر ويلحنه ، توفي ببغداد " ... - ٢٢٦هـ " / انظـــر ترجمتـــه :
طبقات ابن المعتز : ١٧٠ - ١٧٩ - ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٥٣ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، أخبار أبي تمام : ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ٢٢٢ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٣٣٤ ، تاريخ بغداد : ١٢ / ٤١٦ - ٤٢٣ ، سمط اللآلي : ٣٣١ ، نهاية الأرب : ٤ / ٢٤٩ ، الأعلام : ٥ / ١٧٩ .

أَمَّا الرُّسُومُ فَقَدْ أذْكَرْنَ مَاسَلَفَا .·. فَلَا تَكُفَّنَّ عَنْ شَأْنِيكَ أَوْ يَكِفَا

وقبل الشاهد :

قَصْدُ الخَلَائِقِ إِلَّا فِي نَدًى وَوَغًى .·. كِلَاهُمَا سُنَّةٌ مَالَمْ يَكُنْ سَرَفَا (١)

وبعد الشاهد :

يَقُولُ قَوْلَ الَّذِي لَيْسَ الوَفَاءُ لَهُ .·. عَزْماً وَيُنْجِزُ إِنْجَازَ الَّذِي حَلَفَا

ومعنى الشاهد : " يقول : عطاياه وفر أي مال ، فإذا شُهِرَت كانت فَخراً للمُعطي ، وهذا على سبيل الدّعوى من المادح ؛ لأن المُعتفي لافَخْرَ لَهُ في أخذ الرِّفد ، ويجوز أن يعني سَعة العطية ، وأنَّها تُمْكِن آخذها أن يُعْطِي ويتكرَّم ، فيؤدي ذلك إلى الفخر " (٢)

ذكر الآمدي : أنَّ البحتري أخذ البيت الأول فقال :

وَإِذَا اجْتَدَاهُ المُجْتَدُونَ فَإِنَّهُ .·. يَهَبُ العُلَى فِي سَيْبِهِ المَوْهُوبِ (٣)

وذكر كذلك أن أبا تمام أخذ البيت الثاني من قول أمية بن أبي الصلت :

عَطَاؤُكَ زَيْنٌ لامرئٍ إِنْ حَبَوْتَهُ .... (٤)

ورأى ابن الأثير أن أخذ أبي تمام هذا من الضرب الخامس من السلخ، (٥) ورأى أن أمية فاق أبا تمام ؛ لأنه أتى بمعنيين اثنين ، وهو أن عطاء الممدوح زين ، والآخر أن عطاء غيره شين ، أما أبو تمام فإنه أتى بالمعنى الأول لا غير. (٦)

فالمعنى المشترك هو مدح الممدوح بوفرة العطاء الذي يشرف آخذيه لكونه من كريم نبيل .

---

(١) القَصْد : بين الإسراف والتقتير ، والقَصْدُ العَدْلُ / الصحاح " قصد " : ٢ / ٥٢٥ .

(٢) ديوان أبي تمام بشرح التبريزي : ٣ / ٣٦٥ .

(٣) الموازنة - محمد محيي الدين عبد الحميد - : ٢٩٧ .

(٤) المرجع السابق : ٩٣ .

(٥) وهو أن يؤخذ بعض المعنى / المثل السائر - مكتبة نهضة مصر : ٣ / ٢٤٦ .

(٦) المثل السائر - مكتبة نهضة مصر - : ٢٤٦-٢٤٧ .

إلَّا أن صيغة البيتين قد تباينت ، فأمية بن أبي الصلت مدح عطاء ممدوحه بأنه زين ، وأن عطاء غيره شين وبدأ البيت بالجملة الاسمية " عطاؤك زين " ، ليدل على ثبوت ذلك العطاء وزينه .

ويبدو لي أن مجيء الشرط بـ " إن " تقصير في المدح ، حيث جعل عطاء ممدوحه غير موثوق فيه ، وغير مجزوم به ، وأن إصابته المرء بالخير أمرٌ نادر ، ولو أنه استعمل " إذا " لكان أوكد في العطاء وكثرته .

وتذييل البيت بقوله " وماكل العطاء يزين " زيادة توكيد لعطاء ممدوحه .

أما أبو تمام فقد أحسن وأجاد حيث قرر أن عطايا ممدوحه يسميها الناس " وفراً " أي غنىً ، وهذا دليل على كثرة عطائه ، فبناء الفعل " تُدعى " للمجهول دلَّ على كثرة من يدعوها وفراً ، وهذا دليل على كثرة المعتفين .

ويبدو لي أن أبا تمام قد قَصَّرَ أيضاً في بيان مدى اشتهار هذه العطايا حين استعمل " إن " الشرطية التي من شأنها عدم الجزم بوقوع الشرط ، فكأنَّ أمر اشتهارها غير واقع ، فلو أنه استعمل " إذا " لكان أفخم وأدل على الاشتهار والفخار ، ولظهر أن أمر اشتهارها أمر مجزوم بوقوعه .

وبيت أبي تمام الثاني ، فيه تشويق حرَّك النفوس ، وجعلها تستشرف وتتطلع لمعرفة تلك الأعجوبة التي ظل الشاعر ينتظرها .

وانظر إلى مجيء " حتى " هنا وكيف أيقظت الأسماع وشدت الانتباه لمعرفة تلك الأعجوبة .

ثم انظر كيف استطاع أبو تمام أن يكشف للنفس تلك الأعجوبة بصياغة أعجب ، فقد جعل العبارة حية متحركة مشاهدة .

فالسؤال كائن حي يُرى بالعين " حتى رأيت سؤالاً " والسؤال عامل نشط دائب في اجتناء الشرف ، وقوله " يجتبي " بعثت روح الحركة والعمل الدائب في البيت ، فدلت على أن الممدوح دائم العطاء .

الشاهد العاشر بعد الثلاثمائة : (*) (الطويل)

• قول جرير (١) :

بَعَثْنَ الهَوَى (٢) ثُمَّ ٱرْتَمَيْنَ قُلُوبَنَا ∴ بِأَسْهُمِ (٣) أَعْدَاءٍ وَهُنَّ صَدِيقُ (٤)

والبيت من قصيدة له في مدح الحجاج (٥)، مطلعها :

بِتَّ أُرَائِي صَاحِبَيَّ تَجَلُّدًا ∴ وَقَدْ عَلِقَتْنِي مِنْ هَوَاكِ عَلُوقُ

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٩ ، خفاجي : ٤٥١ ، شاكر : ٤٩٥.

(١) نُسب البيت في زهر الآداب لمزاحم العُقيلي ، ونُسب في الحماسة البصرية لذي الرُّمَّة ، وهو غير موجود في ديوانه .

(٢) رواية ديوان جرير ، وديوان المعاني :

" دعينَ الهوى "

ورواية زهر الآداب : " قضين "

ورواية شرح شافية ابن الحاجب والحماسة البصرية : " دَعْونَ " .

(٣) رواية شرح شافية ابن الحاجب ، وشرح جمل الزجاجي :

" بأعيُن " .

ورواية بأسهم أجمل وأدق ؛ لأنها تعبر عن قوة تلك الأعين وشدتها .

(٤) انظر البيت في :-

ديوانه : ٣٩٨ ، الخصائص : ٢ / ٤١٢ ، الوساطة : ٢٠٦ ، ديوان المعاني : ٢ / ١٨١ ، زهر الآداب : ١ / ٩٤ ، شرح جمل الزجاجي : ١ / ٤٢١ ، شرح شافية ابن الحاجب : ٤ / ١٣٨ ، الحماسة البصرية : ٢ / ١٧٧.

(٥) هو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي ، أمه الفارعة بنت همام ابن عروة بن مسعود الثقفي ، تقلد جيش عبد الملك بن مروان ، واشتط في الأمر ، وحارب ابن الزبير ، وقتله ، وولي أمر الكوفة ، والعراق ، واستطاع أن يخضع أهلها ، كان فصيحًا حسن البيان (ت : ٩٥هـ) بمدينة واسط ودفن بها . / انظر ترجمته :

وفيات الأعيان : ٢ / ٢٩ - ٥٤.

وقبل الشاهد :

أُعَالِجُ بَرْحاً مِنْ هَوَاكِ وَشَفَّنِي ∴ فُؤَادٌ إِذَا مَاتُذْكَرِينَ خَفُـــوقُ

أَوَانِسُ أَمَّا مَنْ أَرَدْنَ عَنَـــاءَهُ ∴ فَعَانٍ وَمَنْ أَطْلَقْنَ فَهوَ طَلِيـــقُ

وبعد هذا الشاهد وبعده :

عَجِبْتُ مِنَ الغَيْرَانِ لَمَّا تَدَارَكَتْ ∴ جِمَالٌ يُخَالِجْنَ (١) البُرِينَ (٢) وَنُــوقُ

** مع قول أبي نـــواس : (الطويل)

إِذَا آمْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكَشَّـفَتْ ∴ لَهُ عَنْ عَدُوٍ فِي ثِيَابِ صَدِيـــقِ (٣) (٤)

وهو أحد أبيات خمسة مطلعها :

أَيَارُبَ وَجْهٍ فِي التُّرَابِ عَتِيـــقِ ∴ وَيَارُبَ حُسْنٍ فِي التُّرَابِ رَقِيـــقِ

---

(١) يخالجن : خَلَجَهُ يَخْلِجُهُ خَلْجاً وَاخْتَلَجَهُ إِذَا جَذَبَهُ وَانْتَزَعَهُ / الصحاح " خلج " : ١ / ٣١١ .

(٢) البُرِينَ : جمع بُرَة وهي الحَلَقة في أنفِ البعير، وقيل هي الحلقة من صُفْر أو غيره تجعل في لحم أنف البعير، وقيل تجعل في أحد جانبي المَنْخَرين / اللسان " بري " : ١٤ / ١٧ .

(٣) رواية عيون الأخبار : " إِذا اختبَر " .

(٤) انظر البيت في :

ديوانه : ٦٢١ ، عيون الأخبار : ٢ / ٦ / ٣٢٢ ، ذيل الآمالي : ٩٣ ، الوساطة : ٢٠٦ ، الصناعتين : ٥٠٩ ، ديوان المعاني : ٢ / ١٨١ ، الإعجاز والإيجاز : ١٦٢ ، التمثيل والمحاضرة : ٧٩ ، الإبانة عن سرقات المتنبي : ١٠٨ ، شرح مقامات الشريشي : ١ / ٢٧٢ ، زهر الآداب : ١ / ٩٤ ، المحاسن والمساوىء : ٣٦٤ ، بهجة المجالس : ٣ / ٢٩٥ ، المثل السائر : ٢ / ١٤٩ ، شرح المضنون به على غير أهله : ٤٣ ، نهاية الأرب : ٣ / ٨٣ .

وقبل الشاهد :

أَرَى كُلَّ حَيٍّ هَالِكاً وَابْنَ هَالِكٍ .·. وَذَا نَسَبٍ فِي الهَالِكِينَ عَرِيقِ (١)

فَقُلْ لِقَرِيبِ الدَّارِ إِنَّكَ ظَاعِنٌ .·. إِلَى مَنْزِلٍ (٢) نَائِي المَحَلِّ سَحِيقِ

وبعد هما البيت وهو آخر القصيدة :

• ذكر أن بيت أبي نواس هو أصدق ما وُصِفت به الدنيا ، (٣) وأن المأمون (٤) - وقيل أبو العتاهية (٥) - قال :

لو سئلت الدنيا أن تصف نفسها لما وصفتها بفوق هذا الوصف .

وذكر القاضي الجرجاني وأبو هلال العسكري أن البيت مأخوذ من قول جرير في وصف النساء :

دَعِينَ الهَوَى ثُمَّ ٱرْتَمَيْنَ قُلُوبَنَا . . . البيت السابق .

وذكر ابن عبد البر (٦) أنه مأخوذ من قول أبي العتاهية :

وَلَمْ أَرَ كَالدُّنْيَا وَكَشْفِي لأَهْلِهَا .·. فَمَا ٱنْكَشَفُوا لِي عَنْ صَفَاءٍ وَعَنْ صِدْقٍ (٧)

استشهد به أبو هلال العسكري في الصناعتين في الفصل الثاني من الباب العاشر في ذكر المقاطع والقول في الفصل والوصل . (٨)

---

(١) رواية زهر الآداب : ١ / ٩٣

وَمَا النَّاسُ إِلَّا هَالِكٌ وَٱبْنُ هَالِكٍ وَذُو نَسَبٍ . . .

(٢) يريد بالمنزل هنا القبر.

(٣) ديوان المعاني : ٢ / ١٨١ .

(٤) عيون الأخبار: ٢ / ٦ / ٣٢٢ ، الإعجاز والإيجاز: ١٦٢ ، المحاسن والمساوئ : ٣٦٤ .

(٥) ذيل الأمالي : ٩٣ .

(٦) بهجة المجالس : ٣ / ٢٩٥ .

(٧) ديوانه : ١٧١ .

ورواية الديوان : " فَمَا ٱنْكَشَفُوا لِي عَنْ وَفَاءٍ وَلَا صِدْقٍ " .

(٨) قال : " والضرب الثالث أن تكون الفاصلة لائقة بما تقدمها من ألفاظ الجزء من الرسالة أو البيت من الشعر ، وتكون مستقرة في قرارها ، ومتمكنة في موضعها ، حتى لا يسد مسدها غيرها ، وإن لم تكن قصيرة قليلة الحروف " / الصناعتين : ٥٠٨ .

وذكر أن كلمة " صديق " وقعت موقعاً جيداً ؛ لأن معنى البيت يقتضيها ، وهو محتاج إليها .

قال : " والصديق - هاهنا جيد الموقع ؛ لأن معنى البيت يقتضيه ، وهو محتاج إليه ".(١)

واستشهد به ابن الأثير في تشبيه المفرد بالمركب . (٢)

ومعنى الشاهد :

" إذا اختبر الدنيا عاقل ظهرت الدنيا لأجل ذلك العاقل عن عدو هو لابس ثياب الصديق أي إذا تأمل الدنيا عاقل علم أن الدنيا ظاهرها صداقة وموافقة ، وباطنها عداوة ظاهرة ، ومخالفة بينة ، ما خالط مع أحد إلاّ وقد تركه ، وامتزج مع عدوه كذا كان حال الدنيا الدنية إنها شرك الرَّدىٰ ، ولا يُنتفع منها أبداً" (٣)

فالصورة المشتركة في البيتين صورة العدو في ثياب الصديق ، فجرير جعل هذه الصورة معنى غزلياً ، أما أبو نواس ، فجعلها في آمتحان الدنيا واختبارها .

فجرير يتحدث في بيت الشاهد عن جماعة من الأوانس اللاتي ذكرهن في البيت قبله ، فهو لم يصرح بأن صاحبته ترميه رمي الأعداء ، وإنما جعلها من جماعة حالهن ذلك تلطفاً وتحبباً .

ولعله جعل الحديث في بيت الشاهد بصورة الجمع مع أنه أفرد صاحبته بالحديث في المطلع وقبل الشاهد ؛ ليثبت أن حاله معها حال عامة متكررة مع كل فرد يعاني مما يعانيه .

فهو يريد أن يؤكد استقرار هوى المحبوبة في نفسه ، وكيف أن نظراتها القوية الحادة كانت الباعث القوي لهذا الاستقرار انظر إلى قوله : " بعثن الهوى "

---

(١) المصدر السابق : ٥٠٩ .

(٢) المثل السائر : ١٤٩ .

(٣) شرح المضنون به على غير أهله : ٤٣ .

ومافيه من تصوير رائع لا ستحكام هواها في قلبه حيث جعل الهوى كائناً حيّاً يُبعث ويتحرك . فحبها مبعوث في نفسه يتحرك في حنايا صدره .

ثم آنظر إلى قوله " ثم " ومادلت عليه من مكوث ذلك الهوى زمناً في نفسه حتى استحكم وتمكن .

وقوله : " ارتمين " دل على شدة ذلك الرمي ، فهذا الفعل بهذا التركيب يحمل معنى التمكن والسيطرة والاقتدار ، فهو أدل على هذه المعاني من الفعل " رمين " لما فيه من زيادة المبنى .

وقوله " قلوبنا " يحمل معنى الاستسلام والضعف ، وقوة ذلك الهوى .

وفي تشبيه العين بالسهم ، وإضافة السهم للعدو مايظهر غرابة تلك النظرات وقوتها .

وقوله : " وهن صديق " يشيع في النفس كوامن الإحساس بالغرابة ، ويوقظ فيها عنصر المفاجأة ، فذلك الرمي بالسهام ، والتمكن في الرمي ، والاقتدار عليه صادر من صديق .

وآنظر إلى تنكير " صديق " ، وكيف دل على أنه صديق حميم ذو مكانة ، وأنه أعز وأحب صديق .

أما أبو نواس فمعنى بيته : أن الدنيا ظاهرها الاطمئنان والأمان كما يطمئن الشخص إلى صديقه ، وباطنها عداء محض .

فالدنيا لابد من امتحانها امتحاناً دائماً ، وأن لا يغفل الإنسان عن هذا الاختبار ، فاكتشاف أمرها ، والوقوف على حالها ، وعدم الاغترار بها لا يستطيعه إلّا من أُوتي الحكمة والحنكة والصبر الدائم .

ووصف الممتحن بكونه " لبيب " دليل على ندرة الواقفين على حقيقتها ، وأن أكثر الناس منخدعون بمظهرها إلّا اللبيب ذو الحنكة .

وقوله " تكشفت " حيث جاء بالجملة فعلية فعلها مضارع مسند إلى الدنيا مسبوق بأداة الشرط " إذا " ، فيه منصح لأمر الدنيا وزيفها ، فزينتها وزخرفها أمر زائل

فمجرد أن يطلع عليها اللبيب الفطن تتعرّى من تلقاء نفسها وتتقشع وتزول أمام عينيه بسهولة ويسر.

فهذا التركيب تركيب متكن فيه دلالته القوية على المراد منه.

وفي قوله: "له" قيد دل على كثرة المنخدعين بها، وأنها ماكرة خادعة لا يمكن أن يقف على زيفها، ولا يمكن أن تتكشف إلا لذلك اللبيب.

وانظر إليه كيف جسد صورة المكر والخديعة، وأكدها في الأذهان حيث شبه الدنيا بإنسان سيىء المخبر حسن المظهر جميل الثياب، يخدع الناظر بمظهره، ويذهب عن لبه أن هذا الإنسان هو ألد أعدائه، وهكذا الدنيا تُبهر الناظر بزينتها وزخرفها، وتصرفه عن النظر إلى حقيقتها، وفي هذا قمة الخديعة.

الشاهد الحادي عشر بعد الثلاثمائة: (*) (الطويل)

• قول كثير:

إِذَا مَاأَرَادَتْ (١) خُلَّةٌ (٢) أَنْ تُزِيلَنَا (٣) .·. أَبَيْنَا وَقُلْنَا (٤) الحَاجِبِيَّةُ أَوَّلُ (٥)

(*) الدلائل، رضا: ٣٧٩، خفاجي: ٤٥١-٤٥٢، شاكر: ٤٩٥.

(١) رواية عيون الأخبار، والمحاسن والأضداد، أخبار أبي تمام، والموازنة والخزانة للبغدادي، ومحاضرات الأدباء: "إذا وصلتنا"، ورواية تزيين الأسواق: "ماأتينا".

(٢) الخُلّة: بالضم: الصديقة والصاحبة/اللسان "خلل": ٢١٧/١١.

(٣) رواية عيون الأخبار وتزيين الأسواق: "كي تزيلنا".

ورواية الموازنة وخزانة البغدادي: "كي تزيلها"

ورواية أخبار أبي تمام: "لتزيلها".

ورواية التمثيل والمحاضرة: "أن تريدنا"

ورواية بهجة المجالس: "تستميلنا"

ورواية بديع أسامة: "أن تزورها"

(٤) رواية محاضرات الأدباء: "عرضنا".

(٥) انظر البيت في:

ديوانه: ٢٥٥، الشعر والشعراء: ٥١٥/٢، عيون الأخبار: ٢٨/١٠/٤.

وهو من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان (١) ، مطلعها :

صَحا قَلْبُهُ ياعَزَّ أَوْكادَ يَذْهَلُ .·. وَأَضْحَى يُرِيدُ الصَّرْمَ أَوْ يَتَبَدَّلُ

وقبل الشاهد :

إِذا قُلْتُ أَسْلُو غارَتِ العَيْنُ بِالبُكا .·. غِراءً وَمَدَّتْها مَدامِعُ حُفَّلُ

وبعدها الشاهد وبعده :

سَنُولِيكِ عُرْفاً إِنْ أَرَدْتِ وِصالَنا .·. وَنَحْنُ لِتِلْكَ الحاجِبِيَّةِ أَوْصَلُ

ذكر ابن قتيبة في الشعر والشعراء مناسبة الشاهد ، فقال :

" بعثت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله إلى كثير ، فقالت له : يابن أبي جمعة ما الذي يدعوك إلى ما تقول من الشعر في عزّة ، وليست على ما تصف من الحسن والجمال لو شئت صرفت ذاك إلى غيرها ممن هو أولى به منها أنا ، أو مثلي ، فأنا أشرف ، وأوصل من عزة ، وإنما جربته بذلك ، فقال :

إِذا ما أَرادَتْ خُلَّةٌ أَنْ تُزِيلَنا .·. أَبَيْنا وَقُلْنا الحاجِبِيَّةُ أَوَّلُ " (٢)

• • مع قول أبي تمام [(٣)] : (الكامل)

نَقِّلْ فُؤادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الهَوَى .·. ما الحُبُّ إِلّا لِلْحَبِيبِ الأَوَّلِ (٤)

المحاسن والاضداد : ١٢٤ ، أخبار أبي تمام : ٢٦٤ ، الموازنة - محمد محيي الدين عبد الحميد - : ٦١ ، الصناعتين : ٢٢٥ ، التمثيل والمحاضرة : ٧٢ ، محاضرات الأدباء : ٢ / ٣ / ٥٠ ، بهجة المجالس : ٢ / ٨٢٥ ، بديع أسامة بن منقذ : ١٩٨ ، تزيين الأسواق : ٤٠ ، خزانة البغدادي - دار صادر - : ٢ / ٣٨٢ .

(١) سبقت ترجمته : انظر : ٥١٩ .

(٢) الشعر والشعراء : ٢ / ٥١٥ .

(٣) ذكر في موضع من محاضرات الأدباء أنه لأبي الشيص / انظر : محاضرات الأدباء : ٢ / ٣ / ٢٣ .

(٤) انظر البيت في :

ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٤ / ٢٥٣ ، ديوان أبي تمام - دار صعب - : ٤٠٧ ، البيان والتبيين : ٣ / ٣١٣ ، الخصائص : ٢ / ١٧١ ، أخبار =====

وهو أحد أبيات أربعة أولها :

البَيْنُ جَرَّعَني نَقِيعَ الحَنْظَلِ ∴ وَالبَيْنُ أَثْكَلَنِي وَإِنْ لَمْ أُثْكَلِ

وقبل الشاهد :

تا حَسْرَتِي أَنْ كِدْتُ أَقْضِي إِنَّمَا ∴ حَسَرَاتُ نَفْسِي أَنَّنِي لَمْ أَفْعَلِ

وبعده الشاهد وبعده :

كَمْ مَنْزِلٍ فِي الأَرْضِ يَأْلَفُهُ الفَتَى ∴ وَحَنِينُهُ أَبَداً لِأَوَّلِ مَنْزِلِ

ذكر الصولي والآمدي أنّ هناك من قال بأن أبا تمام أخذ معنى بيته من قول ابن الطثرية :

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الهَوَى ∴ فَصَادَفَ قَلْباً فَارِغاً (١) فَتَمَكَّنَا (٢)

ورأى الآمدي أن قول ابن الطثرية أجود ما قيل في هذا المعنى ، لأنه ذكر العلة. (٣)

ورأى الصولي والآمدي أنّ قول أبي تمام أشبه بقول كثير ، ومنه أخذ . (٤)

ورأى أبو هلال العسكري أن قول أبي تمام أبين وأدخل في الأمثال من قول كثير. (٥)

=== أبي تمام : ٢٦٣ ، الموازنة ـ محمد محيي الدين ـ : ٦٠ ، الصناعتين : ٢٢٤ ، ٤٧٢ ، التمثيل والمحاضرة : ٩٤ ، ٢٠٩ ، محاضرات الأدباء : ٢ / ٣ / ٢٣ ، ٥١ ، المحاسن والمساوئ : ٣٠٤ ، تحرير التحبير : ١ / ٢١٩ ، نهاية الأرب : ٣ / ٩٤ ، معاهد التنصيص : ٤ / ٢٢٩ ، تزيين الأسواق : ٣ .

(١) رواية الديوان : " خالياً " .

(٢) ديوانه : ١٠٩ .

(٣) الموازنة : ٦١ .

(٤) أخبار أبي تمام : ٢٦٣ ، الموازنة : ٦١ .

(٥) الصناعتين : ٢٢٤ .

وذكره الثعالبي على أنه من الأمثال السائرة للمحدثين . (١)

وذكر أسامة بن منقذ أن أبا تمام أخذ بيته من قول كثير، إلّا أنهما متساويان في الحسن ، فذكرهما في باب المساواة ، وهو مساواة الآخِذ منهُ للآخذ عنه ، والأول أحق به ؛ لأنه ابتدع ، والثاني اتبع ، فالأول سابق ، والثاني لاحق . (٢)

فالمعنى الجامع بين البيتين أن القلب ثابت على الحب الأول . فإذا نظرنا إلى البيتين وجدنا أن كل مادل عليه بيت كثير أنه إذا أرادت محبة من المحبات أن تزيل مافي النفس من محبة للحاجبية ، أبت النفس ذلك لأن حب الحاجبية هو أول حب طرق القلب .

وتركيب البيت لا يخلو من بعض اللطائف ، فمجيئه بضمير الجمع " تزيلنا - أبينا - قلنا " ، وكذلك مجيء " إذا " الشرطية ، يكشف عن قوة إحساس بالمعنى الذي يمور في نفس الشاعر ، فهو عازم ، جازم مصمم على الوفاء للحاجبية ، لكنه ضعف حين قال : " سنوليك وصلاً . . . البيت " فليس هذا شأن المحب الصادق .

فيبدو أنه طمع في عائشة بنت طلحة وكانت من أجمل نساء زمانها ، وكانت من أعفهن ، ولكن لعله كان يأمل في الحديث معها ، فهذا شرف عظيم له ، وأياً ماكان فالمحب الصادق المحبة لا يفكر في غير من يحب .

وقول كثير هذا لا يداني معنى أبي تمام اتساعاً وحركة آنظر إلى حركة تنقيل الفؤاد التي أتى بها أبو تمام ، واختياره لفعل الأمر " نَقِّل " ومافيه من ثقل الحركة ، ومايدل عليه من معنى التعجيز ، فتحول الفؤاد ، وتغير النفس من أشق الأمور وأصعبها .

وقوله : " حيث شئت من الهوى " فهذا الإطلاق وهذه الحرية في التنقل في أرجاء الهوى دليل وحجة على ضعف النفس وعجزها ، فالقلب مهما تنقل في الهوى

---

(١) التمثيل والمحاضرة : ٩٤ .

(٢) بديع أسامة : ١٩٤ .

فلن يجد مستقره إلا في الحب الأول وتأمل كيف جاء الشاعر بأسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء ، وهو من أشد أساليب التوكيد وأقواها ، ليثبت ويؤكد المعنى الذي يشيع في نفسه ، والذي يحس به إحساساً كاملاً ، فالحب الذي فتق أكمام المشاعر، وأيقظ الأحاسيس النابضة في القلوب هو الذى يَسْكُن الفؤاد ، ويقيم فيه ، ولا يمكن أن يتحول عنه.

وقد حصل بين أبي تمام وبعض الشعراء اختلاف على هذا المعنى فقال ديك الجن :

كَذَبَ الَّذِينَ تَحَدَّثُوا أَنَّ الهَوَى ∴ لَا شَكَّ فِيهِ لِلْحَبِيبِ الأَوَّلِ
مَالِي أَحِنُّ (١) إِلى خَرَابٍ مُقْفِرٍ ∴ دَرَسَتْ مَعَالِمُهُ كَأَنْ لَمْ يُؤْهَلِ (٢)

فقال حبيب حين بلغه قول ديك الجن :

كَذَبَ الَّذِينَ تَخَرَّصُوا فِي قَوْلِهِمْ ∴ مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْمُقْبِلِ
أَفَطَيِّبٌ فِي الطَّعْمِ مَا قَدْ ذُقْتَهُ ∴ مِنْ مَأْكَلٍ أَوْ طَعْمُ مَالَمْ يُؤْكَلِ (٣)

فقال ديك الجن أيضا حين بلغه قول أبي تمام :

ارْغَبْ عَنِ الحُبِّ القَدِيمِ الأَوَّلِ ∴ وَعَلَيْكَ بِالْمُسْتَأْنَفِ الْمُسْتَقْبَلِ
نَقِّلْ فُؤَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ فَلَنْ تَرَى ∴ كَهَوَى جَدِيدٍ أَوْ كَوَصْلٍ مُقْبِلِ (٤)

ثم ذكر الشيخ الأنطاكي صاحب تزيين الأسواق أن أبا البرق سلك بينهما جادة الإنصاف وبقوله يجب الاعتراف؛ لأنه أحسن في المقال حيث قال :

زَادُوا عَلَى المَعْنَى فَكُلٌّ مُحْسِنٌ ∴ وَالحَقُّ فِيهِ مَقَالَةٌ لَمْ تُجْهَلِ
الحُبُّ لِلْمَحْبُوبِ سَاعَةَ وَصْلِهِ ∴ مَا الحُبُّ فِيهِ لِآخِرٍ وَلأَوَّلِ (٥)

---

(١) رواية الديوان " ما إِنْ أَحِنُّ " .

(٢) الديوان : ١٨٤ ، - البيت الثاني فقط - .

(٣) لم أجده في ديوانه .

(٤) لم أجده في ديوانه .

(٥) تزيين الأسواق : ٤ .

ويبدو لي أن الأنطاكي لم يصب في حكمه بحسن المقال لأبي البرق بل الفيصل في هذا أن الحب الأول إذا كان صادقاً فلا تحول عنه، وإنما يحسن الحب بالوصل لمن يطلب المتعة، ولمن شأنه التنقل دون أن يملك عليه الحب نفسه .

وديك الجن ليس صادقاً في قوله ؛ لأنه ظل وفياً لصاحبته حتى بعد أن قتلها وظل يبكيها طوال حياته .

الشاهد الثاني عشر بعد الثلاثمائة : (*) (الطويل)

* وقول المتنبي :

وَعِنْدَ مَنِ اليَوْمَ الوَفَاءُ لِصَاحِبٍ .·. شَبِيبُ وَأَوْفَى مَنْ تَرَى أَخَوَانِ (١)

وهو من قصيدة يذكر فيها خروج شبيب العُقَيْلِيِّ[٢] على كافور الإخشيدي، وقتله بدمشق سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة (٣)، ومطلعها :

عَدُوُّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانِ .·. وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ القَمَرَانِ

وقبل الشاهد :

أَتُمْسِكُ مَا أَوْلَيْتَهُ يَدُ عَاقِلٍ .·. وَتُمْسِكُ فِي كُفْرَانِهِ بِعِنَانِ

وَيَرْكَبُ مَا أَرْكَبْتَهُ مِنْ كَرَامَةٍ .·. وَيَرْكَبُ لِلْعِصْيَانِ ظَهْرَ حِصَانِ

وبعدهما بيت وبعده الشاهد وبعده :

قَضَى اللَّهُ يَا كَافُورُ أَنَّكَ أَوَّلٌ .·. وَلَيْسَ بِقَاضٍ أَنْ يُرَى لَكَ ثَانِي

يقول الشاعر:

أنه لا وفاء اليوم عند أحد ، فإنّ أوفى الناس غادر مثله مثل شبيب في الغدر

قال العكبري:

(*) الدلائل بيرضا : ٣٧٩، خفاجي : ٤٥٢، شاكر: ٤٩٥.

(١) لم أجده إلا في :

ديوان المتنبي بشرح العكبري : ٤ / ٢٤٦، العرف الطيب : ٤ / ٦٠٢ .

(٢) سبقت ترجمته : ١١٠.

(٣) العرف الطيب : ٤ / ٥٩٨.

" لم يبق في الناس وافٍ لمن يصحبه أي من يفي لصاحبه يومنا هذا ، وأوفى الناس غادر، كشبيب في الغدر" (١)

•• مع قول أبي تمام : (الطويل)

فَلا تَحْسَبَا هِنْداً لَهَا الغَدْرُ وَحْدَهَا .·. سَجِيَّةُ نَفْسٍ (٢) (٣) كُلُّ غَانِيَةٍ هِنْدُ (٤)

وهو من أبيات قالها في مدح محمد بن الهيثم بن شبابة، (٥) مطلعها :

تَجَرَّعْ أَسىً قَدْ أَقْفَرَ الجَرَعُ (٦) الفَرْدُ .·. وَدَعْ حِسْيَ عَيْنٍ يَحْتَلِبْ مَاءَهَا الوَجْدُ

وبعده أبيات قبل الشاهد :

إِذَا انْصَرَفَ المَحْزُونُ قَدْ فَلَّ صَبْرَهُ .·. سُؤَالُ المَغَانِي فَالبُكَاءُ لَهُ رِدٌّ (٧)

بَدَتْ لِلنَّوَى أَشْيَاءُ قَدْ خِلْتُ أَنَّهَا .·. سَيَبْدَأُ (٨) بِي رَيْبُ الزَّمَانِ إِذَا تَبْدُو

---

(١) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٤ / ٢٤٦.

(٢) رواية الإبانة عن سرقات المتنبي : " ولا ".

(٣) رواية الإبانة عن سرقات المتنبي : " سجية طبع ".

(٤) انظر البيت في :
ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٢ / ٨١، ديوان أبي تمام - دار صعب - : ١٠٧، الخصائص : ٣ / ٢٧١، الإبانة عن سرقات المتنبي : ٤٥، بهجة المجالس : ٣ / ٥٥.

(٥) هو محمد بن الهيثم بن شبابة الخراساني ، ذكر المسعودي أن له كتاباً عنوانه " كتاب الدولة " ولأبي تمام والبحتري ، مدائح فيه. / انظر:
مروج الذهب : ١ / ١٣، أخبار أبي تمام : ١٨٨، أخبار البحتري للصولي : ١٥٣، ١٥٦، ١٦٤.

(٦) الجرع والجرعاء : ما سَهُل من الأرض، / القاموس المحيط (جرع) : ٣ / ١٢، والأسى : الحزن / اللسان " أسا " : ١٤ / ٣٤-٣٥.

(٧) رِدٌّ : معين / الديوان بشرح الخطيب : ٢ / ٨٠، اللسان " ردد " : ٣ / ١٧٤.

(٨) رواية الديوان بشرح الخطيب التبريزي : " سيبدؤني ".

نَوًى كَانْقِضَاضِ النَّجْمِ كَانَتْ نَتِيجَةً ∴ مِنَ الهَزْلِ يَوْماً إِنَّ هَزْلَ النَّوَى جِدُّ (١)

وبعد ها الشاهد وبعده :

وَقَالُوا أُسَّى عَنْهَا (٢) وَقَدْ خَصَمَ الأَسَى ∴ جَوَانِحُ مُشْتَاقٍ إِذَا خُوصِمَتْ (٣) لُدُّ

ذكر ابن جني أن الطائي قد أحسن في استخلاص الصفة من العلم (٤) قال :

" وقد مر بهذا الموضع الطائي الكبير، فأحسن فيه، واستوفى معناه ، فقال :

فَلَا تَحْسَبَا هِنْداً لَهَا الغَدْرُ وَحْدَهَا ∴ سَجِيَّةُ نَفْسٍ كُلُّ غَانِيَةٍ هِنْدُ

فقوله " كُلُّ غَانِيَةٍ هِنْدُ " متناه في معناه ، وأخذ لأقصى مداه ألا ترى أنه كأنه

قال : كلُّ غَانيةٍ غادرة أو قاطعة أو خائنة ، أو نحو ذلك " (٥)

وذكر العميدي (٦) أن أبا تمام أخذ معنى بيته من ديك الجن . حيث يقول

(طويل) :

أَخَا الرَّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ لَا تَرْكَبِ الهَوَى ∴ فَإِنَّ الهَوَى يُرْدِيكَ مِنْ حَيْثُ لَا تَدْرِي

وَلَا تَثِقَنْ بِالغَانِيَاتِ وَإِنْ وَفَتْ ∴ وَفَاءُ الغَوَانِي بِالعُهُودِ مِنَ الغَدْرِ (٧)

وقال المتنبي :

إِذَا غَدَرَتْ حَسْنَاءُ وَفَّتْ بِعَهْدِهَا ∴ فَمِنْ عَهْدِهَا أَنْ لَا يَدُومَ لَهَا عَهْدُ (٨)

---

(١) رواية الديوان بشرح الخطيب : " الهوى " .

(٢) أُسَّى عنها : اصبر صبرا ، والأسى : التعزى والتصبر/اللسان " أسا " : ١٤ / ٣٥-٣٦ .

(٣) رواية الديوان بشرح الخطيب : " خاصمت " .

(٤) وذلك في " باب في الاستخلاص من الأعلام معاني الأوصاف " ، ومنه قولهم في الخبر إنما سُمِّيتَ هَانِئاً لتهنأ ، وعليه جاء نابغة ، لأنه نبغ فَسُمِّيَ بذلك ، فهذا لعمري صفة غلبت ، فبقي عليها بعد التسمية بها بعضُ ما كانت تفيده من معنى الفعل من قبل ، وعليه مذهب الكتاب في ترك صرف أحمر إذا سُمِّيَ به ثم نُكِّر ، وقد ذكرنا ذلك في غير موضع إلا أنك على الأحوال قد انتزعت من العلم معنى الصفة ، وقد مر بهذا الموضع الطائي الكبير فأحسن فيه . . "/الخصائص: ٣ / ٢٧١ .

(٥) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٦) الإبانة عن سرقات المتنبي : ٤٥ .

(٧) ديوانه : ٥١ (١ ، رقم (٢٢) .

(٨) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٢ / ٤ .

ولمحمد بن سوار:[١]

يَقُولُونَ هِنْدٌ لَا تَدُومُ وَزَيْنَبُ ∴ عَلَى العَهْدِ كُلُّ النَّاسِ هِنْدٌ وَزَيْنَبُ

تَطَلَّبْتُ وُدًّا لَا يَكُونُ لِعِلَّةٍ ∴ فَأَعْوَزَنِي وجدانُ مَا أَتَطَلَّبُ

وَحَاوَلْتُ مَنْ يُوفِي بِعَهْدٍ فَلَمْ أَجِدْ ∴ كَأَنَّ الَّذِي حَاوَلْتُ عَنْقَاءُ مُغْرِبُ (٢)

فالمعنى الجامع بين الشاهدين هو تَفَشّي الغدر في النفوس إلّا أنّ لكل من الشاعرين طريقة خاصة في التعبير .

فالمتنبي بنى بيته على الاستفهام " وَعِنْدَ مَنِ اليَوْمَ الوَفَاءُ لِصَاحِبٍ " والاستفهام هنا يلامس العصب الحسَّاس في المعنى ، فنفس الشاعر مفعمة بإحساس الخيانة والغدر ، وهذا الاستفهام الإنكاري أبرز هذا المعنى وجَسَّدَ هذا الإنكار ، وكذلك ساعد تقديم الظرف " عند " على المبتدأ " الوفاء " في إبراز المعنى ، لأن هذه العندية هي لب المعنى وأساسه .

و تنكير لفظ " صاحب " يُظهر ماعليه الناس من التقليل لشأن الصُحبة ، والاستهانة بها ، فكأن هذه الاستهانة أصبحت سمة في الناس جُبلوا عليها ، فأكثر الناس شهرة بالوفاء تنطوي نفسه على الخيانة والغدر ، وجاء بشبيب وجعله نموذجاً بشريا للغدر .

أما بيت أبي تمام ، فهو من حر الكلام وفاخره ، فقد جمع المعنى الكثير في اللفظ القليل ، فهو لم يقتنع بالقول بأن أوفى الناس موسوم بالخيانة والغدر .

فيبدو أن أبا تمام قد أحس بوخز الغدر ، واستشعر ألمه ، وتجرع كؤوسه حتى تشربت نفسه بذلك الألم فامتدت معانيه إلى صورة تلك المحبوبة التي هي رمز العطاء والسخاء ، فحطّم صورتها ، ونصبها نموذجاً بشرياً يرمز إلى كل معاني الخيانة والغدر .

---

(١) هو محمد بن سوار بن اسرائيل الشيباني ، نجم الدين أبو المعالي (٦٠٣ هـ - ٦٧٧ هـ) الشاعر المشهور مدح الرؤساء والقضاة وغيرهم / انظر: فوات الوفيات : ٣ / ٣٨٣-٣٨٩ .

(٢) المصدر السابق : ٣ / ٣٨٧ .

وكان أبو تمام بارعاً في تحطيم تلك الصورة ، وإزالتها من النفوس إزالة تامة . وإحلال الصورة التي يريد حلولاً لا انتقال معه . فهو لم يحطمها دفعةً واحدةً ، فالنفوس متعلقة بكون هند رمز العطاء ، ومحو هذه الصورة محواً مباشراً أمر تنفر منه النفس ، إلّا أن أبا تمام استطاع أن يمسك بزمام الإحساس وقيادته إلى حيث يريد ، فتدرج في طمس تلك المعالم ، فبدأ البيت بالنهي " فلا تحسبا " فأوهم النفس بدفاعه عن تلك المحبوبة ، ثم لجأ إلى خطاب صديقين له ترويحاً لنفسه المثقلة بالآلام الفدر ، فوجدت الراحة في خطاب الصاحب .

وأنظر إلى تقديم الجار والمجرور " لها " وكيف زاد في إبعاد التهمة عنها ، ثم تفاجأ النفس بلفظ " وحدها " هذه اللفظة التي كشفت عن إيحاءات كثيرة تدور في نفس الشاعر ، وفَجَّرت المعاني المحبوسة في نفسه ، فأعلن الحقيقة الجاثمة في صدره ، فقطع الكلام واستأنف بقوله (كُلُّ غَانِيَةٍ هِنْدُ) .

وجاء بلفظ العموم (كُلّ) ليؤكد عموم هذا النموذج وشموله لكل أفراد الغواني .

ففرق بين نموذج أبي تمام وبين النموذج الذي نصبه المتنبي ، وكذلك فرق بين إثبات كل من النموذجين .

الشاهد الثالث عشر بعد الثلاثمائة : (*) (الطويل)

- قول البحتري :

فَلَمْ أَرَ (١) فِي رَنْقِ (٢) الصَّرَى (٣) لِي مَوْرِدًا .·. فَحَاوَلْتُ وِرْدَ النِّيلِ (٤) عِنْدَ احْتِفَالِهِ (٥) (٦)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٩ ، خفاجي : ٤٥٢ ، شاكر : ٤٩٥-٤٩٦ .
(١) رواية الديوان - صيرفي - : ٣ / ١٦٢٤ .
(٢) الرَّنْق : الكدر / معجم مقاييس اللغة " رنق " : ٢ / ٤٤٥ .
(٣) الصرى : الماء يطول مكثه ويتغير ، والصرى : اسم نهر يتشعب من الفرات ، ويجري إلى بغداد ، ويقال الصَّرا بلا هاء أيضا سُمِّي بذلك لأنه صُبري من الفرات أي قطع / معجم ما استعجم : ٢ / ٨٢٩ .
(٤) نهر من أنهار الرَّقة ، حفره الرشيد ، وسُمِّي باسم نيل مصر / معجم البلدان : ٥ / ٣٣٤

============

وهو من قصيدة يمدح بها علي يحيى (١)، ومطلعها :

عَذِيرِي مِنْ وَاشٍ بِهَا لَمْ أُوَالِهِ ∴ عَلَيْهَا وَلَمْ أَخْطِرْ قِلَاهَا بِبَالِهِ

وقبل الشاهد :

وَيَأْمُرُنِي بِالصَّبْرِ مَنْ لَيْسَ وَجْدُهُ ∴ كَوَجْدِي وَلَا إِعْلَانُ حَالِي كَحَالِهِ

فَإِنْ أَفْقِدِ العَيْشَ الَّذِي فَاتَ بِاللِّوَى ∴ فَقِدْماً فَقَدْتُ الظِّلَّ عِنْدَ انْتِقَالِهِ

تَرَكْتُ مُلَاحَاةَ اللَّئِيمِ وَإِنَّمَا ∴ نَصِيبِي فِي جَاهِ الكَرِيمِ وَمَالِهِ

وبعد هما الشاهد وبعده :

حَلَفْتُ بِمَا يَتْلُو المُصَلُّونَ فِي مِنَى ∴ وَمَا اعْتَقَدُوهُ لِلنَّبِيِّ وَآلِهِ

لَيَعْتَسِفَنَّ البِيدَ وَهْمٌ مُشَيَّعٌ ∴ عَنُوفٌ بِهَا فِي حَلِّهِ وَارْتِحَالِهِ

إِلَى فَارِغٍ مِنْ كُلِّ شَانٍ يَشِينُهُ ∴ فَإِنْ يَشْتَغِلْ فَالمَجْدُ عُظْمُ اشْتِغَالِهِ

---

(٥) احتفاله : امتلاؤه ، والحفل اجتماع الماء في مَحْفِلِهِ ، تقول : حَفَلَ الماء يَحفِل حَفلاً وحُفُولا ، وحَفَل الوادي بالسَّيل واحتفل جاء بملء جنبيه./ اللسان " حفل " : ١١ / ١٥٦.

(٦) ديوانه - الصيرفي - : ٣ / ١٦٢٤.
ديوانه : ١ / ٢٢٤ - الوساطة : ٢٥٢ ، التبيان للعكبرى : ٤/ ٢٨٧.

(١) هو علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم ، من خاصة ندماء المتوكل ، ومن بعده من الخلفاء إلى المعتمد ، شاعر راوية ، صديق للفتح بن خاقان ، وهو الذي جمع له مكتبته الشهيرة ، مات سنة (٢٧٥هـ) / انظر : الفهرست : ٢٠٥ ، وفيات الأعيان : ٣ / ٧٣-٧٤ .
وجاء في ديوانه - صيرفي - : أنه ورد في بعض مخطوطات الديوان أنها قيلت في أبي جعفر بن تهيك .

•• مع قول المتنبي : (الطويل)

قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارِكَ غَيْرِهِ (١) .·. وَمَنْ قَصَدَ البَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَاقِيَا (٢)

وهو من قصيدة مدح بها كافور سنة ست وأربعين وثلاثمائة مطلعها :

كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى المَوْتَ شَافِيَا .·. وَحَسْبُ المَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا

وقبل الشاهد :

وَجُرْداً (٣) مَدَدْنَا بَيْنَ آذَانِهَا القَنَا .·. فَبِتْنَ خِفَافاً يَتَّبِعْنَ العَوَالِيَا (٤)

وبعده أبيات وبعدها :

بِعَزْمٍ يَسِيرُ الجِسْمُ فِي السَّرْجِ رَاكِباً .·. بِهِ وَيَسِيرُ القَلْبُ فِي الجِسْمِ مَاشِيَا

وبعده الشاهد ، وبعده :

فَجَاءَتْ بِنَا إِنْسَانَ عَينِ زَمَانِهِ .·. وَخَلَّتْ بَيَاضاً خَلْفَهَا وَمَآقِيَا

ومعنى الشاهد : أن هذه الخيل لا يشتد عزمها على السير إلّا إذا كان السير إلى ذلك الممدوح ، وتحرن عن السير إلى غيره ، وشبه الممدوح بأنه كالبحر في سخائه وغيره من الملوك بالنسبة لعطائه كماء الساقية إذا قيس بماء البحر.

قال العكبري شارحاً معنى البيت :

" إن الجرد ، وهي التي تحتنا قاصدة هذا البحر، وتركت السواقي ، وطالب البحر بغير سلاف يرى غيره قليلاً ؛ لأنّ السّواقي تستمد من البحر " (٥)

---

(١) قواصد : حال من الجرد ، أي هن يقصدنه توارك غيره . / ديوان المتنبي بشرح العكبري : ٤/٢٨٧ .

(٢) انظر البيت في :-
ديوانه بشرح العكبري : ٤ / ٢٨٧ ، العرف الطيب : ٤/ ٦٣٤ ، الوساطة : ٢٥٢ ، يتيمة الدهر : ١/ ١٩١ ، التمثيل والمحاضرة : ٢٦٠ ، زهر الآداب : ٢/ ٥٨٤ .

(٣) جرداً : يقال فرس أجرد إذا رَقَّتْ شَعْرَتُه ، وهو حسن الجُردة والمتجرَّد / معجم مقاييس اللغة " جرد " : ١ / ٤٥٢ .

(٤) العوالي : أي عوالي الرّماح وهي أسنتها ، واحدتها عالية/ اللسان " علا " : ١٥/٨٧ .

(٥) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٤ / ٢٨٧ .

وذكر أن سيف الدولة لما سمع هذا البيت غضب غضباً شديداً ، وقال : لـه الويل جعلني ساقية ، وجعل الأسود بحراً .(١)

والمعنى المشترك في البيتين : عدم الاحتفال بالأدنى عند قصد الأكمل ، ولكن رسم هذه الصورة ، وإبراز خطوطها اختلف في لوحة كل من الشاعرين .

فالبحتري هنا أقل مدحاً ، فقوله : " حاولت ورد النيل " فيه نوع من التخـوف والتردد وعدم الاطمئنان ، بل عدم الوثوق في عطاء الممدوح .

وقوله : " عند احتفاله " تقييدٌ للاحتفال بالظرف ، وهذا التقييد يومىء إلـى أنَّ الممدوح ليس بدائم الغنى ، وهذا انتقاص من قدره .

أما بيت المتنبي فنحت الكلام فيه غير نحته في بيت البحتري ، فهو أجود سـبكاً ، وأغزر معنى .

انظر إليه وقد جعل الخيل هي التي تقصد الممدوح ، وتترك غيره ، لمحبتها له ، وثقتها بكرمه .

وفي وصله الشطر الأول من البيت بالشطر الثاني " بالواو " إبراز للصـورة التي يريد رسمها وتجسيد للمعنى الذي يدور في داخله .

والشطر الثاني يجري مجرى المثل ، فمعناه غزير وعميق حيث شبه الممدوح بالبحر في وفرة عطائه ، وجعل من دونه في العطاء سواقي قليلة الدفع ناضبة .

وفي بناء الشطر الثاني على الشرط وجوابه نوع من الإيجاز الحي المليء بمعنى العطاء .

الشاهد الرابع عشر بعد الثلاثمائة : (*) (المنسرح)

- وقول المتنبـي :

(*) الدلائل ، رضا : ٢٧٩-٢٨٠ ، خفاجي : ٤٥٢ ، شاكر : ٤٩٦
ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٢٨٧/٤ .

كَأَنَّمَا يُولَدُ النَّدَى مَعَهُمْ .·. لاصِغَرٌ عَاذِرٌ وَلَا هَرَمُ (١)

وهو من قصيدة في مدح علي بن إبراهيم التنوخي (٢)، ومطلعها :

أَحَقُّ عَافٍ بِدَمْعِكَ الهِمَمُ .·. أَحْدَثُ شَيْءٍ عَهْداً بِهَا القِدَمُ

وقبل الشاهد :

قَوْمٌ بُلُوغُ الغُلَامِ عِنْدَهُمُ .·. طَعْنُ نُحُورِ الكُمَاةِ لَا الحُلُمُ

وبعده الشاهد وبعده :

إِذَا تَوَلَّوا عَدَاوَةً كَشَفُوا .·. وَإِنْ تَوَلَّوْا صَنِيعَةً كَتَمُوا

•• مع قول البحتري : (الطويل)

عَرِيقُونَ فِي الإِفْضَالِ يُؤْتَنَفُ النَّدَى (٣) .·. لِنَا شِئِهِمْ مِنْ حَيْثُ يُؤْتَنَفُ العُمْرُ (٤)

وهو من قصيدة يمدح بها أبا عامر الخضر بن أحمد (٥)، ومطلعها :

---

(١) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٤ / ٦٥.

(٢) سبقت ترجمته : ٥٣٧.

(٣) يؤتنف : الجمل الأنِف الذلول الذي يأنف من الزجر ومن الضرب فهو ذلول منقاد ، أرض أنُف وأنيفة : منبتة استأنفت الشيء إذا ابتدأته / اللسان " أنف " : ٩ / ١٣ - ١٤.

(٤) لم أجده إلا في :
ديوان البحتري : ١ / ٢٧٦ ، ديوانه - صيرفي - : ٢ / ٨٧٢ ، التبيان للعكبري : ٤ / ٦٥.

(٥) هو أبو عامر الخضر بن أحمد بن عمر بن الخطاب العدوي التغلبي عامل المعتمد على الموصل سنة (٢٦١ هـ) وهو من أسرة كان لها شأنها في أيام الدولة العباسية ، فابن أخيه هو الحسن بن أيوب بن أحمد بن عمر بن الخطاب الذي جمع عسكر الموصل لقتال مساور بن عبد الحميد الشاري وذلك سنة (٢٥٤ هـ) ومنها إسحاق بن أيوب أخو الحسن ، وقد كان أميراً لديار ربيعة والتقى مع إسحاق بن كنداج سنة (٢٦٦ هـ) وهزم / انظر :
الكامل لابن الأثير : ٥ / ٣٣٩ ، ٦ / ٧ ، ٢٤.

لَمَا وَصَلَتْ أَسْمَاءُ مِنْ حَبْلِنَا شكرَ ∴ وإنْ حُمَّ بِالبَيْنِ الَّذِي لَمْ نُرِدْ قَدْرُ

وقبل الشاهد :

فَمَا يَتَعَاطَى مَا يَنَالُونَهُ يَدٌ ∴ وَلَا يَتَقَصَّى مَا يَنَالُونَهُ شُكْرُ

وبعده الشاهد وبعده :

إِذَا تَجَرُوا فِي سُؤدَدٍ وَتَزَايَدُوا ∴ فَأَنْفَقُ مَا أَبْضَعْتَ[1] عِنْدَهُمُ الشِّعْرُ

المعنى المشترك في البيتين : قدم عهد الممدوح بالكرم ، فالمتنبي جاء بالمعنى مباشراً ، ورمى به في أول البيت ، فصرّح بأنّ الكرم يولد مع قبيلة الممدوح ، فلا فرق بين صغيرهم وكبيرهم .

أما البحتري ، فكان أدق تركيباً ، وأغزر معنى حيث جعل عهد قبيلة الممدوح بالنّدى أقدم ، فعهدهم به من قبل الولادة ، فهو ينشأ ، ويترعرع معهم بنشوء الحياة فيهم ، أي وهم أجِنّة .

فكان البحتري دقيقاً في قوله : " يأتنف العمر " لأنّ عمر الإنسان يبدأ في وقت دبيب الروح في جسده ؛ وذلك لأن معنى العَمر ، والعُمْر : الحياة.[2]

وكلمة " يأتنف " كلمة نامية ذات دلالات موحية ، فهي تحمل معنى النشوء والترعرع والنمو ، والإنبات ، فأرض أُنُف وأنيفة : أي منبتة ، وانظر إليه كيف أثبت عراقتهم في الكرم حيث ابتدأ البيت بالمسند " عريقون " ، وحذف المسند إليه ، وكأن هذه الصفة معروفة فيهم ، وهم مشهورون بها .

الشاهد الخامس عشر بعد الثلاثمائة : (*) (الطويل)

• وقول البحتري :

فَلَا تَغْلِيَنْ بِالسَّيفِ كُلَّ غَلَائِهِ ∴ لِيَمْضِي فَإِنَّ الكَفَّ لَا السَّيفَ تَقْطَعُ (٣)

---

(١) ما أبضعت : اتخذت بضاعة / معجم مقاييس اللغة : " بضع " : ١ / ٢٥٦ .

(٢) اللسان " عمر " : ٤ / ٦٠١ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٠ ، خفاجي : ٤٥٣ ، شاكر : ٤٩٦ .

(٣) ديوان البحتري : ١ / ٣٤٦ ، الوساطة : ٢٨٨ .

وهو من قصيدة يمدح بها أبا عيسى بن صاعد(١) مطلعها :

أُحَاجِيكَ(٢) هَلْ لِلْحُبِّ كَالدَّارِ تَجْمَعُ .'. وَلِلْهَائِمِ الظَّمْآنِ كَالظَّلْمِ(٣) يَنْقَعُ(٤)

وقبل الشاهد :

يَقِلُّ غَنَاءُ القَوْسِ نَبْعٌ(٥) نِجَارِهَا(٦) .'. وَسَاعِدُ مَنْ يَرْمِي عَنِ القوسِ خَرْوَعُ(٧)

وبعده الشاهد وبعده :

إِذَا شِئْتَ حَازَ الحَظَّ دُونَكَ وَاهِنٌ .'. وَ نَازَعَكَ الأَقْسَامَ عَبْدٌ مُجَدَّعُ

•• مع قول المتنبي : (الطويل)

إِذَا الهِنْدُ سَوَّتْ بَيْنَ سَيْفَي كَرِيهَةٍ(٨) .'. فَسَيْفُكَ فِي كَفٍّ تُزِيلُ التَّسَاوِيَا (٩)

وهو من قصيدة مدح بها كافور الأخشيدي ، وذلك حين فارق المتنبي سيف الدولة ، ورحل إلى دمشق فكاتبه كافور بالمسير إليه ، فلما ورد مصر أُخلي له كافور داراً وخلع عليه وحمل إليه آلافاً من الدراهم فقال قصيدته هذه مادحاً إياه وذلك سنة ست وأربعين وثلثمائة ، ومطلعها :

كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى المَوْتَ شَافِيَا .'. وَحَسْبُ المَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا

---

(١) سبقت ترجمته : ص ٢٦٦ .

(٢) أحاجيك : أغالبك في الحجا ، والحجا : العقل والفطنة / اللسان " حجا " : ١٤ / ١٦٥ .

(٣) الظَّلْم : ماء الأسنان وبريقها / مختار الصحاح : " ظلم " : ٤٠٥ .

(٤) ينقع : يسكن العطش / مختار الصحاح " نقع " : ٦٧٧ .

(٥) النَّبْع : شجر تُتَّخذ منه القِسِيّ وتُتَّخذ من أغصانه السهام ، الواحدة " نَبْعَة " مختار الصحاح : ٦٤٣ .

(٦) النجار : الأصل / القاموس المحيط " نجر " : ٢ / ١٤٣ .

(٧) الخروع : الرخو اللين / مختار الصحاح : ١٧٣ .

(٨) الكريهة : الشدة في الحرب . / مختار الصحاح : ٥٦٨ .

(٩) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٤ / ٢٩٣ ، العرف الطيب : ٤ / ٦٣٨ ، الوساطة : ٢٨٨ ، تفسير أبيات المعاني : ١٨٠ .

وقبل الشاهد :

وَأَنْتَ الَّذِي تَغْشَى الأَسِنَّةَ أَوَّلاً ∴ وَتَأْنَفُ أَنْ تَغْشَى الأَسِنَّةَ ثَانِيَا

وبعده الشاهد وبعده :

وَبِنْ قَوْلِ سَامٍ لَوْ رَآكَ لِنَسْلِهِ ∴ فِدَى ابْنَ أَخِي نَسْلِي وَنَفْسِي وَمَالِيَا

ومعنى الشاهد :

" إذا طبعت الهند سيفين فجعلتهما سواء في الحدّة والمضاء ، فالسيف الذي يصاحبك يكون أمضى ؛ لأنك تزيل مساواتهما بشدة الضرب ، وكذا قال الواحدي ." (١)

وقد نقل المتنبي معنى هذا البيت إلى الخيل، فقال :

فَمَا تَنْفَعُ الْخَيْلُ الكِرَامُ وَلَا القَنَا ∴ إِذَا لَمْ يَكُنْ فَوقَ الكِرَامِ كِرَامُ (٢)

فالمعنى المشترك في البيتين هو أن القوة في الضارب لا في المضروب به .

وفي كلا البيتين لطائف وأسرار ، فالبحتري جاء بأسلوب النهي ، وفيه ما فيه من معنى الاستهانة والتقليل من شأن ذلك السيف " فلا تغلين " ، وقوله " كل غلائه . . وقوله " ليمضي " تصوير لعجز ذلك السيف أمام قوة الممدوح ، ثم أكد كون الممدوح أشد وأسرع من السيف ، فجاء بأداة التوكيد " إنّ " وقرنها بـ " الفاء " ، ليبالغ في توكيد سرعة تلك الكف ، ولو أنه جاء بـ " الواو " العاطفة بدلاً من " الفاء " لما كان لتوكيده مثل هذه القوة .

أما المتنبي . فكان أفخم عبارة ، وأدق تصويراً ، فلجأ إلى الشرط وجوابه ، لتتم المقارنة في أوضح صورها ، وأجمل معانيها ، ولتظهر نتيجة تلك المقارنة جازمة قاطعة جاء بـ " إذا " ليجزم بمضاء كف الممدوح .

---

(١) التبيان للعكبري : ٤ / ٢٩٣ .

(٢) ديوانه : ٣ / ٣٩٤ .

فالهند إذا سوت بين سيفين في الحدة والقوة والمضاء ، فإن السيف الذي يكون في كف الممدوح أعلى جودة من بقية السيوف ، وماذاك إلا لأنه في كف الممدوح .

وأسلوب الشرط هذا بعث نوعاً من الحركة تلائم حركة السيوف الدائرة فيه .

وانظر إلى تفخيمه شأن تلك السيوف ، ومايتطوي عليه هذا التفخيم من معنى ، فذكر " الهند " وهي أكثر البلدان شهرة في صناعة السيوف ليجعلها رمزاً للجودة والفخامة ، وفي ذكره لفظ " كريهة " وهو مأخوذ من الكراهة كناية عن الحرب ، وفي هذه الكناية تصوير دقيق حي للحرب ومايدور فيها ، ومايعقبها من دمار وخراب كانت تلك السيوف سبباً فيه .

وفي الإعلاء من جودة تلك السيوف وتفخيمها ، تفخيم للممدوح ؛ لأن تلك السيوف مهما عظُمت ، فإن قوة الممدوح هي التي تعطيها القوة الحقيقية .

وتنكير لفظ " كف " تعظيم وتفخيم وتصوير للكف بأنها كف عجيبة في قوتها وجبروتها .

الشاهد السادس عشر بعد الثلاثمائة :- (الكامل)

● قول البحتري :

سَامَوْكَ (١) مِنْ حَسَدٍ فَأَفْضَلَ مِنْهُمُ ∴ غيرُ الجَوَادِ وَجَادَ غيرُ المُفْضِلِ

فَبَذَلْتَ فِينَا مَابَذَلْتَ سَمَاحَةً ∴ وَتَكَرُّمًا وَبَذَلْتَ مَالَمْ تَبْذُلِ (٢)

وهو من قصيدة - عدد أبياتها ستة أبيات - يمدح بها إبراهيم بن سهل (٣) ، ومطلعها :

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٠ ، خفاجي : ٤٥٣ ، شاكر : ٤٩٦ .
(١) ساموك : تساموا أي تباروا . / مختار الصحاح " سما " : ٣١٦ .
(٢) ديوانه : ١ / ٣١٩ .
(٣) هو إبراهيم بن الحسن بن سهل ، وكنيته أبو الفضل له مع البحتري مواقف عديدة منها أن البحتري هجاه مرة فتركه أبو الفضل أياماً ، وأظهر قلة المبالاة والإهمال لهجائه ، ولم يظهر الموجدة بذلك . حضره يوماً فقال : ياأبا عبادة تبيعني غلامك نسيماً - وهو رومي ليس بحسن الوجه - فقال : كيف أبيعك من لو فارقته=====

لَوْ أَنَّ كَفَّكَ لَمْ تَجُدْ لِمُؤَمِّلٍ ∴ لَكَفَاهُ عَاجِلُ وَجْهِكَ الْمُتَهَلِّلِ

وبعده أبيات قبل الشاهد :

رَغِبَتْ قَوْماً فِي السَّمَاحِ وَأَيْنَ هُمْ ∴ إِنْ سَاجَلُوكَ مِنَ السِّمَاكِ الأَعْزَلِ

وبعده الشاهد وبعده :

وَتَصَرَّفَتْ بِكَ فِي الْمَنَازِلِ هِمَّةٌ ∴ نَزَلَتْ مِنَ الْعَلْيَاءِ أَعْلَى مَنْزِلِ

ومعنى الشاهد :

" أراد أنهم من الحسد أخذوا يسامونه " فعل مشاركة من السمو " في العطاء ، فبذلوا ، ولا جود عندهم ، فكان بذله بذلين بذل السماحة الصادر منه مباشرة ، وبذل هؤلاء البخلاء الذي صدر عنهم بسببه " (١)

•• مع قول أبي تمام : (الطويل)

أَرَى النَّاسَ مِنْهَاجَ النَّدَى بَعْدَمَا عَفَتْ ∴ مَهَايِعُهُ (٢) الْمُثْلَى وَمَحَّتْ لَوَاحِبُهُ (٣)

فَفِي كُلِّ نَجْدٍ فِي الْبِلَادِ وَغَائِرٍ ∴ مَوَاهِبُ لَيْسَتْ مِنْهُ وَهِيَ مَوَاهِبُهُ (٤)

=== ساعة فارقني روحي ! .. " ثم باعه إياه بألفي دينار ، ومامر يوم حتى ندم البحتري وسأل أبا الفضل رد الغلام إليه فأبى، ثم رده إليه بعد ذلك وقال له : " إياك أن تهجو الأحرار ، فإن لهم مكايد يضل فيها هجوك ومدحك " / انظر:
أخبار البحتري للصولي : ١٢٧-١٣٠ .

(١) هامش الدلائل- تحقيق رشيد رضا - : ٣٨٠ .

(٢) مهايعه : المهايع جمع " مهيع " وهو الطريق الواسع المنبسط ./ القاموس المحيط " هيع " : ٣ / ١٠٤ .

(٣) اللواحب : جمع لاحب وهو الطريق الواضح ./ القاموس المحيط : " لحب " : ١ / ١٣٢ .

(٤) ديوان أبي تمام - دار صعب - : ٤٥ .

والشاهد من قصيدة طويلة مدح بها عبد الله بن طاهر،(١) ومطلعها :

أَهُنَّ غَوادِي يُوسُفٍ وَصَواحِبُهْ ∴ فَعَزْماً فَقِدْماً أَدْرَكَ السُّؤْلَ طَالِبُهْ

وقبل الشاهد :

وَذُو يَقَظَاتٍ مُسْتَمِرٍّ مَرِيرُهَا ∴ إِذَا الخَطْبُ لَاقَاهُ اضْمَحَلَّتْ نَوَائِبُهْ

وَأَيْنَ بِوَجْهِ الحَزْمِ عَنْهُ وَإِنَّمَا ∴ مَرَائِي الأُمُورِ المُشْكِلَاتِ تَجَارِبُهْ

وبعد الشاهد :

لِتُحْدِثْ لَهُ الأَيَّامُ شُكْرَ صَنَائِعٍ ∴ تَطِيبُ صَبَا نَجْدٍ بِهِ وَجَنَائِبُهْ

فالمعنى المتحد في الشاهدين هو وصف الممدوح بالكرم العام ،وأن كل صور الكرم الموجودة تنسب إليه .

أما نسج الشاهدين وتركيبهما ،فيختلف بيت البحتري عن بيت المتنبي ،فمحور الصورة في بيت البحتري هو صورة الحاسد ،فالحسد هو الدافع إلى منافسته على الجود ،فصورة الحسد وماينتج عنها من خراب قلّبها البحتري ،وجعلها صورة مثمرة لشرف الممدوح ،فإليه يضاف شرف مابذل ، وإليه أيضا يُضاف شرف مابذله الحاسدون؛ لأنه السبب في هذا البذل ،فهو الذي حرّك في نفوسهم دافع العطاء.

---

(١) هو عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق الخزاعي بالولاء ، أبو العباس (١٨٢هـ-٢٣٠ هـ) ، أمير خراسان في عصر المأمون ، ومن أشهر الولاة في العصر العباسي ، فكانت له طبرستان ،وكرمان ، وخراسان، والري، والسواد ، ومايتصل بتلك الأطراف ،واستمر إلى أن توفي بنيسابور وقيل بمرو ، كان سيداً نبيلاً منَ أكثر الناس بذلاً للمال شهماً ، وكان المأمون كثير الاعتماد عليه. / انظر ترجمته : المحبر: ٣٧٦ ، الطبري : ٨/ ٥٨٠-٥٨١، ٥٩٢-٥٩٥، ٥٩٨، ٦٠١، ٦٠٩، ٦١٣، ٦١٥، ٦١٦، ٩/ ٨٠، ٨٥، ٨٩، ٩١، ٩٢، ٩٥، ٩٩، ١٠٣، ١٠٧، ١١٠، ١٢٢ ، ١٣١، ٣٣٨، وفيات الأعيان : ٣ / ٨٣ ، الأعلام : ٤ / ٩٤.

وانظر إلى قيمة " الفاء " في بداية البيت الثاني ، وكيف ربطت بين البيتين . وأحكمت الصلة بينهما وأظهرت حب الممدوح وسرعته في العطاء .

وقوله " فينا " اعتراف من المادح بفضل ذلك الممدوح .

وما أدق قوله " مابذلت " ، فالاسم الموصول هنا فتح أفقاً رحباً من معنى العطاء والبذل ، ذلك البذل لتكامله وعظمه كأنه لا يوجد إلا في الوهم والخيال .

أما أبو تمام فقد استمد ألوان صورته من الطبيعة الرحبة ، فجعل النّدى كالأرض الفسيحة المنبسطة المترامية الأطراف ، والممدوح هو الذي عرّف الناس طرق الكرم ومهدها لهم بعد أن عفت ودرست ، وأصبحت أرضاً قاحلة خربة غير واضحة المعالم ، فكل ماطرأ بعد ذلك على كل مرتفع ومنخفض من ينع واخضرار ، وإن لم يكن الممدوح هو القائم به ، فإنه يُنسب إليه ، وهو من صنع كرمه ونداه ، لأنه هو البادي، والمظهر لمعالم ذلك الطريق .

الشاهد السابع عشر بعد الثلاثمائة : (*) (البسيط)

- قول المتنبي :

بَيْضَاءُ تُطْمِعُ فِيمَا تَحْتَ حُلَّتِهَا .·. وَعَزَّ ذَلِكَ مَطْلُوباً إِذَا طُلِبَا (١)

وهو من قصيدة يمدح بها المغيث بن علي بن بشر العجلي ، (٢) ومطلعها :

دَمْعٌ جَرَى فَقَضَى فِي الرَّبْعِ مَا وَجَبَا .·. لِأَهْلِهِ وَشَفَى أَنَّى (٣) وَلَا كَرَبَا (٤) (٥)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٠ ، خفاجي : ٤٥٣ ، شاكر: ٤٩٦ .

(١) انظر البيت في :

ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ١/ ١١١ ، العرف الطيب : ١ / ٩٣ .

(٢) ستأتي ترجمته : ١٠٧٠ .

(٣) أنّى : كيف / التبيان للعكبري : ١/ ١٠٩ .

(٤) ولا كَرَبا : كرب أن يفعل كذا ، أي كاد وقارب / التبيان للعكبري : ١/ ١٠٩ .

(٥) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

وقبل الشاهد :

هَامَ الفُؤَادُ بِأَعْرَابِيَّةٍ سَكَنَتْ ∴ بَيْتاً مِنَ القَلْبِ لَمْ تَمْدُدْ لَهُ طُنُبَا (١)

مَظْلُومَةَ القَدِّ فِي تَشْبِيهِهِ غُصُنَا ∴ مَظْلُومَةَ الرِّيقِ فِي تَشْبِيهِهِ ضَرَبَا (٢)

وبعد هما الشاهد وبعده :

كَأَنَّهَا الشَّمْسُ يُعْيِي كَفَّ قَابِضِهِ ∴ شُعَاعُهَا وَيَرَاهُ الطَّرْفُ مُقْتَرِبَا (٣)

ذكر القاضي الجرجاني (٤) أنه مأخوذ من قول عبد الله بن الحسن العلوي ، وهو متداول :

يُحْسَبْنَ مِن لِينِ الكَلَامِ زَوَانِيَا (٥) ∴ وَيَصُدُّهُنَّ عَنِ الخَنَا (٦) الإِسْلَامُ

ومعنى الشاهد : " من لين حديثها وأنسها يطمع فيما تحت ثوبها ، فإذا طُلب عز ذلك مطلوباً وبَعُدَ " (٧)

ويبدو لي أن كلمة " زوانيا " هنا ركيكة ، وقد عاب عبد القاهر مثل هذه الكلمة في كتابه أسرار البلاغة عند قول ابن المعتز :

إِنْ زَنَتْ عينه بِغَيرِكَ فَاضْرِبْ ∴ هَا بِطُولِ السُّهَادِ وَالدَّمعِ حَدَّا

قال :

---

(١) طُنب الخيام حبالها التي تشد بها / معجم مقاييس اللغة " طنب " : ٣ / ٤٢٦ .

(٢) ضَرَبَا : الضرب " بفتح الراء " العسل الأبيض الغليظ ./ معجم مقاييس اللغة " ضرب " : ٣ / ٣٩٩ ، القاموس المحيط " ضرب " : ١ / ٩٩ .

(٣) التبيان للعكبري : ١ / ١١١ .

(٤) الوساطة : ٣١٨ .

(٥) رواية التبيان : " لين الحديث " .

(٦) رواية التبيان :

" وَبِهِنَّ عَنْ رَفَثِ الرِّجَالِ نِفَارُ "

(٧) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ١ / ١١١ .

" ولفظ " زنت " وإن كان مايتلوها من أحكام الصنعة يحسّنها وورودُ ها في الخبر " العَينَ تَزني " (١) يؤنس بها ، فليست تدع ما هو حكمها من ادخال نفرة على النفس " (٢)

•• مع قول البحتري : (الكامل)

تَبْدُو بِعَطْفَةِ مُطْمِعٍ (٣) حَتَّى إِذَا .·. شَغِلَ الخَلِيُّ (٤) ثَنَتْ بِصَدْفَةِ (٥) مُؤْيِسِ (٦)

وهو من قصيدة قالها في دعوة كانت ليونس بن بغا (٧) دعاه فيها ، مطلعها :

هَلْ فِيكُمْ مِنْ وَاقِفٍ مُتَفَرِّسِ .·. بَعْدِي عَلَى نَظَرِ الظِّبَاءِ الأُنَّسِ

وبعده أبيات قبل الشاهد :

أَثَّرْنَ فِي قَلْبِ الخَلِيِّ مِنَ الجَوَى .·. وَمَلَكْنَ مِنْ قَوْدِ الأَبِيِّ الأَشْوَسِ

مِنْ كُلِّ مُرْهَفَةِ القَوَامِ غَرِيرَةٍ .·. جُعِلَتْ مَحَاسِنُهَا هَوًى لِلأَنْفُسِ

وبعد هما الشاهد وبعده :

شَاهَدْتُ أَيَّامَ السُّرُورِ فَلَمْ أَجِدْ .·. يَوْمًا يَسُرُّ كَيَوْمِ دَعْوَةِ يُونُسِ

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل " مسند أبي هريرة " : ٢ / ٣٢٩ .

(٢) أسرار البلاغة ـ هـ ، ريتر ـ : ٢٧٧ .

(٣) عطف الشيء يعطفه عطفاً وعطوفاً فانعطفَ وعطّفه فتعطّف : حناه وأماله ، شُدّد للكثرة ، ويقال : عطفت رأس الخشبة فانعطفَ أي حنيته فانحنى وعطفت أي حلت / اللسان " عطف " : ٩ / ٢٤٩ - ٢٥٠ .

(٤) الخَلِيّ : الفارغ الذي لا هم له . / اللسان " خلا " : ١٤ / ٢٣٩ .

(٥) صَدَفَ عنه : أي أعرض / اللسان " عرض " : ٩ / ١٨٧ .

(٦) ديوان البحتري : ١ / ١٧٨ .

(٧) هو من ندماء ابن المعتز وخاصته ، وكان أثيراً لديه ، وهو من أحسن الناس وجهاً ، له أخبار مع ابن المعتز انظرها في :- الأغاني : ٩ / ٣١٨ - ٣٢٠ .

المعنى الظاهر للبيتين : شدة المنع مع شدة الأطماع.

ويبدو لي أن بيت البحتري آنق وألطف من بيت المتنبي، فالذي أورده المتنبي أن محبوبته ، لأنسها ولين حديثها يُطمع فيما تحت ثوبها ، فإذا طُلب منها ذلك ، عز ذلك المطلوب ، وبَعُد لعفتها ونقاء سريرتها .

وانظر إلى قوله " بيضاء " حيث حذف المسند إليه ، وابتدأ البيت بالمسند ، وأصل الكلام " هي بيضاء " ، وإنما حذف المسند ، ليظهر أجمل صفاتها ، ويبين مواطن إعجابه بها .

وما ألطف تلك الملائمة بين وصفها بالبياض - هذه الصفة التي أعلنها في بداية البيت - وبين وصفها بصفاء الشرف " وعز ذلك مَطْلُوباً إذا طُلِبَا " ، فهي نقية المظهر والمخبر ، وفي تقديم جواب الشرط على فعله ، وصياغة الشرط بـ " إذا " توكيد لعزتها وشرفها ، فهي إذا أُلِحَّ عليها في الطلب فإنها عزيزة ممتنعة . ولكن ما أقبح وأشنع قوله : " فيما تحت حلتها " .

ومع هذا كله فبيت البحتري أكثر خفة ، وأرشق حركة .

انظر إلى المقابلة بين جملتي " تبدو بعطفة مطمع " وجملة " فنثنت بصدفة مؤيس " وما بعثته في البيت من رشاقة ولطف ، أضف إلى ذلك أن محبوبة البحتري أكثر حنكة ومرانا في استمالة القلوب ، فالذي جذبه إليها ليس الصفات الجسدية الظاهرة من بياض وغيره ، وإنما جذبه دلالها وتمايلها وخفة حركتها ، حتى إذا أسرت القلب الخَلِيّ ، وانشغل بها وطمع فيها أعرضت عنه إعراضا بعث اليأس في نفسه .

الشاهد الثامن عشر بعد الثلاثمائة : (*) (الكامل)

● قول المتنبي :

إِذْكَارُ مِثْلِكَ تَرْكُ إِذْ كَارِي لَـهُ .·. إِذْ لَا تُرِيدُ لِمَا أُرِيدُ مُتَرْجِمَـا (١)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨١ ، خفاجي : ٤٥٣-٤٥٤ ، شاكر: ٤٩٧ .
(١) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري : ٤ / ٣٣ ، العرف الطيب : ٤ / ٥٠٠ .

وهو من قصيدة قالها في صباه يمدح بها إنسانًا ، وأراد أن يستكشفه عن مذهبه ، مطلعها :

كُفِّي أَرَانِي وَيْكِ لَوْمَكِ أَلْوَمَــا ∴ هَمٌّ أَقَامَ عَلَى فُؤَادٍ أَنْجَمَـــا

والشاهد آخر بيت في القصيدة وقبله :

يَامَنْ لِجُودِ يَدَيْهِ فِي أَمْوَالِـهِ ∴ نِقَمٌ تَعُودُ عَلَى اليَتَامَى أَنْعُمَا

حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مَاذَا عَاقِـلا ∴ وَيَقُولَ بَيْتُ المَالِ مَاذَا مُسْلِمَا

معنى الشاهد : " مثلك إذا لم أذكِّره حاجتي فهو تذكارله ؛ لأنه يعلم مايريد (١) ، فلا يحتاج إلى من يترجم له عما في مرادي ، فترك إذكاره إذكار " (٢)

وذكر العكبري أنه مأخوذ من قول أبي تمام :

وَإِذَا الجُودُ كَانَ عَوْنِي عَلَى المَرْ ∴ ءِ تَقَاضَيْتُهُ بِتَرْكِ التَّقَاضِـي (٣)

•• مع قول أبي تمـــام : (الخفيف)

وَإِذَا المَجْدُ (٤) كَانَ عَوْنِي عَلَى المَــرْ ∴ ءِ تَقَاضَيْتُهُ بِتَرْكِ التَّقَاضِـي (٥)

وهو من قصيدة قالها في مدح أحمد بن أبي دؤاد (٦) ومطلعها :

بُدِّلَتْ عَبْرَةً مِنَ الإِيمَـــاضِ (٧) ∴ يَوْمَ شَدُّوا الرِّحَالَ بِالأَغْرَاضِ

---

(١) هكذا وجدتها في التبيان ، ولعلها " ما أريد " ، وهو ما يتفق مع طبيعة المعنى .
(٢) التبيان للعكبري : ٤ / ٣٣ .
(٣) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .
(٤) رواية التبيان للعكبري : " إذا الجود " .
(٥) انظر البيت في :
ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٢ / ٣١٦ ، ديوان أبي تمـــام - دار صعب - : ١٦٦ ، عيون الأخبار : ٣ / ٨ / ١٤٩ ، ديوان المعانـــي : ١ / ١٦٨ .
(٦) سبقت ترجمته : ٣٧١ .
(٧) الإيماض : مسارقة النظر . / القاموس المحيط " ومض " : ٢ / ٣٦١ .

والشاهد آخر بيت في القصيدة ، وقبله :

أَنْتَ أَمْضَى مِنْ أَنْ تَصُدَّ عَنِ الرَّمـ ∴ ـي إِذَا مَاجَدَدْتَ فِي الإِنبَاضِ

وذكر أبو هلال العسكري أن بيت الشاهد من أحسن ماقيل في حسن الاقتضاء .

ومثله قول الآخر :

أَرُوحُ بِتَسْلِيمٍ وَأَغْدُو بِمِثْلِهِ ∴ وَحَسْبُكَ بِالتَّسْلِيمِ مِنِّي تَقَاضِيَا

ومثله أيضا قول الآخر :

أَنْتَ أَمْضَى مِنْ أَنْ تُحَرَّكَ لِلْمَجْـ ∴ ـدِ وَلَكِنْ شَرَاهَةُ الشُّعَرَاءِ

وفي خلاف هذا المعنى :

أَرُوحُ وَأَغْدُو نَحْوَكُمْ فِي حَوَائِجِي ∴ فَأُصْبِحُ مِنْهَا غَدْوَةً كَالَّذِي أُمْسِي

وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو لِلصَّدِيقِ شَفَاعَتِي ∴ فَقَدْ صِرْتُ أَرْضَى أَنْ أُشَفَّعَ فِي نَفْسِي (١)

فالمعنى الجامع بين الشاهدين : أن الممدوح بالغ الجود ، فهو يجود دون أن يُسأل .

فالمتنبي جاء بالمعنى مباشرة ، وبناء على فكرة " الإذكار والتذكير " فرأى أن الإذكار الحقيقي ليس هو الإلحاح في الأمر والمطالبة به إنما الإذكار في ترك التذكير ، وهذا دليل الفطنة ، ونفاذ البصيرة .

أما بيت أبي تمام ، فهو أغزر معنى ، وأبعد مرمى ، حيث بنى البيت على فكرة المقاضاة - وهي الطلب بحجة وطمع شديد - ، وفرق بين الإذكار والتقاضي في هذا الموقف الذي يحتاج إلى نوع من الجزالة والفخامة في الفكرة واللفظ .

ثم انظر إلى قوله " وإذا المجد كان عوني " حيث صرح بأن عونه على ترك المقاضاة هو مجد الممدوح ، والتصريح بكلمة المجد هنا أفخم من الكناية في قول المتنبي " مثلك " .

---

(١) ديوان المعاني : ١ / ١٦٨ .

وتأمل صورة هذا التصريح ، وكيف جاء به متلفعاً في ثوب الاستعارة المكنية حيث
شبه المجد بإنسان ، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه ، وهو " العون ".
وفي بناء البيت على الشرط بـ " إذا " توكيد بأن مجده مجد عريق عظيم .

الشاهد التاسع عشر بعد الثلاثمائة : (*) (الكامل)

• قول أبي تمام :

قَنِعَتْ مِنْ شَمْسٍ إِذَا حُجِبَتْ بَدَتْ (١) ∴ مِنْ خِدْرِهَا (٢) فَكَأَنَّهَا لَمْ تُحْجَبِ (٣)

والشاهد من قصيدة مدح بها عمر بن طوق التغلبي (٤) ، ومطلعها :

أَحْسِنْ بِأَيَّامِ العَقِيقِ وَأَطْيِبِ ∴ وَالعَيْشِ فِي إِظْلَالِهِنَّ المُعْجِبِ

وقبل الشاهد :

لِلَّهِ لَيْلَتُنَا وَكَانَتْ لَيْلَةً ∴ ذُخِرَتْ لَنَا بَيْنَ اللِّوَى فَالعَلْيَبِ (٥)

مَالَتْ وَقَدْ أَطْفَقَتْ كَفِّي كَفَّهَا ∴ حِلّاً وَمَاكُلُّ الحَلَالِ بِطَيِّبِ

وبعد هما الشاهد وبعده :

وَإِذَا رَنَتْ خِلْتَ الظِّبَاءَ وَلَدْنَهَا ∴ رِبْعِيَّةً (٦) وَاسْتَرْضَعَتْ فِي الرَّبْرَبِ

انسيةٌ إِنْ حصَّلت أنسابَهَا ∴ جِنِّيَّةُ الأَبَوَيْنِ مَالَمْ تَنْسَبِ

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨١ ، خفاجي : ٤٥٤ ، شاكر : ٤٩٧ .
(١) رواية الموازنة : " فعجبت " .
(٢) رواية الديوان والموازنة : " من نورها " .
(٣) الديوان - دار صعب - : ١٨ ، الموازنة - محمد محيي الدين عبد الحميد - ٦٧ ، الوساطة : ٢٩٧ .
(٤) لم أقف على ترجمة له ، ولعله أخو مالك بن طوق ممدوح أبي تمام .
(٥) العَلْيَب : بفتح أوله وسكون ثانيه ، ثم ياء مثناة من تحت مفتوحة ، وآخره باء موحدة : موضع ، وقيل : جبل بتهامة / مراصد الاطلاع : ٢ / ٩٥٨ .
(٦) ربعية : الرِّبْعِيّ : ما نتج أيام الربيع ، ويكنى به عن ولد الرجل في شبابه / الصحاح " ربع " : ٣ / ١٢١٥ .

(المنسرح)

•• مع قول قيس بن الخطيم (١) :

قَضَى لَهَا اللَّهُ حِينَ صَوَّرَهَا (٢) الـ .·. خَالِقُ أَنْ لا يُكِنَّهَا (٣) سَدَفُ (٤) (٥)

والشاهد من قصيدة قالها في حرب (٦) كانت بين الخزرج وبين بني جحجبى (٧)

---

(١) هو قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو بن سود بن ظَفَر، كنيته أبو زيد، كان شاعر الأوس، وبينه وبين حسّان بن ثابت منافسات، وقد قدم مكة، فدعاه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام، وتلا عليه القرآن، فقال: إني لأسمع كلاماً عجباً، وطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم إمهاله، لينظر في الأمر هذه السنة، ثم يعود، فمات قبل تمام الحول. / انظر ترجمته: الأغاني: ٣ / ٢٦، خزانة البغدادي - دار صادر -: ٣ / ١٦٨، ١٦٩، الإصابة: ٣ / ٢٦٦، رقم (٧٣٥٠).

(٢) رواية الديوان: " حين يَخْلُقُهَا ".

(٣) رواية المختار من شعر بشار: " إلا تجنها " ورواية الأشباه والنظائر " بأنها لا يكنها "، ومعنى يجنها ويكنها: يحجبها ويسترها. / اللسان " جنن ": ١٣ / ٩٢، " كنن ": ١٣ / ٣٦٠.

(٤) رواية بديع أسامة: " لا يكنها السَّدَف " بأل التعريف.

والسَّدَف: الظلمة. / اللسان " سدف ": ٩ / ١٤٦.

(٥) انظر البيت في:

ديوانه: ١٠٥، الأصمعيات: ١٩٦، رقم (٦٨)، الموازنة - محمد محيي الدين عبد الحميد -: ٦٧، الأغاني: ٣ / ٢٣، المختار من شعر بشار: ١٤٢، الوساطة: ٢٩٧، الأشباه والنظائر للخالديين: ١ / ١٥٩، العمدة: ١ / ٧١، بديع أسامة: ١٩٧.

(٦) وهي حرب سُمير للأوس على الخزرج، انظر خبر هذه الحرب في:

الأغاني: ٣ / ٣٩-٤٢، خزانة البغدادي - دار صادر -: ٢ / ١٩٠-١٩٣، أيام العرب في الجاهلية: ٦٢ - ٧١.

(٧) بنو جَحْجَبى: بخاء ساكنة بين جيمين مفتوحتين حي من الأوس. / خزانة البغدادي - دار صادر -: ٢ / ١٩٣.

وبني خطمة (١)، ولم يشهدها قيس ولا كانت في عصره، وإنما أجاب بها شاعراً منهم يقال له : درهم بن زيد بن ضبيعة (٢).

ومطلعها :

رَدَّ الخَلِيطُ (٣) الجِمَالَ فَانْصَرَفُوا ∴ مَاذَا عَلَيهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ وَقَفُوا

وقبل الشاهد :

بَيْنَ شُكُولِ النِّسَاءِ خِلْقَتُهَا ∴ قَصْدٌ، فَلا جَبْلَةٌ وَلا قَضَفُ (٤)

تَغْتَرِقُ (٥) الطَّرْفَ وَهْيَ لاهِيَةٌ ∴ كَأَنَّمَا شَفَّ وَجْهَهَا نُزُفُ

وبعد هما الشاهد وبعده :

تَنَامُ عَنْ كُبْرِ شَأْنِهَا فَإِذَا ∴ قَامَتْ رُوَيداً تَكَادُ تَنْغَرِفُ (٦)

ذكر القاضي الجرجاني (٧) والآمدي (٨) أن أبا تمام قد أخذ هذا المعنى من قيس ابن الخطيم. أو أنه أخذه من قول أبي نواس:

---

(١) خَطْمة : بفتح الخاء المعجمة وسكون الطاء وبعدها ميم هو عبد الله بن جشم ابن مالك بن الأوس قيل له لأنه ضرب رجلاً بسيفه على خطمه أي أنفه، فسمي خطمة، وجحجبى وخطمة حيان لقبيلة قيس بن الخطيم. / خزانة البغدادي - دار صادر - : ٢ / ١٩٣.

(٢) هو شاعر جاهلي من الأوس من بني زيد ثم هو أحد بني عمرو بن عوف، وهو أخو سُمير بن زيد الذي من أجله قامت أول حرب بين الأوس والخزرج. / انظر :

الأغاني : ٣ / ٤٠، خزانة البغدادي - دار صادر - : ٢ / ١٩٣.

(٣) الخليط : المخالط والمشارك لهم / القاموس المحيط (خلط) : ٢ / ٣٧١.

(٤) القَضَفُ : النحافة / القاموس المحيط " قضف " : ٣ / ١٩١.

(٥) تغترق : تَشغل النظر / القاموس " غرق " : ٣ / ٢٨١.

(٦) تنغرف : تتثنى وقيل تنقصف من دقة خصرها، وانغرف العظم : انكسر / اللسان " غرف " : ٩ / ٢٦٤.

(٧) الوساطة : ٢٩٧.

(٨) الموازنة - محمد محيي الدين عبد الحميد - : ٦٧.

تَرَى ضَوْءَهَا مِنْ بَاطِنِ الكَأْسِ ظَاهِراً (١) .'. عَلَيْكَ (٢) وَلَوْ غَطَّيْتَهَا (٣) بِغِطَاءِ (٤)

وكذلك أخذ المتنبي قول قيس بن الخطيم ، فقال :

قَلَقُ المَلِيحَةِ وَهْيَ مِسْكٌ هَتْكُهَا .'. وَمَسِيرُهَا فِي اللَّيْلِ وَهْيَ ذُكَاءُ (٥) (٦)

فالمعنى المباشر في البيتين ظهور الشيء على الرغم من استتاره لقوته .

فأبو تمام نظر إلى هذا المعنى، وكساه صورة جديدة ، فاتخذ من الشمس وضوئها مادة يرسم بها ذلك المعنى ، ففتاته شمس حقيقية إذا حجبتها الغيوم بدت تلك الحُجب بضوئها المستمر.

وفي مجيء فعل الشرط مبنياً للمجهول ، وهو قوله " حُجبت " إظهار لقوة تلك الحُجب ، فكلما كانت الحُجب أقوى - وهي مع ذلك تبدو - كان المعنى أروع وأبلغ وأدل على أنها ذات جمال فائق .

وفي بناء البيت على الشرط بـ" إذا " وعدم الفصل بين الفعل وجوابه بأي فاصل " إذا حُجِبَت بَدَتْ " دليل على سرعة ذلك البُدُوّ ، فليس هناك فاصل زمني بين وقت الحجب وبين وقت الظهور .

وقوله :" من خدرها " قيدٌ كشف أن المراد بتلك الشمس هي فتاته ، وليست الشمس الحقيقية ، وأيضا هو تصريح بأنها من ذوات الخدور ، فهي مصونة كريمة على أهلها ، شريفة في قومها .

---

(١) رواية ديوانه والموازنة : " من ظاهر " .
(٢) رواية الديوان : " ساطعاً " .
(٣) رواية الديوان : " وإن غطيتها " .
(٤) ديوانه : ٤٠٢ .
(٥) ذُكاء : اسم للشمس معرفة لا ينصرف مثل هُنيدة / التبيان للعكبري : ١ / ١٣ .
(٦) المختار من شعر بشار : ١٤٢ ، ديوانه بشرح العكبري : ١ / ١٣ .

وقوله : " فكأنها لم تحجب " تذييل لطيف زاد المعنى جمالاً وروعة وتأكيداً .

واستعارة الشمس في قول أبي تمام معروفة ، ولكن وضعها في هذه الصـــــورة جعلها بديعة غريبة .

أما قيس بن الخطيم فكانت فكرته أقوى في الإثبات ، وحجته أبلغ ، حيث أكـــد للخيال أن ضوء محبوبته ضوء ثابت لا يتبدد ، فهو من قضاء الله ، وبديع تصـويره ، فالله منذ أن خلقها قضى بأن لا يسترها ، ولا يحجبها ظلام ، فهي تضيء كل ظلمة تحل بها ، وقضاء الله أمر محقق محتوم لا جدال في ذلك .

وفي تكرير لفظ الجلالة " الله " " الخالق " إشعار بعظم ذلك القضاء وثبوته .

والجار والمجرور " لها " مَعْقد معنى البيت ، ولمجيئه في البيت حلاوة ومـذاق خاص . فلو أن الشاعر قال :

" قَضَى اللَّهُ حِينَ صَوَّرَهَا . . . "

لم نجد للبيت تلك الحلاوة التي في قوله " قضى لها الله "

الشاهد العشــــرون بعد الثلاثمائة : (*) (الخفيف)

• قول المتنبي :

رَامِيَاتٍ (١) بِأَسْهُمٍ رِيشُـهَا الهُدْ ∴ بُ تَشُقُّ القُلُوبَ قَبْلَ الجُلُودِ (٢)

والشاهد من قصيدة قالها في صباه ، ومطلعها :

كَمْ قَتِيلٍ كَمَا قُتِلْتُ شَـــــهِيدٍ ∴ بِبَيَاضِ الطُّلَى وَوَرْدِ الخُـــدُودِ

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨١ ، خفاجي : ٤٥٤ ، شاكر : ٤٩٧ .

(١) راميات نعت للبدور في البيت الذي قبل الشاهد .

(٢) انظر البيت في :-

ديوان أبي الطيب بشـرح العكبري : ١ / ٣١٤ ، العرف الطيـب : ٣ / ٣٠ .

وقبل الشاهد :

عَمْرَكَ اللَّـهُ هَلْ رَأَيْتَ بُدُورًا ∴ طَلَعَتْ فِي بَرَاقِعٍ وَعُقُـــودِ

وبعد الشاهد :

يَتَرَشَّفْنَ مِنْ فَمِي رَشَـفَاتٍ (١) ∴ هُنَّ فِيهِ أَحْلَى مِنَ التَّوْحِيـدِ (٢)

ومعنى الشاهد :

" يريد " بالأسهم " : الأعين ، ولما سماها أسهماً جعل لها ريشـــاً ، لأن الريش يقوي السهام ،كذلك لحظاتهن إنما تصل إلى القلوب بحسن أشفارهن وأهدابهن ،وتنفذ إلى القلوب ،أي تصل إلى القلوب ، فتنفذ فيها قبل الجلود " (٣)

•• مع قـول كثـير : (الطويل)

رَمَتْنِي بِسَهْمٍ رِيشُهُ الكُحْلُ (٤) لَمْ يَجُزْ (٥) ∴ ظَوَاهِرَ جِلْدِي وَهْوَ فِي القَلْبِ جَارِحُ (٦) (٧)

---

(١) المراد بها كلمة التوحيد .

(٢) رواية العرف الطيب : " هن فيه حلاوة التوحيد " .
والبيت على كلا الروايتين فيه مبالغة رديئة ، قال الشيخ في الأسرار معلقـاً على البيت - وهو من تشبيه المحسوس بالمعقول - :
" وأبعد ما يكون الشاعر من التوفيق إذا دعته شهوة الإغراب إلى أن يستعـير للهزل والعبث من الجد ، ويتغزل بهذا الجنس/ الأسرار - هـ،ريتر: ٣١٥ .

(٣) التبيان للعكبري : ١ / ٣١٥ .

(٤) رواية التبيان : " ريشه الهُدْب " ،
ويبدو لي أن هذه الرواية أنسب وأدخل في الصورة .

(٥) رواية الديوان : " لم يُصِبْ " ، ورواية التبيان : " لم يَضِرْ " .

(٦) رواية التبيان : " جارحي " .

(٧) انظر البيت في :
ديوانه : ١٨٨ ، التبيان للعكبري : ١/ ٣١٥ ،
وجعل محقق الديوان هذه الأبيات مضافة إلى قصيدته التي مطلعها :
لِعَزَّةَ هَاجَ الشَّوْقَ فَالدَّمْعُ سَافِحُ ∴ مَغَانٍ وَرَسْمٌ قَدْ تَقَادَمَ مَاصِـحُ
ولم يحدد موقع الأبيات الأربعة من القصيدة ، وإنما ذكرها منفردة .

والشاهد أول أبيات أربعة ، وبعده :

وَجِدْتُ بِهَا وَجْدَ المُضِلِّ قَلوصَهُ (١) ∴ بِمَكَّةَ (٢) وَالرُّكْبَانُ غَادٍ وَرَائِحُ

وَجِدْتُ بِهَا مَالَمْ يَجِدْ ذُو حَرَارَةٍ ∴ يُمَارِسُ جَمَّاتِ (٣) الرَّكِيِّ النَّوَازِحُ

وَجِدْتُ بِهَا مَالَمْ تَجِدْ أُمُّ وَاجِدٍ ∴ بِوَاجِدِهَا تُطْوِي عَلَيهِ الصَّفَائِحُ

ذكر العكبري أن قول المتنبي مأخوذ من قول كثير هذا ، أو أنه مأخوذ من قول جميل بن معمر ، ـ وقيل هو لكثير أيضاً ـ :

مَاصَائِبٌ مِنْ نَابِلٍ قَذَفَتْ بِهِ ∴ يَدٌ وَمُمَرُّ العُقْدَتَينِ وَثِيقُ

بِأَوشَكَ قَتْلاً مِنْكِ يَوْمَ رَمَيْتِنِي ∴ نَوَافِذَ لَمْ يُعْلَمْ (٤) لَهُنَّ خُرُوقُ (٥)

فالمعنى الجامع بين الشاهدين هو سرعة نفاذ نظرات المحبوبة ، وتأثيرها في القلب .

ولكن إذا تأملنا البيتين ، وجدنا أن ألوان الصورتين متقاربة إلا أن توزيعها مختلف .

فكلا الصورتين فيهما : رمي ، وسهام ، وريش ، وجلد ، وقلوب ، إلا أن المتنبي شبه الهدب بالريش ، أما كثير فالريش عنده هو الكحل .

---

(١) ذكر القلوص ، وهي الشابة من النوق ؛ لأن الوجد من فقدها أشد ، ولم يقل ـ مثلاً ـ " بَعِيرَهُ " .

(٢) وذكر " مكة " لأن من أصعب الصعب وجدان الضالة بها ، ولذلك ذكر " الركبان غاد ورائح " .

(٣) جَمَّات الرَّكِي : جَمَاءُ كُل شيء اجتماعُه وحَركته ، تَجَمَّى القومُ إذا اجتمع بعضهم إلى بعض ، والرَّكِي جَمع رَكِيَّة وهي البئر تحفر . / اللسان : ١٤ / ١٥٣ ، ٣٣٤ .

الظاهر أن البيت لجميل ، فقد ورد في ديوانه وورد بعده بيت فيه ذكر بثينة وهو قوله :

كَأَنْ لَمْ تُحَارِبْ يَابُثَيْنُ لَوْ أَنَّهَا ∴ تكَشَّفُ غُمَاهَا وَأَنتِ صَدِيقُ

(٤) رواية الديوان : " لم تظهر " .

(٥) ديوان جميل بثينه : ٤٩ ، التبيان للعكبري : ١ / ٣١٥ .

والمتنبي كان أغرق نزعاً وأبعد مرمى ، فمحبوبته كانت أقوى تأثيراً ، فكلمة " تشق " أقوى من كلمة " جارح " ، ففي الشق قوة ليست في الجرح .

ولسهم صاحبة المتنبي تأثير حسيٌّ في الجلد وتأثير معنوي في القلب ، فهو بذلك أقـوى .

وقول كثير: " وهو في القلب جارح " تركيب حي يحمل في باطنه معنى الالتياع والألم ، فتعبيره عن هذه الآلام بالجملة الاسمية الحالية ، وتقديم الجار والمجرور " في القلب " ومجيء الخبر على وزن فاعل " جارح " دليل قوي على شدة تلك النظرات ، وثبوتها ودوام فعلها في النفس .

الشاهد الواحد والعشرون بعد الثلاثمائة : (*) (الكامل)

• قول بعض شعراء الجاهلية ، ويعزى إلى لبيد (١) :

وَدَعَوتُ رَبِّي بِالسَّلَامَةِ (٢) جَاهِداً ∴ لِيُصِحَّنِي فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاءُ (٣)

وقبله بيت متصل به :

كَانَتْ قَنَاتِي لَا تَلِينُ لِغَامِزٍ ∴ فَأَلَانَهَا الإِصْبَاحُ وَالإِمْسَاءُ

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨١ ، خفاجي : ٤٥٤ ، شاكر: ٤٩٨ .

(١) نسبه ابن طباطبا للنمر بن تولب ، ونسبه الثعالبي في الإعجاز والإيجاز للنابغة الجعدي ، ونُسب أيضا - لعمر بن قميئة، ونُسب البيتان في مجموعة المعاني لعبد الرحمن بن سويد المُرّي .

(٢) رواية الكامل : " في السلامة " .

(٣) انظر البيت في : شعر النمر بن تولب "شعراء إسلاميون" : ٤٠٠ .
عيون الأخبار : ٢/ ٣٢٢/٦ ، الكامل - دار الفكر -: ١/ ١٤٨ ، عيار الشعر: ٨٣ ، الإعجاز والإيجاز: ١٤٥ ، زهر الآداب : ١/ ٢٦٨ ، التشبيهات : ٢١٧ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٣ / ٨١ .

•• مع قول أبي العتاهية : (الرجز)

أَسْرَعَ فِي نَقْصِ آمْرِيءٍ تَمَامُهُ (١) .·. تُدْبِرُ فِي إِقْبَالِهَا أَيَّامُهُ (٢) (٣)

فالمعنى العام في الشاهدين هو أن الداء والعلة في طول عمر الإنسان .

فلبيد جاء بالمعنى مباشراً ، فهو لم يزد على أن اجتهد في دعاء ربه وطلب السلامة . إلا أن قوله " فإذا السلامة داء " إيجاز مفعم بالمعنى . وتركيب هذا الإيجاز على الطباق بين لفظ "السلامة"، ولفظ "الداء" فيه محاورة للفكر ، وتنشيط للذهن ؛ لأن فيه قلباً للمعنى المألوف ، فالمعروف أن في الصحة السلامة ، وليس فيها الداء .

وما أبرع مجيء الفاء هنا (فإذا) حيث دلت على المفاجأة والمباغتة ، وعدم التوقع .

أما أبو العتاهية ، فكان أكثر تحريكاً للخيال ، فجاء بالطباق في شطري البيت :

" نقص - تمام "

" تدبر - تقبل "

وحركة المخادعة هذه حركة لطيفة فيها نوع من الإثارة التي تحرك الفكر .

وانظر إلى قوله " تدبر في إقبالها أيامه " ، وتأمل الدور الذي قام به تقديم الجار والمجرور " في إقبالها " على الفاعل " أيامه " وكيف استحكمت به حلقات

---

(١) رواية الحيوان : " نقض " بالضاد .

(٢) رواية التشبيهات للشطر الثاني :

" يَاذَا الَّذِي قَدْ بَعُدَتْ أَيَّامُهُ " .

(٣) لم أجده في ديوانه : انظره في :

عيون الأخبار : ٢ / ٣٢٢/٦ ، البيان والتبيين : ١/ ١٥٤ ، الحيوان : ٥٠٢/٦ ، - الشطر الأول فقط - ، والبيت بتمامه في : التشبيهات : ٢١٧ .

المعنى حيث جعل الإقبال والإدبار وكأنهما حركة واحدة لها نفس السرعة بل نفس الاتجاه .

وهذه الحركة السريعة في الإقبال والإدبار تنبيه قوي للنفس بسرعة انقضاء أجلها بل سرعة فناء الدنيا بأسرها .

الشاهد الثاني والعشرون بعد الثلاثمائة : (*) (الكامل)

• قولـه :

أَقْلِلْ (١) زِيارَتَكَ الحَبِيـ (٢) ـبَ تَكُونُ كَالثَّوبِ (٣) اسْتَجَدَّهْ
إِنَّ الصَّدِيقَ يُمِلُّـهُ (٤) أَنْ لا يَزالَ يَرَاكَ عِنْدَهْ (٥)

ذكره الشيخ من غير نسبة . (٦)

•• مع قول أبي تمام : (الطويل)

وَطُولُ مُقامِ المَرْءِ في الحَيِّ مُخْلِقٌ (٧) لِدِيباجَتَيْهِ (٨) فَاغْتَرِبْ تَتَجَدَّدِ (٩)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨١-٣٨٢ ، خفاجي : ٤٥٤-٤٥٥ ، شاكر : ٤٩٨ .

(١) رواية محاضرات الأدباء : " أغبب زيارتك " .

(٢) رواية محاضرات الأدباء : " الصديق " .

(٣) رواية محاضرات الأدباء : " كالشيء " .

(٤) رواية محاضرات الأدباء : " إن الصديق يمل من "

(٥) لم أجد البيت فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :
محاضرات الأدباء : ٢ / ٣ / ٣٦ .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) مخلق : بال / مختار الصحاح : ١٨٧ .

(٨) الديباجتان : الديباجة تستعار للوجه في الوصف بالحسن ، وفي الوصف بوفور الحياء ، والماء ، وعلى المعنى الثاني بيت أبي تمام / ثمار القلوب : ٢ / ٥٩٧
وجاء في شرح التبريزي :
" أهل اللغة يقولون : الديباجتان الخدّان ، وربما قالوا الليتان ويجوز أن يكون الطائي عنى الخدّين ؛ لأنهما في معنى الوجه ، وقد يحتمل أن يكون جعل " الديباجتين " مثلاً ، ولم يرد الخدّين ، ولكنهما جَرَيا مجرى البُرْدَيـن =====

وهو من قصيدة له في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف الطائي ، (١) ومطلعها :

غَدَتْ تَسْتَجِيرُ الدَّمْعَ خَوْفَ نَوَى غَدِ .·. وَعَادَ قَتَاداً عِنْدَهَا كُلُّ مَرْقَدِ

وقبل الشاهد :

وَلَمْ تُعْطِنِي الأَيَّامُ نَوْماً مُسَكَّناً .·. أَلَذُّ بِهِ إِلَّا بِنَوْمٍ مُشَرَّدِ

وبعده الشاهد وبعده :

فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً .·. إِلى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدِ (٢)

ذكر أبو هلال العسكري في ديوان المعاني أن بيت أبي تمام في معنى قوله تعالى : -

" فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ " (٣)

قال بعد أن ذكر الآية :

" فأخرج الكلام مخرج العموم ، ولم يخص أرضا دون أرض ، ولا قربا دون بعد ، ويُنشد في هذا المعنى قول أبي تمام :

وَطُولُ مُقَامِ المَرْءِ . . . . البيت " (٤)

=== والثوبين ، فيكون الواحد ، والجمع في معنىً واحد ؛ لأنه إذا قيل فلان مُخلِق البُرد ، أو البُرديْن ، فالمعنى : أنه مُخلِق الثياب ، وأراد " بالديباجتين " ما يظهر من أمره ، لأن مَلْبَسَ الإنسان يدلُّ على باطنه . / الديوان بشرح التبريزي : ٢ / ٢٣ .

(٩) انظر البيت في :-

ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٢ / ٢٣ ، ديوانه - دار صعب - : ٩٠ ، البيان والتبيين : ٢ / ١٨٧ ، عيون الأخبار : ١ / ٣ / ٢٣٣ ، الموشى : ٢٤ ، ديوان المعاني ٢ / ١٩٠ ، التشبيهات : ٣٤٨ ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : ٢ / ٥٩٨ ، أسرار البلاغة - هـ ، ريتر - : ١١٢ ، محاضرات الأدباء : ٢ / ٣ / ٣٦ ، المحاسن والمساوىء : ٢٨٥ ، بهجة المجالس : ١ / ٢٤٠ .

(١) سبقت ترجمته ، انظر : ص ٧١٨ .
(٢) رواية بهجة المجالس : " إذ ليست " .
(٣) الجمعة : آية ١٠ .
(٤) ديوان المعاني : ٢ / ١٩٠ .

وذكر ابن أبي عون أن مـن جيد هذا المعنى قول ابن المعتز :

كَمَا يُخْلِقُ الثَّوْبَ الجَدِيدَ ابْتِذَالُهُ ∴ كَذَا يُخْلِقُ المَرْءَ العُيونُ اللَّوَامِـحُ

وذكر بيت أبي تمام على أنه من أجود الأمثال في هذا المعنى قال :

" وقال ابن المعتز (الطويل) :

كَمَا يُخْلِقُ الثَّوبَ الجَدِيدَ ابْتِذَالُهُ .... البيت

وهذا قول الطائي (الطويل) :

وَطُولُ مُقَامِ المَرْءِ فِي الحَيِّ مُخْلِقٌ ... البيت

فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً ... البيت " (١)

وفي هذا المعنى قول أبي الفتح البستي :

مَنْزِلَتِي يَحْفَظُهَا مَنْزِلِـي ∴ وَبَاحَتِي تَحْفَظُ دِيبَاجَتِي (٢)

ويبدو لي أن أصل هذا المعنى مأخوذ من قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

" زُرْغِبّاً تَزْدَدْ حُبّاً " (٣)

المعنى العام في الشاهدين : ندرة الرؤية تزيد الرغبة في الإنسان ، وكثرتها تُهِل منه .

فلو نظرنا إلى طريقة تناول كل من الشاعرين لهذا المعنى ، وجدنا الأول قد رمى بنصيحته رمياً مباشراً ، ولم يراعِ الأحوال النفسية لمُتلقي النصيحة .

وقوله " كالثوب استجده " تشبيه لاعمق فيه ، وهو تشبيه لا يخدم المعنى كثيراً .

أما أبو تمام فكان أخبر بأحوال النفس ، وأمهر في قيادتها نحو استجابة النصح ، إذ أنه كان حريصاً كل الحرص على أن تُستجاب نصيحته وأن تؤثر في النفوس .

---

(١) التشبيهات : ٣٤٨ .

(٢) ثمار القلوب : ٢ / ٥٩٨ .

(٣) مسند الشهاب : ١ / ٣٦٦ - ٣٦٧ ، رقم : (٦٢٩-٦٣٠-٦٣١-٦٣٢) ، المستدرك على الصحيحين : ٣ / ٣٤٧ ، مجمع الزوائد : ٨ / ١٧٥ .

فصورة الثوب الخلق التي رسمها أبو تمام أليق بالمقام ، وأبلغ في التنفير ، فتصوير النتيجة للنفس ثم إخبارها بالأمر يفتح منافذ الحذر في جوانبها .

ثم بعد هذه التهيئة النفسية ، وتصوير نتائج طول الإقامة ألقى الأمر على السامع " فَاغْتَرِبْ تَتَجَدَّدِ " .

وإني لأسمع رنين الشدة في الحض على سرعة الاستجابة ينبعث من فعل الأمر المقترن بـ " الفاء " .

وفي مجيء الأمر مقترناً بالجواب " فَاغْتَرِبْ تَتَجَدَّدِ " تأكيد من الشاعر بأن النفس قد وصلت إلى مرحلة من التقبل لا مجال للرفض معها .

وهذا البيت مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالبيت بعده ، وهو قوله :

" فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً "

فـ " الفاء " هنا قامت بدور فعال في تسلسل المعاني والأحداث حيث ربطت وأحكمت وثاقهما ، فالبيت الثاني تجسيد وتصوير لقوله : " فَاغْتَرِبْ تَتَجَدَّدِ " .

ولقد كان الشاعر دقيقاً بارعاً في اختيار صورته ، فاختارها صورة حسية قريبة من حس الإنسان وشعوره ، وهي صورة متكررة أمام النظر ، وفي هذا تذكير ، وبعث للتفكير تجاه الموقف المرسوم .

قال الشيخ عبد القاهر :

" ... فأنا نعلم أن المشاهدة تؤثر في النفوس مع العلم بصدق الخبر كما أخبر الله تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام في قوله : " قَالَ بَلَى وَلَكِن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي "[١] ، الشواهد في ذلك كثيرة ، والأمر فيه ظاهر ، ولولا أن الأمر كذلك لما كان لنحو قول أبي تمام :

وَطُولُ مُقَامِ المَرْءِ ...

فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ ...

---

(١) البقرة : ٢٦٠ .

معنى ، وذلك أن هذا التجدد لا معنى له إن كانت الرؤية لا تفيد أُنساً من حيث هي رؤية ، وكان الأُنس لنفيها الشك والريب ، أو لوقوع العلم بأمر زائد لم يُعلم من قبل " (١)

ثم انظر إلى قوله " زيدَ تَحَبَّةً " ، وبناء الفعل " زادَ " للمجهول والذي صور عظيم المحبة المنبعثة في القلوب ، وفي هذا إحياء للنفس وحث لها وترغيب في الابتعاد لتعظم محبتها في النفوس .

الشاهد الثالث والعشرون بعد الثلاثمائة : (*) (الرمل)

- وقول الخُرَيمي (٢) :

زادَ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي عِظَماً ... أَنَّهُ عِنْدَكَ مَحْقُورٌ (٣) صَغِيرْ

تَتَناسَاهُ (٤) كَأَنْ لَمْ تَأْتِهِ ... وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ (٥) مَشْهُورٌ (٦) كَبِيرْ (٧)

---

(١) أسرار البلاغة - هـ ، ريتر - : ١١٣ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٢ ، خفاجي : ٤٥٥ ، شاكر : ٤٩٨ .

(٢) سبقت ترجمته : ٤٤٩

(٣) رواية الديوان ، والموشى ، ولباب الآداب والتبيان للعكبري " مستور حقير " .

(٤) رواية لباب الآداب " وتتناساه " .

رواية الوزراء والكتاب " مستور يسير " .

(٥) رواية لباب الآداب " عند الله " .

(٦) رواية الديوان : " مشهور خطير " .

رواية الوزراء والكتاب : " مذكور كثير " .

رواية الوساطة والتبيان للعكبري : " مشهور كثير " .

رواية لباب الآداب : " مشكور كبير " .

(٧) ديوانه : ٢٥ ، عيون الأخبار : ٣ / ٨ / ١٦٠ ، الشعر والشعراء : ٢ / ٨٦٠ ، الفاضل : ٩٦ - من غير نسبة - ، الموشى : ٤٥ ، الوزراء والكتاب : ٢٦٨ ، الوساطة : ٢٥٤ ، لباب الآداب : ٢٥٧ ، التبيان للعكبري : ٤ / ٦٥ .

وهو من قصيدة له في مدح محمد بن منصور بن زياد (١) مطلعها :

لَا يُنَاجِي فِي النَّدَى إِلا النَّدَى ∴ وإِذَا هَمَّ بِهِ لَا يَسْتَشِيرْ

وبعده بيتا الشاهد وبعدهما :

كَمْ وَكَمْ أَولَيتَنِي مِنْ نِعْمَةٍ ∴ تَدَعُ المُثْنِي بِهَا وَهْوَ حَسِيرْ

والشاهد في معنى بعض الحكماء :

" أحيي معروفك بإماتة ذكره ، وعظّمه بتصغيرك له " (٢)

ومثال هذا المعنى أيضا قول الخُريمي :

لَأَنْكَ تُعْطِينِي الجَزِيلَ بَدَاهَةً ∴ وَأَنْتَ لِمَا اسْتَكْثَرْتَ مِنْ ذَاكَ حَاقِرُ (٣)

وأقوال الخريمي في معنى قول طُريح الثقفي (٤) :

سَعَيْتُ ابْتِغَاءَ الشُّكْرِ فِيمَا صَنَعْتَ بِي ∴ فَقَصَّرْتُ مَغْلُوباً وَإِنِّي لَشَاكِرُ (٥)

ولقد علق ابن قتيبة (٦) على بيت الشاهد بأنه من جيد شعر الخُريمي ، وكذلك ذكر القاضي الجرجاني (٧) أن هذا البيت من أملح شعره .

---

(١) من كتاب البرامكة ، كان ثريًا سخيًا أكثر الخريمي من مدحه ومن رثاء أبيه / الوزراء والكتاب : ٢٦٦-٢٦٨ .

(٢) الموشى : ٤٥ .

(٣) ديوانه : ٢٦ ، عيون الأخبار : ٣ / ٨ / ١٦٠ .

(٤) هو طريح بن إسماعيل بن عبيد بن أسيد الثقفي ، أبو الصلت (٠٠-١٦٥ هـ) وهو شاعر الوليد بن يزيد الأموي وخليله ، انقطع إليه قبل أن يلي الخلافة ، واستمر اتصاله به ، وأكثر شعره في مدحه ، وكان الوليد يستشيره في مهماته / انظر ترجمته :
الوزراء والكتاب : ٩٥ ، سمط اللآلي : ٢ / ٧٠٥ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي ٢ / ١٤٠ ، تهذيب ابن عساكر : ٧ / ٥٦ ، الأعلام : ٣ / ٢٢٦ .

(٥) شعر طُريح الثقفي : ٨٦ ، عيون الأخبار : ٣/٨/١٦٠ .

(٦) الشعر والشعراء : ٢ / ٨٦٠ .

(٧) الوساطة : ٣٥٤ .

•• مع قول المتنبي : (المنسرح)

تَظُنُّ مِنْ فَقْدِكَ اعْتِدَادَهُمُ ∴ أَنَّهُمُ أَنْعَمُوا وَمَا عَلِمُوا (١)

وهو من قصيدته (٢) التي مدح بها علي بن إبراهيم التنوخي (٣)

وقبل الشاهد :

قَوْمٌ بُلُوغُ الغُلَامِ عِنْدَهُمُ ∴ طَعْنُ نُحُورِ الكُمَاةِ لَا الحُلُمُ

كَأَنَّمَا يُولَدُ النَّدَى مَعَهُمْ ∴ لَا صِغَرٌ عَاذِرٌ وَلَا هَرَمُ

إِذَا تَوَلَّوا عَدَاوَةً كَشَفُوا ∴ وَإِنْ تَوَلَّوْا صَنِيعَةً كَتَمُوا

وبعد الشاهد وبعده :

إِنْ بَرَقُوا فَالحُتُوفُ حَاضِرَةٌ ∴ أَوْ نَطَقُوا فَالصَّوَابُ وَالحِكَمُ

ومعنى الشاهد :

" يريد أنهم لا يعتدون بصنيعهم ، وإنعامهم ، كأنهم لم يعلموا بذلك لتناسيهم وغفلتهم عنه " (٤)

وفي هذا المعنى قول يزيد بن حمار : (٥)

وَمِنْ تَكَرُّمِهِمْ فِي المَحْلِ أَنَّهُمُ ∴ لَا يَعْلَمُ الجَارُ فِيهِمْ أَنَّهُ الجَارُ (٦)

---

(١) لم أجد البيت فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :
ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري : ٣ / ٦٥ ، العرف الطيب : ٤ / ٤٢٤ .

(٢) سبق ذكر المطلع : ١٠٣ .

(٣) سبقت ترجمته : ١٠٣ .

(٤) التبيان للعكبري : ٤ / ٦٥ .

(٥) هو يزيد بن حمار السكوني من فرسان الجاهلية ، شهد حرب " ذي قار " ، وكان حليفاً لبني شيبان ، وقام بحركة " عسكرية " كانت من أسباب هزيمة الفرس . / انظر :
النقائض : ٦٤٢ - ٦٤٤ ، الأعلام : ٨ / ١٨١ .

(٦) التبيان للعكبري : ٤ / ٦٥ .

والمعنى العام في الشاهدين : أن المعروف يعظم إذا استصغره صاحبه ، وتناساه .

ويبدو لي أن الموازنة بين البيتين تكون من جهة أن الخُرَيمي جعل فاعل الخير عالماً بما يفعل بصيراً به إلا أنه يحقره ، ويصغره ، ولا يتعالى به ، وقد أكد هذا التحقير بتقديم الظرف " عندك " على الخبر " محقور " ، وجاء بالجملة مؤكدة بـ " أن " ، ثم زاد ذلك التأكيد بوصف الخبر بلفظ " صغير " مبالغة في التحقير .

وقوله " تتناساه " دل على السرعة والاقتدار على التناسي ، فهذا البناء للفعل أبلغ من قوله " تنسى " .

أما المتنبي فكان أبلغ في وصف مَمْدُوحِيهِ بالكرم والسماحة في العطاء ، فجعل اعتدادهم بما يفعلون مفقوداً لا محقوراً فقط .

وقد أجاد الشاعر حين بنى بيته على لفظة " تظن " هذه اللفظة التي تحمل في معاطفها كل معاني الدهشة ، والتي تثير في النفس كل كوامن الاستغراب والاستعظام والإكبار لأولئك المنعمين ، واظهرت معنى النفي في قوله : " وماعلموا " بأنه ليس على الحقيقة إنما هو للمبالغة في إكبار شأنهم ، فهم لعدم اعتدادهم بما صنعوا ، وعدم تفاخرهم كأنهم لم يعلموا .

وانظر إلى تعبيره عن الإنعام كيف جاء به مؤكدا بـ " أن " ، ليثبت أن إنعامهم كان حقيقة لا ظناً .

وما ألطف الوصل بين جملة الإنعام ، وبين جملة عدم علمهم ، ففيه إشارة إلى تلازم واقتران الإنعام بعدم العلم ، وأن هذا هو شأنهم ، ودينهم .

الشاهد الرابع والعشرون بعد الثلاثمائة : (*) (الوافر)

• وقول البحتري :

أَلَمْ تَرَ للنَّوائِبِ كَيْفَ تَسْمُو ∴ إِلى أَهْلِ النَّوافِلِ وَالفُضُولِ (١)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٢ ، خفاجي : ٤٥٥ ، شاكر : ٤٩٩ .
(١) ديوان البحتري -بيروت- : ١/ ٦٠ ، ديوانه -صيرفي- : ٣/ ١٧٣٩ .

والشاهد من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان،(١) ومطلعها :

أَكُنْتَ مُعَنِّفِي يَوْمَ الرَّحِيلِ ∴ وَقَدْ لَجَّتْ دُمُوعِي فِي الهُمُولِ

وقبل الشاهد :

وَلَمَّا اعْتَلَّ أَصْبَحَتِ المَعَالِي ∴ مُحَبَّسَةً عَلَى خَطَرٍ مَهُولِ (٢)

وبعد الشاهد :

وَكَيْفَ تَرُومُ ذَا الشَّرَفِ(٣) المُعَلَّى ∴ وَتَخْطُو صَاحِبَ القَدْرِ الضَّئِيلِ

●● مع قول المتنبي : (البسيط)

أَفَاضِلُ النَّاسِ أَغْرَاضٌ لِذَا الزَّمَنِ ∴ يَخْلُو مِنَ الهَمِّ أَخْلَاهُمْ مِنَ الفِطَنِ (٤)

والشاهد هو مطلع قصيدة مدح بها أبا عبد الله القاضي الأنطاكي (٥)

وبعده :

وَإِنَّمَا نَحْنُ فِي جِيلٍ سَوَاسِيَةٍ ∴ شَرٍّ عَلَى الحُرِّ مِنْ سُقْمٍ عَلَى بَدَنِ

حَوْلِي بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْهُمُ خِلَقٌ ∴ تُخْطِي إِذَا جِئْتَ فِي اسْتِفْهَامِهَا بِمَنِ

ومعنى الشاهد :

" يقول : الفضلاء من الناس للزمان، كالأغراض يرميهم بنوائبه وصروفه ، ويقصدهم بالمحن، فلا يزالون محزونين، وإنما يخلو من الحزن ، والفكر من كان خالياً من الفطنة والبصيرة ، وهذا من أحسن الكلام ، وهو من كلام الحكيم .

---

(١) سبقت ترجمته : ٩١ .

(٢) ذكر في ديوانه ـ صيرفي ـ بعد هذا البيت بيت هو مثل الشاهد :

فكائن فض من دمع غزير ∴ وأُضرِمَ مِنْ جَوَى كَمَدٍ دَخِيلِ

(٣) رواية ديوانه ـ صيرفي ـ : " ذَا الفَضْلِ المُرَجَّى " .

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري : ٤ / ٢٠٩ ، العرف الطيب : ٤ / ٥٨٣ ، الوساطة : ١٥٩ ، يتيمة الدهر : ١ / ١٧٥ ، ٢٠٢ ، زهر الآداب : ١ / ٢٥٦ .

(٥) سبقت ترجمته : ٩٧٩

قال الحكيم : على قدر الهمم تكون الهموم ، وذلك أن العاقل يفكر في عواقب الأمور ، فلا يزال مهموماً ، وأما الجاهل ، فلا يفكر في شيء من هذا "(١)

ورأى ابن وكيع التنيسي أن قول المتنبي هو من قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر(٢):

أَتُنْكِرُ مِنِّي السَّهمَّ وَالسَّهمُّ مَالَـهُ .·. مِنَ الأَرْضِ مَأْوَى غَيْرَ قَلْبِ المُمَيَّزِ

وقال آخر:

مَنْ كَانَ ذَا غَفْلَـةٍ وَجَهْـلٍ .·. كَانَ خَلِيًّا مِنَ الهُمُومِ

وعلق بقوله :

" وقد اختصر أبو الطيب اللفظ الطويل في الموجز القليل "(٣)

وقد أكثر الشعراء في هذا المعنى ، فقال الصاحب بن عباد :

وَقَائِلَةٍ لِمْ عَرَتْكَ الهُمُومُ(م) .·. وَأَمْرُكَ مُمْتَثَلٌ فِي الأُمَمْ

فَقُلْتُ ذَرِينِي لِمْ أَشْتَكِي .·. فَإِنَّ الهُمُومَ بِقَدْرِ الهِمَمْ(٤)

وقال أبو الفتح البستي :

صَاحِبُ السُّلْطَانِ لَابُدَّ لَـهُ .·. مِنْ هُمُومٍ تَعْتَرِيهِ وَغُمَمْ

وَالَّذِي يَرْكَبُ بَحْراً سَيَرَى .·. قُحَمَ الأَهْوَالِ مِنْ بَعْدِ قُحَمْ(٥)

وقال ذو الإصبع العدواني :

أَطَافَ بِنَا رَيْبُ الزَّمَانِ فَدَاسَنَا .·. لَهُ طَائِفٌ بِالصَّالِحِينَ بَصِيرُ(٦)

---

(١) زهر الآداب : ١ / ٢٥٦.

(٢) سبقت ترجمته : ص ٥٩٦.

(٣) المنصف في نقد الشعر : ٥٧٩.

(٤) زهر الآداب : ١ / ٢٥٦.

(٥) لم أجده في ديوانه ، التبيان للعكبري : ٤ / ٢٠٩.

(٦) ديوانه : ٣٥.

وأحسن ماقيل في هذا المعنى ، قول قابوس بن وشمكير: (١)

قُلْ لِلَّذِي بِصُرُوفِ الدَّهْرِ عَيَّرَنَا .·. هَلْ حَارَبَ الدَّهْرُ إِلَّا مَنْ لَهُ خَطَرُ

أَمَا تَرَى البَحْرَ تَعْلُو فَوقَهُ جِيَفٌ .·. وَيَسْتَقِرُ بِأَقْصَى قَعْرِهِ الـــدُّرَرُ

فَإِنْ تَكُنْ نَشَبَتْ أَيدِي الزَّمَانِ بِنَا .·. وَنَالَنَا مِنْ تَمَادِي بُؤسِهِ الضَّـــرَرُ

فَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ مَالَهَا عَـــدَدٌ .·. وَلَيْسَ يُكْسَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالقَمَرُ (٢)

والمعنى الجامع بين البيتين : أنه على قدر الهم تأتي المصائب ، فالبحتري جعل النوائب تقصد أهل النوافل والفضول ، وقد تناول معناه هذا تناولاً لطيفاً ، فبـــدأ البيت بهمزة الاستفهام المفيد للتعجب " ألم ترَ " ، والذي فتح منافذ الإحســاس، وشد الانتباه للمعنى الغريب المُثار . وانظر إلى الفعل (ترى)وكيف نقل الأمر المعنوي إلى المحسوس المشاهد عن طريق الاستعارة .

وانظر إليه كيف قدم الجار والمجرور " للنوائب " ؛ لأنه محط التعجب ، وعليـــه يدور المعنى ، فمراد الشاعر ليس هو التعجب من السمو وحده ، ولكن أن يكون مـــن النوائـــب .

ولهذا التقديم أثر كبير في تركيب البيت ، فلو أنه قال : " ألم تر كيف تســـمو النوائب إلى أهل النوافل والفضول لفسد مذاق البيت ، وخرج عن كونه شعراً .

وتأمل الاستفهام في قوله : " كيف تسمو " فكيف هنا لها مذاق خاص فهي تتعجب من طريقة وصول النوائب إلى هذا الشخص بذاته . وانظر إلى اختيار الشاعر للفظ (تسمو) فهـــي عبارة تغوص في قلب المعاني ، وتستخرج خبأها ، فقد أظهرت سمو هؤلاء الأفاضـــل ، ورفعتهم ، فهم يجلسون عالياً ؛ لأنهم أهل عزة وكرم .

---

(١) هو قابوس بن وشمكير بن زياد بن وردانشاه الجيلي ، أبوالحسن " ..-٣٠٤هـ " ، الملقب شمس المعالي ، أمير جرجان ، وبلاد الجبل ، وطبرستان ، أخرجه منها عضد الدولة ، ثم استعادها ، وهو ديلمي الأصل ، نابغة في الأدب ، والانشاء ، جمعت رسائله في كتاب سمي " كمال البلاغة " ، وله شعر جيد بالعربية والفارســـية . / انظر ترجمته :

طبقات ابن المعتز: ٨٤-٩٥ ، يتيمة الدهر: ٤/٥٩-٦١ ، الإعجاز والإيجاز: ٩٦-١٢٢ ، وفيات الأعيان: ٤/٧٩-٨٢ ، الأعلام: ٥/١٧٠ .

(٢) يتيمة الدهر: ٢/ ٤/ ٦١ .

ومجيء جملة " تسمو " بالفعل المضارع أثار في البيت نوعاً من الحركة والنشاط.

أما بيت المتنبي ففيه من الرقة والسلاسة ما يجعله من السهل الممتنع ، فقد أشار إلى أن الفضلاء من الناس للزمان كالأغراض يرميهم بنوائبه وصروفه .

وزاد في المعنى عن الأول حين جعل الخلو من الهم دليلاً على عدم الفطنة ، وهذا معنى غريب لطيف .

واستعمال كلمة " غرض " أقوى في هذا المقام من كلمة " تسمو " حيث جعل الزمن هؤلاء الأفاضل هدفاً من أهدافه يترقبهم ويترصدهم ، وقد بنى هذه اللفظة على الاستعارة المكنية ، حيث شبه الزمن بالإنسان ، ثم حذف المشبه به ، وجاء بشيء من لوازمه ، وهو الهدف والغرض ، ويمكن أن يكون التركيب مجازاً عقلياً، فالغرض يكون من عاقل ، والزمن لا يعقل ، فأسند الفعل لغير ما هو له، وهذا قياس على قول الخنساء " فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ " .

وانظر إليه كيف ابتدأ البيت بوصف من تكالبت عليهم المصائب بقوله " أفاضل "، وفي هذا تعظيم وإكبار لشأنهم .

وفي بناء البيت على الجملة الاسمية المكونة من المبتدأ " أفاضل " ، والخبر " أغراض " دليل على ثبوت ودوام صفة الفضل لهم .

وفي جعلهم " أغراضاً " بصيغة الجمع تصوير لتوالي ، واستمرار ودوام إصابتهم بالمصائب ، وكونهم مقصداً لها .

وانظر إلى قوله " لِذَا الزَّمَنِ " ، وكيف أشار إلى الزمن بالقرب قصداً إلى تعظيم أهواله ومصائبه .

الشاهد الخامس والعشرون بعد الثلاثمائة : (*) (الطويل)

● وقول المتنبي :

تَذَلَّلْ لَهَا وَاخْضَعْ عَلَى القُرْبِ وَالنَّوَى .·. فَمَا عَاشِقٌ مَنْ لَا يَذِلُّ وَيَخْضَعُ (١)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٢ ، خفاجي : ٤٥٥ ، شاكر : ٤٩٩ .

(١) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٢ / ٢٣٨ ، العرف الطيب : ٤ / ٢٧ ، الوساطة ٣١٣ ، المنصف في نقد الشعر : ١٧٧ .

وهو من قصيدة قالها في صباه ، مدح بها علي بن أحمد الخراساني (١) ، ومطلعها :

حُشَاشَةَ نَفْسٍ وَدَّعَتْ يَوْمَ وَدَّعُوا ∴ فَلَمْ أَدْرِ أَيَّ الظَّاعِنِينَ أُشَـــيِّعُ

وقبل الشاهد :

فَيَا لَيْلَةً مَاكَانَ أَطْوَلَ (٢) بِتُّهَــا ∴ وَسُمُّ الأَفَاعِي عَذْبُ مَا أَتَجَـــرَّعُ

وبعد الشاهد :

وَلَا ثَوْبَ مَجْدٍ غَيْرَ ثَوْبِ ٱبنِ أَحْمَدٍ ∴ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِلُؤْمٍ مُرَقَّــــــعُ

ومعنى الشاهد : " الزم الطاعة والانقياد في القرب ، والبعد ، وارض وسلِّم لفعلها ، فهذا من علامة الحب " (٣)

ولقد أكثر الشعراء في هذا المعنى ، فمنه قول أبي نواس :

سُنَّةُ العُشَّاقِ وَاحِـــــــدَةٌ ∴ فَإِذَا أَحْبَبْـــتَ فَٱسْــــتَكِنْ (٤)

ومنه قول البحتري :

وَتَذَلَّلْتُ خَاضِعاً (٥) لِمَلِيكِـي ∴ وَقَلِيلٌ مِنْ عَاشِقٍ أَنْ يَـــذِلَّا (٦)

ومنه قول العباس بن الأحنف :

تَحَمَّلْ عَظِيمَ الذَّنْبِ مِمَّنْ تُحِبُّهُ ∴ وَإِنْ كُنْتَ مَظْلُوماً فَقُلْ أَنَا ظَالِــمُ

فَإِنَّكَ إِلَّا تَغْفِرِ (٧) الذَّنْبَ فِي الهَوَى ∴ يُفَارِقْكَ مَنْ تَهْوَى وَأَنْفُكَ رَاغِمُ (٨)

---

(١) سبقت ترجمته : ٩٧١ .

(٢) يريد : ماكان أطولها ، فحذف الضمير لإقامة الوزن / التبيان : ٢ / ٢٣٨ .
ورواية المنصف : " ماكان أطولَ بِتُّها / المنصف : ١٧٧ .

(٣) التبيان : ٢ / ٢٣٨ .

(٤) ديوانه : ٤١٢ ، التبيان : ٢ / ٢٣٨ .

(٥) رواية الديوان - بيروت - : " جاهداً " .

(٦) انظر البيت في :
ديوانه : ١ / ١٧٦ ، التبيان للعكبري : ٢ / ٢٣٩ .

(٧) رواية التبيان : " إِنْ لَمْ تَحْمِلِ " .

(٨) ديوانه : ٢٧٢ ، التبيان للعكبري : ٢ / ٢٣٩ .

ذكر العكبري أن العباس قد أحسن في قوله هذا . (١)

وعلق ابن وكيع على بيت المتنبي بقوله :

" هذا مستعمل كثير إلا أنه ماحقره ، وقد ساوى البحتري في قوله :

وَتَذَلَّلْتَ خَاضِعاً لِتَلِيكِي ... البيت " (٢)

•• مع قول بعض المحدثين : (٣) (الرمل)

كُنْ إِذَا أَحْبَبْتَ عَبْداً ∴ لِلَّذِي تَهْوَى مُطِيعَا

لَنْ تَنَالَ الوَصْلَ حَتَّى ∴ تُلْزِمَ النَّفْسَ الخُضُوعَا (٤)

المعنى المشترك في الشاهدين : أن الهوى والحب الحقيقي يبنى على التذلل والخضوع .

ومن الغريب أن يتناول المتنبي مثل هذا المعنى لما عُرِف من كبريائه إلا إذا قيل إنه ليس في الحب .

وقد أحسن العكبري في استحسان بيتي ابن الأحنف ، فهما نعدُّ أحسن ماقيل في هذا المعنى .

وفي معنى الشطر الثاني من بيت الأحنف قول المؤمل بن أميل : (٥)

---

(١) التبيان للعكبري : ٢ / ٢٣٩ .

(٢) المنصف في نقد الشعر : ١٧٧ .

(٣) نسبه الأستاذ عبد السلام هارون في معجم شواهد العربية لأبي نواس ، ولم يذكر على أي المصادر اعتمد .

ولقد بحثت عن بيت الشاهد في ديوان أبي نواس فلم أقف عليه .

ويبدو لي أن هذين البيتين خاليان من كل صنعة جيدة ، والمعاني فيهما سطحية .

(٤) الوساطة : ٣١٣ ، - من غير نسبة وذكر البيت الأول فقط - التبيان للعكبري : ٢ / ٢٣٨ .

(٥) المؤمل بن أميل : بن أسيد المحاربي من محارب بن خصفة بن قيس عيلان كوفي من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، واشتهر أكثر في دولة بني العباس لأنه كان من الجند المرتزقة ، انقطع إلى المهدي قبل خلافته وبعدها ، توفي سنة ١٩٠ هـ تقريباً / انظر :

إِذَا مَرِضْنَا أَتَيْنَاكُم نَعُودُكُـــم .·. وَتُذْنِبُونَ فَنَأْتِيكُم فَنَعْتَـــذِرُ(١)

وعلى الجملة ، فهذه معان غير كريمة ، وأرد أ منها التعبيرات عنها ، مثل " تذلل ، واخضع " في قول المتنبي ، و " قَلِيلٌ مِنْ عَاشِقٍ أَنْ يَذِلا " في قول البحتري .

وأفضل منها جميعاً قول أبي فراس :

إِذَا اللَّيلُ أَضْوَانِي بَسَطْتُ يَدَ الهَوَى .·. وَأَذْلَلْتُ دَمْعاً مِنْ خَلَائِقِهِ الكِبْرُ(٢)

وقريب من هذا المذهب ما ذكره الآمدي لكثير، وقدم له بقوله :

" ولكنّ الحُرّ الكريم الأَنِف كُثَيِّر بن عبد الرحمن إذ يقول :

وَلَمَّا رَأَتْ وَجْـدِي بِهَا وَتَبَيَّنَـتْ .·. صَبَابَةَ حَرَّانِ الصَّبَابَةِ صَـادِ

أَدلَّتْ بِصَبْرٍ عِنْدَهَا وَجَـــلَادَةٍ .·. وَتَحْسِبُ أَنَّ النَّاسَ غَيْرُ جِـلَادِ

فَيَاعَزُ صَادِي القَلْبِ حَتَّى يَوَدَّنِـي .·. فُؤَادُكِ أَوْ رُدِّي عَلَيَّ فُـؤَادِي

ثم قال : " وكان هذا مما ينشده أبو العباس ثعلب كثيرا ، ويستحسنه "(٣)

الشاهد السادس والعشرون بعد الثلاثمائة : (*) (الطويل)

• وقول مضرس بن ربعي :(٤)

لَعَمْرُكَ إِنِّي بِالخَلِيـــلِ الَّذِي لَـهُ .·. عَلَيَّ دَلَالٌ وَاجِـــبٌ لَمُفَجَّـعُ

=== الأغاني : ٢٢/٢٤٥-٢٥٢ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٣٨٤ ، سمط اللآلـي : ١/٥٢٤ ، نكت الهميان : ٢٩٩ ، خزانة البغدادي - دار صادر - : ٣/٥٢٣-٥٢٥ .

(١) الإعجاز والإيجاز : ١٧٨ ، نهاية الأرب : ٣ / ٩٢ .

(٢) ديوانه : ١٥٧ .

(٣) الموازنة تحقيق السيد صقر : ٢/١٢٦ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٢-٣٨٣ ، خفاجي : ٤٥٥-٤٥٦ ، شاكر : ٤٩٩ .

(٤) ذكرت هذه النسبة في الوساطة ، والتبيان للعكبري . ونسب البيت في المؤتلف والمختلف ، والحماسة - ت : عسيلان - ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ، للبراء ابن ربعي الفقعسي وهو شاعر جاهلي من بني فقعس ، كنيته " أبو الحنَّـاك " وهو الصواب ، وقيل " أبو الحِبال " ، ولم أجد له غير هذه الترجمة اليسيرة/ انظر : المؤتلف والمختلف : ٨٦ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٢/١٦٧ ، التـاج : " حنك " : ٧ / ١٢٤ .

=======

وَإِنِّي بِالمَوْلَى الَّذِي لَيْسَ نَافِعِي ∴ وَلَا ضَائِرِي فِقْدَانُهُ لَمُمَتَّعُ (١)

والشاهد من أبيات خمسة ، وقبله ثلاثة أبيات هي :

أَبَعْدَ بَنِي أُمِّي الَّذِينَ تَتَابَعُوا ∴ أُرَجِّي الحَيَاةَ أَمْ مِنَ المَوْتِ أَجْزَعُ

ثَمَانِيَةٌ كَانُوا ذُؤَابَةَ قَوْمِهِمْ ∴ بِهِمْ كُنْتُ أُعْطِي مَنْ أَشَاءُ وَأَمْنَعُ

أُولَئِكَ إِخْوَانُ الصَّفَاءِ رُزِئْتُهُمْ ∴ وَمَا الكَفُّ إِلَّا إِصْبَعٌ ثُمَّ إِصْبَعُ

وشرح التبريزي البيت الأول فقال :

" عَلَيَّ دلال واجب أي له أن يدل عَلَيَّ وأن احتمل " (٢)

ومعنى البيت الثاني :

" أي مُبْقَى، يقال : امتع الله فلانا بفلان أي أبقاه ، ومنه متع النهار ، وذلك قبل الزوال ". (٣)

== أما مضرّس بن ربعي فهو مضرس بن ربعي بن لقيط بن خالد بن نضلة بن فقعس بن أسد ، شاعر حسن التشبيه والوصف ، أورد له البغدادي أبياتاً جيدة في وصف ليلة ويوم ، ومقطوعة فيها حكمة ، وقال : " هو شاعر جاهلي " ، واختار أبو تمام في الحماسة قطعتين من شعره ، وروى له المرزباني عدة مقطوعات ، وقال : " له خبر مع الفرزدق " ، فإن صح هذا ، فلا يكون جاهلياً./

انظر: المؤتلف والمختلف : ١٩١ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٣٩٠-٣٩١ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٣ / ١٠٢ ، خزانة البغدادي - دار صادر - ٢ / ٢٩٢ ، الأعلام : ٧ / ٢٥٠ .

(١) انظر البيت في :
الحماسة - تحقيق عسيلان - : ١ / ٤٠٨ ، رقم (٢٨٠) ، الوساطة : ٣٣٧ ، المؤتلف والمختلف : ٨٧ ، التبيان للعكبري : ١/١٧٧ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٢ / ١٦٨.

(٢) التبيان للعكبري : ٢ / ١٦٨.

(٣) المصدر السابق : نفس الجزء والصفحة .

(الطويل)

•• مع قول المتنبي :

أَمَا تَغْلَطُ الأَيَّامُ فِيَّ بِأَنْ أَرَى .·. بَغِيضاً تُنَائِي[١] أَوْ حَبِيباً تُقَرِّبُ (٢)

وهو من قصيدة مدح بها كافور الإخشيدي ، وكان قد حمل إليه ستمائة دينار.

والبيت الذي قبل الشاهد ، هو مطلع القصيدة :

أُغَالِبُ فِيكَ الشَّوْقَ وَالشَّوْقُ أَغْلَبُ .·. وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الهَجْرِ وَالوَصْلُ أَعْجَبُ

وبعد الشاهد :

وَلِلَّهِ سَيْرِي مَا أَقَلَّ تَئِيَّةً[٣] .·. عَشِيَّةَ شَرْقِيَّ الحَدَالَى[٤] وَغُرَّبُ[٥]

ومعنى الشاهد :

" يقول : هذه الأيام مولعة بإدناء من أُبغض ، وإبعاد من أُحب ، فما تغلط مرة بتقريب الحبيب ، وإبعاد البغيض ، فلو غلطت مرة ، وفعلت هذا ، وجعله غلطاً من الدهر ، لأنه خلاف مايفعله الدهر "[٦].

ذكر القاضي الجرجاني أن قول المتنبي أصله من قول مضرس بن ربعي إلا أن المتنبي أحسن وأطاب " (٧)

---

(١) تُنائي : تفاعل من النأي ، وهو البعد : أنأيت الرجل ونأيته أبعدته . / اللسان " نأى " : ١٥ / ٣٠٠ .

(٢) لم أقف على الأبيات فيما لدي من مصادر إلا في : الوساطة : ٣٣٧ ، يتيمة الدهر : ١ / ٢١٠ ، التبيان للعكبري : ١ / ١٧٧ .

(٣) تئية : التئية التلبث والتمكث / التبيان للعكبري : ١ / ١٧٨ .

(٤) الحَدَالى : موضع بالشام وقيل جبل بازاء غُرَّب ./ معجم ما استعجم : ٢ / ٩٩٤ .

(٥) غُرَّب : بضم أوله ، وتشديد ثانيه ، وآخره باء موحدة اسم جبل دون الشام في ديار بني كلب ، وعنده عين تسمى غُرَّبة ، وقيل غُرَّب ماء بنجد من مياه بني تمير . / معجم ما استعجم : ٤ / ١٩٢ .

(٦) التبيان للعكبري : ١ / ١٧٧ .

(٧) الوساطة : ٣٣٧ .

وفي هذا المعنى قول الطرماح :

يُفَرِّقُ بيننا مَنْ نُحِبُّ اجتماعَــــه .·. وَيَجْمَعُ بيننا بَيْنَ أَهْلِ الضَّغَائِنِ (١)

ومنه قول الآخر:

عَجِبْتُ لِتَطْوِيحِ النَّوَى مَنْ نُحِبُّــهُ .·. وَإِدْنَاءِ مَنْ لاَ يَشْتَهِي لَهُ قُــرْبُ (٢)

ذكر القاضي الجرجاني أن الشعر في هذا المعنى كثير، وأصله من قول المضــرس ابن ربعي . (٣)

المعنى الجامع بين الشاهدين : بُعد الحبيب ، وقُرب البَغيض، فالشاعر فــي الشاهد الأول تظهر نفسه وهي تتلوّى ألما وحزنا ، فمصابه عظيم جلل ، فقد أُصيب بفقدان ثمانية من إخوته كانوا ذؤابة قومهم ، ولشدة وقع هذه الفجيعة على النفــس لاذ الشاعر بأسلوب التوكيد ليُخمد نار الحزن المتأججة في نفسه ، فبدأ البيــت بالقسم (لعمرك) ، ثم جاء بإن المؤكدة (إنّي) ، وجعل الخبر مقترنًا بلام التوكيــد (لمُفَجَّع) ، وهذا التشديد في الكلمة دل على شدة الفجيعة وعظمها وكذلك فــي البيت الثاني نشعر أن هناك أمراً ترفضه عاطفة الشاعر ، وتألم له ، وهي مثقلة به ، فأخذ يؤكد ألمه هذا في حسرة وتوجع ، فجاء بإن المؤكدة (إنّي) ولام التوكيد فــي الخبر (لمتَّمتَّع) والتشديد في الكلمة يدل على شدة ثقل هذا التمتع ، وأنه غــير مرغوب فيه .

وفي قوله (بِالخَلِيلِ الَّذِي لَهُ عَلَيَّ دَلَالٌ) جاء بالاسم الموصول (الذي) وقــدم الخبر الجار والمجرور (له) على المبتدأ (دَلَالٌ) ثم وصف الدلال بأنه واجــب تنويهاً بمقام ذلك الخليل ، واعترافاً بعظيم مكانته في النفس، وفي هذا التنويه إقــرار وتوكيــد .

---

(١) المصدر السابق : ٣٣٦ ، التبيان للعكبري : ١/ ١٧٧ .

(٢) المصدران السابقان ، نفس الجزء والصفحة .

(٣) الوساطة : ٣٣٧ .

أما المتنبي فبنى بيته على الاستفهام ، وكأنه وجد فيه المأمن الذي يبثه حزنه ، وحيرته ، ويُفرغ فيه كل معاني الكرب والحزن ، وهذا الاستفهام يتولد منه معنى الرجاء العقيم ، والتضرع اليائس في أن تغلط الأيام (أَمَا تَغْلَطُ الأَيَّامُ فِيَّ) .

وحرف العطف (أو) في قوله (بَغِيضاً تُنَائِي أَوْ حَبِيبًا تُقَرِّبُ) يحمل معنى اللوعة والحنين لذلك الحبيب .

الشاهد السابع والعشرون بعد الثلاثمائة : (*) (البسيط)

• قول المتنبي :

مَظْلُومَةُ القَدِّ فِي تَشْبِيهِهِ غُصُنَاً .·. مَظْلُومَةُ الرِّيقِ فِي تَشْبِيهِهِ ضَرَبَا (١)

وهو من قصيدته (٢) التي مدح بها المغيث العجلي ، سنة: ٣٢٧هـ تقريباً (٣)

وقبل الشاهد :

هَامَ الفُؤَادُ بِأَعْرَابِيَّةٍ سَكَنَتْ .·. بَيتاً مِنَ القَلْبِ لَمْ تَمْدُدْ لَهُ طُنُبَا

وبعد الشاهد :

بَيْضَاءُ تُطْمِعُ فِيمَا تَحْتَ حُلَّتِهَا .·. وَعَزَّ ذَلِكَ مَطْلُوبَاً إِذَا طُلِبَا

ومعنى الشاهد : " يريد أن من شبهها بالغصن ظلمها ، ومن شبه ريقها بالعسل ظلمها ، لأنها ذات قوام أعدل ، وأحسن من الغصن ، وذات رضاب أحلى من العسل الخالص " (٤)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٣ ، خفاجي : ٤٥٦ ، شاكر: ٤٩٩ .

(١) لم أقف على البيت إلا في :
ديوانه بشرح العكبري : ١/ ١١١ ، العرف الطيب : ١ / ٩٣ .

(٢) سبق ذكر مطلعها : ١٠٣٧ .

(٣) هو المغيث بن علي بن بشر العجلي ، قصده المتنبي حين نزل المغيث بأنطاكية ، ومدحه ، ثم رحل عنها المغيث لأنه لم يكن من أهلها ، وقد مدحه بقصيدتين رائعتين . / انظر : المتنبي - محمود شاكر : ١ / ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ .

(٤) التبيان للعكبري : ١/ ١١١ .

•• مع قولــه (١) : (الطويل)

إِذَا نَحْنُ شَبَّهْنَاكَ بِالْبَدْرِ طَالِعًا ∴ بَخَسْنَاكَ حَظًّا أَنْتَ أَبْهَى وَأَجْمَلُ

وَنَظْلِمُ إِنْ قِسْنَاكَ بِاللَّيْثِ فِي الوَغَى ∴ لِأَنَّكَ أَحْمَى لِلْحَرِيمِ وَأَبْسَلُ (٢)

فالفكرة الدائرة في الشاهدين هو ظُلم الممدوح إن جئنا له بما يشابهه في الوصف .

فالمتنبي اكتفى ببيان أنها مظلومة القد إن شُبّه بالغُصن ، ومظلومة الرّيق إن شُبّه بالعسل ، ولم يعلل لهذا الظلم ، ولم ينصفها بإثبات الأوصاف اللائقة بها .

ذكر الأُستاذ محمود شاكر أنه وجد في إحدى النسخ أمام هذا البيت حاشية ، ورجّح أن تكون من كلام الشيخ عبد القاهر ، وفيها يعلل القصور في هذا البيت ، قال :

" سبب ما ترى فيه من القصور : أنّ الوَاجب أن تُجْعَل هي نفسها مظلومة من أجل تشبيهه قَدّها بالغُصن وريقها بالضَّرَب ، لا أن يُجْعل القَدّ والريق مظلومين .

ألا ترى أن اللائق أن يقول : إن شبّهت قَدّها بالغصن ظلمتها ، ولا يُحسن أن يقول : ان شبهت قدها بالغصن ظلمته " (٣)

ويبدو لي أن كلام عبد القاهر هنا كأنه ليس كلامه ؛ لأن القول بظلم قدها ، وبظلم ريقها أجمل وأروع من القول بظلمها ، فما أبعد الفرق بين أن نقول : ظلمنا قدها ، وأن نقول ظلمناها .

أما الشاعر الثاني ، فكان أبلغ وصفاً ، وأغزر معنى إذ أنه جاء بالمشبه به ، وهو في أجمل صورة ، وأبهى منظر ، فهو لم يكتفِ بذكر البدر ، وإنّما جعله في أروع صورة وهو حال كونه طالعاً مضيئاً ، وعلى الرغم من هذا التصوير الرائع للمشبه به جزم الشاعر

---

(١) لم أقف على قائله .

(٢) لم أقف على البيتين فيما اطلعت عليه من مصادر .

(٣) الدلائل ، شاكر : ٥٠٠ .

بأن تشبيه ممدوحه بهذا البدر المضيء بخس وظلم ، لذا جاء بـ(إذا) ليؤكد ويجزم بهذا الظلم .

وكذلك جاء بصورة الليث ، وقيدها بكونها في الوغى ؛ لأن الليث في هذه الحالة يكون في كامل قواه ، وبالغ شجاعته .

وجاء بـ(إن) في موضع الجزم ، لأن تقديم الجواب (نظلم) دل على الجزم . فالطريف والغريب في صورة الشاعر أنه خرج عن الصورة المتعارف عليها عند الشعراء ، فهم إذا أرادوا مدح أحد بالحسن شبهوه بالبدر وإذا أرادوا مدح أحد بالشجاعة شبهوه بالليث ، إلا أن الشاعر بالغ في وصف ممدوحه ، وجعل هذا التشبيه ظُلماً وبخساً ثم إن الشاعر لم يكتف بإعلان هذا الظلم كما فعل الأول ، وإنما نراه بعد سرد كل مظلمة يذكر العلة ، والسبب في هذا الظلم ، فممدوحه ظُلم لأنه أبهى وأجمل من البدر ، وأحمى وأبسل من الليث .

وانظر إلى تكرار أسلوب التفضيل في البيت مبالغة في الوصف ، وقيد الحمى بكونه للحريم ، لأنه أعظم وأشرف مايُدافع عنه .

ب ـ الموازنة بين الشعرين والإجادة فيهما من الجانبين

الشاهد الثامن والعشرون بعد الثلاثمائة :- (*)   (الرمل)

• قول لبيد :

وَاكْذِبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثْتَهَا ∴ إِنَّ صِدْقَ النَّفْسِ يُزْرِي بِالأَمَلْ (١)

والشاهد من قصيدة مطلعها :

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرُ نَفَلْ ∴ وَبِإِذْنِ اللَّهِ رَيْثِي وَعَجَلْ

وقبل الشاهد :

وَإِذَا رُمْتَ رَحِيلاً فَارْتَحِلْ ∴ وَاعْصِ مَا يَأْمُرُ تَوْصِيمُ الكَسَلْ

وبعد الشاهد :

غَيْرَ أَنْ لَا تَكْذِبَنْهَا فِي التُّقَى ∴ وَاخْزُهَا بِالبِرِّ لِلَّهِ الأَجَلْ

ومعنى الشاهد كما أورده ابن سلام :

" ومعناه الرجل يَهُم بركوب أمر جسيم يقول : فلا تُحَدِّث نفسك بأنك لا تظفر، فإن ذلك يُثَبِّطك عن السُّمُوِّ إلى معالي الأمور ، ولكن حَدِّث نفسك بالظَّفَر لتُشَيِّعك نفسُك عَلَى مَا تُريد " (٢)

وجاء في اللسان :

" مَنِّ نفسك العيش الطويل لتأمل الآمال البعيدة ، فتجد في الطلب ؛ لأنك إذا صَدَقتها ، فقلت لعلك تموتين اليوم ، أو غداً قصُر أَملُهَا ، وضعف طَلَبُهَا " (٣)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٣ ، خفاجي : ٤٥٦ ، شاكر : ٥٠٠ .

(١) انظر البيت في :

شرح ديوان لبيد : ١٨٠ ، كتاب الأمثال لابن سلام : ١١٦-١١٧ ، الشعر والشعراء : ٢٨٦/١ ، البيان والتبيين : ١٨٧/٢ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١٤٨/١ ، الإعجاز والإيجاز : ١٤٤ ، التمثيل والمحاضرة : ٦١ ، يتيمة الدهر : ٢٠٧/١ ، محاضرات الأدباء : ١٦٧ ، اللسان " كذب " : ٧٠٨/١ ، نهاية الأرب : ٧٠/٣ ، أنوار الربيع : ٢٤/٤ .

(٢) كتاب الأمثال : ١١٦ - ١١٧ .

(٣) اللسان " كذب " : ٧٠٨/١ .

ويبدو لي أن الإنسان إذا تذكر الموت ، وداوم على تذكير النفس به ، كان ذلك دافعاً قوياً للنفس لتجتهد في العمل وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم :

" أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَّاتِ " (١)

وأحسن ما قيل في تفسير هذا البيت ، قول ابن معصوم المدني :

" أي لا تحدث نفسك بعدم الظفر أبداً ، بل بشرها بحصول الأمل ، فإنّ صدقها بالجبن عن ملاقاة الأهوال يثبطها عن بلوغ الآمال (٢)

وفي هذا المعنى قول سعد بن ناشب :

إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ .·. وَنَكَّبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبَا

سَأَغْسِلُ عَنِّي الْعَارَ بِالسَّيْفِ جَالِبًا .·. عَلَيَّ قَضَاءُ اللَّهِ مَاكَانَ جَالِبًا (٣)

وذكر المرزوقي أن ابن زيابة (٤) قد بنى قوله :

---

(١) مسند الشهاب : ١ / ٣٩١ ، رقم ٦٦٨-٦٦٩-٦٧٠-٦٧١ ، المستدرك على الصحيحين : ٤ / ٣٢١ ، مصابيح السنة : ١ / ٥٣٣ ، رقم (١١٤١) ، مجمع الزوائد : ١٠ / ٣٠٩ .

(٢) أنوار الربيع : ٤ / ٢٤ .

(٣) سبق تخريجه انظر : ٥٩٨ .

(٤) ابن زيابة : وقيل ابن زبابة ، والزبابة فأرة من فئران الحرة . وهو شاعر من شعراء الجاهلية من بني تيم .

ذكر البغدادي أنه قد اختلف في اسمه ، قال :

" . . . واختلف في اسمه ، فقال أبو رياش في شرح الحماسة هو عمرو بن لأي أحد بني تيم اللات بن ثعلبة ، وهو فارس مجلز ، وقال أبو محمد الأعرابي والمرزباني اسمه سلمة بن ذهل ، وقال أبو عبيد البكري في شرح أمالي القالي : اسمه عمرو بن الحرث بن همام أحد بني تيم اللات بن ثعلبة .

واستبعد الميمني قالة البكري ."

والحق أن المرزباني ذكر أن اسمه : عمرو بن الحارث بن همام ، وأنه من بني تيم الله بن ثعلبة ، ثم قال : وقيل اسمه سلمة بن ذهل . / انظر الحماسة لأبي تمام - ت عسيلان - : ١ / ٨٩ ، معجم الشعراء : ٢٠٨ ، سمط اللآلي : ١ / ٥٠٤ ، خزانة البغدادي - دار صادر - : ٢ / ٣٣٣ .

أَنَا ٱبْنُ زَيَّابَةَ إِنْ تَدْعُـنِي ∴ آتِـكَ وَالظَّنُّ عَلَى الكَـاذِبِ

على قول لبيد " بيت الشاهد " (١)

ذكر ابن قتيبة أن بيت الشاهد مما يُستجاد له (٢)

وذكر ابن سلام أن بشار بن برد سُئل أيّ بيت قالت العرب أشعر ؟ فقـال : إن تفضيل بيت واحد على الشعر كله لشديد ، ولكن أحسن لبيد . . . ثم ذكر بيت الشاهد . (٣)

وجاء في الإعجاز والإيجاز أنه قال حين سُئل عن أجود بيت قالته العـرب: "إن تفضيل بيت على أشعار العرب لشديد ، ولكن أحسن كل الإحسـان ، وأوجز ، وأعجز لبيد في قوله . . ." (٤) ثم ذكر بيت الشـاهد .

وذكر الجاحظ أن بيت الشاهد من الأبيات التي تصلح للرواية والمذاكرة.(٥)

وجعله الثعالبي في التمثيل والمحاضرة من الأبيات السائرة للمخضرمين . (٦)

• مع قـول نافع بن لَقِيـط : (٧) (الكامل)

---

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١ / ١٤٨ .

(٢) الشعر والشعراء : ١ / ٢٨٦ .

(٣) كتاب الأمثال : ١١٧ .

(٤) ١٤٤ .

(٥) البيان والتبيين : ٢ / ١٨٧ .

(٦) ٦١ .

(٧) نافع " ويقال نُويفع ، ونفيع " ابن لقيط الفقعسي الأسدي توفي نحو(٩٠هـ) جعله ابن سلام في الطبقة الخامسة من الشعراء الإسلاميين وقال عنـه : " وكان نُويفع من رجالات العرب شعراً ونجدة ، وكان ربما أخاف السبيل فأطرده الحجاج لجناية ، فلم يزل خائفاً " وقد أورد بعض أشعاره .
كانت إقامته مع قومه بني أسد في " القَنان " جبل لبني فقعس مجاور لبـلاد غطفان ، بالقرب من سميراء يقال له اليوم " القنينات " وكان " نافع " معاصراً ======

وَإِذَا صَدَقْتَ النَّفْسَ لَمْ تَتْرُكْ لَهَا ∴ أَمَلاً وَيَأْمَلُ مَا اشْتَهَى المَكْذُوبُ (١)

ولعل البيت الذي قبله هو قوله :

ذَهَبَتْ لِدَاتِي وَالشَّبَابُ فَلَيْسَ لِي ∴ فِيمَنْ تَرَيْنَ مِنَ الأَنَامِ ضَرِيبُ

وبعده الشاهد ولعل الذي بعده قوله :

وَإِذَا السُّنُونَ دَأَبْنَ فِي طَلَبِ الفَتَى ∴ لَحِقَ السُّنُونَ وَأَدْرَكَ المَطْلُوبُ

يَسْعَى الفَتَى لِيَنَالَ أَفْضَلَ سَعْيِهِ ∴ هَيْهَاتَ ذَاكَ وَدُونَ ذَاكَ خُطُوبُ (٢)

المعنى الجامع بين الشاهدين أنَّ على الإنسان إن هَمَّ بأمر عظيم أن يكذب على نفسه حتى لا تثبط همه .

وإذا دققنا النظر في البيتين ، وجدنا أن كليهما قد بُنيا على الشرط بـ(إذا) بدلاً من (إن) ؛ لأن (إذا) تأتي فيما يجزم المتكلم بوقوعه، وكلا الشاعرين يجزم ويحث على تكذيب النفس على الدوام كلما هَمَّ الإنسان بأمر جلل وأن لا يحيد عن هذا الطريق .

وأنظر إلى لطافة قوله (إذَا حَدَّثْتَهَا) ومافيه من إشارات خفية إلى تلك الغمغمات التي تدور في الباطن .

ونلحظ أن لبيداً يؤمن إيماناً كاملاً بفكرة تكذيب النفس فنراه يعود ، ويؤكد

=== للحجاج الثقفي والعجير السلولي / انظر:
طبقات فحول الشعراء : ٢ / ٦٣٧-٦٤٥ ، أمالي اليزيدي : ١٤٥-١٤٦ ، أمالي الزجاجي : ٧٩-٩١ ، معجم البلدان : ٤ / ٤٠١ ، معجم ما استعجم : ٢ / ٣ / ١٠٩٧
الأعلام : ٨ / ٥ .

(١) هناك قصيدة طويلة ذكرها الزجاجي في أماليه : ٧٩-٨١ ، وابن منظور في اللسان : " مرط " : ٧ / ٣٩٩-٤٠٠ ، ولكن لم يذكر فيها بيت الشاهد ، ويبدو أنه منها ، وذكر صاحب اللسان أن القصيدة هي لنافع بن نفيع الفقعسي، ويقال أنها لنافع بن لقيط الأسدي .

(٢) أمالي الزجاجي : ٨٠ ، اللسان : " مرط " : ٧ / ٣٩٩-٤٠٠ .

في الشطر الثاني بأن صدق النفس يضعف الأمل ، فجاء بالجملة مؤكدة (بـإن)

أما نافع بن لقيط فبدأ بيته بعكس ما ابتدأ به الأول فأعلن وأكد أن صدق النفس يمحو الأمل من النفس .

وقوله (ويأمل مااشتهى المكذوب) أرسله حكمة سائرة ومثلاً يُضرب .

وانظر إلى اختياره لفظ (اشتهى) بدلاً من (يريد) ومافيها من ترغيب وحث على الكذب على النفس .

فالاشتهاء هو كل ماترغبه النفس مع الإلحاح في طلبه . (١)

الشاهد التاسع والعشرون بعد الثلاثمائة (*) (الكامل)

• وقول رجل (٢) من الخوارج أتي به الحَجّاج (٣) في جماعة من أصحاب

---

(١) شهي الشيء وشَهاه يشهاه شهوة واشتهاه وتشهّاه أحبه ورغب فيه والتّشهي : اقتراح شهوة بعد شهوة . / اللسان " شها " : ١٤/٤٤٥ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٣-٣٨٤ ، خفاجي : ٤٥٦-٤٥٧ ، شاكر : ٥٠٠-٥٠١ .

(٢) نُسبت الأبيات في زهر الآداب لعمران بن حطّان ، وكذلك في ديوان الخوارج -إحسان عباس- ، ونُسبت في العفو والاعتذار لعامر بن حطّان - وكذلك نسبها الأستاذ شاكر في تحقيق الدلائل- .

وَخَطّأ صاحب إعتاب الكتاب نسبتها لعمران بن حطّان قال : " ذِكر عمران بن حطّان في هذه الحكاية وَهْمٌ ، وكذا وقعت في زهر الآداب للحصري ، وفي غيره ؛ لأن عمران كان من القُعّد ، ولم يكن يحضر القتال ، وإنما هو عامر أخو عمران . / إعتاب الكتاب : ٦٢ - نقلا عن تحقيق العفو والاعتذار- ونسبه في الموازنة لبعض الخوارج ، وفي أخبار أبي تمام وتهذيب ابن عساكر لرجل من أصحاب قطري .

وعمران بن حطّان هو عمران بن حطّان بن ظبيان بن لوذان بن عمرو بن الحارث بن سدوس بن شيبان ، وهو شاعر فصيح من شعراء الشُّراة ، ودعاتهم والمقدمين في مذهبهم (الشراة : هم فرقة الخوارج سموا أنفسهم بذلك لأنهم قالوا شرينا أنفسنا في طاعة الله - أي بعناها - ، وكان من المعمرين ، فلما ضعف عن الحرب اقتصر على الدعوة والتحريض بلسانه ، وكان قبل أن يُفتن بهذا المذهب مشتهراً بطلب العلم والحديث ، أدرك صدراً من الصحابة وروى عنهم ، وروى عنه أصحاب الحديث / انظر ترجمته :

======

قَطَرِيٌّ(١) فقتلهم ، ومَنّ عليه لِيَدٍ كانت عنده ، وعاد إلى قَطَري ، فقال له قَطَرِيٌّ : عاود قتال عدو الله الحجاج فأبى وقال(٢) :

أَأُقَاتِلُ الحَجَّاجَ عَنْ سُلْطَانِهِ ∴ بِيَدٍ تُقِرُّ بِأَنَّهَا مَوْلاتُهُ(٣)

مَاذَا أَقُولُ إِذَا وَقَفْتُ إِزَاءَهُ(٤) ∴ فِي الصَّفِّ وَاحْتَجَّتْ لَهُ فَعَلاتُهُ

وَتَحَدَّثَ(٥) الأَقْوَامُ(٦) أَنَّ صَنَائِعاً(٧) ∴ غُرِسَتْ لَدَيَّ فَحَنْظَلَتْ(٨) نَخَلاتُهُ(٩)

=== الأغاني : ١٨/١٠٩-١٢٠ ، زهر الآداب : ٤/٩٢٥ ، ميزان الاعتدال : ٣/٢٣٥ تهذيب التهذيب : ٨/١٢٧-١٢٩ .

(٣) انظر ترجمته : ١٠١٢ .

(١) وقطري بن الفجاءة اسمه جعونة بن مازن بن يزيد المازني الخارجي " أبو نعامة " خرج زمن مصعب بن الزبير لما ولي العراق نيابة عن أخيه عبد الله ، وقطري معدود في جملة خطباء العرب المشهورين بالبلاغة والفصاحة . / انظر ترجمته : سمط اللآلي : ٥٩٠ ، العبر : ١/٩٠ ، وفيات الأعيان : ٤/٩٣-٩٥ .

(٢) وقصة الأبيات كما جاءت في زهر الآداب : (٤/٩٢٤) : " ولما ظفر الحجّاج بعمران ابن حطان الشاري ، قال : اضربوا عُنق ابن الفاجرة ، فقال عمران : لبئسما أدبك أهلك يا حجّاج ! كيف أمنت أن أجيبك بمثل ما لقيتني به ، أبعدَ الموت منزلة أصانعك عليها ؟ فأطرق الحجاج استحياءً ، وقال : خَلّوا عنه ، فخرج إلى أصحابه ، فقالوا : والله ما أطلَقك إلا الله ، فارجع إلى حربه معنا ، فقال : هيهات ! غَلَّ يداً مُطْلِقها ، واسترقّ رقبةَ مُعتِقها ، وانشد . . . الأبيات " .

(٣) رواية العفو والاعتذار : " ملكوته " .

(٤) رواية الديوان وزهر الآداب : " وقفت موازياً " .

(٥) رواية أخبار أبي تمام : " ويَحَدِّث " .

(٦) رواية الديوان وزهر الآداب ، والعفو والاعتذار : " وتحدث الأكفاء " .

(٧) رواية أخبار أبي تمام : " صنيعه " .

(٨) حنظلت : الحنظل الشجر المر / اللسان : (حنظل) : ١١/١٨٣ . والمقصود هنا أنها لم تثمر .

(٩) انظر الأبيات في :

ديوان الخوارج - إحسان عباس - : ١٨٧ ، رقم القطعة (٢١٧) ، العفو والاعتذار : ٢/٥٦١ ، أخبار أبي تمام : ٢٠٦ ، الموازنة محمد محيي الدين - : ٦٧ ، الصناعتين : ٢٣٦ ، زهر الآداب : ٤/٩٢٥ ، تهذيب ابن عساكر : ٤/٧٠ .

وبعد البيت الأول ببيت متصل به ، وهو قوله :

إِنِّي إِذَنْ لأَخو الدَّنَاءَةِ وَالَّـذِي[1] .·. عَفَّتْ[2] عَلَى عِرْفَانِـهِ جَهَلَاتُـهُ[3]

وبعد البيت الثالث[4] :

أَأَقُولُ جَـارَ عَلَيَّ ؟ إِنِّي فِيكُـمُ[5] .·. لأَحَقُّ مَنْ جَارَتْ عَلَيهِ وُلَاتُـهُ

تَاللَّهِ مَاكِدْتَ الأَمِيرَ بِالَّـــةٍ .·. وَجَوَارِحِي وَسِلَاحُهَا الآتُهُ (٦)

•• مع قول أبي تمـام : (الطويل)

أَسَرْبِلُ[7] هُجْرَ القَولِ مَنْ لَوْ هَجَوتُهُ .·. إِذَنْ لَهَجَانِي عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِي (٨)

وهو من قصيدة[9] يمدح بها أبا المغيث الرافعي[10] ويعتذر إليه .

وقبل الشاهد :

وَأَصَّلْتَ شِعْرِي فَاعْتَلَى رَونَقَ الضُّحَى .·. وَلَولَاكَ لَمْ يَظْهَرْ زَمَانًا مِنَ الغِمْدِ

وَكَيفَ وَمَا أَخْلَلْتَ بَعْدَكَ بِالحِجَـــا .·. وَأَنْتَ فَلَمْ تَخْلِلْ بِمَكْرُمَةٍ بَعْـدِي

---

(١) رواية تاريخ ابن عساكر : " لأخو الجهالة " .

(٢) رواية الموازنة : " غَطَّتْ " ، ورواية ابن عساكر : " طَمَسَتْ " .

(٣) رواية الموازنة : " على إحسانِهِ " ، ورواية ابن عساكر : " على أحشائِهِ " .

(٤) رواية العفو والاعتذار : " جُرْتَ " .

(٥) رواية العفو والاعتذار ، وأخبار أبي تمام ، والموازنة : " لا إنِّي إذاً " .

(٦) وفي أخبار أبي تمام بيت أخير :

هَذَا وَمَا طِبِّي بِجُبنٍ إِنَّنِـي .·. فِيكُمْ لَمطرَقُ مَشْهَدٍ وَعَلَاتُهُ

الطب : بالكسر العادة والشأن ، والعلاة : السندان .

(٧) أصل الكلام : " أأسربل " استفهام انكاري .

ورواية الديوان بشرح الخطيب ، والصناعتين ، وزهر الآداب : " أَأُلبِسُ هُجْرَ القَولِ " .

(٨) ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٢ / ١١٦ (رقم ٥٦ ، ديوانه - دار صعب - : ١١٤ ، أخبار أبي تمام : ٢٤٠ ، الموازنة - محمد محيي الدين - : ٦٦ ، الصناعتين : ٢٣٦ ، زهر الآداب : ٩٢٥ .

(٩) سبق ذكر مطلعها : ص ١٢٠ .

(١٠) هو موسى بن إبراهيم الرافعي (بالعين كما في تاريخ الطبري والكامل) ، أبو المغيث ، عامل أهل حمص على المعونة في عصر المتوكل ، وقد وثب عليه أهلها سنة (٢٤٠ هـ) ، لقتله رجلاً من رؤسائهم ، فقتلوا جماعة من أصحابه ، ثم أخرجوه ، وأخرجوا صاحب الخراج من مدينتهم ، فبلغ ذلك المتوكل ، فوجه إليهم عتّاب بن عتاب ، ومعه محمد بن عبدويه الأنباري ، وحل محل أبي المغيث ، ولكن مالبثوا أن وثبوا عليه سنة (٢٤١ هـ) فأرسل لهم المتوكل جيشاً لإخضاعهم ، فتوسط لهم الفتح بن خاقان ، وقبل الخليفة وساطته / انظر :
تاريخ الطبري : ٩ / ١٩٧ ، الكامل لابن الأثير : ٥ / ٢٩٣ ، النجوم الزاهرة : ٢ / ٢٩٩ - ٣٠١ .

وبعد الشاهد:

كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ وَالوَرَى ∴ مَعِي وَمَتَى مَالُمْتُـهُ لُمْتُهُ وَحْدِي

المعنى الجامع : تأنيب النفس على الإساءة إلى من أحسن إليها .

فالنّاظر إلى الشاهدين يجد أن كلاً من الشاعرين قد أحسن وأجاد لبنائه معناه على الاستفهام الإنكاري ، وفي ذلك من الفخامة مافيه ؛ لأن الموقف موقف محاسبة للنفس وفي الإنكار لوم وتأنيب .

وانظر إلى الخارجي وقد كرر الاستفهام في البيت الثاني (مَاذَا أَقُولُ) فصّور الحيرة والاضطراب الدائر في نفسه ، وجسد الخجل، والشعور بالذنب من الوقوف أمام ذلك المحسن .

وحركة الاعتذار الدائبة في نفس الشاعر ولّدت صوراً حية تتحرك ، وتنطق، وتعتذر ، فقوله (بِيَدٍ تُقِرُّ) جعل اليد تنطق وتعترف بموالاة ذلك المحسن .

وقوله (وَاحْتَجَّتْ لَهُ فَعَلَاتُهُ) جعل إحسانه وكأنه كائن حي يقف مدافعاً ناصباً الحجج والبراهين على كرم وَجُودِ الحجاج ، وفي تقديم الجار والمجرور (له) على الفاعل " فَعَلَاتُهُ " اعتراف بالفضل والإدانة له بالإحسان .

وقوله " أَنَّ صَنَائِعاً غُرِسَتْ " تركيب حسن حيث جاء بصورة (الغرس) وبنى الفعل للمجهول " غُرِست " ليدل على تمكن ذلك المعروف في نفسه ، وأنه قد ضرب بجذوره في أعماقه وبذلك أكد استحالة اقتلاعه من نفسه .

فالخارجي على الرغم من اتساع صورته وتعدد ألوانها ، قَصَّرَعن أبي تمام ، فقد جمع هذا المعنى الكثير في اللفظ القليل ، فصورة المعروف عند الخارجي كانت تدافع وتحتج فقط أما معروف أبي تمام فكان يهجو ، وهذا أبلغ في زجر النفس وقمعها ، ولم يقتصر أبو تمام على جعل المعروف هاجياً بل جعله أقدر على الهجاء من أبي تمام نفسه .

فقوله (أُسربل) أي أألبس دل على قدرة أبي تمام على الهجاء ، وأنه لشدة هجائه يستر المهجو ويغطيه ويحجبه عن الأنظار لما يلبسه إياه من قبيح الصفات

وقدم همزة الاستفهام المفيدة للإنكار على الفعل ، وجاء بـ(لو) الشرطية ليدل على عدم قدرته على الهجاء وعجزه عنه أمام هجاء المعروف .

وفي الفصل بين فعل الشرط وجوابه (بإذن) واقتران الجواب بلام التوكيد (لهجاني) تأكيد لشدة أثر هجاء المعروف. وتقديم المفعول به - الضمير في هجاني - على الفاعل (معروفه) لإظهار أن صاحب الضمير محط الإنكار ، وفيه تسليم من أبي تمام بقوة ذلك الهجاء وقوة وقعه على نفسه .

وتقديم الجار والمجرور (عنه) على الفاعل (بمعروفه) دل على تسابق المعروف، وسرعته في الدفاع عن ذلك المحسن ، فكفاه بذلك مشقة الدفاع عن نفسه .

الشاهد الثلاثون بعد الثلاثمائة : (*) (الطويل)

• وقول النابغة :

إِذَا مَاغَدَا (١) بِالجَيْشِ حَلَّقَ فَوقَـهُ (٢) ∴ عَصَائِبُ طَيرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ

جَوَانِحَ قَدْ أَيقَنَّ أَنَّ قَبِيلَـهُ ∴ إِذَا مَاالْتَقَى الصَّفَّانِ (٣) أَوَّلُ غَالِبِ (٤)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٤ ، خفاجي : ٤٥٧ ، شاكر : ٥٠١ .

(١) رواية الدلائل تحقيق شاكر، والمثل السائر، وشرح التصريح بمضمون التوضيح : " إِذَا مَاغَزَا " .

ورواية الديوان ، وعيار الشعر ، والموازنة ، والمنصف في نقد الشعر ، وشرح جمل الزجاجي : " إِذَا مَاغزوا " .

(٢) رواية الديوان ، وعيار الشعر ، والموازنة ، والمنصف في نقد الشعر ، وشرح جمل الزجاجي وشرح التصريح بمضمون التوضيح : " فوقهم " .

(٣) رواية الديوان وأخبار أبي تمام والموازنة والمنصف ، والصناعتين ، والمثل السائر : " الجمعان " .

(٤) ديوانه : - تحقيق فوزي عطوي - : ٤٩-٥٠ ، عيار الشعر : ٣٣ ، أخبار أبي تمام : ١٦٥-١٦٦ ، الوساطة : ٢٧٤ ، الموازنة : ٥٩ ، المنصف في نقد الشعر : ٧٨-٥٥٥ الصناعتين : ٢٤٦ ، زهر الآداب : ١٠٦٩/٤ ، المثل السائر : ٢٨١/٣ ، شرح جمل الزجاجي : ٢ / ٥٥٢ ، شرح التصريح على التوضيح : ٢ / ٢٢٧ .

وهو من قصيدة مدحبها عمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شمر[1] حين هرب إلى الشام ، ونزل به .

وهو من قصيدته التي مطلعها :

كِلِينِي لِهَمٍّ يَاأُمَيْمَةَ نَاصِبِ ∴ وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الكَوَاكِبِ

وقبل البيت الأول :

وَثِقتُ لَهُ بِالنَّصْرِ إِذْ قِيلَ قَدْ غَزَتْ ∴ كَتَائِبُ مِنْ غَسَّانَ غيرُ أَشَائِبِ

بَنُو عَمِّهِ دنيا ، وَعَمْرُو بن عَامِرٍ ∴ أُولَئِكَ قَوْمٌ بَأْسُهُم غَيْرُ كَاذِبِ

وبعده :

يُصَاحِبْنَهُم حَتَّى يُغِرْنَ مَغَارَهُمْ ∴ مِنَ الضَّارِيَاتِ بِالدِّمَاءِ الدَّوَارِبِ

وبعده بيت هو قبل البيت الثاني من الشاهد :

تَرَاهُنَّ خَلْفَ القَومِ خُزْرًا عُيونُهَا ∴ جُلوسَ الشُّيُوخِ فِي ثِيَابِ المَرَانِبِ

وبعده الشاهد وبعده :

لَهُنَّ عَلَيْهِمْ عَادَةٌ قَدْ عَرَفْنَهَا ∴ إِذَا عُرِّضَ الخَطِّيُّ فَوقَ الكَوَاثِبِ

وجعل ابن طباطبا قول النابغة :

إِذَا مَاغَزَوْا بِالجَيْشِ حَلَّقَ فَوقَهُمْ ∴ عَصَائِبُ طَيرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ

من الابتداء الذي يحس السامع بما ينقاد إليه القول فيه قبل استتمامه ، فقدم في هذا البيت معنى ماتحلق الطير من أجله ، ثم أوضحه بقوله :

يُصَاحِبْنَهُمْ حَتَّى يُغِرْنَ مَغَارَهُمْ ∴ مِنَ الضَّارِيَاتِ بِالدِّمَاءِ الدَّوَارِبِ

ومابعده من أبيات سبق ذكرها (٢)

وجعل ابن الأثير قول النابغة من الضرب الحادي عشر من السلخ وهو:

---

(١) سبقت ترجمته : ٦٦٢ .

(٢) عيار الشعر : ٣٣ .

* اتحاد الطريق واختلاف المقصد ، ومثاله أن يسلك الشاعران طريقاً واحدة فتخرج بهما إلى موردين أو روضتين وهناك يتبين فضل أحدهما على الآخر" (١)

** مع قول أبي نواس : (المديد)

وَإِذَا مَجَّ القَنَا عَلَقَا ∴ وَتَراءَى المَوْتُ فِي صُوَرِهْ

رَاحَ فِي ثِنْيَيْ مُفَاضَتِهِ ∴ أَسَدٌ يَدْمَى شَبَا ظُفُرِهْ

تَتَأَيَّا (٢) الطَّيْرُ غَدْوَتَهُ (٣) ∴ ثِقَةً بِالشِّبَعِ مِنْ جَزَرِهْ (٤)

وهو من قصيدة مدح بها العباس بن عبيد الله (٥)، ومطلعها :

أَيُّهَا المُنْتَابُ عَنْ عُفُرِهْ ∴ لَسْتَ مِنْ لَيْلِي وَلَا سَمَرِهْ

وقبل الشاهد :

سَبَقَ التَّفْرِيطَ رَائِدُهُ ∴ وَكَفَاهُ العَيْنُ مِنْ أَثَرِهْ

وبعده :

وَتَرَى السَّادَاتِ مَائِلَةً ∴ لِسَبِيلِ الشَّمْسِ مِنْ قَمَرِهْ

---

(١) المثل السائر : ٣ / ٢٦٥ .

(٢) رواية الديوان والوساطة والمنصف :

" تَتَأَبَّى " ومعنى تتأبّى وَتَتَأَيَّ واحد ، وهو تتعمد وتقصد .

ورواية المثل السائر " تتمنى " .

(٣) رواية الموازنة وزهر الآداب :

" غزوته " .

(٤) ديوانه : ٤٣١ ، الكامل : ٢ / ١٤ ، أخبار أبي تمام : ١٦٥ ، الوساطة : ٢٧٤ ، الموازنة : ٥٩ ، المنصف في نقد الشعر : ٧٨ - ٥٥٥ ، الصناعتين : ٢٤٦ ، زهر الآداب : ٤ / ١٠٦٩ ، المثل السائر : ٣ / ٢٨٢ ذكر البيت الأخير فقط .

(٥) سبقت ترجمته : " ٦٦٣ " .

وأول من قال في هذا المعنى الأفوه الأودي (١) ، وذلك قوله :

وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا ∴ رَأْيَ عَيْنٍ ثِقَةً أَنْ سَتُمَارُ (٢)

ثم تبعه النابغة فقال :

إِذَا مَاغَدَا بِالجَيْشِ حَلَّقَ فَوقَهُ ... البيت (٣)

وقد استجاد بعض المحدثين قول النابغة فقال :

من أين للأفوه مثل ابتداء النابغة

وَرُد هذا القول بأن الأفوه له فضل السبق، وهو أعظم الفضل ، وهو قد اقتصر، وشرح مراده في بيت ،أما النابغة فقد أطال وأتى بمراده في أبيات. (٤)

ولقد تطرق كثير من الشعراء بعدهما لهذا المعنى، فقال حميد بن ثور يصف ذئبًا

إِذَا مَاغَدَا يَوْمًا رَأَيْتَ غَمَامَةً ∴ مِنَ الطَّيْرِ يَنْظُرْنَ الَّذِي هُوَ صَانِعُ (٥)

وقال أبو نواس :

تَتَأَيَّى الطَّيرَ غَزْوَتَهُ ... بيت الشاهد (٦)

وقال مسلم بن الوليد :

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثِقْنَ بِهَا ∴ فَهُنَّ يَتْبَعْنَهُ فِي كُلِّ مُرْتَحَلِ (٧)

وقال ايضا في هذا المعنى :

أَشْرَبْتَ أَرْوَاحَ العِدَا وقُلُوبَهَا * خَوفًا فَأَنْفُسُهَا إِلَيكَ تَطِيرُ
لَوْ حَاكَمَتْكَ فَطَالَبَتْكَ بِذَحْلِهَا * شَهِدَتْ عَلَيكَ ثَعَالِبٌ وَنُسُورُ

(١) هو صلاءة بن عمرو بن مالك بن الحارث أودِيّ ، وأود هو ابن صعب بن سعد العشيرة بن مذحج ، ويكنى الأفوه أبا ربيعة وهو جاهلي قديم ، وذكر بعض المؤرخين أنه أدرك المسيح عليه السلام /انظر ترجمته: سمط اللآلي : ١/ ٣٦٥ ، ٨٤٤ ، الأغاني : ١٢ / ١٦٩-١٧٣.

(٢) ديوانه - الطرائف الأدبية - : ١٣ ، الموازنة - محمد محيي الدين - : ٩ ، ٥ ، الوساطة : ٢٧٤ .

(٣) سبق تخريجه : ١٠٨١ من البحث .

(٤) المنصف في نقد الشعر : ٧٨-٧٩ .

(٥) ديوانه : ١٠٦ ، الموازنة : ٥٩ .

(٦) سبق تخريجه : ١٠٨٣

(٧) شرح ديوان صريع الغواني : ١٢ ، أخبار أبي تمام : ١٦٤ ، المثل السائر : ٣/ ٢٨٢ ، زهر الآداب : ٢٤٦ .

وقال أبو تمـــام :

وَقَدْ ظُلِّلَتْ أَعْنَاقُ أَعْلامِـهِ ضُحًى ∴ بِعقبانِ طَيْرٍ في الدِّمَاءِ نَوَاهِـــلِ

أَقَامَتْ مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَأَنَّهَـــا ∴ مِنَ الجَيْشِ إلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلِ (١)

وقال أبو الطيب المتنبي :

يُفَدِّي أَتَمُّ الطَّيْرِ عُمْرًا سِـــلاحَهُ ∴ نُسُورُ المَلَا أَحْدَاثُهَا وَالقَشَاعِـــمُ (٢)

وَمَا ضَرَّهَا خَلْقٌ بِغَيْرِ مَخَالِـــبٍ ∴ وَقَدْ خُلِقَتْ أَسْيَافُهُ وَالقَوَائِـمُ (٣)

ثم أورد هذا المعنى في موضع آخر من شعره فقال :

سَحَابٌ مِنَ العِقْبَانِ يَزْحَفُ تَحْتَهَـا (٤) ∴ سَحَابٌ إِذَا اسْتَسْقَتْ سَقَتْهَا صَوَارِمُهْ (٥)

وقد رأى أبو بكر الصولي أن قول أبي نواس أحسن من قول مسلم بن الوليد ، وأبي تمام إلا أن النابغة قد فاقهم جميعاً .

قال بعد ذكر بيتي أبي تمام ومسلم بن الوليد :

" وأحسن من هذا قول أبي نواس في العباس بن عبيد الله "

ثم قال بعد نهاية أبيات أبي نواس .

" ولا أعلم أحداً قال في هذا المعنى أحسن مما قاله النابغة وهو أولى بالمعنى ، وإن كان قد سبق إليه ، لأنه جاء به أحسن " (٦)

---

(١) ديوانه ـ دار صعب ـ : ٢١٩ ، أخبار أبي تمام : ١٦٤ ، المثل السائر : ٣ / ٢٨٢ ، زهر الآداب : ٤ / ١٠٦٩ .

(٢) القشاعم : المسن من الرجال والنسور والضخم العظيم منها / القاموس المحيط " قشعم " : ٤ / ١٦٧ .

(٣) ديوانه بشرح العكبري : ٣ / ٣٧٩-٣٨٠ ، المثل السائر : ٣ / ٢٨٣ .

(٤) رواية المثل السائر " تَزْحَفُ " .

(٥) ديوانه بشرح العكبري : ٣ / ٣٣٨ ، المثل السائر : ٣ / ٢٨٣ .

(٦) أخبار أبي تمام : ١٦٥ .

ورأى القاضي الجرجاني [١] وتبعه أبو هلال العسكري [٢] أنّ أبا تمام قد زاد على الأفوه ، والنابغة ، وأبي نواس ، ومسلم بن الوليد فرأى أبو هلال العسكري أن الزيادة في قوله : " إِلَّا أَنَّها لَمْ تُقَاتِلِ " .

ورأى القاضي الجرجاني أن الحسن والتقدم في بيت أبي تمام ليس من هذه الزيادة فقط، وإنما لقوله " في الدِّمَاءِ نَوَاهِلِ " وإقامتها مقام الرايات ، وبذلك يتم حسن قوله : " إِلَّا أَنَّها لم تقاتل " .

ورأى أن الأفوه الأودي قد فضل الجماعة بأمور : منها السبق وهي الفضيلة العظمى ، والآخر قوله : (رأى عين) فخبر عن قُرْبِها، لأنها إذا بَعُدَت تُخيِّلت ولم تر، وإنما يكون قُرْبها متوقعاً للفريسة ، وهذا يؤيد المعنى ، ثم قال : " ثقة أن ستمار " فجعلها واثقة بالميرة، ولم يجمع هذه الأوصاف غيره ، أما أبو نواس فإنه نقل اللفظ فقط، فلم يزد شيئاً حتى يُفَضَّل ، وأما قول المتنبي :

سَحَابٌ مِنَ العِقْبَانِ يَزْحَفُ تَحْتَهَا ... البيت .

فزاد أن جعل هاهنا سحابتين وجعل السحابة السُّفلى تسقي مافوقها ، وهذا غريب وقد يعيبه بعضهم لأمرين :

أحدهما أن السحاب لا يسقي مافوقه ، والآخر أن العقبان، والطير لا تستسقي، وإنما تستطعم ، فأما إسقاء مافوقه فهو الذي أغرب به ، فهو لم يجعل الجيش سحاباً في الحقيقة فيمتنع إسقاؤه مافوقه ، وإنما أقامه مقام السحاب من وجهين لتزاحمه وكثافته ، وقد فعلت العرب ذلك في أشعارها ، وقال يستسقي، لأنه لما جعله سحاباً جعله يستسقي . (٣)

وعن بيت المتنبي هذا قال ابن الأثير :

---

(١) الوساطة : ٢٧٤ .

(٢) الصناعتين : ٢٤٥ .

(٣) الوساطة : ٢٧٤ ، المثل السائر : ٣ / ٢٨٣ .

" وهذا معنى قد حوى طرفي الإغراب والإعجاب " (١)

ورأى ابن الأثير أن أبا نواس، ومسلم بن الوليد، وأبا تمام، والمتنبي أحسن من أجاد في هذا المعنى ، وأنه قد تطرق إليه الكثيرون إلا أنهم جاءوا بشيء واحد لا تفاضل بينهم فيه إلّا من جهة حسن السبك، أو من جهة الإيجاز في اللفظ ، ورأى أن أفضل هؤلاء الأربعة مسلم بن الوليد والمتنبي، فقال عن بيتي مسلم :

أَشْرَبْتَ أَرْوَاحَ العِدَا وَقُلُوبَهَا ...

لَوْ حَاكَمَتْكَ فَطَالَبَتْكَ بِذَحْلِهَا ...

" فهذا من المليح البديع الذي فضل به مسلم غيره في هذا المعنى " (٢)

وقال عن بيتي المتنبي :

يُفَدِّي أَتَمُّ الطَّيْرِ عُمْراً سِلَاحَهُ ...

وَمَا ضَرَّهَا خَلْقٌ بِغَيرِ مَخَالِبِهِ ...

" وكذلك فعل أبو الطيب المتنبي فإنه لما انتهى إليه الأمر سلك مسلك من سبقوه ، إلّا أنه خرج إلى غير المقصد الذي قصدوه ، فأغرب وأبدع وحاز الإحسان بجملته، وصار كأنه مبتدع لهذا المعنى دون غيره " (٣)

ولم يتطرق لبيتي الأفوه الأودي ، والنابغة الذبياني بالنقد .

وقد أظهر الشيخ عبد القاهر الفرق بين البيتين ، ودلل واستشهد بهما على أنّ المعنى يُنقل من صورة إلى صورة ، وشرح ذلك بأن هاهنا معنيين .

أحدهما : أصل وهو علم الطير بأن الممدوح إذا غزا عَدُوًّا كان الظفر له ، وكان هو الغالب .

والآخر : فرع وهو طمع الطير في أن تتسع عليها المطاعم من لحوم القتلى ، فعمد النابغة إلى الأصل ، وذكره صريحاً ، وجعله مكشوفاً ، واعتمد في كشف الفرع،

---

(١) المثل السائر : ٣ / ٢٨٣ .

(٢) المثل السائر : ٣ / ٢٨٣ .

(٣) المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

وهو طمعهما في لحوم القتلى على دلالة الفحوى ، وعكس أبو نواس الصورة.

نقل الشيخ عن المرزباني قال :

" حدثني عمرو الوراق قال : رأيت أبا نواس يُنشد قصيدته التي أولها :

" أَيُّهَا المُنْتَابُ عَنْ عُفُرِهْ "

فحسدته ، فلما بلغ إلى قوله :

تَتَأَيَّى الطَّيرُ غَدْوَتَهُ ∴ ثِقَةً بِالشِّبْعِ مِنْ جَزَرِهْ

قلت له ما تركت للنابغة شيئاً حيث يقول : " إِذَا مَا غَدَا بِالجَيْشِ " ، البيتين ،

فقال : اسكت ، فلئن كان سبق فما أسأتُ الاتباع " (١)

وعلق الشيخ على هذه القصة محللاً الفرق بين الصورتين :

" وهذا الكلام من أبي نواس دليلٌ بَيِّنٌ في أن المعنى يُنقل من صورة إلى صورة ؛ ذاك لأنه لو كان لا يكون قد صنع بالمعنى شيئاً لكان قوله " فما أسأت الاتباع " مُحالاً ، لأنه على كل حال لم يتَّبعه في اللفظ ، ثم إن الأمر ظاهر لمن نظر في أنه قد نقل المعنى عن صورته التي هو عليها في شعر النابغة إلى صورة أخرى وذلك أن ههنا معنيين :

أحدهما : أصل وهو علم الطير بأن الممدوح إذا غزا عَدُوّاً كان الظفر له ، وكان هو الغالب .

والآخر : فرع وهو طمع الطير في أن تتسع عليها المطاعم من لحوم القتلى .

وقد عمد النابغة إلى " الأصل " الذي هو علم الطير بأن الممدوح يكون الغالب ، فذكره صريحاً ، وكشف عن وجهه ، واعتمد في " الفَرع " الذي هو طمعها في لحوم القتلى ، وأنَّها لذلك تحلِّق فوقه على دلالة الفحوى .

وعكس أبو نواس القصة ، فذكر " الفرع " الذي هو طمعها في لحوم القتلى صريحاً فقال كما ترى :

---

(١) الدلائل ، رضا : ٣٨٤-٣٨٥ ، خفاجي : ٤٥٧-٤٥٨ ، شاكر : ٥٠٢ .

" ثِقَةً بِالشِّبْعِ مِنْ جَزَرِهْ "

وعوّلَ في " الأصل " الذي هو علمها بأن الظفر يكون للممدوح على الفحوى ، ودلالةُ الفحوى على عِلمها أن الظفر يكون للممدوح ، هي في أن قال : " مِن جَزَرِهْ " وهي لا تثق بأن شبعها يكون من جَزَر الممدوح حتى تعلم أنّ الظفر يكون له .

أفيكون شيء أظهر من هذا في النقل عن صورة إلى صورة " (١)

الشاهد الواحد والثلاثون بعد الثلاثمائة : (*) (الخفيف)

• قول أبي العتاهيـــة :

شِيَمٌ فَتَّحَتْ مِنَ المَدْحِ (٢) مَاقَدْ .·. كَانَ مُسْتَغْلِقًا عَلَى المُدَّاحِ (٣)

ومثل معنى بيت الشاهد قول أبي تمام :

وَلَولَا خِلَالٌ سَنَّهَا الشِّعْرُ مَادَرَى .·. بُغَاةُ العُلَا مِنْ أَيْنَ تُؤْتَى المَكَارِمُ

وقول المتنبي :

وَعَلَّمُوا النَّاسَ مِنْكَ المَجْدَ وَاقْتَدَرُوا .·. عَلَى دَقِيقِ المَعَانِي مِنْ مَعَانِيكَا

ذكر القاضي الجرجاني أن بيت أبي العتاهية هو كالمحتوى على معنى بيتي أبي تمام والمتنبي . (٤)

•• مع قول أبي تمـــام : (الكامل)

نَظَمَتْ لَهُ خَرَزَ المَدِيـحِ مَوَاهِبٌ (٥) .·. يَنْفُثْنَ فِي عُقَدِ اللِّسَانِ المُفْحَمِ (٦) (٧)

(١) الدلائل ، رضا : ٣٨٥ ، خفاجي : ٤٥٨ ، شاكر : ٥٠٣ .
(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٦ ، خفاجي : ٤٥٩ ، شاكر : ٥٠٣ .
(٢) رواية الصبح المنبي : " من المجد " .
(٣) لم أجده في ديوانه ـ طبعة دار صعب ـ . انظر : الصبح المنبي : ٢٣٦ ، الوساطة : ٣٠٤ .
(٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
(٥) رواية الديوان بشرح الخطيب ، وكذلك الديوان الكامل ـ دار صعب ـ : " مَكَارِمٌ " .
(٦) المُفْحَمُ : العَيِيّ الضعيف الذي لا يقول الشعر / اللسان " فحم " : ١٢ / ٤٤٩ .
(٧) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٢٥٢ ، ديوان أبي تمام ـ دار صعب ـ ٢٧٧ .

والشاهد من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبانة (١) ومطلعها :

نَثَرتْ فَرِيدَ مَدَامِعٍ لَمْ تَنْظَمْ (٢) ∴ وَالدَّمْعُ يَحْمِلُ بَعْضَ شَجْوِ (٣) المُغْرَمِ

وقبل الشاهد :

كَلِفٌ بِرَبِّ المَجْدِ يَزْعَمُ أَنَّهُ ∴ لَمْ يُبْتَدَأْ عُرْفٌ إِذَا لَمْ يُتْمَمِ

وبعد الشاهد :

فِي قَلْبِهِ كَثُرُ السِّمَاكِ وَإِنْ غَدَا ∴ هَطِلاً وَعَفْوُ يَدَيْهِ جُهْدُ المُرْزِمِ

المعنى الجامع بين الشاهدين أن أخلاق الممدوح وشيمه الرفيعة هي التي حركت دوافع المدح عند الشعراء، إلَّا أنَّ لكل من الشاعرين صورته التي أجاد فيها ، فأبو العتاهية بنى بيته على صورة الفتح والإغلاق .

وأبو تمام بنى معناه على صورة العقد والنفث .

ولكلا الصورتين وجه من الحسن ، فأبو العتاهية ابتدأ بيته بالمسند، وحذف المسند إليه فقال (شيمٌ) أي " هي شيم " وإنما حَسُنَ الحذف هنا للإشادة بعظم تلك الشيم والخصال .

وقوله " مستغلقاً " بزيادة البناء دَلَّ عَلَى قوة الإغلاق واستعصاء المعاني على الشعراء .

إلَّا أنَّ قوله (فَتَّحتْ) بالتضعيف أظهر أن هذه الشيم لحسنها ورفعتها وعظمها ، وتأثيرها في نفوس الشعراء فَجَّرَت لديهم القوى الشعرية ، ومدت الخيال بالمعاني الغزيرة .

---

(١) سبقت ترجمته : ١٠٢٣ .

(٢) رواية الديوان بشرح الخطيب :
" لم يُنْظَمْ "

(٣) رواية الديوان بشرح الخطيب :
" بعض ثِقْلِ "

أما أبو تمام فكانت صورته أحلى مذاقاً وأدق تركيباً ، وأغزر معنى ، فهي صورة مستمدة من القرآن الكريم من قوله تعالى :

" وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ [(١)] " ، وقد حسَّنَ هذا التلميح في هذا الموضع .

وأين قوة الفتح من قوة " النفث في العقد "

وانظر إلى تركيب صورة النفث هذه ، حيث جاء بلفظ (عُقد) بصيغة الجمع بدلا من (عقدة) بصيغة المفرد ؛ ليدل على أنها عقد كثيرة قوية فهي عُقدة بعد عَقدة ، وفي إضافة العُقد إلى اللسان تصوير لعجزه ، وفي وصفه بأنه مُفحم مبالغة في وصفه بالعجز التام .

واضفى على اللسان هذه الصورة العاجزة ؛ ليظهر قوة تلك المواهب التي استطاعت أن تحل ذلك اللسان ، وجعلته يتغنى في طرب وخفة بتلك القصائد المتينة ، ففي تشبيه المدائح بصورة العقد الذي نظمت خرزه دليل على قوة تلك القصائد وتلاحم بنائها .

فهذه المواهب إذاً مواهب عظيمة عجيبة عجب السحر نفسه .

---

(١) الفلق : ٤ .

الشاهد الثاني والثلاثون بعد الثلاثمائة : (*) (الوافر)

• وقول أبي وجزه (١) :

أَتَاكَ المَجْدُ مِنْ هَنَّا وَهَنَّـا .·. وَكُنْتَ لَهُ كَمُجْتَمَعِ (٢) السُّيُولِ (٣)

•• مع قول منصور النمري (٤) : (البسيط)

إِنَّ المَكَـارِمَ (٥) وَالمَعْرُوفَ أَوْدِيَةٌ .·. أَحَلَّكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ (٦)

(١) هو يزيد بن عُبيد وقيل يزيد بن أبي عُبيد ، انتسب إلى بني سعد بن بكر بن هوازن لولائه فيهم ، وأصله من سُليم ، وبنو سعد أظآر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أرضعته حليمة السعدية .
كان أبو وجزة شاعرًا مجيدًا ، وهو أحد من شبب بعجوز وكان من التابعين ، روى الحديث عن جماعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم سكن المدينة ، فانقطع إلى آل الزبير ، ومات بها سنة ١٣٠هـ/ انظر ترجمته :
الشعر والشعراء : ٢ / ٧٠٦-٧٠٧ ، الأغاني : ١٢ / ٢٣٩ - ٢٥٢ ، القاموس المحيط : " وجز " : ٢ / ٢٠٢ ، غاية النهاية : ٢ / ٣٨٢ ، خزانة الأدب - دار صادر - : ٢ / ١٥٠ ، الأعلام : ٨ / ١٨٥ .

(٢) رواية ديوان المعاني ، والدلائل تحقيق شاكر : " بمجتمع السيول " .

(٣) ديوان المعاني : ١ / ٥٩ .

(٤) هو منصور بن الزبرقان بن سلمة - وقيل منصور بن سلمة بن الزبرقان - بن شريك بن مطعم بن مالك بن سعد بن عامر .
كان منصور شاعرًا من شعراء الدولة العباسية من أهل الجزيرة ، وهو تلميذ كلثوم بن عمرو العتابي وراويته ، وعنه أخذ ، ومن بحره استقى ، وبمذهبه تشبه .
وقد مدح منصور النمري هارون الرشيد وأعجب بشعره إلا أن بعضهم أثار حفيظة الرشيد عليه فبعث من يقتله فوجده قد توفي / انظر :
الشعر والشعراء : ٢ / ٨٦٣ ، الأغاني : ١٣ / ١٤٠ - ١٥٧ ، تاريخ بغداد : ١٣ / ٦٥-٦٩ ، خاص الخاص : ١١٢ .

(٥) في إحدى روايات ديوان المعاني روي صدر البيت :
" خَلِيفَةَ اللَّهِ إِنَّ الجُودَ أَوْدِيَةٌ "

(٦) انظر البيت في : ديوانه : ١٠٠ ، الأغاني : ١٣ / ١٤٥ ، ديوان المعاني : ١ / ٥٩ ، ١ / ١٢٨ ، التمثيل والمحاضرة : ٤٣٥ ، الإعجاز والإيجاز : ١٦٧ . =====

مَا تَنْقَضِي حَسْرَةٌ مِنِّي وَلَا جَـزَعٌ ∴ إِذَا ذَكَرْتُ شَبَاباً لَيْسَ يَرْتَجِعُ

وقبل الشاهد :

مُبَاشِرٌ لِأُمُورِ المُلْكِ مُبْتَذِلٌ ∴ فِيهَا قَرِيحَةَ رَأْيٍ مَا بِهِ طَبَعُ

تَهْدِيهِ فِي ظُلُمَاتِ الرَّأْيِ تَحْزُبَهُ (١) ∴ عَيْنٌ مِنَ الحَزْمِ مَا فِي مَاقِهَا قَمَعُ

وبعد هذا الشاهد وبعده :

إِذَا رَفَعْتَ امْرَأً فَاللَّهُ يَرْفَعُهُ (٢) ∴ وَمَنْ وَضَعْتَ مِنَ الأَقْوَامِ يَتَّضِعُ (٣)

الصورة المجتمعة في البيتين هي صورة اجتماع المكارم والمجد في الممدوح بمجتمع السيول . وقد أجاد كل من الشاعرين في إبراز صورته فأبو وجزة جعل المجد شخصاً يمشي ويتحرك،فهو يسعى نحو الممدوح سعياً حثيثاً وينسل إليه طائعاً مختاراً من كل حدب وصوب .

وانظر إليه وقد ابتدأ البيت بالجملة الفعلية ليدل على شدة الانسيال وتأمل قوله " وكنت له " والدور الفعال الذي يقوم به الجار والمجرور في الربط بين حلقات البيت حيث أثبت الصلة بين صورة المجد وصورة الممدوح .

أما أبو منصور النمري فبدأ بيته بالجملة الاسمية المؤكدة (بإن) ليؤكد ثبوت ودوام تلك المكارم في الممدوح ، وصرح بكونها أودية ليستحضر الخيال غزارة تلك الأودية وامتلاءها ،فتقف النفس إجلالاً وإكباراً حين تعلم أن مجتمع هذه المكارم الرفيعة هو الممدوح .

وقوله " أحلك الله منها " كلام بليغ من حر المديح إذ أنه جعل مجتمع السيول هو مكان الممدوح وحده بلا منازع لأن حلوله كان بأمر من الله والأمر من الله قضاء ،

=== أمالي المرتضى : ٢/٢٧٧ ،زهر الآداب : ٣/٧٠٣ ،تاريخ بغداد : ١٣/٦٨ ، الحماسة البصرية : ١/١٤٨ .

(١) تَحْزُبُهُ : تشده / القاموس المحيط " حزب " : ١/ ٥٦ .

(٢) رواية زهر الآداب والحماسة البصرية : " رافعه " .

(٣) رواية الأغاني : " مُتَّضِعُ " .

وهذا إثبات أن المكارم والمعروف خصلة جُبل عليها ، وأمر فُطِر عليه .

ومجيء الجار والمجرور " منها " هو مُخ المعنى ومعقده .

وعبر عن اجتماع تلك المكارم في الممدوح بالجملة الفعلية (حيث تجتمع) ليؤكد تجدد اجتماعها فيه مرة بعد مرة .

الشاهد الثالث والثلاثون بعد الثلاثمائة : (*) (البسيط)

قول بشار: (١)

١- الشَّيْبُ كُرْهٌ (٢) وَكُرْهٌ أَنْ يُفَارِقَنِي (٣) ∴ أَعْجِبْ (٤) بِشَيْءٍ (٥) عَلَى البَغْضَاءِ مَوْدُودِ (٦)

---

(١) هو له في : أمالي المرتضى ، وهو لمسلم بن الوليد في : ذيل ديوانه ، ديوان المعاني ، التشبيهات ، التمثيل والمحاضرة ، أحسن ما سمعت ، زهر الآداب ، تاريخ بغداد ، سمط اللآلي ، حماسة ابن الشجري ، نهاية الأرب للنويري .

وهو لأبي العتاهية في الفاضل .

وذكر في مجموعة المعاني أنها لمسلم بن الوليد ، وأنها رويت لبشار أيضاً .

(٢) رواية تاريخ بغداد لصدر البيت :

" أكره شيبي وأخشى أن يزايلني "

(٣) رواية المختار من شعر بشار والتشبيهات : " أن تفارقه ".

رواية زهر الآداب : " أن أفارقه " .

(٤) رواية ديوان المعاني : " أحبب " .

(٥) رواية أحسن ما سمعت ، وزهر الآداب ونهاية الأرب " أعجب لشيء ".

(٦) ذيل ديوان صريع الغواني : ٢٩٢ ، ذكرت الأبيات الثلاثة (أي التي ستذكر بعد الشاهد) ، الفاضل : ٧٥ ، البيت الأول والثالث .

المختار من شعر بشار : ٢٨٣ البيت الأول .

ديوان المعاني : ٢ / ١٥٨ البيت الأول فقط .

التشبيهات : ٢٢١ البيت الأول والثالث.

التمثيل والمحاضرة : ٨٢-٣٨٧ البيت الأول فقط.

=======

والشاهد أحد أبيات ثلاثة وهو ثانيها وقبله :

٢- نَامَ العَوَاذِلُ وَاسْتَكْفَيْنَ لَائِمَتِي ∴ وَقَدْ كَفَاهُنَّ نَهْضُ البِيضِ فِي السُّودِ

وبعد الشاهد :

٣- يَمْضِي الشَّبَابُ وَقَدْ يَأْتِي لَهُ خَلَفٌ (١) ∴ وَالشَّيْبُ يَذْهَبُ مَفْقُوداً بِمَفْقُودِ

ولقد استحسن أبو هلال العسكري بيت الشاهد فقال :

" وذكر مسلم بن الوليد كراهة الشيب وكراهة مفارقته إذ جاء فأحسن حيث يقول : ... البيت " (٢)

وكذلك رأى الثعالبي أنه من أحسن ما قيل في الإشفاق من الشيب (٣)

وكذلك رأى ابن الشجري أن مسلماً قد أحسن في بيته هذا (٤)

•• مع قول البحتري : (الوافر)

تَعِيبُ الغَانِيَاتُ عَلَيَّ شَيْبِي ∴ وَمَنْ لِي أَنْ أُمَتَّعَ بِالمَعِيبِ (٥)

=== أحسن ماسمعت : ١٢٣ البيت الأول والثالث.

أمالي المرتضى : ١/ ٦٠٧ البيت الأول والثالث

زهر الآداب : ٤ / ٩٧١ البيت الأول والثالث

تاريخ بغداد : ١٣ / ٩٧-٩٨ الأبيات الثلاثة وذكر البيت الثاني والثالث عن رواية أبي تمام .

سمط اللآلي : ١/ ٣٣٤، البيت الأول والثالث .

حماسة ابن الشجري : ٢٤٥ البيت الأول والثالث.

نهاية الأرب للنويري : ٢ / ٢٢ البيت الشاهد فقط، مجموعة المعاني : ١٢٣.

(١) رواية زهر الآداب " فيأتي بعده بدلٌ " .

رواية تاريخ بغداد :" أما الشباب فمفقود له خلف " ، ورواية حماسة ابن الشجري ومجموعة المعاني :" يمضي الشباب ويأتي بعده خلف " .

(٢) ديوان المعاني : ٢ /١٥٨.

(٣) أحسن ماسمعت : ١٢٣ .

(٤) حماسة ابن الشجري : ٢٤٥.

(٥) ديوانه -بيروت- : ١/ ٤٤٠، ديوانه -صيرفي- : ١/ ٩٩، الشهاب في الشيب والشباب : ١٦.

وهو من قصيدة يمدح بها هيثم بن هارون بن المعمر،(١) ومطلعها :

أَمِنْكَ تَأَوَّبُ الطَّيْفِ الطَّرُوبِ .·. حَبِيبٌ جَاءَ يُهْدَى مِنْ حَبِيبِ

وقبل الشاهد :

أَقُولُ لِلِمَّتِي(٢) إِذْ أَسْرَعَتْ بِي .·. إلى الشَّيْبِ اخْسَرِي فِيهِ وَخِيبِي

مُخَالِفَةً بِضَرْبٍ بَعْدَ ضَرْبٍ .·. وَمَا أَنَا وَاخْتِلَافَاتِ الضُّرُوبِ

وَكَانَ حَدِيثُهَا فِيهَا غَرِيبًا .·. فَصَارَ قَدِيمُهَا حَقَّ الغَرِيبِ

وبعد الشاهد :

وَوَجْدِي بِالشَّبَابِ وَإِنْ تَقَضَّى(٣) .·. حَمِيداً دُونَ وَجْدِي بِالمَشِيبِ

المعنى الجامع بين الشاهدين كراهة الشيب مع محبته . وإذا تأملنا الشاهدين وجدنا أن كلاً من الشاعرين قد تناول هذا المعنى بصورة تختلف عن صورة الآخر .

فبشار ابتدأ بيته بجملة خبرية " الشيب كرهٌ " أعلن بها حقيقة شعوره نحو الشيب الذي هو رمز أفول الشباب ، وهذا الخبر على عظمه جاء خالياً من ضروب التوكيد ، لأنه حقيقة مسلم بها عند الشاعر.

---

(١) جاء في تحقيق الديوان - صيرفي -:

" والهيثم بن عبد الله بن المعمر التغلبي، ثم العدوي قلده أساتكين سنة (٢٦١ هـ) الموصل ، وأرسل إليه الخلع واللواء ، وكان بديار ربيعة متوليها بعد موت إسحاق بن أيوب سنة (٢٨٧ هـ) فجمع جموعاً كبيرة وسار إلى الموصل ، ونزل بالجانب الغربي وزحف إلى باب البلد، فخرج له أهلها فقاتلوه حتى عاد عنها " : ١/ ٩٨ . ويبدو لي أن محقق الديوان خلط بين عبد الله بن الهيثم " الابن " وبين الهيثم بن عبد الله " الأب " ، فالذي وجدته في تاريخ الطبري، والكامل لابن الأثير أن الذي تولى أمر ديار ربيعة بعد وفاة إسحاق بن أيوب سنة (٢٨٧ هـ) هو عبد الله بن الهيثم بن عبد الله بن المعمر " المعتمر " . / انظر: تاريخ الطبري: ١٠/ ٧٦، والكامل لابن الأثير: ٦/ ٩٨ .

(٢) لمتي : اللِّمَّة : شعر الرأس إذا كان فوق الوفرة ، وفي الصحاح : الشعر يجاوز شحمة الأذن . / الصحاح : " لمم " : ٥/ ٢٠٣٢ ، اللسان: " لمم ": ١٢ / ٥٥١ .

(٣) رواية الديوان - صيرفي - : " وَإِنْ تَوَلَّى " .

وإنّي لأسمع رنات الأسىٰ والتحسر ترن في جوانب هذا الخبر إلا أن الشاعر فاجأنا بخبر آخر تعجب له النفس،فأخبرنا أنه على كرهه للشيب يكره أن يفارقه ، وجاء بالواو ، ووصل بين الجملتين ليزيد النفس عجباً ، فهو قد جعلهما كأنهما جملة واحدة على الرغم مما بينهما من تضاد ، وهذا التضاد له طُعْمَة حسنة في النفس لما أثاره فيها من التعجب ، ثم جاء بقوله (أعجب) بصيغة الأمر ليوقظ معنى العجب في النفس .

ونكر لفظ " شيء " ليولد في الخيال نوعاً من الغموض المثير للعجب ، ثم أعلن أن هذا الشيء على بغضه وكرهه مودود محبوب.

أما البحتري فقد جعل الشيب عيباً تعيره به الغانيات وهذا أوجع في النفس وأشد إيلاما لها ؛ لأن في مجيء صورة الغانيات ، تذكيراً بأيام الشباب ، وهذا التذكير يبعث الحسرة في النفس ، إلا أن الشاعر يفاجئنا بجعل هذا العيب وما يصدر عنه من آلام أجمل مايتمتع به الإنسان ، وهو غاية مايتمناه ويرجوه ، وانظر كيف صور كره مفارقة الشيب بقوله " من لي " وهو استفهام يحمل معني التمني والترجي وبنى الفعل " أُمتَّع " للمجهول ليبالغ في عظم ذلك التمتع.

الشاهد الرابع والثلاثون بعد الثلاثمائة : (*) (المنسرح)

وقول أبي تمام :

يَشْتَاقُهُ مِنْ كَمَالِهِ غَدُهُ ∴ وَيَكْثُرُ الوَجْدُ نَحْوَهُ الأَمْسُ (١)

وهو من قصيده يمدح بها الحسن بن وهب (٢) ، ومطلعها :

(*) الدلائل ،رضا : ٣٨٦ ، خفاجي : ٤٥٩ ، شاكر : ٥٠٤ .

(١) ديوانه - بشرح الخطيب التبريزي - : ٢ / ٢٣٢ ، ديوانه - دار صعب - : ١٤٨ .

(٢) سبقت ترجمته :ص ٨٥٩

هَلْ أَثَرٌ مِنْ دِيَارِهِمْ دَعَسٌ (١) ∴ حَيْثُ تَلَاقَى الأَجْرَاعُ (٢) وَالوَعَسُ (٣)

وقبل الشاهد :

أَرْوَعُ (٤) لَا مِنْ رِيَاحِهِ الحَرْجَفِ (٥) الـ ∴ ـصِرِّ (٦) وَلَا مِنْ نُجُومِهِ النَّحْسُ

وبعد الشاهد :

رَدَّ بِي لِطَرْفِي عَنْ وَجْهِهِ زَمَنٌ ∴ وَسَاعَتِي مِنْ فِرَاقِهِ حَرَسُ (٧)

•• مع قول ابن الرومي : (الطويل)

إِمَامٌ يَظَلُّ الأَمْسُ يُعْمِلُ نَحْوَهُ ∴ تَلَفُّتَ مَلْهُوفٍ (٨) وَيَشْتَاقُهُ الغَدُ (٩)

والشاهد ثالث أبيات أربعة ، قالها في مدح المعتضد بالله. (١٠)

---

(١) الدعس : الكثير الواضح من الآثار . / القاموس المحيط " دعس " : ٢ / ٢٢٣ .

(٢) الأجراع : الرملة الطيبة المنبت ، أو الكثيب جانب منه رمل ، وجانب حجارة كالأجرع والجرعاء . / القاموس المحيط " جرع " : ٣ / ١٢ .

(٣) الوعس : السهل اللين من الرمل . / اللسان " وعس " : ٦ / ٢٥٦

(٤) أروع : الأروع من يعجبك بحسنه ، وجهارة منظره ، أو بشجاعته كالرائع . / القاموس " روع " : ٣ / ٣٣ .

(٥) الحرجف : الريح الباردة الشديدة الهبوب . / القاموس المحيط " حرجف " : ٣ / ١٣٠ .

(٦) الصِّر : الباردة الشديدة الصوت / القاموس المحيط " صر " : ٢ / ٧١ .

(٧) الحَرَس : الدهر / القاموس المحيط " حرس " : ٢ / ٢١٤ .

(٨) رواية تاريخ الخلفاء : " تلهف " .

(٩) انظر البيت في :

ديوانه - مطبعة دار الكتب - : ٢ / ٦٦٠ ، تاريخ الخلفاء : ٣٦٩ .

(١٠) هو أحمد أبو العباس ، ابن ولي العهد الموفق طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد (٢٤٢ هـ - نحو ٢٨٩ هـ) ، أمه أم ولد اسمها " صواب " وقيل " حرز " ، وقيل " ضرار " ، كان ملكاً شجاعاً مهيباً ظاهر الجبروت ، وافر العقل ، شديد الوطأة ، وكان يسمى السفّاح الثاني ؛ لأنه جدد ملك بني العباس / انظر :

تاريخ الطبري : ٩ / ٥٣٠ ، ٥٤٠ ، ٥٤٤ ، ٥٥٧ - ٦٦٣ ، ٦٦٧ / ١٠ : ٨ ، ٩ ، ١٥ ، ٢٠ - ٢٢ ، ٢٨ - ٨٩ - ٩٤ ، ١٢٨ ، ١٣٣ ، الفخري في الآداب السلطانية : ٢٥٦ ، مروج الذهب : ٢٢٩ - ٢٧٤ ، التنبيه والإشراف : ٣٣٦ ، تاريخ الخلفاء : ٣٦٨ - ٣٧٥ .

وقبل الشاهد :

هَنِيئاً بَنِي العَبَّاسِ إِنَّ إِمَامَكُم ∴ إِمَامُ الهُدَى وَالجُودِ وَالبَأْسِ (١) أَحْمَدُ

كَمَا بِأَبِي العَبَّاسِ أُنْشِيءَ مُلْكُكُم ∴ كَذَا بِأَبِي العَبَّاسِ مِنْكُم يُجَدَّدُ

وبعد هما الشاهد وبعده :

يَوَدُّ الزَّمَانُ المُنْقَضِي عَنْهُ أَنَّهُ ∴ عَلَيهِ لِزَامٌ آخِرَ الدَّهْرِ سَرْمَدُ

فالصورة الجامعة بين الشاهدين هي اشتياق الغد للممدوح ، وتذكر الأمس له .

فأبو تمام وابن الرومي صورا الغد بصورة واحدة ، وهي صورة المشتاق ، إلا أن أبا تمام زاد على الآخر بقوله :

" مِنْ كَمَالِهِ " ، وفي هذا إشادة بالممدوح .

أمّا تذكر الأمس له ، فأبو تمام جعل الأمس إنساناً كثيرالوجد ، وهي صورة لطيفة ، ولكن صورة ابن الرومي كانت أكثر لطافة ، فهو لم يكتف بأن جعل الأمس إنساناً كثير الوجد ، بل صور آثار ذلك الوجد ، فجعله إنساناً دائم التلفت كثيره ، ثم أضاف هذا التلفت إلى كلمة " ملهوف " ، وفي هذا مافيه من الدلالة على عظم الشوق ، والبراعة في تجسيد تباريح الوجد .

قال الشيخ عبد القاهر :

" لا تنظر إلى أنه قال : " يشتاقه الغد " ، فأعاد لفظ أبي تمام ، ولكن انظر إلى قوله :

" يُطِيلُ نَحْوَهُ تَلَفُّتَ مَلْهُوفِ " " (٢)

---

(١) رواية تاريخ الخلفاء :

" والبأس والجود أحمد " .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣٨٦ ، خفاجي : ٤٥٩ ، شاكر : ٥٠٤ .

الشاهد الخامس والثلاثون بعد الثلاثمائة : (*) (الطويل)

وقول أبي تمام :

لَئِنْ (١) ذَمَّتِ الأَعْدَاءُ سُوءَ صَبَاحِهَا .·. فَلَيْسَ يُؤَدِّي شُكْرَهَا الذِّئْبُ وَالنَّسْرُ (٢)

وهو من قصيدة قالها يفخر بقومه عند انصرافه من مصر (٣)

وقبل الشاهد :

ضَبِيبِيَّةٌ (٤) مَا إِنْ تُحَدِّثُ أَنْفُسًا .·. بِمَا خَلْفَهَا مَادَامَ قُدَّامَهَا وِتْرُ (٥)

وبعد الشاهد :

بِهَا عَرَفَتْ أَقْدَارَهَا بَعْدَ جَهْلِهَا .·. بِأَقْدَارِهَا قَيْسُ بنَ عَيْلَانَ وَالغِزْرُ (٦)

ذكر الآمدي أن هناك من يقول بأن بيت أبي تمام مأخوذ من قول مسلم بن الوليد :

لَوْ حَاكَمَتْكَ فَطَالَبَتْكَ بِذَحْلِهَا .·. شَهِدَتْ عَلَيْكَ ثَعَالِبٌ وَنُسُورُ

وهو يرى غير ذلك ؛ لأن المعنيين مختلفان ، فمسلم أراد أن يقول لممدوحه : لو حاكمتك - الفرقة والعُصب التي لقيتك - بثأر من قَتَلْتَ منها لشهدت عليك الثعالب والنسور.

---

(١) رواية الديوان بشرح الخطيب ، والديوان - دار صعب - :
" فَإِنْ ذَمَّتْ "

(٢) الديوان بشرح الخطيب التبريزي : ٤ / ٥٧٧ ، الديوان - دار صعب - : ٤٢٤ ، الموازنة : ١٢٢.

(٣) سبق ذكر مطلعها : ٩٩٩ من البحث.

(٤) ضبيبية : منسوبة إلى الضبيب ، وهو فرسٌ كان لرجل من طيء ، حمل عليه بعض ملوك الفرس ، وذلك أنه كان معه في حرب ، فهزم ذلك الملك ، وقصّر فرسه ، فحمله الطائي على الضبيب ، فعرف له الملك ذلك ، وأقطعه مواضع بالسواد ./ ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٤ / ٥٧٧

(٥) الوتر : الظلم / القاموس المحيط " وتر " : ٢ / ١٥٧ .

(٦) الغزر : سعد بن زيد مناة بن تميم سموا بذلك ؛ لأن أباهم سعداً كان له قطيع من معزٍ فجاء به إلى الحرم ، فأنهبه الناس ، فقالوا في المثل : لا أفعل ذلك حتى يجتمع مِعْزَى الغِزْر . / ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٤ /٥٧٧

أما أبو تمام ،فقال على سبيل الاستهزاء :

لئن ذمت الأعداء سوء صباحها فليس يؤدّي الذئب والنسر شكرها لكثرة ماأكلا منها ،وهذا المعنى غير ذاك . (١)

•• مع قول المتنبي : (المتقارب)

وَأَنْبَتَّ مِنْهُم رَبِيعَ السِّبَاعِ .·. فَأَثْنَتْ بِإِحْسَانِكَ الشَّامِلِ (٣)
(٢)

وهو من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ،ويذكر استنقاذه أبا وائل تغلب بن داود ابن حمدان العدوي من أسر الخارجي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، ومطلعها :

إِلَامَ طَمَاعِيَةُ العَاذِلِ .·. وَلَا رَأْيَ فِي الحُبِّ لِلْعَاقِلِ

وقبل الشاهد :

تَرَكْتَ جَمَاجِمَهُم فِي النَّقَا .·. وَمَا يَتَخَلَّصْنَ لِلْنَّاخِلِ

وبعد الشاهد :

وَعُدْتَ إِلَى حَلَبٍ ظَافِراً .·. كَعَوْدِ الحُلِيِّ إِلَى العَاطِلِ (٤)

ومعنى البيت كما ذكره العكبري :

" يقول : لو قدرت السباع على النطق ،لأثنت بما شملها من إحسانك بكثرة القتلى ، فكأنك بما أوليتها من لحوم القتلى أنبت لها ربيعاً ،وهذا ترشيح للاستعارة ،بأن السباع لا تأكل الحشيش ،ولما استعار الربيع ، استعار النبت له .

والمعنى : أنبت من أجسادهم ربيع السباع ،فأخصبت في لحومها إخصاب

---

(١) انظر: الموازنة -تحقيق محيي الدين عبد الحميد - : ١٢٢ .

(٢) رواية الديوان بشرح العكبري : " فأنبت منهم " .

(٣) انظر البيت في :
الديوان بشرح العكبري : ٣/ ٣١ ، العرف الطيب : ٤ / ٢٧٦ .

(٤) المرأة التي لا حلي لها . / القاموس المحيط " عطل " : ٤ / ١٧ .

السائمة في ربيعها ، فأثنت بما عمها من فضلك ، وشملها من إحسانك ".

ورأى العكبري أن هذا البيت من احسان الكلام ، وهو مبني على الاستعارة ، ومثله قولــه :

وَكَانَ بِهَا مِثْلُ الجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ .·. وَمِنْ جُثَثِ القَتْلَى عَلَيْهَا تَمَائِمُ

فالصورة المشتركة في البيتين هي كثرة القتلى ، وشكر الذئاب والسباع .

فأبو تمام عبر عن كثرة القتلى بالمعنى الكنائي ، وفي هذا مايثير الفكر ، ويحرك الخيال ، فقوله : " لئن ذمت الأعداء سوء صباحها " صورة حية لحالة الأعداء ، وهم يسخطون ، ويذمون ، ويندبون ذلك الصباح لكثرة مارأوا فيه من قتلاهم .

ثم أكد هذا المعنى بصورة أخرى فقال : " فليس يؤدي شكرها الذئب والنسر " ، فجعل الذئب والنسر يعجزان عن شكر تلك الليلة ، لكثرة ماأكلوا من لحوم الأعداء .

أما المتنبي فاخترع صورة أعمق ، وأدق ، تجعل المتأمل لها يقف منده شاً من كثرة القتلى ، فجاء بصورة الربيع ، وما فيه من كثرة الإنبات والاخضرار ، فجعل القتلى ربيعاً يخصب أجسام السباع كما يخصب الربيع أجسام السائمة .

وصورة الإنبات التي أتى بها ، وإن كانت صورة معهودة إلا أنه صاغها صياغة أخرجتها في أبهى حللها ، فالجار والمجرور في قوله " أنبتَّ منهم " صَوَّر تمكن الممدوح من الأعداء ، وأثبت ضعفهم وتخاذلهم أمام قوته وسطوته .

وانظر إلى الإضافة في قوله (ربيع السباع) وكيف أضفت على الصورة نوعاً من الغرابة واللطافة وجعلتها من الاستعارات الخاصية النادرة ، واختيار المتنبي للسباع أكثر خدمة للصورة وأدل على كثرة القتلى ؛ لأن السباع أكثر الحيوانات افتراساً ، وأشدها حاجة للحوم .

وتأمل " الفاء " في قوله " فأثنت " وكيف دلت على سرور تلك السباع لإحساسها بالشبع ، فأسرعت بالثناء على الممدوح .

وفي وصف الإحسان بكونه شاملاً دليل على عظم ذلك الممدوح .

الشاهد السادس والثلاثون بعد الثلاثمائة : (*) (البسيط)

• وقول أبي تمـــام :

وَرُبَّ نَائِي المَغَانِي رُوحُـهُ أَبَدَاً ∴ لَصِيقُ رُوحِي وَدَانٍ لَيْسَ بِالدَّانِي (١)

وهو من قصيدة يمدح بها سليمان بن وهب، (٢) ويشفع في رجل يُقال له سليمان ابن رَزين ابن أخ دِعْبل الخُزاعي : ومطلعها :

إِنَّ الأَمِيرَ حِمَامُ الجَارِمِ الجَانِــــي ∴ وَمُسْتَرَادُ (٣) أَمَانِي المُوثَقِ العَانِـــي

وقبل الشاهد :

عِصَابَةٌ جَاوَرَتْ آدَابُهُمْ أَدَبِــــي ∴ فَهُمْ وَإِنْ فُرِّقُوا فِي الأَرْضِ جِيرَانِــي

أَرْوَاحُنَا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَغَــــدَتْ ∴ أَبْدَانُنَا فِي شَــآمٍ أَوْ خُرَاسَــــانِ

وبعد هما الشاهد وبعده :

أَفِي أَخٍ لِي فَرْدٍ لَا قَسِيمَ لَـــــهُ ∴ فِي خَالِصِ الوُدِّ مِنْ سِرِّي وَإِعْلَانِـــي

---

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٣٣٥ .
ديوان أبي تمام ـ دار صعب ـ : ٢٩٥ .

(٢) المستراد : المكان الذي يرتاده الرجل ويجول فيه . / القاموس المحيط / " رود " : ١ / ٣٠٧ .

(٣) هو سليمان بن وهب بن سعيد بن عمرو الحارثي ، أبو أيوب أحد كتـــاب الدنيا ورؤسائها فضلاً وأدباً وكتابة ، وأحد عقلاء العالم وذوي الرأي منهم ، كتب للمأمون وهو حدث صغير ، وتولى خراج مصر سنة (٢٤٢ هـ) ، وولــي الوزارة للمعتز وللمهتدي ثم للمعتمد سنة (٢٦٣ هـ) ، ونقم عليه الموفـــق فحبسه في سنة (٢٦٥ هـ) هو وابنه عبيد الله ، وأخذ أموالهما وعقارهمـا ، ثم صُولحا على تسعمائة ألف دينار ، ثم نقم عليه مرة أخرى فحبسه ، فمــات في حبسه سنة (٢٧٢ هـ) / انظر :
الطبري : ٩ / ٥٤٠ ، الفخري في الآداب السلطانية : ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ - ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، الوزراء والكتاب : ١٣٤ ، وفيات الأعيان : ٢ / ٤١٥ .

•• مع قول المتنبي :   (الوافر)

لَنا وَلأَهلِهِ أَبَداً قُلُوبٌ ∴ تَلاقَى فِي جُسُومٍ ما تَلاقَى (١)

وهو من قصيدته التي مدح بها سيف الدولة حين أمر له بفرس وجارية ومطلع القصيدة ، وهو البيت الذي قبل الشاهد :

أَيَدْرِي الرَّبْعُ أَيَّ دَمٍ أَراقَا ∴ وَأَيَّ قُلُوبِ هَذا الرَّكْبِ شاقَا

وبعده الشاهد وبعده :

وَما عَفَتِ الرِّياحُ لَهُ مَحَلّاً ∴ عَفاهُ مَنْ حَدا بِهِمُ وَساقَا

ومعنى الشاهد :

يقول أن لنا وللراحلين من أهل هذا الربع قلوباً تتلاقى على الدوام ، بما هي عليه من الشوق والحنين والتذكار لسالف العهد ، وأيام الوصال ، على الرغم من تباعد الأجساد ، وعدم تلاقيها . (٢)

ورأى العكبري أنه منقول من قول ابن المعتز :

إِنّا عَلَى البِعادِ وَالتَّفَرُّقِ ∴ لَنَلْتَقِي بِالذِّكْرِ إِنْ لَمْ نَلْتَقِ (٣)

المعنى الجامع بين الشاهدين هو قرب الأرواح مع بُعد الأجساد ، وإذا تأملنا كلاً من الصورتين ، وجدنا أن أبا تمام قد بدأ بيته بقوله : " ورب نائي المغاني " فجاء بـ رُبَّ مع ذكر تنائي الديار وبعدها ليزيد في النفس صورة البُعد بعداً ، فهذا الإغراق في البعد إنما هو تصوير لوحشة نفسه التي ما تلبث أن تفيض حنيناً لأهل تلك المغاني .

وقوله " أبداً " لفظة نفيسة صورت حركة الحنين والشوق الدائبة في نفسه .

---

(١) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٢ / ٢٩٤ ، العرف الطيب : ٤ / ٩٣ .

(٢) التبيان للعكبري : ٢ / ٢٩٤ .

(٣) ديوانه : ٣٣٧ .

وهذا التضاد في قوله " ودان ليس بالداني " إنما هو وليد ذلك التنازع الناشب في صدره بين البُعد والحنين .

وإذا تأملنا صورة المتنبي وجدناها تجيش بألوان الحس والشعور، انظر إليه كيف نكر المسند إليه " قلوبٌ " ليظهر شفافية تلك القلوب ، الجياشة بالعواطف، وكأنها قلوب من نوع خاص ، وقصر هذه القلوب على كونها له ولأهل تلك الديار، بتقديم المسند الجار والمجرور على (قلوب)؛ ليؤكد أن هذه القلوب فريدة في عاطفتها لا يملكها كل أحد .

وانظر إلى (واو) العطف ، وكيف كشفت عن ذلك الرباط المتين بين الشاعر ، وأهل تلك الديار.

وتأمل لفظ " تلاقى " ومافيه من تشخيص حَي لإلحاح الشوق والحنين ، وقوله " تلاقي " بدلا من " تتلاقى " مع تقييده بكونه " في جسوم " أظهر أن ذلك اللقاء إنما هو لقاء معنوي لا حسي يتم في عالم الروح .

وانظر إليه كيف فصل بين المسند والمسند إليه بقوله " أبدا " ليؤكد دوام ذلك التلاقي الروحي واستمراره .

وانصت إلى النفي في قوله " ماتلاقى " لتسمع دندنات الشوق واللوعة لتلك النفس الحزينة اللاهفة .

الشاهد السابع والثلاثون بعد الثلاثمائة : (*) (الرمل)

● وقول أبي هِفَّان : (١)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٧ ، خفاجي : ٤٦٠ ، شاكر : ٥٠٥ .

(١) هو عبد الله بن أحمد بن حرب المهزمي العبدي الخرنوبي ، راوية ، عالم بالشعر والأدب ، شعره جيد إلَّا أنه مُقِل ، من أهل البصرة ، سكن بغداد ، وأخذ عن الأصمعي وغيره ، وكان متهتكاً فقيراً يلبس مالا يكاد يستر جسده ، له " أخبار الشعراء " و " صناعة الشعر " و " أخبار أبي نواس " ، مات سنة سبع وخمسين ومائتين من الهجرة / . انظر :

======

أَصْبَحَ الدَّهْـرُ مُسِيئاً كُلُّهُ ∴ مَالَهُ إِلاَّ ابْنَ يَحْيَى حَسَنَهْ (١)

•• مع قول المتنبي : (الطويل)

أَزَالَتْ بِكَ الأَيَّامُ عَتْبِي كَأَنَّمَا ∴ بَنُوهَا لَهَا ذَنْبٌ وَأَنْتَ لَهَا عُذْرُ (٢)

وهو من قصيدة يمدح بها علي بن أحمد بن عامر الأنطاكي (٣) مطلعها :

أُطَاعِنُ خَيْلاً مِنْ فَوَارِسِهَا الدَّهْرُ ∴ وَحِيداً وَمَا قَوْلِي كَذَا وَمَعِي الصَّبْرُ

والشاهد آخر بيت في القصيدة وقبله :

وَإِنِّي وَإِنْ نِلْتَ السَّمَاءَ لَعَالِمٌ ∴ بِأَنَّكَ مَانِلْتَ الَّذِي يُوجِبُ القَدْرُ

ومعنى الشاهد :

" يقول : الأيام لها إساءات كثيرة ، فلما سمحت بمثلك زال عتبي عليها ، فكأنها أتت بك عذراً ". (٤)

ذكر العكبري أن معنى المصراع الأول من الشاهد مأخوذ من قول حبيب " أبي تمام " :

نَوَالُكَ رَدَّ حُسَّادِي فُلُولاً ∴ وَأَصْلَحَ بَيْنَ أَيَّامِي وَبَيْنِي (٥)

=== تاريخ بغداد : ٩/ ٣٧٠ ، لسان الميزان : ٣ / ٢٤٩ ، سمط اللآلي : ٣٣٥ ، بغية الوعاة : ٢ / ٣٠١ ، الأعلام : ٤ / ٦٥ .

(١) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلاّ في : الوساطة : ٢٣٢ ، التبيان : ٢/١٥٩ .

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري : ٢ / ١٥٩ ، العرف الطيب : ٣ / ٦٧ ، الوساطة : ٢٣٢ ، الإبانة عن سرقات المتنبي : ١٣٦ .

(٣) لم أقف على ترجمة له بعد .

(٤) التبيان للعكبري : ٢/١٥٩ .

(٥) التبيان : ٢ / ١٥٩ ، ديوانه بشرح التبريزي : ٣ / ٣٠٧ .

والمصراع الثاني من الشاهد من قوله :

كَثُرَتْ خَطَايَا الدَّهْـرِ فِيَّ وَقَدْ يُرَى .·. بِنَدَاكَ وَهْوَ إِلَيَّ مِنْهَا تَائِبُ (١)

ومثله لابن الرومي :

أَنْتُمْ أُنَاسٌ بِأَيَادِيكُـمُ .·. يَسْتَعْتِبُ (٢) الدَّهْرُ إِذَا أَذْنَبَا

إِذَا جَنَى الدَّهْرُ عَلَى أَهْلِـهِ .·. وَزَادَ فِي عَذْلِكُمْ (٣) أَعْتَبَا (٤)

ولأبي نواس :

يَرْمِي إِلَيْـكَ بِهَا بنوا أَمَـلٍ .·. عَتَبُوا فَأَعْتَبَهُـمْ بِكَ الدَّهْرُ (٥)

المعنى الجامع بين البيتين أنه لا خير في الدهر إلا وجود الممدوح . وقد اعتمد كلٌّ من الشاعرين على صورة واحدة هي صورة إساءة الدهر، ومحو الممدوح لتلك الإساءة فأبو هفان جاء بالصورة مؤكدة حيث أطن أن الدهر كلهُ إساءات ، وجاء بلفظ (كُلُّهُ) عقب الجملة ليؤكد شمول وعموم تلك الإساءات ، وبعد أن أكد هذا المعنى في الأذهان جاء بأسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء ، وانظر إلى تركيب هذا القصر، وكيف زاد الأسلوب توكيداً على توكيد ، ومكّن المعنى وقرره في النفس ، حيث قدم المسند الجار والمجرور (له) على المسند إليه "حَسَنَةٌ"، وقدم المقصور عليه (ابن يحيى) على المقصور " حسنة " وقصر الحسنة على "ابن يحيى وحده ونفاها عن جميع ماعداه مبالغة وادعاء .

أما المتنبي فنراه عاتباً لائماً للأيام لكثرة إساءتها،ولم تجد الأيام ماتزيل به عتبه ولومه إلا ذلك الممدوح،ولم يكتف المتنبي بهذا المعنى بل جاء بصورة حية تبرز

---

(١) التبيان للعكبري : ٢ / ١٥٩ ، ديوانه - دار صعب - : ٣٢ .

(٢) رواية الديوان : " يستغفرُ " .

(٣) رواية الديوان " عِدّتكم " .

(٤) التبيان للعكبري : ٢ / ١٥٩ ، ديوانه : ١ / ٢٣٣ .

(٥) التبيان للعكبري : ٢/١٥٩ ، ديوانه : ٤٧٩ .

حسن أخلاق ذلك الممدوح ، وعظيم فضله ، فصنع من الدنيا أمّاً عَقّها بنوها جميعهم إلا ابناً واحداً ، ولك أن تتصور حالة هذه الأم التي أفنت ربيع أيامها في تربية هؤلاء الأبناء ثم تكافأ بالعقوق ، فإذا ما تصورت هذا المعنى وامتلأت به نفسك ، فما ظنك بها حين تجد بعد هذا العقوق ابناً باراً يخلص لها الطاعة ويدين لها بالبر ، وماعساها أن تكون مكانته في نفسها ؟

وانظر إلى الجار والمجرور ، والدور العظيم الذي قام به في إبراز المعنى ، فقوله : " أزالت بك " أضفى على الإزالة معنى القوة ، والذهاب التام ، وأُرجع للممدوح وحده فضل تلك القوة ، وفضل تلك الإزالة ، فالباء هنا دلت على استعانتها به ولجوئها إليه .

وتأمل كذلك قوله " بنوها لها ذنب " ومافيه من معنى العقوق التام ، والأسف والحسرة على هؤلاء الأبناء .

وانظر إلى قوله " وأنت لها عذر " ومايحمله من معنى الرضى والطاعة والاستبشار والفرح بذلك الابن البار .

الشاهد الثامن والثلاثون بعد الثلاثمائة : (*) (الكامل)

• وقول علي بن جبلة (١) :

(*) الوساطة ، رضا : ٣٨٧ ، خفاجي : ٤٦٠ ، شاكر : ٥٠٥ .

(١) هو علي بن جبلة بن عبد الله - وفي تاريخ بغداد - بن مسلم بن عبد الرحمن ويكنى أبا الحسن ويلقب بالعَكَوَّك ، من أبناء الشيعة الخراسانية من أهل بغداد ، وبها نشأ ، وولد بالحربية من الجانب الغربي ، كان ضريراً كُفَّ بصره بالجدري وهو ابن سبع سنين ، وقيل كان أكمه ، كان من الموالي ، وكان أسود أبرص ، وهو شاعر مطبوع ، عذب اللفظ جزله ، لطيف المعاني ، مدّاح حسن التصرف جيد المدح وصاف محسن ، مدح المأمون ، وحميد بن عبد الحميد الطوسي وأكثر من مدح أبي دلف العجلي والحسن بن سهل قال عنه الجاحظ : " كان أحسن خلق الله إنشاداً ، مارأيت مثله بدوياً ولا حضرياً " .

ولد سنة (١٦٠ هـ) وتوفي بمدينة السلام ، وقيل قتله المأمون سنة ٢١٣ هـ . / ======

وَأَرَى اللَّيَالِي مَاطَوَتْ مِنْ قُوَّتِي (١) ∴ رَدَّتْهُ (٢) فِي عِظَتِي (٣) وَفِي إِفْهَامِي (٤)

والشاهد أول بيتين وثانيهما :

وَعَلِمْتُ أَنَّ المَرْءَ مِنْ سُنَنِ الرَّدَى ∴ حَيْثُ الرَّمِيَّةُ مِنْ سِهَامِ الرَّامِي (٥)

•• مع قول ابن المعتز : (المتقارب)

وَمَا يُنْتَقَصْ مِنْ شَبَابِ الرِّجَالِ (م) ∴ يَزِدْ فِي نُهَاهَا وَأَلْبَابِهَا (٦)

وهو من قصيدة يفتخر بها مطلعها :

أَلَا مَنْ لِعَيْنٍ وَتَسْكَابِهَا ∴ تَشَكَّى القَذَى وَبُكَاهَا بِهَا

وقبل الشاهد :

فَإِنْ فُرْصَةٌ أَمْكَنَتْ فِي العَدُ ∴ وَفَلَا تُبْدِ فِعْلَكَ إِلَّا بِهَا

فَإِنْ لَمْ تَلِجْ بَابَهَا مُسْرِعًا ∴ أَتَاكَ عَدُوُّكَ مِنْ بَابِهَا

=== انظر ترجمته : البرصان والعرجان : ٨٦-٨٧، الشعر والشعراء : ٢/٨٦٨-٨٧٢، طبقات ابن المعتز : ١٧٠-١٨٥، الورقة : ١٠٦، الأغاني : ٢٠/١٤-٤٢، تاريخ بغداد : ٣٥٩/١١، وفيات الأعيان : ٣/٣٥٠، رقم ٤٦١، نكت الهميان : ٢٠٩-٢١٠، شذرات الذهب : ٢/٣٠.

(١) رواية التمثيل والمحاضرة : " من شِرَّتي ".
- والشِّرَّة: النشاط والرغبة، وشِرَّة الشباب حرصه ونشاطه / اللسان " شرر ": ٤ / ٤٠١.

(٢) رواية الديوان : " زادته ".

(٣) رواية الديوان : " في عقلي ".

(٤) لم أجد إلا في :
ديوانه : ١٠٤، الوساطة ، ٢٤٥، التمثيل والمحاضرة : ٨٧، نهاية الأرب : ٨٩/٣، التبيان : ١ / ١٧٠.

(٥) ديوانه : ١٠٤، التمثيل والمحاضرة : ٨٧، نهاية الأرب : ٣/٨٩.

(٦) ديوانه : ٣١، الوساطة : ٢٤٥، التبيان : ١ / ١٧٠.

وبعد هما الشاهد وبعده :

وقد أُرحِلُ العِيسَ في مَهمِةٍ ∴ تَقَصُّ الرِّحَالُ بِأَصْلَابِهَا

وقد أخذ المتنبي هذا المعنى فقلبه ، وقال :

لَيْتَ الحَوادِثَ بَاعَتْنِي الَّذِي أَخَذَتْ ∴ مِنِّي بِحِلْمِي الَّذِي أَعْطَتْ وَتَجْرِبِي (١)

المعنى العام في الشاهدين : أن قِدَم السن يزيد الإنسان حكمة ، وخبرة.

وإذا تأملنا الشاهدين ، وجدنا أن كلا من الشاعرين صاغ المعنى صياغة حسنة جيدة .

فَصَوَّرة علي بن جبلة تولدَّت عن نفس تتفجر نفاجة واقتدارا، فهو قوي دائم العطاء في شيبته وشبابه ، انظر إليه كيف استطاع أن يثبت قوته عن طريق صورة الضعف التي تعتري الإنسان في كبره ، فَصَوَّرَ ذهاب القوة الجسدية بالثوب المطوي ، وأسند فعل الطي إلى الليالي ليشير إلى سرعة انصرام الزمان ، وكأنه ينبه الإنسان إلى الحقيقة الأزلية وهي ضعف الإنسان .

إلاَّ أن هذا الضعف الذي يصيب الخلق عامة يتحول عند الشاعر إلى صورة من القوة عجيبة . انظر إليه كيف صور هذا التحول ، وكأنه حقيقة مشاهدة ، فلجأ إلى أسلوب الالتفات ، فعبر عن الماضي بالمضارع (أرى) . فالموقف عنده موقف تحدٍّ مع الأيام ، فهو يريد أن يثبت أن قوته قوة غريبة لذا استحضرها ، وجعلها حية متحركة ليراها من يسمعه من خلال هذا التحول في الفعل الذي استطاع أن ينقل الحدث من واقعه الذي يمضي إلى مقام الحضور، وهذا الأسلوب أشد توكيداً ، وأشد تخييلاً ، وانظر إليه كيف ركَّبَ المعنى على الشرط وجوابه (ماطوت - ردته) مع عقد الطباق بين الفعل والجواب ، ليؤكد أن ما أخذته الأيام من قوته الجسمية ، ردته في عظته وفهمه .

وكذلك نجد بيت ابن المعتز يحتوي على دقائق نفيسة منها : بناء الفعل " يُنتقص " للمجهول مع زيادة في مبناه ، فدل بذلك على سرعة انقضاء الشباب ، وفي هذا تنبيه للإنسان من الغفلة التي تصيبه في هذه الفترة وقوله " من شباب الرجال " كناية عن القوة ، وإضافة الشباب إلى الرجال مبالغة في تجسيد تلك القوة .

وهذا أبلغ من التصريح في بيت الأول " من قوتي "، والشاعر بنى بيته أيضاً على الشرط وجوابه مع عقد الطباق بين الفعل والجواب (ينتقص - يزد) ، وهذا أشد تحريكاً للخيال ، وأبلغ تصويراً للمعنى .

الشاهد التاسع والثلاثون بعد الثلاثمائة : (*) (الطويل)

• وقول بكر بن النطاح (١) :

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ (٢) فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ (٣) ... لَجَادَ بِهَا فَلْيَتَّقِ اللَّهَ سَائِلُهُ (٤)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٧ ، خفاجي : ٤٦٠ ، شاكر : ٥٠٦ .

(١) وهو له في :

محاضرات الأدباء ، الإبانة عن سرقات المتنبي ، التبيان للعكبري .

وقد سبقت ترجمة بكر بن النطاح : ٤٢ ، وهو لأبي تمام في :

ديوان المعاني ، التمثيل والمحاضرة ، شرح المضنون به على غير أهله ، خزانة البغدادي .

وجاء في الوساطة أنه يروى لبكر بن النطاح وقد دخل في شعر أبي تمام .

وهو في العمدة لزياد الأعجم، أو لأخت يزيد بن الطثرية، وقد استحقه أبو تمام في شعره .

(٢) يروى " يكن " بالياء " وتكن " بالتاء .

(٣) رواية الوساطة : " نفسه " ، وكذلك رواية ديوان المعاني ، والعمدة ، وشرح شواهد المغني ، وخزانة الأدب للبغدادي .

(٤) شعره "شعراء مقلون" : ٢٦٠ .

ديوان أبي تمام بشرح التبريزي : ٣ / ٢٩ ، ديوان أبي تمام - دار صعب - : ٢٠٥ ، المحاسن والمساوىء : ٢٠٨ غير منسوب ، الوساطة : ٢١٦ ، ديوان المعاني : ١ / ٢٥ ، التمثيل والمحاضرة : ٤٣٥ .

محاضرات الأدباء : ٢ / ٥٨٥ ، الإبانة عن سرقات المتنبي : ٧٤ ، العمدة : ٢ / ٢٨٣ ، التبيان للعكبري : ١ / ٢٦ ، شرح المضنون به على غير أهله : ١٥٦ ، شرح شواهد المغني : ٢ / ٦٣٥ .

ذكر العميدي أن بكر بن النطاح قال البيت في أبي دلف العجلي حين كان يقوم على خدمته .

وقبل الشاهد :

هُوَ اليَمُّ مِنْ أَيِّ النَّواحِي أَتَيْتَهُ (١) .·. فَلُجَّتُهُ المَعْرُوفُ وَالجُودُ سَاحِلُهْ

تَعَوَّدَ بَسْطَ الكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ .·. ثَنَاهَا لِقَبْضٍ لَمْ تُجِبْهُ أَنَامِلُهْ

وبعد هما الشاهد وبعده :

عَطَاءٌ لَوْ اسْطَاعَ الَّذِي يَسْتَمِيحُهُ .·. لأَصْبَحَ مِنْ بَيْنِ الوَرَى هُوَ عَاذِلُهْ

وقد أخذ أبو الطيب معنى الشاهد فقال :

يَا أَيُّهَا المُجْدَى عَلَيهِ رُوحُهُ .·. إِذْ لَيْسَ يَأْتِيهِ لَهَا اسْتِجْدَاءُ

احمَدْ عُفَاتَكَ لاَ فُجِعْتَ بِفَقْدِهِم .·. فَلَتَرْكُ مَالَمْ يَأْخُذُوا إِعْطَاءُ (٢)

وعلق القاضي الجرجاني على بيت أبي تمام (أو بكر بن النطاح) وبيتي المتنبي بقوله :

" وبيت أبي تمام أو بكر بن النطاح أملح لفظاً وأصح سبكاً وزاد أبو الطيب بقوله : إنه يجدي عليه روحه ، ولكن في اللفظ قصور والأول نهاية في الحسن " (٣)

وذكر أن المتنبي قد نقل هذا المعنى عن الروح إلى الجسد في قوله :

لَوْ اشْتَهَتْ لَحْمَ قَارِيهَا لَبَادَرَهَا .·. خَرَاذِلٌ مِنْهُ فِي الشِّيزَى وَأَوْصَالُ

ورأى أن هذا البيت هو الأول لأن من جاد بأوصاله فقد جاد بروحه ورأى أنه قد يكون من قول ابن الرومي :

لَوْ حَزَّ مِنْ جِسْمِهِ (٤) لِسَائِلِهِ .·. أَنفَسَ أَعْضَائِهِ لَمَا أَلِمَا (٥)

ثم كرره وغيره بعض التغيير فقال :

---

(١) رواية المحاسن والمساوي ، ديوان المعاني ، شرح المضنون به على غير أهله : " هو البحر " .

(٢) ديوانه بشرح العكبري : ١ / ٢٦ .

(٣) الوساطة : ٢١٦ .

(٤) رواية الديوان : " من نفسه " .

(٥) ديوانه : ٥ / ٢١٤٣ .

يلتَ إلى مَنْ يَكَادُ بَيْنَكُمَا ∴ لَوْ كُنْتُمَا السَّائِلَيْنِ يَنْقَسِمُ (١)

وذكر أبو نعيم الأصبهاني أن بيت الشاهد مأخوذ من مدح رجل لآخر حيث قال :

كيسه محلول، وماله مبذول ، يطعمك نفسه إن أكلتها ، ويسقيك روحه إن شربتها " (٢)

وذكر أبو هلال العسكري أن بيت الشاهد من أبيات مشهورة وقد قبلها الناس على مافيها من الغلو، قال :

" ومن الغلو المشهور المستفيض الذي قبله الناس، واستحسنوه، وردّدوه بكل لسان قول أبي تمام في المعتصم (٣) ثم ذكر أبياتاً من ضمنها بيت الشاهد

وذكر العميدي أنه من مليح الشعر (٤)

•• مع قول المتنبي : (المنسرح)

إنَّكَ مِنْ مَعْشَرٍ إذَا وَهَبُوا ∴ مَادُونَ أَعْمَارِهِمْ فَقَدْ بَخِلُوا (٥)

وهو من قصيدة مدح بها بدر بن عمار (٦)، وقد فصد لعلة ، ومطلعها :

أَبَعْدَ نَأْيِ المَلِيحَةِ البَخَلُ ∴ فِي البُعْدِ مَالاَ تُكَلَّفُ الإِبِلُ

وقبل الشاهد :

يَابَدْرُ يَابَحْرُ يَاغَمَامَةُ يَا ∴ لَيْثَ الشَّرَى يَاحِمَامُ يَارَجُلُ

إِنَّ البَنَانَ الَّذِي تُقَلِّبُهُ ∴ عِنْدَكَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مَثَلُ

---

(١) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٤/ ٦٣ .

(٢) محاضرات الأدباء : ٢ / ٥٨٥ .

(٣) ديوان المعاني : ١/ ٢٤ .

(٤) الإبانة عن سرقات المتنبي : ٧٤ .

(٥) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٣/ ٢١٦ ، العرف الطيب : ٤/ ١٧٩ ، الوساطة : ٢١٧ ، يتيمة الدهر : ١/ ١٩٠ ، الإبانة عن سرقات المتنبي : ٧٤ .

(٦) سبقت ترجمته : ٦٣٥ .

وبعد هما الشاهد وبعده :

قُلُوبُهُمْ فِي مَضَاءٍ مَا امْتَشَقُوا ∴ قَامَاتُهُمْ فِي تَمَامِ مَا اعْتَقَلُوا

ومعنى الشاهد :

" قال أبو الفتح : بخلوا عند أنفسهم ؛ لأنهم لم يفعلوا الواجب عندهم ويجوز أن يكون بخلوا : نسبهم الناس إلى البخل ، لاقتصارهم على مادون أعمارهم ، أي من عادتهم بذل أعمارهم ، والأول أقوى " (١)

ذكر القاضي الجرجاني أن بيت المتنبي هذا قد جاء به معنى مُفْرَداً ، وقد أحسن فيه ماشاء (٢)

ولبشار بن برد في هذا المعنى :

وَيَسْبِقُ إِنْجَازُهُ وَعْدَهُ ∴ وَلَيْسَ يَحِيلُ عَلَى بَاطِلِ

يَرَى أَنَّهُ أَبْخَلُ البَاخِلِينَ (م) ∴ إِذَا جَادَ بِالرُّوحِ لِلسَّائِلِ

المعنى العام : المدح بالجود والكرم البالغ .

فإذا نظرنا إلى بيت بكر بن النطاح وجدناه ، وقد بنى بيته على نوع من المبالغة لطيف ، حيث جعل الممدوح لشدة كرمه لا يتوانى عن الجود بروحه ، وقدم الجار والمجرور " في كفه " ليدل على تسابق تلك الروح إلى اليد ، وأنها خرجت من مكانها ، واستقرت في يده طائعة مختارة .

وقوله " لجاد بها " قرن الفعل بلام التوكيد ، ليؤكد إسراعه في التفاني في الجود ، وعدم تردده في بذل تلك الروح .

وقوله " فليتق " قرن فعل الأمر (بالفاء) لحث السائلين على الإسراع في الكف عن مطالبته ، وزجرهم عن الإلحاح في سؤاله .

---

(١) التبيان للعكبري : ٣ / ٢١٦ .

(٢) الوساطة : ٢١٧ .

أما المتنبي فقد جعل كل إنفاق دون العُمر بُخلاً ومذمة فوصف الممدوح ، بأنه من معشر كثيري العطاء والهبة ، فإن أَعْطَوا دون أعمارهم شعروا بمذمة البخل .

وانظر إلى دقته في تركيب الصورة حيث بدأ البيت (بإن) المؤكدة ، ليثبت في النفوس ، ويشعرها بعظم وفخامة ذلك الممدوح .

وجاء بـ(مع) دون (من) (إنك مع معشر) ليدل على مصاحبة الممدوح لأولئك المعشر، وملازمته ومشاركته لهم في كل الصفات ، فالمتنبي لم يجعل ذلك الكرم العجيب مقصوراً على ممدوحه وحده بل جعله عاماً في معشره ، فالفخر بالقبيلة كلها أدل على العزة والمنعة ، وأعظم في الفخر، ونكر لفظ " معشرٍ " لتعظيمهم وتفخيمهم .

وجاء (بإذا) الشرطية ، ليجزم أنهم دائمو الهبة والعطاء ، وأن عطاءهم مستمر لا ينقطع ، وقرن جواب الشرط (بالفاء) و " قد " التي هي للتحقيق ليدل على سرعة تحقق البخل منهم إن هم وهبوا دون أعمارهم ، وفي هذا تأنيب وزجر لأنفسهم أن تهب دون الأعمار .

الشاهد الأربعون بعد الثلاثمائة : (*) (الطويل)

• قول البحتري :

وَمَنْ ذا يَلُومُ البَحْرَ إِنْ (١) بَاتَ زَاخِراً .·. يَفِيضُ وَصَوْبَ المُزْنِ إِنْ (٢) رَاحَ (٣) يَهْطِلُ (٤)

وهو من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الله بن طاهر، (٥) ومطلعها :

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٧ ، خفاجي : ٤٦١ ، شاكر : ٥٠٦ .

(١) رواية الديوان - صيرفي - : " أنّ " .

(٢) رواية الديوان - صيرفي - ، " أنْ " .

(٣) رواية الديوان - بيروت - ، " صيرفي " : " بَاتَ " .

(٤) لم أقف عليه فيما رجعت إليه من مصادر إلاّ في :

ديوانه - بيروت - : ٢ / ٢١٣ ، ديوانه - صيرفي - : ٣ / ١٧٩٤ .

(٥) هو محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب ، أبو العباس الخزاعي (٢٠٩ هـ - ٢٥٣ هـ) أمير بغداد في أيام المتوكل ، وهو الذي قضى على يحيى ابن عمر - من الطالبين - وكان قد خرج على المتوكل ونادى لنفسه بالخلافة في الكوفة=====

فُؤَادٌ بِذِكْرِ الظَّاعِنِينَ مُوَكَّلُ .:. وَمَنْزِلُ حَيٍّ فِيهِ لِلشَّوْقِ مَنْزِلُ

وقبل الشاهد :

فَتًى لا نَدَاهُ عَجْزَةٌ (١) حِينَ يَنْتَدِي .:. وَلا مَالُهُ مِلْكٌ لَهُ حِينَ يُسْأَلُ

إِذَا نَحْنُ أَمَّلْنَاهُ لَمْ يَرَ حَظَّهُ .:. زَكَا أَوْ يَرَى جَدْوَاهُ حَيْثُ يُؤَمَّلُ

لَهُ قَدَمٌ فِي الْمَجْدِ تَعْلَمُ أَنَّهُ .:. يُسَوِّدُهَا يُرْبِي مِرَارًا وَيُفْضِلُ

إِذَا جَادَ أَغْضَى (٢) الْعَاذِلُونَ وَكَفَّهُمْ .:. قَدِيمُ مَسَاعِيهِ الَّذِي يَتَقَيَّلُ (٣)

وبعد الشاهد بعده :

وَلَمْ أَرَ مَجْدًا كَالأَمِيرِ مُحَمَّدٍ .:. إِذَا مَا غَدَا يَنْهَلُّ أَوْ يَتَهَلَّلُ

•• مع قول المتنبي : (البسيط)

وَمَا ثَنَاكَ كَلامُ النَّاسِ عَنْ كَرَمٍ .:. وَمَنْ يَسُدُّ طَرِيقَ الْعَارِضِ الْهَطِلِ (٤)

وهو من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ، ويعتذر إليه ، وذلك في شعبان سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة ، ومطلعها :

أَجَابَ دَمْعِي وَمَا الدَّاعِي سِوَى طَلَلِ .:. دَعَا فَلَبَّاهُ قَبْلَ الرَّكْبِ وَالإِبِلِ

وقبل الشاهد :

لَعَلَّ عَتْبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ .:. فَرُبَّمَا صَحَّتِ الأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ

وَلا سَمِعْتُ وَلا غَيْرِي بِمُقْتَدِرٍ .:. أَذَبَّ مِنْكَ لِزُورِ الْقَوْلِ عَنْ رَجُلِ

لأَنَّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لا تَكَلَّفُهُ .:. لَيْسَ التَّكَحُّلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحَلِ

=== وتبعه أهلها من أهل التشيع وبعض الأعراب - كان محمد بن طاهر أديباً شاعراً جواداً ، عظم سلطانه في دولة المعتز إلى أن مات/ انظر:
تاريخ الطبري : ٩ / ١١١ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ٢٠١ ، ٢٢١ ، ٢٣٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، وصفحات أخرى إلى : ص ٣٧٧ ، ١٠ / ١١ ،
الفخري في الآداب السلطانية : ٢٤٠-٢٤١ .

(١) رواية الديوان - صيرفي - : " حَجْرَةٌ " .
(٢) رواية الديوان - صيرفي - : " التي " .
(٣) يتقيل : يتشبه . / اللسان " قيل " : ١١ / ٥٨٠ .
(٤) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٣ / ٨٧ ، العرف الطيب : ٤ / ٣٣٥ ، التمثيل والمحاضرة : ٢٣٧-٢٤٠ - عجز البيت فقط -

وبعد الشاهد :

أَنْتَ الجَوَادُ بِلَا مَنٍّ وَلَا كَذِبٍ ∴ وَلَا مِطَالٍ وَلَا وَعْدٍ وَلَا مَذَلِ (١)

ومعنى الشاهد :

" يقول : لا يصرفك كلام الناس في إفساد مابيننا ، كما لا يقدرون أن يصرفوك عن الكرم ، ومن يقدر على هذا الا كمن يقدر أن يزد صوب السحاب الممطر ، فالذي يصرفك عن جودك كالذي يرد السحاب ، لأن جودك أغزر من فيض السحاب " (٢)

المعنى العام : عجز المغرضين عن تثبيط كرم الممدوح

فالبحتري افتتح بيته بالاستفهام " من " وأعقبه باسم الإشارة " ذا " للتحقير، والتقليل من شأن من يلوم الممدوح ، ثم أخذ بعد ذلك يصور كرم الممدوح فجاء له بصورتين ، صورة البحر الفياض ، وصورة المزن الهاطل ، وقد أبدع في إبراز صورة البحر حيث جاء بالفعل (بات) فدل على استمرار فيضانه ثم وصفه بقوله " زاخرا " ثم أعقبه بالفعل (يغيض) وهذه الألفاظ الثلاثة دلت على كثرة فيضه ، وغزير مائه ثم وصل (بالواو) صورة البحر بصورة المزن الهاطل وجعلهما كأنهما صورة واحدة مبالغة في وصف الممدوح بغزارة العطاء .

وقد بنى الصورتين على الشرط (بإن) وإن كان الموقع هنا موقع «إذا»

أما المتنبي ، فكانت صورته أقوى في الدلالة على عجز من يحاول صرف الممدوح عن الكرم ، فأعلن في الشطر الأول عن طريق الجملة الخبرية إخفاق كلام الناس في ثنيه عن الكرم ، وفي الشطر الثاني رسم هذا المعنى وصوره ليكون أشد تقريراً في النفس ، فبدأ الصورة بالاستفهام " ومن يسد " للتعجيز والتحقير ، ثم جاء بصورة العارض

---

(١) الضجر والقلق وأصله من إفشاء السر، وهو أن لا يقدر على ضبط ماعنده لقلقه به ./ اللسان " مذل " : ١١ / ٦٢١ .

(٢) التبيان للعكبري : ٣ / ٨٧ .

الهطل ، فالذي يحاول تثبيط الممدوح كمن يحاول دفع السحاب الممطر ويمنعه من النزول ، وهذه الصورة أكدت استحالة ثني الممدوح عن كرمه واستمرار عطائه وغزارته .

ويتضح بعد هذا التحليل أن البحتري كان مهتماً بتصوير كرم الممدوح، أما تصوير عجز المفرضين فأشار إليه بقوله (من ذا) .

أما المتنبي فكانت صورته أقوى في الدلالة على عجز المفرضين ، وجعل من صورة العجز هذه دليلاً على كرم الممدوح . فأين قول البحتري " مَنْ ذا يَلُومُ " من قول المتنبي : " وَمَنْ يَسُدُّ طَرِيقَ العَارِضِ الهَطِلِ " .

الشاهد الواحد والأربعون بعد الثلاثمائة : (*) (الكامل)

• وقول الكندي (١) :

عَزُّوا وَعَزَّ بِعِزِّهِمْ مَنْ جَاوَرُوا ∴ فَهُمُ الذُّرَى وَجَمَاجِمُ الهَامَاتِ

إِنْ يَطْلُبُوا بِتِرَاتِهِم (٢) يُعْطَوْا بِهَا ∴ أَوْ يُطْلَبُوا لَا يُدْرَكُون بِتِرَاتِ (٣)

(*) الدلائل، رضا : ٣٨٨ ، خفاجي : ٤٦١ ، شاكر : ٥٠٦

(١) هو محمد بن ظفر بن عمير " وقيل عميرة " بن أبي شمر بن فرعان بن قيس بن الأسود بن عبد الله بن الحارث الولّادة بن عمرو بن معاوية بن كِنْدة لُقِّب بالمقنع لأنه كان لا يمشي إلّا مقنعاً فقد كان أجمل الناس وجهاً ، وكان إذا أسفر عن وجهه أصابته عين فيمرض ويصيبه العنت الشديد ، فكان يتقنع دهره ، وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية ، وكان له محل كبير وشرف ومروءة، وسؤدد في عشيرته . كان متخرقاً في عطاياه سمح اليد بماله لا يرد سائلاً عن شيء حتى أتلف كل ما خلفه أبوه من مال ./

انظر ترجمته :

الشعر والشعراء : ٢ / ٧٤٣ رقم (١٧٥)، الأغاني : ١٧ / ١٠٨-١١٠ ، سمط اللآلي : ١ / ٦١٥-٦١٦ .

(٢) الترات : جمع تِرَة وهي المطالبة بدم القتلى والثأر لهم / اللسان " وتر " : ٥ / ٢٧٤ .

(٣) لم أجده بعد فيما اطلعت عليه من مصادر .

•• مع قول المتنبي : (الطويل)

(١)
تُفيتُ اللّيالي كُلَّ شيءٍ أَخَذْتَهُ .·. وهُنَّ لِمَا يأْخُذْنَ مِنْكَ غَوارِمُ (١)

وهو من قصيدته التي مدح بها سيف الدولة ومطلعها :

عَلى قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تأتي العَزائِمُ ... (٣)

وقبل الشاهد :

هَلِ الحَدَثُ الحَمْراءُ تَعرِفُ لَوْنَهَا .·. وَتَعْلَمُ أَيُّ السَّاقِيَيْنِ الغَمائِمُ (٤)

طَرِيدَةُ دَهْرٍ سَاقَهَا فَرَدَدْتَهَا .·. عَلى الدِّينِ بِالخَطِّيِّ وَالدَّهْرُ رَاغِمُ (٥)

وبعد هما الشاهد وبعده :

إِذَا كَانَ مَا تَنْويهِ فِعْلاً مُضَارِعاً .·. مَضَى قَبْلَ أَنْ تُلْقَى عَلَيهِ الجَوَازِمُ

ومعنى الشاهد :

" قال الواحدي : الليالي إذا أخذت شيئاً ذهبت به ، فإن أخذت منك غرمت ، لأنك تلزمها الغرامة .

قال : ويجوز أن يكون تفيت مخاطبة على رواية من روى أخذته " بالتاء " .

يقول : إذا سلبت الليالي شيئاً أفتّه عليها ، فلم تقدر على استرداده ، وهي إذا أخذت منك شيئاً غرمت ، يعني أنت أقوى من الدّهر ، فإنّه لا يقدر على مخالفتك . " (٦)

ثم ذكر العكبري أنه قُرِئ على المتنبي أخذنه بالنون ، فذكر أن في هذا تصحيفاً ، وفساداً للمعنى ، والإعراب ، ونقضاً لقوله في آخر البيت ، وذلك أن " تفيت " يتعدى إلى مفعولين ، فإذا جعلت " الليالي " فاعلة ، ونصب " كل شيء " لم يكن

---

(١) الفَوت : الفَوات ، وفاتني الأمر فوتاً وفواتاً ذهب عني ./ اللسان " فوت " : ٢ / ٦٩ .

(٢) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٣ / ٣٨٢ ، العرف الطيب : ٤ / ٤٨١ .

(٣) سبق ذكره : ٨٨٦

(٤) الديوان بشرح العكبري : ٣ / ٣٨٠ .

(٥) الديوان بشرح العكبري : ٣ / ٣٨٢ .

(٦) التبيان للعكبري : ٣ / ٣٨٢ .

مفعول ثان ،ففسد الإعراب ، وإذا قيل " بالتاء " جُعلت " الليالي " مفعولاً أول و" كل شيء " ثانياً .

وأما فساد المعنى ،فلو جُعلت " الليالي " الفاعلة كان المعنى أنها تغيت كل شيء ولا تغرمه ثم ينقض بقوله :" وهن لما يأخذن منك غوارم " ،وإنما المعنى : تغيت ياسيف الدولة الليالي كل شيء أخذته منها ،فلا تغرمه لها ،وهنّ غوارم لك ما يأخذن ، وبهذا يصح المعنى . (١) .

والمعنى على رواية " التاء " هو الذي يتفق ،وبيت الكندي الثاني - موضع الشاهد - .

فالمعنى المشترك في البيتين ظهور قوة الممدوح ،فهو يأخذ حقه إذا طلبه ، وإذا طُلب منه الحق لا يُدرك .

وكلا البيتين فيه روعة وجمال ، وحسن تركيب إلا أن بيت المتنبي - فيما يبدو - أفخم وأقوى لأنه يغالب الزمن والمصائب ،أما ممدوح الكندي فهو يغالب الأعداء ، ومغالبة الزمن أقوى من مغالبة الأعداء .

وانظر إلى روعة الاستعارة المكنية في قوله " تغيت الليالي " حيث شبه الليالي بأناسي ،ثم حذف المشبه به ،وجاء بشيء من لوازمه ،وهو الفَوت ،وهذه الاستعارة بعثت في البيت حركة ونشاطاً ،وأخرجت قوة الممدوح في صورة مؤكدة .

وبيت الكندي فيه مقابلة حسنة لطيفة بين الشطرين أثبتت قوة الممدوح ، وكشفت عن مراد الشاعر في سهولة ويسر .

وفي معنى بيتي الشاهد قول الآخر :

فَمَا أَدْرَكَ السَّاعُونَ فِينَا بِوِتْرِهِمْ ∴ وَلَا فَاتَنَا مِنْ سَائِرِ النَّاسِ وَاتِرُ

---

(١) التبيان للعكبري : ٣ / ٣٨٢ .

وكقول الطرماح :

إنْ نأخُذِ النّاسَ لا تُدرِكْ أخِيذَتُنا .·. أو نطَّلِبْ نتعدَّ الحقَّ في الطَّلَبِ (١)

الشاهد الثاني والأربعون بعد الثلاثمائة : (*) (الطويل)

وقول أبي تمام :

إذا سَيْفُهُ أضْحَى عَلى الهَامِ حَاكِماً .·. غَدا العَفْوُ مِنْهُ وَهْوَ فِي السَّيْفِ حَاكِمُ (٢)

وهو من قصيدة يمدح بها أحمد بن أبي دواد (٣)، ومطلعها :

ألَمْ يَأنِ أنْ تَرْوَى الظِّمَاءُ الحَوائِمُ .·. وَأنْ يَنْظِمَ الشَّمْلَ المُشَتَّتَ نَاظِمُ

وقبل الشاهد :

أُنَاسٌ إذَا رَاحُوا إلى الرَّوْعِ لَمْ تَرُحْ .·. مُسَالِمَةً أسْيَافُهُمْ وَالجَمَاجِمُ

بنو كلِّ مَشْبُوحِ (٤) الذِّرَاعِ إذَا القَنَا .·. ثَنَتْ أذْرُعَ الأبْطَالِ وَهِيَ مَعَاصِمُ

وبعد هما الشاهد وبعده :

أخَذْتَ بِأعْضَادِ العُرَيْبِ (٥) وَقَدْ خَوَتْ .·. عُيُونٌ كَلِيلاتٌ وَذَلَّتْ جَمَاجِمُ

ذكره ابن المعتز في "باب رد أعجاز الكلام على ما تقدمها" وعنده هذا الباب على ثلاثة أقسام : منها ما يوافق آخر كلمة فيه آخر كلمة في نصفه الأول وذكر من هذا النوع بيت الشاهد (٦) .

---

(١) التبيان للعكبري : ٣ / ٣٨٢ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٨ ، خفاجي : ٤٦١ ، شاكر : ٥٠٦ .

(٢) ديوانه بشرح الخطيب : ٣ / ١٨١ .

ديوانه – دار صعب – : ٢٥٤ ، كتاب البديع : ٥٢ ، الموازنة : ١٢٠ .

(٣) سبقت ترجمته : ٣٧١

(٤) مشبوح الذراع : رجل شبح الذراعين ومَشْبُوحُهُمَا عريضُهما / القاموس المحيط "عرض" : ١ / ٢٣٨ .

(٥) العريب : تصغير عَرَب .

(٦) البديع : ٥٢ .

وذكر الآمدي أن هناك من (١) يقول بأن بيت أبي تمام مأخوذ من قول مسلم ابن الوليد :

يَغْدُو عَدُوُّكَ خَائِفًا فَإِذَا رَأَى ∴ أَنْ قَدْ قَدَرْتَ عَلَى العِقَابِ رَجَاكَا

وهو يرى غير ذلك لأن المعنيين مختلفان ، فأبو تمام قال :

إذا حكم سيف الممدوح على السهام حَكَم عفوه على السيف .

أما مسلم بن الوليد فأراد بقوله : إن عدو الممدوح يخافه فإذا رأى أن قد قدر على العِقاب رجاه ، فليس هذا المعنى من ذلك في شيء (٢)

•• مع قول المتنبي : (الطويل)

لَهُ مِنْ كَرِيمِ الطَّبْعِ فِي الحَرْبِ مُنْتَضٍ (٣) ∴ وَمِنْ عَادَةِ الإِحْسَانِ والصَّفْحِ غَامِدُ (٤)

وهو من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويذكر هجوم الشتاء الذي عاقه عن غزو خَرْشَنَة (٥) ، ويذكر الوقعة ، ومطلع القصيدة :

عَوَاذِلُ ذَاتِ الخَالِ فِيَّ حَوَاسِدُ ∴ وَإِنَّ ضَجِيعَ الخَوْدِ مِنِّي لَمَاجِدُ

وقبل الشاهد :

خَلِيلَيَّ إِنِّي لاَ أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ ∴ فَلِمْ مِنْهُمُ الدَّعْوَى وَمِنِّي القَصَائِدُ

فَلاَ تَعْجَبَا إِنَّ السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ ∴ وَلَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ اليَوْمَ وَاحِدُ

---

(١) المقصود هنا هو ابن أبي طاهر .

(٢) الموازنة : ١٢٠ .

(٣) نضا السيف نضواً وانتضاه : سله من غمده وَنَضَا ثوبه عنه نَضْواً : خلعه وألقاه عنه ، ونضاه من قوته جَرَّده / اللسان " نضا " : ١٥/ ٣٢٩ .

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري : ١ / ٢٧٢ ، العرف الطيب : ٣ / ١٠٢ ، الإبانة عن سرقات المتنبي : ٨٨ .

(٥) خَرْشَنَة : بفتح أوله وتسكين ثانيه ، وشين معجمة ، ونون، بلد قرب مَلَطْيَة ، من بلاد الروم . / معجم البلدان : ٢ / ٣٥٩ ، مراصد الاطلاع : ١ / ٤٦٠ .

وبعد هما الشاهد وبعده :

وَلَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ دُونَ مَحَلِّهِ .'. تَيَقَّنْتُ أَنَّ الدَّهْرَ لِلنَّاسِ نَاقِدُ

ومعنى الشاهد :

إن الممدوح سيف يجرده وينضيه كرم طبعه بما فيه من الشجاعة والأنفة ، ويغمده ماتعوده من العفو والإحسان والصفح ،أي أنه يجرد ويغمد من تلقاء نفسه ،فهو ليس كسيوف الحديد التي تتصرف فيها أيدي الفرسان بالتجريد والغمد (١)

والمعنى الجامع بين الشاهدين هو وصف شجاعة الممدوح في الحرب وكرم طبعه وعفوه عند الاقتدار.

فأبو تمام استطاع أن يصور لنا شجاعة الممدوح تصويراً حيًّا مشاهداً ، حيث نقلنا إلى أرض المعركة وهي في أشد الأوقات احتداماً ،وأرانا الممدوح وهو يقف على السهامات مسيطراً عليها . فابتدأ تصوير المشهد بتقديم لفظ " سيفه " - وهو اسم أضحى -على الفعل الناسخ نفسه ،ليصور لنا قدرة ذلك السيف ،وكأنه نوع من السيوف عجيب .

وجاء بفعل الشرط (أضحى) بدلاً من كان أو ظل أو أحد أخواتها ، ليصور لنا احتدام المعركة ، وحمي وطيسها إذ أنَّ وقت الضحى هو أشد الأوقات قتالاً.

وقدم الجار والمجرور (على السهام) على الخبر (حاكماً) ليبرز لنا شجاعة الممدوح في تلك المعركة ،ويصور اقتداره وتمكنه من السهامات ،ومجيء لفظ " السهام " على صيغة الجمع دون الإفراد للمبالغة في عظم شجاعته حيث تمكن من السيطرة على مطلق السهام لا على هامة واحدة .

وبناء المعنى على الشرط بـ" إذا " جزم بوقوع ذلك التمكن منه . إلا أن مجيء جواب الشرط بـ" غدا " دل على أن عفوه أسبق من انتقامه .

---

(١) انظر: التبيان للعكبري : ١ / ٢٧٢ ، العرف الطيب : ٢/ ١٠٢-١٠٣ .

وانظر إلى قوله : " وهو في السيف حاكم " ، فتقييد الكلام بهذه الجملة الحالية مع مافيها من دقة التركيب حيث قدم الجار والمجرور " في السيف " على الخبر " حاكم " ، ومجيء الخبر على وزن " فاعل " تأكيد لتحكم عفوه في السيف ، وإنما لجأ الشاعر إلى هذا التركيب الدقيق في تأكيد تحكم العفو؛ لأن الخيال قد تشرب سابقاً بقوة ذلك السيف العجيبة ، وتحكمه في السهامات ، فكون العفو يتحكم في هذا السيف العظيم أمر لابد وأن تعجب له النفس ، وتحتار فيه ، فاحتاجت إلى أسلوب يقرر لها المعنى ويؤكده .

أما المتنبي فقد بنى بيته على التجريد حيث انتزع للممدوح من صفة كرم الطبع وصف (الانتضاء) ، وانتزع له من صفة الإحسان والصفح صفة " الإغماد " وذلك مبالغة في كمال هذه الأوصاف فيه ، ولفتاً للأنظار إلى حسن هذه الصفات .

وانظر إلى فصله بين المبتدأ " منتضى " والخبر " له " بقوله " مِنْ كَرِيمِ الطَّبْعِ " ، وتأمل هذا التركيب ، وكيف جاء بالاسم المجرور على وزن " فعيل " - وهو صفة مشبهة - ثم أضافه إلى لفظ الطبع ، مبالغة في وصفه بكرم الطبع ، وتأكيداً لملازمة هذه الصفة له تلازم المضاف والمضاف إليه ، فكرمه ليس بالكرم المصطنع ، أو المؤقت ، بل هو متأصل في جذور طبعه .

ويأبى الشاعر إلا أن نقف أمام ممدوحه إجلالاً وإكباراً ، حيث أوصله إلى درجة من كرم الطبع تتطاحن دونها المفاخر والمآثر ، فقيد كون كرم طبعه " في الحرب " وفي ذلك مافيه من إبراز عظيم أخلاقه ؛ لأن هذه الخصال تندر في الحرب ، ويشح وجودها .

وقبل هذا كله انظر إلى دقة التركيب ، وكيف بنى معناه كله على تقديم " المسند - الجار والمجرور " له " - على المسند إليه " منتضٍ " ، " غامد " ، وكيف حذف المسند في الشطر الثاني ، وكأن عادة الإحسان والصفح أمر معلوم ، ومسلم له به .

وفي هذا التقديم قصر لجميع ماجاء في الشطرين من الصفات على الممدوح وحده دون غيره مبالغة وادعاءً .

وتأمل كيف وصل الشطر الأول بالشطر الثاني عن طريق " الواو " التي جعلت الجملتين وكأنهما جملة واحدة ، فقررت في النفوس أن كرم طبعه عام في الحرب والسلم .

الشاهد الثالث والأربعون بعد الثلاثمائة : (المديد)

* بيت أبي نواس :

حُلِّيَتْ (١) وَالحُسْنُ تَأْخُذُهُ .·. تَنْتَقِي مِنْهُ وَتَنْتَخِبُ (٢)

وهو من قصيدة في الغزل مطلعها :

مَا هَوًى إِلَّا لَهُ سَبَبُ .·. يَبْتَدِي مِنْهُ وَيَنْشَعِبُ

وبعده بيت قبل الشاهد :

فَتَنَتْ قَلْبِي مُحَجَّبَةٌ .·. وَجْهُهَا بِالحُسْنِ مُنْتَقِبُ

وبعده الشاهد وبعده :

فَاكْتَسَتْ مِنْهُ طَرَائِفَهُ .·. وَاسْتَزَادَتْ فَضْلَ مَا تَهِبُ

** مع بيت عبدالله بن مصعب (٣) : (الوافر)

(*) الولد ثل ، رضا : ٩٠ ، ٣٩ ، خفاجي : ٤٦٣ ، نشاكر : ٥٠٩ .

(١) رواية الديوان " حليت " ويبدو لي أن رواية الدلائل أفضل ، فهي تفيد أن الحسن ترك لها ملكاً بين يديها لا يمنع أحد منه شيئاً عنها .

وفي رواية الديوان وصفها بأنها حالية ، وهي زينة طارئة ، والأفضل أن توصف المرأة بالجمال مع خلوها من الحلي ، فإذا ذكروا الحلي قالوا : زانت حليها ، وفي ذلك شعر كثير ، ومنه :

وَإِذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْنَ وُجُوهٍ .·. كَانَ لِلدُّرِّ حُسْنُ وَجْهِكِ زَيْنَا
وَتَزِيدِينَ طَيِّبَ الطِّيبِ طِيباً .·. أَيْنَ فِي النَّاسِ مِثْلُ حُسْنِكِ أَيْنَا

(٢) انظر البيت في :

ديوانه : ٢٣٩ ، الوساطة : ٢٠٥ ، العمدة : ٢ / ٢٨٨ .

(٣) هو عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير ، أبو بكر ، القرشي الأسدي (١١١هـ - ١٨٤هـ) أمير من أهل العدل والورع والشعر والفصاحة ، ولد بالمدينة ، ولي اليمامة في عهد المهدي ثم الهادي وولي المدينة للرشيد ====

كَأَنَّكَ جِئْتَ (١) مُحْتَكِماً عَلَيْهِمْ .·. تَخَيَّرُ فِي الأُبُوَّةِ مَاتَشَاءُ (٢)

...وبيت بشار: (الطويل)

خُلِقْتُ (٣) عَلَى مَافِيَّ غَيْرَ مُخَيَّرٍ .·. هَوَايَ وَلَوْ خُيِّرْتُ كُنْتُ المُهَذَّبَا (٤)

وهو من قصيدة له يشبب بامرأة يقال لها صفراء ، ويلوم فيها يحيى بن زيد على قطع خلته ، وجاء في الأغاني : أنه قال بيت الشاهد ومابعده حين ردَّ عليه بعضهم مذهبه في الإلحاد ، فاعترف بأن ماهو عليه خذلان ، وأنه طبع على أن لا يعرف إلاَّ ماعاين، (٥) ومطلع القصيدة :

خَلِيلَيَّ قُومَا فَاعْذِرَا أَوْ تَعَتَّبَا .·. وَلَا تَعْذُلَانِي أَنْ أَلَذَّ وَأَطْرَبَا

وقبل الشاهد :

خَطَبْتُ (٦) عَلَى حَبْلِ (٧) الزَّمَانِ لَعَلَّهُ .·. يُسَاعِفُنِي يَوماً وَقَدْ (٨) كَانَ أَنْكَبَا

== وعمره (٧٠سنة) ،كان محموداً في ولايته ،جميل السيرة مع جلالة قدره وعظم شرفه ، توفي بالرقة في عصر الرشيد . / انظر ترجمته.
تاريخ بغداد : ١/١٧٣-١٧٦ ، سمط اللآلي : ١/٥٧٠ ، البداية والنهاية: ١٠/ ١٨٥ ، الأعلام : ٤/١٣٨ .

(١) رواية العمدة : " كأنك كنت "

(٢) انظر البيت في :
الوساطة : ٢٠٥ - محاضرات الأدباء : ١/ ٣٣٢ - العمده : ٢/ ٢٨٨

(٣) رواية الأغاني : " طُبِعْتُ " .

(٤) انظر البيت في :
ديوانه : ١/٢٦٩ ، الأغاني : ٣/٢٢٧ ، الوساطة : ٢٠٥ ، المختار من شعر بشار : ١١٨ .

(٥) الأغاني : ٣/ ٢٢٧ .

(٦) كأنه يريد تشبيه الزمان براحلة هو راكبها وأنه تمكَّن منها حتى أنه يخطب على حبل الزمان أي زمامه إذ قد ذلله وطمع من ذلك أن يصير الزمان مساعفاً له مع علمه بأن الزمان بعير أنكب في مشيته ميل فلا يساعف راكبه تمام المساعفة/ انظر هامش الديوان : ١/ ٢٦٩ .

(٧) رواية المختار من شعر بشار: " على ظهر الزمان " .

(٨) رواية المختار : " وإن كان " .

وبعد الشاهد :

أُرِيدُ فَلاأُعْطَى وَأُعْطَى فَلَمْ أُرِدْ (١) ∴ وَقَصَّرَ عِلْمِي أَنْ أَنَالَ المُغَيَّبَا (٢)

... وبيت أبو تمام :

فَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَزِدْهَا ∴ عَلَى مَافِيكَ مِنْ كَرَمِ الطِّبَاعِ (٣)

وهو من قصيدة قالها في مدح مهدي بن أصرم (٤) ، ومطلعها :

خُذِي عَبَرَاتِ عَيْنِكِ عَنْ زَمَاعِي (٥) ∴ وَصُونِي مَاأَزَلْتِ مِنَ القِنَاعِ

والشاهد آخر بيت في القصيدة وقبله :

فَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَرَفٍ يَفَاعٍ ∴ سُبِقْتَ بِهِ وَلَا خُلُقٍ يَفَاعِ

لَعَزْمُكَ مِثْلُ عَزْمِ السَّيْلِ شُدَّتْ ∴ قُوَاهُ بِالمَذَانِبِ وَالتِّلَاعِ

وَرَأْيُكَ مِثْلُ رَأْيِ السَّيْفِ صَحَّتْ ∴ سَبُورَةُ (٦) حَدِّهِ عِنْدَ المِصَاعِ (٧)

---

(١) رواية المختار : " ولم أرد " وهي المناسبة .

(٢) ديوانه : ١ / ٢٦٩ .

(٣) انظر البيت في :

ديوانه بشرح الخطيب : ٢ / ٣٤٠ ، ديوانه - دار صعب - : ١٧٢ ، عيون الأخبار : ١ / ٣ / ٢٢٨ ، الوساطة : ٢٠٥ ، المنصف في نقد الشعر : ٣١٧ ، التمثيل والمحاضرة : ٤٣٥ ، الإعجاز والإيجاز : ١٨٧ .

(٤) وهو من قواد محمد بن حميد الطوسي ، جعله على ميمنة الجيش الذي حارب به الخرّمية سنة (٢١٤ هـ) في أيام المأمون ، وذكر ابن الأثير اسم السعدى بن أصرم . / انظر :

تاريخ ابن الأثير : ٥ / ٢١٨ ، تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٤٦٣ ، حياة أبي تمام وحياة شعره : ١٠٣ .

(٥) زماع : اسم من أزمعت : يقول لها : نَحِّي عن عزمي بكاءك وتقنّعي بالقناع الذي ألقيتهِ عن رأسك : ٢ / ٣٣٦ .

(٦) رواية الديوان بشرح الخطيب : " مشورة "

سبورة حده : أي تجربة واختبار حده ، السَّبْرُ التجربة وسبر الشيء سبراً : حَزَرَه وخَبَرَه ، والسَّبر : استخراج كنه الأمر ، والسَّبر مصدر سَبَرَ الجُرح يَسْبُرُه سَبراً نَظَرَ مقداره وقاسه ليعرف غوره . / اللسان " سبر " : ٤ / ٣٤٠ .

(٧) المِصَاع : المُجَالَدَة والمضاربة . / اللسان " مصع " : ٨ / ٣٣٧ .

هذه الشواهد استشهد بها الشيخ عبدالقاهر على أنه لا يمكن أن يكون المعنى في البيت على هيئته وصفته في البيت الآخر، ولو كان الأمر كذلك لكان قول العلماء في شاعر أنه أخذ المعنى من صاحبه فأحسن وأجاد، وفي آخر أنه أساء وقصر ضرب من اللغو.

وكذلك يكون من الخطأ أن يقال إن هذا البيت نظير ذاك أو مناسباً له، لأن الشيء لا يناسب نفسه، وكذلك لو كان المعنى معاداً مكرراً في البيتين لكان قولهم عن شاعر أنه أخذ المعنى فأخفاه، أو أخذه فقصر فيه، من المحال.

قال الشيخ :

" واعلم أنه لو كان المعنى في أحد البيتين يكون على هيئته وصفته في البيت الآخر، وكان التالي من الشاعرين يجيئك به معاداً على وجهه لم يحدث فيه شيئاً، ولم يغير له صفة؛ لكان قول العلماء في شاعر أنه أخذ المعنى من صاحبه، فأحسن وأجاد، وفي آخر: إنه أساء وقصر لغواً من القول من حيث كان محالاً أن يحسن أو يسيء في شيء لا يصنع به شيئاً، وكذلك كان يكون جعلهم البيت نظيراً للبيت، ومناسباً له خطأ منهم، لأنه محال أن يناسب الشيء نفسه، وأن يكون نظيراً لنفسه، وأمر ثالث، وهو أنهم يقولون في واحد: إنه أخذ المعنى فظهر أخذه، وفي آخر إنه أخذه فأخفى أخذه، ولو كان المعنى يكون معاداً على صورته وهيئته، وكان الأخذ له من صاحبه لا يصنع شيئاً غير أن يبدل لفظاً مكان لفظ لكان الإخفاء فيه محالاً، لأن اللفظ لا يخفى المعنى وإنما يخفيه إخراجه في صورة غير التي كان عليها " (١)

ثم ذكر عن القاضي الجرجاني أن هناك تناسباً بين معاني الأبيات الثلاثة الأولى، إلاّ أنّ أبا تمام قد تناول المعنى من طريق خفي .

---

(١) الدلائل، رضا: ٣٨٩-٣٩٠، خفاجي: ٤٦٣، شاكر: ٥٠٩ .

وإذا تأملنا الأبيات الثلاثة الأولى ، وجدنا أنها على اختلاف أغراضها ، تجمعها مناسبة جلية واضحة ، فبيت أبي نواس في الغزل ، وعبد الله بن مصعب في المديح ، وبشار في الاعتذار ، والتناسب القائم بينها هو معنى الانتقاء والاختيار.

فأبو نواس يريد أن يبرز محبوبته في أبرع صور الجمال فقد مُكنت من الحسن تأخذ منه ماتشاء ، فهي في غاية الجمال لأنها لا تختار إلا أحسن مافي الحسن ، وهذا مايؤديه البيت الأخير " فَاكْتَسَتْ مِنْهُ طَرَائِفَهُ " .

أما عبد الله بن مصعب ، فهو يريد أن يصف ممدوحيه بشدة العفو ، فإذا ذهبت إليهم وجدت نفسك أمام خلق تتملكهم عاطفة العفو والصفح ، فهم لسعة عفوهم كأن عاطفتهم عاطفة الأبوة تختار منها ماتشاء ؛ لأن عاطفة الأبوة من أسمى العواطف ، وأكثرها رحابة وسعة وتسامحاً .

أما بشار ، فقد أخذ هذا المعنى ونقله إلى الاعتذار عن سوء أخلاقه ، فهو قد خُلق مسيراً غير مُخير ، فكل مايصدر عنه من سوء ليس باختياره ، فلو أن الاختيار تُـرك له لاختار أن يكون ذا خُلق رفيع مهذب .

وهذا المعنى أخذه أبو تمام ، فأخفاه ، فلم يأت بلفظ الاختيار والانتقاء مباشرة بل جاء بقوله " فلو صورت نفسك " وما التصوير هنا إلّا في معنى الانتقاء ، فهو يريد أن يقول : إن حاولت رسم نفسك ونصبها أمام عينيك لتضفي عليها ملامح في الحسن ، فإنك لن تزيدها شيئاً ؛ لأنك بلغت الدرجة المتناهية من كرم الطباع .

الشاهد الرابع والأربعون بعد الثلاثمائة : (الكامل)

• قول أبي العتاهية :

جُزِيَ البَخِيلُ عَلَيّ صَالِحَةً ∴ عَنّي بِخِفّتِهِ عَلَى ظَهْرِي

أُعْلِيَ وَأُكْرِمَ عَنْ يَدَيهِ يَدِي (١) ∴ فَعَلَتْ وَنَزّهَ قَدْرَهُ قَدْرِي

(*) الولد ثمن ٦ رضا : ٣٩٠ ، خف.جي : ١٦٤ ، ٦ شيـ كر : ٥١٠ .

(١) وهناك رواية بالبناء للمجهول " أُعْلِيَ وَأُكْرِمُ " وهي غير مستقيمة لأن الضمير يعود على الشاعر ولا فضل في ذلك للبخيل ، وهو يريد أن يثبت له فضلاً .

وَرُزِقْتَ مِنْ جَدْوَاهُ عَافِيَةً .:. أَنْ لَا يَضِيقُ (١) بِشُكْرِهِ صَدْرِي

وَغَنِيتُ خِلْواً مِنْ تَفَضُّلِهِ .:. أَحْنُو عَلَيهِ بِأَحْسَنِ العُذْرِ

مَافَاتَنِي خَيْرُ امرِيءٍ وَضَعَتْ .:. عَنِّي يَدَاهُ مَؤُونَةَ الشُّكْرِ (٢)

ومعنى الشاهد : " يقول : جزى الله البخيل عَلَيَّ بماله خصلةً صالحةً ، فقد خَفَّ مَحْمِلُه على ظهري ، لسقوط مِنَّتِهِ عَنِّي ، وذاك أنه أَجَلَّنِي عن صنيعته ، وأكرم مَحَلِّي إذ أخلاني من عارفَتِهِ ، وصان قدري حين لم يبتذله لعطيَّتِهِ ، ورفع يدي وكرَّمَها حين لم يَشِنْهَا بمرزيَّته ، فرزقني الله عافيةً من ضيق الذَّرع بشكره والتطوق بأفضاله ، واستغنيت عنه خالياً من برِّه ، مُنْصَرِفاً من تفضُّله ، متعطِّفاً عليه ببسط عُذرِهِ حين لم يَجُدْ عَلَيَّ ، ولم يتلَقَّ إقبالي عليه بقبوله لي " (٣) .

ومعنى البيت الأخير :

" أَنَّهُ لم يفتني إحسان رجل لم يلزمني له شكر إفضال ، ولم يجب بفعله بي عليَّ اعتداءٌ " (٤)

---

(١) رواية المرزوقي : " أَلَّا يَضِيقُ " .
ذكر المرزوقي أنه يجوز في الفعل النصب والرفع ، فالنصب على أن تكون " أن " الناصبة للأفعال ، والرفع على أن تكون " أن " مخففة من الثقيلة ويكون الاسم مضمراً ، كأنَّه قال : أنه لا يضيق ، والجملة خبره .

(٢) لم أجد في ديوانه - دار صعب - إلا البيت الأخير وقبله بيتان هما :
إِنَّ البَخِيلَ وَإِنْ أَفَادَ غِنىً .:. لَتَرَى عَلَيهِ مَخَايِلَ الفَقْرِ
لَيْسَ الغَنِيُّ بِكُلِّ ذِي سَعَةٍ .:. فِي المَالِ لَيْسَ بِوَاسِعِ الصَّدْرِ
ديوانه - دار صعب - : ١١٧ ، الحماسة - تحقيق عسيلان - : ٢ / ٢٣٩ ، رقم (٦٧٤) ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٣ / ١٥٤٤ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٤ / ٥٥ ، أسرار البلاغة - هـ ، ريتر - : ١٤٣ .

(٣) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٣ / ١٥٤٥ .

(٤) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٤ / ٥٥ .

• • مع قول القائـل : (المنسرح)

أَعْتَقَنِي سُوءُ مَا صَنَعْتَ مِـنَ الـ ∴ ـرِّقِّ فَيَا بَرْدَهَا عَلَى كَبِـدِي (١)

فَصِرْتُ عَبْداً لِلسُّوءِ فِيكَ وَمَـا ∴ أَحْسَنَ سُوءٌ قَبْلِي إِلَى أَحَدِ (٢) (٣) (٤)

ذكره الشيخ من غير نسبة ، وهو من شعر إبراهيم بن العباس الصولي (٥)

وهذان البيتان من قصيدة قالها في محمد بن عبد الملك ، وقبل الشاهد :

---

(١) رواية شعر إبراهيم بن العباس - الطرائف الأدبية - : " سوء ما فعلت "، وهناك رواية أخرى في " الطرائف " ، و " معجم الأدباء " : " سوء ما أتيت " .

(٢) إحدى روايتي الطرائف : " ما أحسن سوءاً قلبي " وهي رواية خاطئة لأنه يريد أن يقول أن السوء أحسن إليه ، ولا يتأتى ذلك في رواية النصب .

(٣) رواية الطرائف - ص ١٨٤ - : " على أحد " .

(٤) انظر البيتين في :
شعر إبراهيم بن العباس الصولي - الطرائف الأدبية - : ١٤٤ - ١٨٤ العقد الفريد - دار الكتب العلمية - : ٦ / ١٤٩ ، معجم الأدباء : ١ / ١٩٣ ، أسرار البلاغة - هـ ، ريتر - : ١٤٣ - من غير عزو - ، حماسة ابن الشجري : ٧٨ - من غير عزو - ، تحرير التحبير : ٢ / ٣١٣ .

(٥) وتنسب هذه الأبيات مع أبيات أخرى لأبي الأسد الدينوري : وهو نُباتة بن عبد الله الشيباني من أهل الدينور من شعراء الدولة الهاشمية ./ انظر سمط اللآلي : ١ / ٥٤٥ .

وذكر صاحب العقد الفريد بعض أبيات القصيدة - دون ذكر الشاهد - ونسبها لأبي زبيد ، وقد خطّأه محقق الطرائف الأدبية ، وذكر أنه وهم ، وإنما هي لأبي الأسد بإجماع الرواة .

وذكر أنه أخذ هذا الإجماع عن ديوان المعاني لأبي هلال العسكري .

والذي وجدته في ديوان المعاني بيتين لا يوجد بينهما بيت الشاهد . جاء في ديوان المعاني - ٢/٢٠٣ - :

وأنشدني عم أبي لأبي الأسد الدينوري :

لَيتَكَ أَدَّبْتَنِي بِوَاحِـدَةٍ ∴ تَقْنِعُنِي مِنْكَ آخِرَ الأَبَدِ

تَحْلِفُ لِي لا تَبَرُّنِي أَبَـداً ∴ فَإِنَّ فِيهَا بَرْداً عَلَى كَبِـدِي

ولا يوجد في ديوان المعاني ما يشير إلى إجماع الرواة .

======

إِنْ كَانَ رِزْقِي إِلَيكَ فَارْمِ بِهِ ∴ فِي نَاظِرَيّ حَيَّةٍ عَلَى رَصَدِ

لَوْ كُنْتُ حُرًّا كَمَا زَعَمْتَ وَقَدْ ∴ كَدَّرْتَنِي بِالمِطَالِ لَمْ أَعُدِ

لَكِنَّنِي عُدْتُ ثُمَّ عُدْتُ فَإِنْ ∴ عُدْتُ إِلَى مِثْلِهَا إِذاً فَعُدِ (١)

وعلق ابن أبي الإصبع على بيتي الشاهد بقوله :

" وهذان البيتان في معناهما من أحسن ماسمع ، وأكمل وأمتن شعر، وأفضل ، ولولا الإفراط في الإطالة بينت مافيهما "(٢)

فالمعنى الجامع بين الشاهدين هو أن الحرمان من المعروف تحرير لرقبة الإنسان من قيود الرّق .

فإذا تأملنا أبيات الشاعرين ، وجدنا أبا العتاهية قد اعتمد في تركيب معناه على صورة البخيل ، والغريب في هذه الصورة أن يكون البخيل الذي هو محط المذمة موضع المدح والتقدير.

انظر إليه كيف بدأ أبياته بالدعاء العريض لهذا البخيل فقال : " جُزِي " ببناء الفعل للمجهول ؛ليدل على عظيم الجزاء والامتنان ، وقوله " رُزقت " بالبناء للمجهول تصوير لوفرة مارزق من العافية .

وانظر إلى قوله " أحنو بأحسن العذر " وكيف دل على أنه أصبح هو في مقام المتفضل إذ صار يحنو ويعطف عليه باتخاذ العذر له .

وتأمل قوله " مؤونة الشكر " ففي جعله للشكر مؤونة دليل على أن في المعروف مشقة على نفس المتفضل عليه ، وعبئًا ثقيلاً يفيده .

=== وكذلك ذكر الأستاذ الميمني أنها نسبت في معجم الأدباء لأبي زبيد والذي وجدته في معجم الأدباء نسبتها لإبراهيم الصولي .

(١) الطرائف الأدبية : ١٨٤ ، وهذه الأبيات موجودة أيضاً في معجم الأدباء مع اختلاف في روايتها .

(٢) تحرير التحبير: ٢ / ٣١٣.

وإذا انتقلنا إلى أبيات إبراهيم بن العباس ، وجدنا نحته غير نحت سابقه ، فالأول بنى معناه على صورة البخيل، أما هذا فأقامه على صورة الرِّق ، وهي أفخم وأبعد مرمى ، فجعل الإساءة موطن الشكر ومعقل الإحسان،فهي عتق لمن تصيبه من رق الشكر .

ثم انظر إلى طرافة صورته وغرابتها ، وكيف جعل نفسه عبداً للسوء لعظيم امتنانه وشكره وحبه لهذا السوء . فعبودية السوء أبرد على كبده من رق المعروف .

ثم صرح بأن السوء لم يحسن قط إلى أحد كما أحسن إليه، كذلك تأمل كيف نكّر لفظ " سوء " تقديراً وتعظيماً .

الشاهد الخامس والأربعون بعد الثلاثمائة : (*) (الطويل)

• قول نُصَيب (١) :

* وَلَو سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيكَ الحَقَائِبُ (٢) * (٣)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩١، خفاجي : ٤٦٥، شاكر : ٥١١.

(١) سبقت ترجمته : ص ٧٥٠

(٢) الحقائب : جمع حقيبة وهي الرفادة في مؤخر القتب وكل ماشُدَّ في مُؤخر رَحْل أو قَتَبٍ فقد احتُقِبْ . / القاموس المحيط (حقب) : ١/ ٥٩، اللسان " حقب " : ١/ ٣٢٥.

(٣) انظر البيت في : ديوانه : ٥٩.
عيون الأخبار : ٢٩٩/٣/١، الشعر والشعراء : ٤١٨/١، الكامل - دار الفكر - : ١٢٣/١، التشبيهات : ٣٥٨، نقد الشعر : ٨٣، الأغاني : ٣٣٧/١، الأمالي للزجاجي : ٣٣ ، شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف : ٣٠٧، الصناعتين : ٢٣٥ ، ديوان المعاني : ١ / ١٣٠، إعجاز القرآن : ٧٧ ، الإعجاز والإيجاز : ١٥٥ ، محاضرات الأدباء : ٢ / ٣٧٦، زهر الآداب : ٣٩٠/٢، الإبانة عن سرقات المتنبي : ٨٧، العمدة : ١/ ٧٤ ، تحرير التحبير: ٣ /٤٨٨ ، المثل السائر : ٧٠/٣، معجم البلدان لياقوت الحموي : ٥ / ٣٦٥.

ذكر الشيخ عجز البيت فقط، وصدره :

* فَعَاجُوا(١) فَأَثْنَوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ *

والشاهد من مقطوعة(٢) يمدح بها سليمان بن عبد الملك(٣).

وقبل الشاهد :

أَقُولُ لِرَكْبٍ قَافِلِينَ(٤) رَأَيْتُهُمْ(٥) ∴ قَفَا ذَاتِ أَوْشَالٍ(٦) وَمَوْلَاكَ قَارِبُ

---

(١) رواية ديوان المعاني : " فعادوا " .
وعاجوا : أي عادوا ونزلوا ، عاج عوجاً ومعاجاً لازم متعد .
القاموس المحيط " عوج " : ١/٢٠٨ .

(٢) ومناسبة هذه المقطوعة أنه حضر عند سليمان بن عبد الملك الفرزدق ونُصَيب، فطلب سليمان من الفرزدق أن ينشده أبياتاً ، فأنشده :

وَرَكْبٍ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عِنْدَهُمْ ∴ لَهَا تِرَةً مِنْ جَذْبِهَا بِالعَصَائِبِ
سَرَوْا يَرْكَبُونَ الرِّيحَ وَهِيَ تَلُفُّهُمْ ∴ عَلَى شُعَبِ الأَكْوَارِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
إِذَا آنَسُوا نَاراً يَقُولُونَ لَيْتَهَا ∴ وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمُ نَارُ غَالِبِ

فغضب سليمان لأنه كان يظن أن الفرزدق سيقول أبياتاً يمدحه فيها ، فإذا هو ينشده أبياتاً في الفخر ، فقام نصيب ، وأنشده أبياتاً على روي أبيات الفرزدق - وهي الأبيات التي منها بيت الشاهد - فأجزل سليمان عطاءه .

(٣) هو سليمان بن عبد الملك بن مروان ، أبو أيوب الخليفة الأموي (٥٤هـ - ٩٩هـ) ولي الخلافة (سنة ٩٦هـ) ، وكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر وخمس ليال ، وكان فصيح اللسان ، كثير الأدب ، لين الجانب ، شديد العجب بشبابه ، وجماله ، أكولاً نهماً . / انظر ترجمته :
المحبر : ٢٦ ، الفخري : ١٢٨ ، التنبيه والإشراف : ٢٩١ ، سمط النجوم : ١٨٧-١٩١ .

(٤) رواية الأغاني : " صَادِرِينَ " .

(٥) رواية الأغاني : " لَقِيتُهم " .
ورواية معجم البلدان " عشيَّةً " .

(٦) ذات أوشال : وهو جمع " وَشَل " ، والوَشَل بالتحريك الماءُ القليل يَتَحَلَّبُ من جبل أو صخرة يقطر منه قليلاً قليلاً ، وذات أوشال موضع بين الحجاز والشام / انظر :
معجم ما استعجم : ١ / ٢١٢ ، اللسان " وشل " : ١١ / ٧٢٥ .

قِفُـوا خَبِّرُونِي عَنْ سُـلَيْمَانَ إِنَّنِي ∴ لِمَعْرُوفِهِ مِنْ آلِ(١) وَدَّانَ(٢) طَالِـبُ(٣)

وبعد هذا الشاهد وبعده :

فَقَالُوا تَرَكْنَاهُ وَفِي كُلِّ لَيْلَـةٍ ∴ يُطِيفُ بِهِ مِنْ طَالِبِي العُرْفِ رَاكِبُ(٤)

وَلَوْ كَانَ فَوقَ النَّاسِ حَيٌّ فِعَالُـهُ ∴ كَفِعْلِكَ أَوْ لِلْفِعْلِ مِنْهُ يُقَـارِبُ

لَقُلْنَا لَهُ شِبْهٌ وَلَكِـنْ تَعَـذَّرَتْ ∴ سِوَاكَ عَلَى المُسْتَشْفِعِينَ المَطَالِبُ

هو البَدْرُ وَالنَّاسُ الكَوَاكِبُ حَولَـهُ ∴ وَهَلْ تُشْبِهُ البَدْرَ المُنِيرَ الكَوَاكِبُ(٥)

وقد أثنى ابن قتيبة على بيت الشاهد ، فقال :

" لله در نُصَيب حيث يقول .... " (٦)

وعلق المبرد على بيت نُصَيب بقوله :

---

(١) رواية الأغاني : " مِنْ أَهْلِ " .

(٢) وَدَّان : قرية جامعة من نَوَاحي الفُرْع قريبة من الجحفة ، وهي بين مكة والمدينة ، وهي لضمرة وغِفار وكنانة قديماً ، وقال صاحب معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية أن هذه القرية اندثرت من زمن بعيد وقد توهم بعض الباحثين أنها " مستورة " اليوم ، وليس كذلك ، وموضع وَدَّان شرق مستورة إلى الجنوب في حرة الأبواء ، وبينها وبين مستورة قريباً من اثني عشر كيلو متراً . وأهلها اليوم بنو محمد من بني عمرو من حرب . /
معجم البلدان لياقوت الحموي : ٥ / ٣٦٥ ، معجم المعالم الجغرافية : ٣٣٢ - ٣٣٣ .

(٣) رواية معجم البلدان : " راغبُ " .

(٤) رواية الأغاني للبيت :
وَقَالُوا عَهِدْنَاهُ وَكُلَّ عَشِـيَّةٍ ∴ بِأَبْوَابِهِ مِنْ طَالِبِ العُـرْفِ رَاكِـبُ

(٥) ديوانه : ٥٩ ، الأغاني : ١ / ٣٣٧ .

(٦) عيون الأخبار : ١ / ٣ / ٢٩٩ .

" وهذا في باب المدح حسن ، ومتجاوز ومبتدع لم يسبق إليه " ثم ذكر أنه قد فُضِّل قول نُصيب على الفرزدق إلا أنه لا يرى ذلك ، لأن التفاضل عنده إنما يقع بين شيئين متناسبين ، قال : وليس شعر نُصيب هذا الذي ذكرناه في المدح بأجود من قول الفرزدق في الفخر ، وإنما يُفاضل بين الشيئين إذا تناسبا ، وقد قال سليمان للفرزدق حين أنشده نُصيب ، كيف تراه . قال : هو أشعر أهل جلدته ، فقام الفرزدق ، وهو يقول :

وَخَيرُ الشِّعْرِ أَشْرَفُهُ رِجَالاً ∴ وَشَرُّ الشِّعْرِ مَاقَالَ العَبِيدُ " (١)

وذكر الزجاج في أماليه أن معنى بيت نُصَيب الأخير مأخوذ من قول حاجب ابن زرارة بن عدس:(٢)

أَغَرَّكُمُ أَنِّي بِأَحْسَنِ شِيمَتِي ∴ رَفِيقٌ وَأَنِّي بِالفَوَاحِشِ أَخْرَقُ
وَمِثْلِي إِذَا لَمْ يُجْزَ أَحْسَنَ صُنْعِهِ ∴ تَكَلَّمَ نُعْمَاهُ بِفِيهِ فَتَنْطِقُ (٣)

ورأى أبو أحمد العسكري،(٤) وتبعه الباقلاني(٥) - أن بيت نُصَيب مأخوذ من قول الأعشى :

---

(١) الكامل : ١ / ١٢٤.

(٢) هو حاجب بن زرارة بن عُدس الدّارمي التميمي (... - نحو ٣ هـ) من سادات العرب في الجاهلية كان رئيس تميم في عدة مواطن ، وهو الذي رهن قوسه عند كسرى على مال عظيم ، ووفى به . وقد أدرك الإسلام ، وأسلم ، وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات بني تميم ، فلم يلبث أن مات./ انظر ترجمته :
طبقات فحول الشعراء : ١/ ٥٨، ١٤٨، ٢٧٢، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٥٤، ٤٩٧، الأغاني : ١١/ ١٥٠، الإصابة : ١/ ٢٧٢، رقم (١٣٥٨)، الأعلام : ٢ / ١٥٣.

(٣) أمالي الزجاج : ٣٣.

(٤) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف : ٣٠٧.

(٥) إعجاز القرآن : ٧٧.

وإنَّ عِتَاقَ العِيسِ سوف يزورُكم .·. ثناءً على أعجازِهنَّ مُعلَّقُ (١)

وذكر ابن الأثير أنه يروى عن الجاحظ أنه أدخل بيت نُصيب في باب الكناية ، وهو ليس منه ، بل هو من التشبيه المضمر الأداة ، قال :

"... وقد أدخل في باب الكناية ماليس منه كقول نُصيب ... البيت. فهذا يروى عن الجاحظ ، وماأعلم كيف ذهب عليه مع شهرته بالمعرفة بفن الفصاحة والبلاغة ، فإن الكناية هو ماجاز حمله على جانب الحقيقة كما يجوز حمله على جانب المجاز ، وهاهنا لا يصح ذلك ، ولا يستقيم ؛ لأن الثناء للحقائب لا يكون إلا مجازاً ، وهذا من باب التشبيه المضمر الأداة الخارج عن الكناية" (٢)

ويبدو لي أن قول ابن الأثير ليس بشيء :

أولا : أنه لا يلزم - دائماً - في الكناية جواز إرادة المعنى الحقيقي ، فأكثر كنايات النسبة لا يمكن فيها إرادة المعنى الحقيقي .

ثانيا : أين المشبه والمشبه به في العبارة : "أثنت عليك الحقائب" .

ثالثا : هذا من باب المجاز العقلي " وهو إسناد الفعل إلى ماليس هو له ".

رابعا : قول ابن الأثير "لأن الثناء للحقائب لا يكون إلا مجازاً" ، ثم قوله : "وهذا من باب التشبيه المضمر الأداة" ، قولان يتعارضان ، والجواب عنه أن ابن الأثير يجعل التشبيه قسماً من المجاز. (٣)

أو لعله يقصد ماسمي بعد الاستعارة المكنية ، أي التشبيه المضمر في النفس ، كما يقول الخطيب ، والعبارة تفيد المبالغة في الجود ، وهي ثمرة المجاز العقلي ، فإذا أطلق عليها الجاحظ لقب الكناية فله نظره لأن هذه المصطلحات لم تكن متميزة كل التميز على عهد الجاحظ ، فتخطئة ابن الأثير له محاسبة للجاحظ على اصطلاح لم يتميز في عهده ، والذي يمكن أن يُقال إن الجاحظ كان يطلق على مثل هذا التعبير اصطلاح الكناية .

---

(١) ديوان الأعشى - مؤسسة الرسالة - : ٢٧٢ رقم ٣٣ .

(٢) المثل السائر : ٣ / ٧٠ .

(٣) المثل السائر : ١ / ١٠٦ .

ج - وصف الشعر والإدلال به .

إن غرض الشيخ عبدالقاهر من هذا الفصل وإسهابه في سرد كثير من الشواهد الحافلة بوصف الشعر هو تصوير المعاناة التي يعانيها الشاعر، وهو يصوغ قصائده، تبصيراً لمن ظنّ أن الإعجاز هو في مذاقة الحروف وسلامتها . وغفل عن النظر في تركيبها وصياغتها وفي هذا تحذير لمن تراوده نفسه على ركب المخاطر، وارتياد طرق الشعر مع قلة الزاد ونضوب المعين .

قال الشيخ :

" الغَرَضُ من كتب هذه الأبيات ، الاستظهارُ حتّى إن حمل حاملٌ نفسه على الغَرَر، والتَّقَحُّم على غير بَصِيرة ، فَزَعم أن الإعجاز في مَذاقة الحروف ، وفي سلامتها مما يثقُل على اللسان ، عَلِمَ بالنظر فيها فساد ظَنِّه ، وقُبْحَ غلطه ، من حيث يرى عياناً أن ليس كلامُهم كلامَ من خَطَر ذلك منه ببالٍ ولا صِفَاتُهم صفاتٍ تصلح له على حال . إذْ لا يَخْفَى على عاقل أن لم يكن ضرب " تسنيم" لحزون جبال الشعر، لأن تَسْلَمَ ألفاظه من حروفٍ تثقُل على اللسان ، ولا كان تقويمُ " عَدِيٍّ" لشعره وتشبيهه نَظَرَ فيه بنَظَر المثقِّفِ في كعوب قناتِه لذلك ، وأنّه مُحالٌ أن يكون لَهُ جَعَل " بَشَّارٌ" نُورَ العين قد غَاضَ فصار إلى قلبه ، وأن يكون اللؤلؤ الذي كان لا ينام عن طلبه ، وأن ليس هو صَوْبَ العُقول الذي إذا انجلت سَحَائبُ منه أُعقِبَت بسحائب ، وأن ليس هو الدُّرّ والمَرجان مؤلّفاً بالشَّذر في العِقْدِ ، ولا الذي له كان " البحتري" مقدِّراً " تقدير داود في السَّرْدِ" كيف ؟ وهذه كلّها عبارات عمّا يُدْرَكُ بالعَقْل ويُسْتَنْبَط بالفكر ، وليس الفكر الطريقَ إلى تمييز ما يثقُل على اللسان مما لا يَثقُل ، إنما الطريقُ إلى ذلك الحِسّ" (١)

---

(١) الدلائل ، رضا : ٣٩٧-٣٩٨ ، خفاجي : ٤٧١ ، شاكر : ٥١٨-٥١٩ .

الشاهد السادس والأربعون بعد الثلاثمائة : (*) (الكامل)

أبو حية النميري : (١)

إِنَّ القَصَائِدَ قَدْ عَلِمْنَ بِأَنَّنِي ∴ صَنَعُ اللِّسَانِ بِهِنَّ لَا أَتَنَحَّلُ (٢)

وَإِذَا ابْتَدَأْتُ عَرُوضَ نَسْجٍ رَيِّضٍ (٣) (٤) ∴ جَعَلَتْ تَذِلُّ لِمَا أُرِيدُ وَتَسْهُلُ

حَتَّى تُطَاوِعَنِي وَلَوْ يَرْتَاضُهَا ∴ غَيْرِي لَحَاوَلَ صَعْبَةً لَا تَقْبَلُ (٥)

بهذه الأبيات يصف أبو حية النميري قوة ملكته الشعرية واقتداره وتمكنه من تذليل اللغة ، وتطويع الأساليب .

انظر إليه كيف أكد ملكته هذه بقوله " بِأَنَّنِي صَنَعُ اللِّسَانِ " فجاء بأداة التوكيد " إِنَّ " وجاء بالصفة المشبهة " صَنَع " ليدل على أنها صفة متأصلة فيه ثابتة في طبعه لا يصيبها فتور، ولا تضطره إلى الانتحال .

وفي إضافة هذه الصفة إلى اللسان غاية التمكن والاقتدار، واستطاع أبو حية أن

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩١ ، خفاجي : ٤٦٥ ، شاكر: ٥١١ .

(١) سبقت ترجمته : ١٠٦ .

(٢) الانتحال : هو أن ينسب الشاعر إلى نفسه شعر غيره جملة . ولا يقال منتحل إلا لمن ادَّعى شعراً لغيره ، وهو يقول الشعر، وأما أن كان لا يقول الشعر فهو مُدَّعٍ غير منتحل / انظر :
العمدة : ٢ / ٢٨٢ ، معاهد التنصيص : ٤ / ٤ .

(٣) عروض : هي الناقة الصعبة التي لم تذلل ولم ترض./ اللسان " عرض " : ٧ / ١٧٥ .

(٤) رَيِّض : بتشديد الياء المكسورة هي الدابة التي لم تقبل الرياضة ، ولم تذل لراكبها ، أو هي الناقة أول ما تراض وهي صعبة بعد ، وكذلك العروض والعسير والقضيب من الإبل كله ، والأنثى والذكر فيه سواء . / اللسان " ريض " : ٧ / ١٦٤ - ١٦٥ .

(٥) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر .
وهو ليس في شعره الذي جمعه : رحيم صخي التويلي .

يصور الحركة الداخلية التي تمور في نفسه حين يهم بقول الشعر، فجعل القصائد كائناً حياً يحس، ويشعر، فهي ماإن تعلم برغبته في قول الشعر حتى تنثال رهواً، وتسرع في ذلة وطاعة بعد أن كانت جامحة شاردة كالناقة الجسور التي لم ترض ولم تذلل حين تهرب في الفلاة.

وبناء البيت الثاني على "إذا" الشرطية دل على أن هذه حاله على الدوام كلما همّ بقول الشعر.

وتأمل قوله "حتى تطاوعني" وكيف دلت "حتى" على انتهاء الغاية في الطاعة، فكأنها استهلكت فعل الطاعة حتى نهايته وفي انهاء صورته بقوله "ولو يرتاضها غيري لحاول صعبة لا تقبل" وفي بنائها على الشرط بـ"لو" تأكيد على امتناع وعجز غيره عن الترويض، فلو أن غيره حاول ترويض تلك الناقة وبذل أقصى جهده في كبح جماحها، فإنه يحاول صعباً لأنها لن تقبل الترويض ولن تذل له.

الشاهد السابع والأربعون بعد الثلاثمائة: (*) (الطويل)

تميم بن مقبل (١):

(*) الدلائل، رضا: ٣٩١-٣٩٢، خفاجي: ٤٦٥، شاكر: ٥١٢.

(١) هو تميم بن أُبَيّ بن مقبل من بني العجلان بن عبد الله بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة، يكنى أبا كعب، وجاء في الاشتقاق أنه يكنى أبا الحُرّة، وهو شاعر مخضرم "جاهلي - إسلامي"، جعله ابن سلام الرابع من الطبقة الخامسة من فحول الجاهلية وهو شاعر مجيد رثى عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهاجى عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فغلبه عبد الرحمن، وكان ابن مقبل أعور جافياً في الدين، فكان بعد إسلامه يبكي أهل الجاهلية ويذكرها/ انظر ترجمته:
طبقات فحول الشعراء: ١/ ١٥٠، الشعر والشعراء: ١/ ٤٦٢، الاشتقاق: ١٢، الإصابة: ١/ ١٨٩-١٩٠ رقم (٨٦٢)، سمط اللآلي: ١/ ٦٨، الخزانة: - دار صادر -: ١ / ١١٣.

إذا مِتُّ عَنْ ذِكْرِ القَوافِي فَلَنْ تَرَى (١) ∴ لَهَا قَائِلاً بَعْدِي أَطَبَّ وَأَشْعَرا (٢)

وأَكْثَرَ بَيْتاً سَائِراً ضُرِبَتْ لَهُ (٣) ∴ حُزُونُ جِبالِ الشِّعْرِ حَتَّى تَيَسَّرا (٤)

أَغَرَّ غَرِيباً يَمْسَحُ النَّاسُ وَجْهَهُ ∴ كَمَا تَمْسَحُ الأَيْدِي الأَغَرَّ المُشَهَّرا (٥) (٦)

وهو من قصيدة مطلعها :

تَأَمَّلْ خَلِيلِي هَلْ تَرَى ضَوْءَ بَارِقٍ ∴ يَمَانٍ مَرَتْهُ رِيحُ نَجْدٍ فَفَتَّرا (٧)

وقبل الشاهد :

وإِنِّي لأَسْتَحْيِي وَفِي الحَقِّ مُسْتَحٍ ∴ إِذَا جَاءَ بَاغِي العُرْفِ أَنْ أَتَعَذَّرا (٨)

وبعد الشاهد :

فَإِنْ تَكُ عِرْسِي نَامَتِ اللَّيْلَ كُلَّهُ ∴ فَقَدْ وَكَلَتْنِي أَنْ أَصَبَّ وَأَسْهَرا (٩)

---

(١) رواية الديوان ، الشعر والشعراء : " فَلَنْ تَرَى تَالِياً بَعْدِي " ،
ورواية منتهى الطلب : " تالياً مثلي " .
ورواية أمالي ابن الشجري : " لها شاعراً مثلي " .

(٢) رواية الديوان والشعر والشعراء ، ومنتهى الطلب :
" وأكثَرَ بيتاً مارداً " .
ورواية أمالي ابن الشجري : " وأكثَرَ بيتاً شاعراً " .

(٣) رواية ابن الشجري : " بِهِ " .

(٤) رواية الشعر والشعراء : " حزون جبال الشِّعْلَةِ " .
والحزون جمع " حزن " والحزن ماغلظ من الأرض / اللسان " حزن " : ١٣ / ١١٢ .

(٥) رواية الشعر والشعراء :
" الجوادَ المشهرا " .

(٦) ديوانه : ١٣٦ ، الشعر والشعراء : ١ / ٤٦٤ ، الأمالي الشجرية : - دار المعرفة - : ١ / ٧٢ ، منتهى الطلب : ١ / ٣٧ ب .

(٧) الديوان : ١٢٩ .

(٨) الديوان : ١٣٦ .

(٩) الديوان : ١٣٧ .

• الشاعر في هذه الأبيات شديد الافتخار بشعره ومتانته، فانصرافه عن حوك القصائد اعتلال للشعر عامة ، وقد جاء تركيبه لهذا المعنى تركيباً بليغاً يجسد المعنى تجسيداً حيث شبه انصرافه عن قول الشعر بالموت ، فقوله " إذا مت " ينبض بمعاني شرة تفصح عن شاعرية ابن مقبل وحبه لنظم الشعر ، وغرامه به ، إذ لا حياة له إن امتنع عن نظمه إذ أن الشعر احياء للشعور والإحساس ، وفي الانصراف عنه إزهاق لروح هذا الشعور ، وإذا تجرد الإنسان من الإحساس تجردت منه الحياة . و(إذا) الشرطية " هنا زادت صورة الموت تأكيداً إذ أنها جزمت بتحقق وقوع الموت إن هو انصرف عن الإنشاد .

وانظر إليه كيف جعل القوافي تعتل لانصرافه اعتلالا لا تجد من يطببها منه .

وانظر إليه كيف أقام معناه على أفعل التفضيل " أطب - أشعر أكثر - أغر " مبالغة في الافتخار .

وتريث قليلاً وتأمل قوله " ضُرِبَتْ لَهُ حُزُونُ جِبَالِ الشِّعْرِ " وكيف استطاعت هذه العبارة بمتانة تركيبها ، ودقة سبكها ووفرة خصوصياتها أن تصور محاورة الشاعر للألفاظ ، وإخضاعها لأحاسيسه ، وسيطرته على أوابد الخواطر ، وشوارد الأفكار ، فجعل للشعر جبالاً ، وجعل هذه الجبال مليئة بالحزون الغليظة ، وقد ركب هذه الصورة عن طريق تتابع الإضافات فأضاف الحزون إلى الجبال ، والجبال إلى الشعر ، ليصور جسارة هذه الجبال ورسوخها وصلابتها ، إلا أن بناء الفعل " ضُربت " للمجهول وتقديم الجار والمجرور " له " أظهر قدرة الشاعر على تمهيد هذه الحزون ، وقوله " حتى تيسرا " دل على تمكنه المطلق من اللغة فقد وصل بها إلى نهاية اليسر .

وماتزال المعاني التي تزخر بها نفس الشاعر تتصاعد وتترقى ، فها هو ذا بعد أن يَسَّرَ حزون جبال الشعرِ ، يتغنى بقصائده وأشعاره ، فجاء بصورة الفرس الأغر الذي تتسابق إليه الأيدي لتطوف مسحاً على وجهه محبة له ، وغراماً به ، فكذلك أشعاره يتسابق الناس للاستماع إليها وإنشادها إعجاباً بها .

الشاهد الثامن والأربعون بعد الثلاثمائة : (*) (الكامل)

عدي بن الرقاع (١) :

وَقَصِيدَةٍ قَدْ بِتُّ أَجْمَعُ بَيْنَهَا ∴ حَتَّى أُقَوِّمَ مَيْلَهَا وَسِنَادَهَا (٢)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٢ ، خفاجي : ٤٦٦ ، شاكر : ٥١٢ .

(١) هو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع بن عصر بن شعل بن معاوية ابن الحارث . وهو من عاملة حيّ من قُضاعة ، ويقال له عدي بن الرقاع العاملي . كان شاعراً مقدماً عند بني أمية مدّاحاً لهم خاصاً بالوليد بن عبد الملك ، وله بنت شاعرة يقال لها سَلْمَى .
جعله ابن سلام الرابع من الطبقة السابعة من فحول الإسلام " جاء في الأغاني أن ابن سلام جعله في الطبقة الثالثة من شعراء الإسلام " وكان منزله في دمشق وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم ./ انظر ترجمته :
طبقات فحول الشعراء : ٢/ ٦٩٩-٧٠٨ ، الشعر والشعراء : ٢/ ٦٢٢-٦٢٥ ، الأغاني : ٩/ ٣٠٧-٣١٧ ، المؤتلف والمختلف : ١١٦ ، معجم الشعراء للمرزباني ٢٥٣ ، نهاية الأرب : ٤/ ٢٤٧ .

(٢) السناد : عيب يحدث في القافية قبل الروي ، والروي هو أثبت حروف البيت ، وعليه تُبنى المنظومات ، وهو يكون من أي حروف المعجم وقع إلا حروفاً تضعف ولا تثبتَ ، كألف الترنم وواوه ، ويائه ، وهاء الوقف وهاءات التأنيث إذا كان ماقبلها متحركاً ، والألف التي تلحق علماً للتثنية في مثل ضربا وذهبا ، والواو التي تدل على الجمع إذا كان مضموماً ماقبلها في مثل ضربوا وقتلوا ، وغير ذلك من الحروف ، فإن اتفق غير ماذكر فهو شاذ مرفوض .
والروي له ثلاث منازل : يكون آخر حرف في الشعر المقيد ولا ينكسر هذا القياس في رأي المتقدمين ، ويكون بينه وبين انقضاء البيت حرف أو حرفان ، وذلك في الشعر المطلق ، والذي بين رويه وبين انقضاء وزنه حرفٌ واحدٌ فإنما تجيء بعد رويه الصلة لا غير ، وهي تكون أحد أربعة أحرف ، وتكون الأحرف الواو والألف والياء والهاء وأما الذي يقع بعد رويه حرفان فهو ماتحرك هاء وصله فلزمها الخروج ./ انظر :
مقدمة اللزوميات : ١/ ٦ ، كتاب القوافي : ١٢٩ ، العمدة : ١/ ١٦٩ .

نَظَرَ المُثَقِّفِ (١) فِي كُعُوبِ قَنَاتِـهِ .·. حَتَّى يُقِيمَ ثِقَافُـهُ مُنْآدَهَـا (٢) (٣)

وهو من قصيدة مطلعها :

عَرَفَ الدِّيَارَ تَوَهُّماً فَاعْتَادَهَـا .·. مِنْ بَعْدِ مَا دَرَسَ البِلَى أَبْلَادَهَا (٤)

وقبل الشاهد :

وَأُصَاحِبُ الجَيْشَ العَرَمْرَمَ فَارِسًا .·. فِي الخَيْلِ أَشْهَدُ كَرَّهَا وَطِرَادَهَـا

وبعد الشاهد :

وَلَقَدْ أَصَبْتُ مِنَ المَعِيشَةِ لَـذَّةً .·. وَلَقِيتُ مِنْ شَظَفِ الأُمُورِ شِدَادَهَا

فَسَتَرْتُ عَيْبَ مَعِيشَتِي بِتَكَـرُّمٍ .·. وَأَتَيْتُ فِي سَعَةِ النَّعِيمِ سِدَادَهَا

وَعَلِمْتُ حَتَّى مَا أُسَائِلُ وَاحِـدًا .·. عَنْ عِلْمِ وَاحِدَةٍ لِكَي أَزْدَادَهَا (٦)

وجاء في الأغاني أن كثيّراً قد انتقد عدياً حين سمع قوله :

وَقَصِيدَةٍ قَدْ بِتُّ أَجْمَعُ بَيْنَهَا . . . .

فقال له : لو كنت مطبوعاً أو فصيحاً ، أو عالماً لم تـأت فيها بميل ولا سناد ، فتحتاج إلى أن تقومها ، ثم أنشد :

---

(١) المثقف : الثقاف بالكسر آله تسوى بها الرماح . / اللسان : " ثقف " : ٩ / ٢٠ .

(٢) منآدها : المنآد المعوج . / اللسان " أود " : ٣ / ٧٥ .

(٣) انظر البيتين في :

ديوانه : ٥٢ ، تأويل مشكل القرآن : ٢ / ١٩ ، الشعر والشعراء : ٢ / ٦٢٣ البيان والتبيين : ٣ / ٢٤٤ ، الحيوان : ٣ / ٦٤ ، الخصائص : ١ / ٣٢٥ ، التشبيهات : ٢٢٥ ، الأغاني : ٩ / ٣١٧ ، معجم الشعراء : ٢٥٣ ، الموشح : ١٢ ، إعجاز القرآن للباقلاني : ١٢٢ ، الروض الأنف : ٣ / ١٨٠ ، كتاب القوافي : ١٢٩ ، تحرير التحبير : ٣ / ٤١٤ ، الطرائف الأدبية : ٨٩ .

(٤) ديوانه : ٤٩ .

(٥) ديوانه : ٥٢ .

(٦) ديوانه : ٥٢ ، الطرائف الأدبية : ٨٩ .

نَظَرَ المُثَقِّفِ في كُعُوبِ قَنَاتِــهِ .·. حَتَّى يُقِيمَ ثِقَافُـهُ مُنَآدَهَـــا

فقال له كثير: لا جَرَمَ أَنَّ الأيام إِذا تطاولت عليها عادت عوجاء ؛ ولأن تكـون مستقيمة لا تحتاج إلى ثقاف أجود لها ،ثم أنشـد :

وَعَلِمْتَ حَتَّى مَاأُسَـائِلُ وَاحِداً .·. عَنْ عِلْمِ وَاحِدَةٍ لِكَي أَزْدَادَهَـا

بأن يسألك عن صغار الأمور دون كبارها حتى يتبين جهلك . وماكنت قط أحمق منك الآن حيث تظن هذا بنفسك . (١)

قال المرزباني :

" أخبرني الصولي ،قال : حدثني يحيى بن علي قال ، قال أبو جعفر محمد بن موسى المنجم :

كنت أحب أن أرى شاعرين ، فأؤدب أحدهما - وهو عدي بن الرقاع ،لقوله :

وَعَلِمْتَ حَتَّى مَاأُسَائِلُ وَاحِـداً .·. مِنْ (٢) عِلْمِ وَاحِدَةٍ لِكَي أَزْدَادَهَا

ثم أسائله عن جميع العلوم ،فإذا لم يجب أدبته ،وأقبل رأس الآخر - وهـو زياد بن زيد لقوله :

إِذَا مَاانْتَهَى عِلْمِي تَنَاهَيتُ عِنْدَهُ .·. أَطَالَ فَأَعْلَى أَمْ تَنَاهَى فَقَصَّرَا " (٣)

والمتأمل لأبيات عدي يرى أنه كان دقيقاً في تصوير مايعتمل في نفسه من معاناة عند كتابة قصيدته ، وهو أمر طبيعي ينتاب الشاعر حين يروض كلماته لتسير وفقـاً لأحاسيسه، فتقويم الميل والسناد في القصيدة ، وهي ماتزال جنيناً في باطن الإحساس ليس عيباً يُنتقد عليه الشاعر، وإنما العيب كل العيب إذا أخرجها للوجود بميلهـا وسنادها ،فزهير بن أبي سلمى - وهو من عظماء الشعراء -كان يهذب قصائـده ، وينقحها سنة كاملة ، حتى عُرفَت قصائده بالحوليات . (٤)

---

(١) الأغاني : ٩ / ٣١٦-٣١٧ .

(٢) رواية الديوان " عن علم " .

(٣) الموشح : ١٧٣ .

(٤) " كان الأصمعي يقول : زهير والحطيئة ، وأشباههما عبيد الشعر، لأنهم نقحوه ،ولم يذهبوا به مذهب المطبوعين . قال :

======

وأبيات عدي لها أوجه من الحسن لا يمكن حجبها عن الإحساس فقوله : " قد بت "
يتولد منه معانٍ دقيقة ، فهو يشير إلى حرص الشاعر على اختيار الوقت الذي ينظم
فيه قصائده ، فالبيات يكون ليلاً ، وفي الليل تسكن الحياة ، وبسكونها تهدأ النفس ،
وتشف الروح ، فتتضح الرؤى ، وتتكشف المعاني أمام النفس الشاعرة .

وتصوير حالته ، وهو ينقح قصائده بصورة المثقف في كعوب قناته " هي
نتاج خيال خصب دقيق ، فالمثقف لكعوب القناة حريص كل الحرص على تقويم اعوجاجها ؛
لأن في تقويمها استمراراً لحياته ، وفي اعوجاجها لقاءَ حتفه ، وكذلك الشاعر حريص
على تنقيح قصائده ؛ لأن في تنقيحها فخراً له وشهرةً ، وفي شهرته رفع لذكره ،
واستمرار لحياته ، وفي اعوجاج قصائده مذمة له ، ووضع لذاك الذكر .

وانظر إليه حين رسم الصورة فقال : " نظر المثقف " فأضاف النظر إلى المثقف ليدل
على دقة التثقيف .

وقوله في كلا شطري البيت الأول والثاني " حتى أقوم " و " حتى يقيم " دل على
أنه لا يذيع قصائده ولا يخرجها إلا بعد أن يصل بها إلى غاية النهاية في التقويم .

الشاهد التاسع والأربعون بعد الثلاثمائة : (*) (الطويل)

• قول كعب بن زهير :

=== وكان زهير يسمّي كُبرى قصائده الحوليات " / الشعر والشعراء :
١ / ٨٤- ٨٥ .
وجاء في خزانة الأدب :
وروي أن زهيراً كان ينظم القصيدة في شهر وينقحها ويهذبها في سنة ،
وكانت تسمى قصائده حوليات ./ ـ دار صادر ـ : ١ / ٣٧٦- ٣٧٧ ، وكان
الحطيئة يقول :
" خير الشعر الحَوليّ المُنَقّح المحكك " / الشعر والشعراء : ١/ ٨٤ .

(*) رضا : ٣٩٢ ، خفاجي : ٤٦٦ ، شاكر : ٥١٢ .

فَمَنْ (١) لِلقَوَافِي شَانَهَا مَنْ يَحُوكُهَا (٢) .·. إِذَا مَا تَوَى كَعْبٌ (٣) وَفَوَّزَ جَرْوَلُ (٤)
يُقَوِّمُهَا (٥) حَتَّى تَلِينَ (٦) مُتُونُهَا .·. فَيَقْصُرُ عَنْهَا كُلُّ مَا يُتَمَثَّلُ (٧) (٨)

والشاهد من قصيدة مطلعها :

أَلَا بَكَرَتْ عِرْسِي تَلُومُ وَتَعْذُلُ .·. وَغَيْرُ الَّذِي قَالَتْ أَعَفُّ وَأَجْمَلُ

وقبل بيت الشاهد الأول أبيات في الغزل آخرها :

وَصَافِيَةٍ (٩) تَنْفِي القَذَاةَ كَأَنَّهَا .·. عَلَى الأَيْنِ يَجْلُوهَا جَلَاءٌ وَتَكْحَلُ

---

(١) رواية الشعر والشعراء : " وَمَنْ ".

(٢) رواية الديوان والأغاني ، واللسان : " ثوى " بالثاء المثلثة . وثوى - وتوى بمعنى هلك / اللسان " ثوا " : ١٤ / ١٢٦.
وجاء في الديوان أنه يروى " إِذَا مامضى كعب ".

(٣) فَوَّزَ : بمعنى مات أي كأنه صار في مغازة مابين الدنيا والآخرة . / اللسان (فوز) : ٥/٣٩٢.

(٤) المقصود بجرول هنا الحطيئة .

(٥) رواية الأغاني وخزانة الأدب : " نثقفها " ويروى " يثقفها " بالياء .

(٦) رواية الديوان : " حتى تقوم " ، وذكر في الديوان أنه يروى أيضا : " فيمضين غراً كلها يتمثل ".

(٧) يتمثل : يضرب مثلاً ، يقال : تمثل هذا البيت ، وتمثل به : ضربه مثلاً / اللسان " مثل " : ١١ / ٦١٢.

(٨) انظر البيتين في :
ديوانه - صنعة أبي سعيد السكري - : ٥٩ ، الشعر والشعراء : ١/١٥٩ ، الأغاني : ٢ / ١٦٥ ، اللسان : ١٤ / ١٢٦ ، مادة " ثوا " ، خزانة البغدادي - دار صادر - : ١ / ٤١١.

(٩) صافيه : يعني عين محبوبته ، وتَنْفِي القذاة : ليس يريد أنَّ هناك قذاةً تَنْفِيهَا ، ولكن معناه أنَّهَا لم تَقْذَ قط .
والأَيْن : التَّعَبُ . / شرح ديوان كعب بن زهير - صنعة السكري - : ٥٩.

وقبل بيت الشاهد الثاني :

يَقُولُ فَلَا يَعْيَا بِشَيءٍ يَقُولُهُ (١) .·. وَمِنْ قَائِلِيهَا مَنْ يُسِيءُ وَيَعْمِلُ (٢)

وبعد بيت الشاهد الثاني :

كَفَيْتُكَ لَا تَلْقَى مِنَ النَّاسِ شَاعِراً .·. تَنَخَّلَ مِنْهَا مِثْلَ مَا أَتَنَخَّلُ (٣)

وقد أخذ الكميت بيت الشاهد الأول فقال :

وَمَا ضَرَّهَا أَنَّ كَعْباً تَوَى .·. وَفَوَّزَ مِنْ بَعْدِهِ جَرْوَلُ

في هذين البيتين يفتخر كعب بقدرته على نظم الشعر وصياغته، وتظهر رنة هذا الافتخار قوية عالية في هذا الاستفهام الذي افتتح به صورته " فمن للقوافي " والذي حمل معنى الاستبعاد والتعجيز التام ، فهذا الاستفهام ينبعث من داخل نفس شاعرة تحس إحساساً عميقاً بصعوبة الموقف الشعري ، فاتخذت منه مادة للفخر، فكل من يحاول حوك القصائد بعد كعب وجرول ، فإنه يشينها ويعيبها ، لجهله بفن الحوك أما الشاعر ، فإنه يعمل في القصيدة بيد صنع ماهر يذلل صعابها ، ويلين متونها فتنثال كلماتها عفواً حتى تقع كل كلمة في موقعها المتمكن . فيعجز عن الإتيان بمثلها كل من يقرض الشعر.

---

(١) رواية الأغاني : " نقول فلا نعيا بشيءٍ نقوله " بنون الجمع .

(٢) رواية الأغاني : " وَيَجْمِلُ " ، يريد بيَعْمِل : يتعنّى ويجتهد / أساس البلاغة " عمل " : ٣٢١ .

(٣) وقد اختلف ترتيب الأبيات في الأغاني ، فَذَكر بعد بيت الشاهد الأول قوله :

كَفَيْتُكَ لَا تَلْقَى مِنَ النَّاسِ وَاحِداً ....

نَقُولُ فَلَا نَعْيَا بِشَيءٍ نَقُولُهُ ....

وبعدهما بيت الشاهد الثاني .

الشاهد الخمسون بعد الثلاثمائة : (*) (الطويل)

بشار:

عَمِيتُ جَنِيناً وَالذَّكَاءُ مِنَ العَمَى ∴ فَجِئْتُ عَجِيبَ الظَّنِّ لِلْعِلْمِ مَوْئِلَا (١)

وَغَاضَ (٢) ضِيَاءُ العَيْنِ لِلْعِلْمِ (٣) رَافِداً (٤) ∴ لِقَلْبٍ (٥) إِذَا مَا ضَيَّعَ النَّاسُ حَصَّلَا

وَشِعْرٍ كَنُورِ (٦) الرَّوْضِ لَا أَمْتَ (٧) بَيْنَهُ ∴ بِقَوْلٍ (٨) إِذَا مَا أَحْزَنَ الشِّعْرُ أَسْهَلَا (٩)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٢ ، خفاجي : ٤٦٦ ، شاكر : ٥١٢-٥١٣ .

(١) رواية الديوان : " معقلا " .

(٢) رواية أمالي المرتضى ، وتاريخ بغداد : " غَاضَ " .

(٣) رواية الديوان ، وأمالي المرتضى ، وتاريخ بغداد : " للقلب " .

(٤) رواية الديوان : " فاغتدى " بدلاً من رافداً ، ورواية تاريخ بغداد " رائداً " .

(٥) رواية الديوان وأمالي المرتضى : " بقلبٍ " ، ورواية تاريخ بغداد : " بحفظٍ " .

(٦) رواية تاريخ بغداد " كزهرٍ "
والنَّور ، والنَّورة : الزهر ، أو الأبيض منه ، وأمّا الأصفر ، فزَهر . / القاموس المحيط " نور " : ٢ / ١٥٥ .

(٧) رواية أمالي المرتضى وتاريخ بغداد :
" لَا أَمْتَ " بالفتح ومعناه " لا عوج " ، ويبدو لي أن رواية " لَا أَمْتُ " أنسب وأقرب للصواب لأن التعبير " لَا أَمْتَ بينه " بمعنى لا عوج بينه غير مناسب ، والأنسب أن يقال : لَا أَمْتَ فيه " أي لا عوج فيه ، وأيضا لا يستقيم المعنى مع قوله " بقولٍ " فيكون المعنى لا عوج بينه بقول - وهذه الأخيرة من رواية أمالي المرتضى .

(٨) رواية تاريخ بغداد : " نَقِيٍّ " .

(٩) انظر الأبيات في :

ديوانه : ٤ / ١٥٨ ، الأغاني : ٣ / ١٤٢ ، أمالي المرتضى : ١ / ٥٠٩ ، تاريخ بغداد : ٧ / ١١٤ .

وقبل الشاهد :

إِذَا وُلِدَ المَوْلُودُ أَعْمَى وَجَدْتَهُ ∴ وَجَدِّكَ أَهْدَى مِنْ بَصِيرٍ وَأَجْوَلَا

في هذه الأبيات يفتخر بشار ذلك الشاعر الأعمى الضرير بقدرته الشعرية العجيبة، فالشعراء يغذون خيالهم بالصور المرئية المحسوسة ، فيلائم الخيال بين هذه الصور وبين الأحاسيس والمعاني التي تنبض بها نفس الشاعر، فتخرج نتاجاً شعرياً .

أما بشّار ، فإنه يُغَذِّي الخيال من الخيال ، فتركيبه الشعري هو نتيجة تصور داخلي فقط، وعلى هذا المقياس تكون حركة الملاءمة بين المعاني والصور في النفس عملية شاقة على الشاعر. إلا أن بشاراً يعلن في افتخار أن شعره يخرج كنور الروض بهاء وحسناً وتناسقاً .

وانظر إليه ، وقد بدأ البيت بقوله " وشعرٍ " فالواو هنا واو رُبَّ أي " رُبَّ شِعْرٍ " فدلت هذه الواو على كثرة شعره وغزارته ، وهو مع كثرته متناغم الصور، متلاحم البنية ، وَقِفْ متعجباً من ذلك الخيال السحري الذي لاءم بين تناسق صورته الشعرية وبين نور الروض وبهائه .

ثم قف متعجباً من خيالٍ استعان بصورة " الحزن - والسهل " ليظهر سهولة شعره وسلاسته .

فكل مقام يحزن ويعسر فيه الشعرُ ، تراه سرعان ماينبسط ، ويسهل أمام خيال الشاعر ، وبنى الشاعر هذه الصورة على الشرط " بإذا " ليدل على سرعة البسط ويجزم بتحقق وقوعه .

وبناء فعل الشرط ، وجوابه على أفعل التفضيل " أحزن- أسهل " مبالغة في الوصف ، فقوله " أحزنَ " مبالغة في وصف الطريق بشدة وعورة المسلك .

وقوله " أسهلا " مبالغة في وصف الطريق بالسهولة والبسط .

الشاهد الواحد والخمسون بعد الثلاثمائة : (*) (المنسرح)

• بشار :

زَوْرُ مُلُوكٍ عَلَيْهِ أُبَّهَــةٌ ∴ يَعْرِفُ (١) مِنْ شِعْرِهِ وَمِنْ خُطَبِهْ

لِلَّهِ مَا رَاحَ فِي جَوَانِحِهِ ∴ مِنْ لُؤْلُؤٍ لَا يَنَامُ (٢) عَنْ طَلَبِهْ

يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ لِلنَّدِيِّ كَمَا ∴ يَخْرُجُ (٣) ضَوْءُ السِّرَاجِ مِنْ لَهَبِهْ (٤)

والأبيات من قصيدة قالها حين نهاه الخليفة المهدي عن مغازلة النساء مـرة بعد مرة ،فوصف في هذه القصيدة حال وفائه وأنه لا يحتاج إلى تأكيد النَّهي ولا يتهم بعدم الامتثال .

ومطلع القصيدة :

يَا مَالِكَ النَّاسِ فِي مَسِيرِهِمُ ∴ وَفِي المَقَامِ المُطِيرِ مِنْ رَهَبِهْ

وقبل الشاهد :

يَصْدُقُ فِي دِينِهِ وَمَوْعِدِهِ ∴ نَعَمْ وَيَقْطَى النَّدَى عَلَى كَذِبِهْ

وبعد أبيات الشاهد :

يَقُومُ بِالقَوْمِ يَوْمَ جِئْتَهُمُ ∴ وَلَا يَخِيبُ الزُّوَّارُ فِي سَبَبِهْ

(*) الدلائل ،رضا : ٣٩٢ ،خفاجي : ٤٦٦ ،شاكر : ٥١٣ .

(١) رواية الديوان : " تَعْرِفُ " ،ورواية عيون الأخبار : " يُعرَفُ " بضم الياء .

(٢) رواية الديوان وعيون الأخبار : " لا يُنَامُ " بضم الياء أي لا يفتأون يطلبونه فيسهرون لأجل طلبه من شدة الرغبة فيه .

(٣) رواية الديوان وعيون الأخبار : " يَخْرُجْنَ " .

(٤) لم أجده إلَّا في :

الديوان : ١ / ١٨٤ .

عيون الأخبار : ٢ / ٥ / ١٨٢ .

في هذه الأبيات يفخر بشار بشعره ومتانته ، فهو زَورُ ملوك ، فزيارة الملوك لا تتسنى إلا لمن كان ضليعاً في قول الشعر .

وقوله " عليه أبهة " بتقديم المسند " الجار والمجرور " عليه " على المسند إليه " أبهة " ، للاهتمام به مبالغةً وادعاءً ، وهذا تأكيد لتعاليه وارتفاع مقامه وانظر إلى قوله (يُعرَفُ من شعره ومن خطبه) وكيف أراد أن يرفع بشعره غميزة نسبه ، ويغطي به ما يخامره من نقص ، فجعل الشهرة والمعرفة في الشعر والخطب لا في النسب إلى القبائل كما هو معروف عندهم .

وبعد هذا التعالي بالشعر جاء بصورتين يصف بهما ذلك الشعر ونفاسته ، فهو كاللؤلؤ المخبوء في باطن البحر والذي يجهد الناس في استخراجه ، ولا يفترون عن طلبه بل ويؤرقون أنفسهم للحصول عليه لشدة رغبتهم فيه .

وفي الصورة الثانية سجّل المعاناة التي تدور في نفسه عند صياغة شعره ، فجاء بصورة ضوء السراج ، ولهبه ليظهر لنا أن الشعر أصبح سهلاً عليه ، فهو ينبثق من نفسه تلقائياً كما يخرج السراج من اللهب .

الشاهد الثاني والخمسون بعد الثلاثمائة : (*) (الوافر)

• أبو شُرَيح العُمَير (١) :

فَإنْ أَهْلِكْ فَقَدْ أَبْقَيْتُ بَعْدِي .'. قَوَافِيَ تُعْجِبُ المُتَمَثِّلِينَا

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٣ ، خفاجي : ٤٦٧ ، شاكر : ٥١٣ .

(١) لم أقف على ترجمة له .

وقد ورد البيتان في البيان والتبيين ، وديوان المعاني من غير نسبة ، ونسبا في مجموعة المعاني لشاعر جاهلي .

ونسبهما ابن الشجري لابن ميادة – وهو الرّمّاح بن يزيد بن سراقة ، وميادة أمه – من شعراء الدولتين الأموية والعباسية – وكان شاعراً مجيداً ، انظر ترجمته : الشعر والشعراء : ٢/٧٧٥-٧٧٧ ، المؤتلف والمختلف : ١٢٤ ، الأغاني : =====

لَذِيذَاتِ النَّقَاطِعِ (١) مُحْكَمَاتٍ (٢) .·. لَوَأَنَّ الشِّعْرَ يُلْبَسُ لَارْتُدِينَا (٣)

يبدو أن بيتي أبي شريح ليس فيهما عمق ، ولا جدة ولا طرافة في التصوير ، حيث صور أشعاره مرة بالشيء الذي يؤكل ويلذ طعمه " لذيذات المقاطع " وصورها ثانية بالشيء الذي يلبس ـ وهذه صورة عامية قريبة قاحلة المعنى .

=== ٢ / ٢٦١-٢٦٠ ، ٣٤٠ سمط اللآلي : ١ / ٣٠٦ ، تاريخ ابن عساكر : ٥ / ٣٣١- ٣٣٤ ، الخزانة للبغدادي ـ دار صادر ـ : ١ / ٧٦-٧٧ ، والبيتان في ملحقات ديوانه ـ فيما نسب إليه وإلى غيره .

ولقد رأى الأستاذ شاكر في تحقيقه الدلائل ، أن نسبة ابن الشجري إنما هي سهو منه وخطأ ، ورجح أنه أخذها من البيان والتبيين ، فقد عقد الجاحظ باباً ذكر فيه أبياتاً ، ثم قال : وأنشدني لابن ميادة ، وذكر بيتاً من الشعر ، ثم أتبعه بقوله : وأنشد ، ثم ذكر البيتين ، فاختلط الأمر على ابن الشجري في نقله إلى حماسته / الدلائل ـ شاكر : ٥١٣ ، ونسب الأستاذ عبد السلام هارون البيتين في معجم شواهد العربية لعُمَير بن الحباب ، وهو عمير بن الحباب بن جعدة السلمي (٠٠٠-٧٠هـ) رأس القيسية في العراق ، وأحد الأبطال الدهاة ، كان ممن قاتل عبيد الله ابن زياد مع إبراهيم بن الأشتر ، ونشبت بينه وبين اليمانية ، وبني كلب وتغلب وقائع منها يوم (ماكسين) ، ويوم الثرثار الأول» ، ويوم الثرثار الثاني» ، وقُتل ابن الحباب في يوم الحشّاك ، قتله بنو تغلب ./ انظر ترجمته : معجم الشعراء للمرزباني : ٢٤٥ ، الموشح : ١٢٥ ، الأعلام : ٥ /٨٨ .

ونَسَب البيتان في ألف باء لحسان بن ثابت ، ولم أقف عليهما في ديوانه .

(١) رواية كتاب ألف باء : " رقيقات " .

(٢) رواية كتاب ألف باء : " القواطع " .

(٣) انظر البيتين في :

ديوان ابن ميادة : ٢٥٨-٢٥٩ ، رقم (١٠٥) ، البيان والتبيين : ١ / ٢٢٢ ، ديوان المعاني : ٨ ، حماسة ابن الشجري : ٢٣٨ ، كتاب ألف باء : ١ / ٥٧-٥٨ ، مجموعة المعاني : ١٧٨ .

الشاهد الثالث والخمسون بعد الثلاثمائة : (*) (الوافر)

الفرزدق :

بَلَغْنَ الشَّمْسَ حِينَ تَكُونُ شَرْقاً .·. وَمَسْقِطَ قَرْنِهَا مِنْ حَيْثُ غَابَا (١)

بِكُلِّ ثَنِيَّةٍ وَبِكُلِّ ثَغْرٍ .·. غَرَائِبُهُنَّ تَنْتَسِبُ انْتِسَابَا (٢) (٣)

والشاهد من قصيدة له يناقض بها جريراً .ومطلعها :

أَنَا ابْنُ العَاصِمِينَ بَنِي تَمِيمٍ .·. إِذَا مَاأَعْظَمُ الحَدَثَانِ نَابَا

وقبل الشاهد :

وَغُرٍّ قَدْ نَسَقْتَ مُشَهَّرَاتٍ .·. طَوَالِعَ لاَ تُطِيقُ لَهَا جَوَابَا (٤)

وبعد الشاهد :

وَخَالِي بِالنَّقَا تَرَكَ ابْنَ لَيْلَى .·. أَبَا الصَّهْبَاءِ مُحْتَفِزاً لِهَابَا

إن المتأمل في أبيات الفرزدق يشعر بتلك الروح المفعمة بالافتخار ،والاعتزاز بنتاجها الفكري المشرق ، هذه الحقيقة التي تمتلىء بها نفس الفرزدق ، وتفيض بها جوانحه تحتاج إلى مؤكدات لتقررها في نفوس السامعين ،شأنها في ذلك شأن الحقائق العظيمة والصفات الجليلة ، إلّا أن الفرزدق ضرب عن ذلك صفحاً ، زاعماً أن بلوغ قصائده مشرق الشمس ومغربها أمر مقرر في النفوس بداهة .

(*) الدلائل ،رضا : ٣٩٢ ،خفاجي : ٤٦٧ ،شاكر: ٥١٣-٥١٤ .

(١) رواية النقائض : " حَيْثُ تَكُونُ " .

(٢) رواية النقائض : " غَوَارِبُهُنَّ " .

(٣) لم أجد البيتين إلاّ في :

ديوانه : ١ / ١٠٤ .

نقائض جرير والفرزدق : ١ / ٤٧٦ .

(٤) أراد بالغر قصائده .

وانظر إلى روعة الصورة التى أبرزت حفاوة الشاعر بشعره فقصائده قد بلغت من السمو والعلو مقاعد الشمس، وبلغت من الانتشار والعموم كل ما يبلغه ضوء الشمس ويصل إليه على الدوام ، فقوله " ومسقط قرنها من حيث غابا " فيه إشارة إلى حركة الانتشار والذيوع ، فقصائده مصاحبة للشمس في رحلتها الدائبة ، ومع كل إشراقة شمس تبعث قصائده الإشراق والأنس في النفوس ، فقصائده تصاحب الشمس في دورتها، وشهرته تصاحب قصائده وترحل معها ، فقرن مع دورة الشمس دورة أخرى عجيبة هي في ظنه أوسع وأعم انتشاراً ، فما من ثنية ، وما من ثغر إلا وقد عمته نسبة القصائد إليه .

فقوله " تنتسب انتسابا " تأكيد بأن أمر نسبتها إليه أمر بديهي مسلم به ، فسامعها لا يبذل جهداً ولا يجد عناءً في معرفته .

وانظر إلى الباء في قوله " بكل ثنية ، وبكل ثغر " وكيف دلت على تمكن تلك النسبة من كل ثغر وكل ثنية وعمومها فيهما ولو أنه جاء (بالفاء) لما دلت على هذا التمكن .

الشاهد الرابع والخمسون بعد الثلاثمائة : (*) (الطويل)

ابن ميادة (١) :

فَجَرْنَا يَنَابِيعَ الكَلَامِ وَبَحْرَهُ .'. فَأَصْبَحَ فِيهِ ذَو الرِّوَايَةِ يَسْبَحُ
وَمَا الشِّعْرُ إِلَّا شِعْرُ قَيسٍ وَخِنْدِفٍ .'. وَشِعْرُ (٢) سِوَاهُمْ كُلْفَةٌ وَتَمَلُّحُ (٣)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٣ ، خفاجي : ٤٦٧ ، شاكر : ٥١٤ .

(١) سبقت ترجمته : ١١٥٣ .

(٢) رواية الديوان ، والرسالة الشافية : " وَقَوْلُ " .

(٣) انظر البيتين في :

ديوانه : ٩٧ ، الأغاني : ٢ / ٣٠٩ ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - الرسالة الشافية - : ١٣٦ .

وهما بيتان لا ثالث لهما ، قالهما حين اجتمع مع عِقال بن هاشم بباب الوليد ابن يزيد ، وكان عقال شديد الرأى في اليمن ، فغمز عقال ابن ميادة ، واعتلاه ، فقال ابن ميادة أبياته ، فأجابه عقال بأبيات(١) ستذكر بعد هذا الشاهد .

وقد أجاد ابن ميادة في اختيار صورة البحر والينابيع المتفجرة ، والسباحة في أعماقها للتعبير عن قصائده الشعرية ، فالبحر يشير إلى ما تمتلىء به عباراته من عمق الخيال وغزارته ، ومايحويه من أسرار عجيبة نادرة ، لا يكشف خبيئها النظرة السريعة العابرة .

وانظر إلى الفاء في قوله " فأصبح " وكيف دلت على تلهف وشوق أصحاب الرواية ، فهم حين رأوا تلك الينابيع الثرة الغزيرة أسرعوا يسبحون في أعماق معانيها شوقاً إلى افتضاض أسرارها .

ومجيء الجملة الفعلية " يسبح " دل على تجدد رغبتهم في السباحة ، لما وقعوا عليه من عجيب الأسرار ، فكلما أمعنوا النظر في هذه الأشعار تكشفت لهم معانٍ عجيبة تزيدهم شوقاً إلى تجديد البحث .

ثم أكد هذه الصورة عن طريق القصر بـ "ما وإلا" ليزيدها تقريراً في النفوس . فأثبت أن الشعر الحقيقي هو شعر قيس وخندف ، وأن شعر سواهم إنما هو مصطنع متكلف .

الشاهد الخامس والخمسون بعد الثلاثمائة : (*) (الطويل)

قال عقال بن هشام القيني(٢) - يرد على بيتي ابن ميادة السابقي الذكر - :

---

(١) الأغاني : ٢ / ٣٠٩ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٣ ، خفاجي : ٤٦٧ ، شاكر : ٥١٤ .

(٢) لم أقف على ترجمة له ، ولكن يفهم من خبره مع ابن ميادة الذي أورده أبوالفرج الأصفهاني - أنه من شعراء الدولتين الأموية والعباسية ، وقد لقي الوليد بن يزيد ، وكان عقال شديد الرأى في اليمن . / الأغاني : ٢ / ٣٠٩ .

أَلَا أَبْلِغِ الرَّمَّاحَ نَقْضَ مَقَالَةٍ ∴ بِهَا خَطِلَ الرَّمَّاحُ أَوْ كَانَ يَمْزَحُ (١)
لَقَدْ خَرَقَ الحَيُّ اليَمَانُونَ قَبْلَهُمْ ∴ بُحُورَ الكَلَامِ تُسْتَقَى وَهْيَ طُفَّحُ (٢)
وَهُمْ عَلَّمُوا مَنْ بَعْدَهُمْ فَتَعَلَّمُوا ∴ وَهُمْ أَعْرَبُوا هَذَا الكَلَامَ وَأَوْضَحُوا (٣)
فَلِلسَّابِقِينَ الفَضْلُ لَا تَجْحَدُونَهُ (٤) ∴ وَلَيْسَ لِمَسْبُوقٍ (٥) عَلَيْهِم تَبَجُّحُ (٦)

وذكر أبو الفرج الأصفهاني بيتاً بعد البيت الأول ، وهو :

لَئِنْ كَانَ فِي قَيْسٍ وَخِنْدِفَ أَلْسُنٌ ∴ طِوَالٌ وَشِعْرٌ سَائِرٌ لَيْسَ يُقْدَحُ

فابن عقال في أبياته هذه يَرُدّ على ابن ميادة ، وينقض مقالته السابقة ، فليس لقيس وخندف ماللبمانيين من الأشعار الغزيرة الطُفَّح التي يُستقى منها ، فلا ينضب معينها ، فهم أصحاب هذا العلم ورواده ، ولهم فضل السبق ، ولا يستطيع أحد أن يتبجح بسبقه .

فأبيات ابن عقال إذاً إنَّما جاءت لنقض مقالةٍ ، وإسقاط رأي ، ففيها من معاني التحدي مافيها ، لذا افتتحها بأداة الاستفتاح " ألا " هذه الأداة القوية الرنانة

---

(١) رواية الرسالة الشافية " كاد " ، وكذلك ذُكر في تحقيق الأغاني أنه ورد في عدد من المخطوطات : " كاد " بدلاً من " كان " .

(٢) رواية الأغاني : " وَهْيَ تَطْفَحُ " ، وعلق المحقق على رواية " طُفَّحُ " بأنه لا يوجد في كتب اللغة أنَّ طافحاً يجمع على طُفَّح ، ولكن علماء العربية يقولون : إن فُعَّلا يطرد جمعاً لفاعل متى كان وصفاً صحيح اللام نحو عاذل ، وعذل ، وشاهد وشهد .

(٣) رواية الرسالة الشافية " وقد " .

(٤) رواية الرسالة الشافية " لا تنكرونه " ،
رواية الأغاني والدلائل تحقيق شاكر : " لا يجحدونه " .

(٥) رواية الرسالة الشافية والأغاني : " وليس لمخلوق " .

(٦) لم أجدها فيما اطلعت عليه من مصادر إلَّا في :
الرسالة الشافية ـ ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن : ١٣٦-١٣٧ ،
الأغاني : ٢ / ٣٠٩ .

التي تستفتح نوافذ الحس ، وتوقظ غوافي الإدراك ، فتنبه الأسماع ، وتهيئ النفوس لتلقي ذلك النقض .

ثم نكر لفظ " مقالة " لتحقير هذه المقالة ، والتقليل من شأنها ، فهي مقالة واهنة مستركة .

واستمع إلى رنين الكلمات حين بدأت تقرر الحقائق " لَقَدْ خَرَقَ الحَيُّ اليَمَانُونَ " فاجتمع في العبارة أداتان من أدوات التوكيد " اللام ـ قد " ، ولفظ " خرق " ومافيه من شدة وقوة وتغلغل .

ثم تأمل لفظ " تُستقى " وماأحدثه في النفس من تعميق صورة شعرهم ، وإظهار غزارتها واتساعها فبناء الفعل للمجهول دل على كثرة السقاة وتوافدهم المستمر على بحور اليمانين لإرواء النفوس من معانيها العذبة ، وإرواء الخيال بصورها الخصبة .

وانظر إلى قوله " وهي طَفَّح " وكيف أكد وقرر غزارتها وعدم نُضوب معينهـا .

وتظل رنة الافتخار تعلو ويسمع صداها في تكرار الضمير " وهم علّموا ـ وهم أعربوا " فالشاعر يحس إحساساً عيقاً بفضلهم ومكانتهم ، فأبى إلا أن يسجل هذا الإحساس ويقرر لهم هذا الفضل .

ويأتي اسم الإشارة " هذا الكلام " مشيراً إلى شرف وفخامة علمهم .

وحذف المفعول به من الجملة " وأوضحوا " ليثبت وقوع عنوم الإيضاح منهم ، وشموله لكل لفظة ، وكل كلمة ، وهذا دليل على اتساع علمهم وتبحرهم .

الشاهد السادس والخمسون بعد الثلاثمائة : (*) (الطويل)

أبو تمام :

كَشَفْتَ قِنَاعَ الشِّعْرِ عَنْ حُرِّ وَجْهِهِ .·. وَطَيَّرْتَهُ عَنْ وَكْرِهِ وَهْوَ وَاقِعُ

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٤ ، خفاجي : ٤٦٧ ، شاكر : ٥١٤ .

يغُرّ يَرَاهَا مَنْ يَرَاهَــا بِسَمْعِهِ ∴ وَيَدْنو (١) إِلَيْهَا ذُو الحِجَى وَهْوَ شَاسِعُ

يَوَدّ وِدَاداً أَنّ أَعْضَاءَ جِسْــمِهِ ∴ إِذَا أُنْشِدَتْ شَوقاً إِلَيهَا مَسَامِعُ (٢)

وهو من قصيدة له يفخر بقومه ومطلعها :

أَلَا صَنَعَ البَيْنُ الّذِي هُوَ صَانِــعُ ∴ فَإِنْ تَكُ مِجْزَاعاً فَمَا البَيْنُ جَــازِعُ

وقبل الشاهد بيت متصل به وهو قوله :

فَكَمْ شَاعِرٍ قَدْ رَامَنِي فَقَذَعْتُــــهُ ∴ بِشِعْرِي فَأَمْسَى وَهْوَ خَزْيَانُ ضَارِعُ (٣)

إن أبيات أبي تمام هذه من حر الشعر وجيده ، فهي تزخر بالصور الكريمـــة الرائعـــة .

انظر إليه وقد كشف قناع الشعر عن أجمل وجوهه ، فكأن الشعر كان قبلـــــه محجوباً مستوراً ،فجاءت قصائده بحسن تراكيبها ،وحسن صياغتها ، وروعة خيالها ، فأظهرت وجوه جمال الشعر .

ثم تأمل الصورة الأخرى ، وهي صورة إبعاد الطير عن وكره وهذه الصورة مألوفـــة معروفة ،ولكن أبا تمام أضفى على هذه الصورة غرابة وطرافة بقوله " وهو واقـــع "

---

(١) رواية الديوان بشرح التبريزي : " فيدنو " بالفاء ويبدو لي أن رواية الفـــاء أجمل لأن الفاء تدل على سرعة استجابة السامع فيبادر لِتَوِّهِ إلى الدنو منهـــا .

(٢) ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٤ / ٥٩٠-٥٩١
لم أجده في ديوانه طبعة دار صعب .
كذلك لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر .

(٣) نقلاً عن الدلائل تحقيق رضا ولم أجد هذا البيت فـــي ديوانــــه ورأيت أن من الصـــواب إثباته لصلته الوثيقة بالشاهد لأن الضـــمير في البيـــت الأول من الشاهد (عن حر وجهه) يرجع إلى الشـــاعر. ولذا أثبتُّهُ .

فالغرابة في كون الطير طائراً واقعاً في نفس الوقت ، فقصائده طائرة إلى الأسماع واقعة متمكنة في قلب كل من تصل إلى سمعه .

وتأمل قوله " من يراها بسمعه " بسكون طائر ، وخفض جناح ، وتفريغ لب ، وجمع عقل ، فإنه تركيب رائع يصور دقة قصائده ، وبراعتها في الوصف والتجسيد ومهارتها في إيقاع كل كلمة موقعها في النفس والخيال حتى غدا السمع عيناً مبصرة .

وانظر إلى مهارته في رسم صورة المستمع لها :

" يدنو إليها ... وهو شاسع " ، فهذا الطباق كشف عن خيال أبي تمام البارع ، فمن هذه المتناقضات ولد صورة اللهفة والشوق لقصائده ، وحين يكون الشوق والتلهف من أصحاب العقول والحجى ، تكون تلك القصائد في الدرجة المتناهية من علو الطبقة .

وقف وتأمل كيف وصف إعجاب المنصتين بها بقوله : " يود ودادا " .

فالمستمع وصل إلى قمة الطرب النفسي ، والانسجام الخيالي فجمحت رغبته وهي تلح إلحاحاً في أن تتحول أعضاء جسمه كلها مسامع تصغى إلى حلو القول وعذب الحديث ، فتأنس وتطرب .

وصياغة الكلام عن طريق الشرط (بإذا) وبناء فعل الشرط " أُنشدت " للمجهول دل على أنه كلما أُنشدت قصائده زادت في نفسه هزة الطرب ، والفصل بين الشرط وجوابه بقوله " شوقاً إليها " إثبات وتأكيد لشدة الشوق وحرارته .

الشاهد السابع والخمسون بعد الثلاثمائة : (*) (الكامل)

أبو تمام :

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٤ ، خفاجي : ٤٦٨ ، شاكر : ٥١٥ .

حَذّاءَ تَمْلأُ كُلَّ أُذْنٍ حِكْمَةً (١) .:. وَبَلاغَةً وَتُدِرُّ (٢) كُلَّ وَرِيدِ (٣)

كالدُّرِّ والمَرْجَانِ أُلِّفَ نَظْمُهُ .:. بِالشَّذْرِ (٤) في عُنُقِ الفَتَاةِ (٥) الرُّودِ (٦)

كَشَقِيقَةِ البُرْدِ المُنَمْنَمِ (٧) وَشْيُهُ .:. في أَرْضِ مَهْرَةَ أَوْ بِلَادِ تَزِيدِ (٨)

يُعْطِي بِهَا البُشْرَى الكَرِيمُ وَيَرْتَدِي .:. بِرِدَائِهَا في المَحْفِلِ المَشْهُودِ

بُشْرَى الغَنِيِّ أَبِي البَنَاتِ تَتَابَعَتْ .:. بُشَرَاؤُهُ بِالفَارِسِ المَوْلُودِ (٩)

---

(١) الحذّاء : القارصة أو الطاعنة/ اللسان " حذا " : ١٤/ ١٧١-١٧٢ .

(٢) الدَّرُّ من دَرَّ اللبنُ والدمعُ ونحوهما يَدِرُّ ويَدُرُّ دَرًّا ودُروراً ، وكذلك الناقة إذا حُلِبَتْ فأقبل منها على الحالب شيء كثير قيل : درت . / اللسان : " درر " : ٤/ ٢٧٩ .

(٣) الوريد : هو كل عرق ينبض في جسم الإنسان/ اللسان " ورد " : ٣/ ٤٥٩ .

(٤) المقصود بالشذر هنا ، ما يلقط من الذهب من المَعْدِن من غير إذابة الحجارة . / مختار الصحاح " شذر " : ٣٣٣ .

(٥) رواية الديوان : " في عنق الكعاب الرود " .

(٦) الرود : الجارية الناعمة ، أو هي الفتاة التي تطوف في بيوت جاراتها والمقصود المعنى الأول . / اللسان " ورد " : ٣ / ١٨٨ .

(٧) رواية ثمار القلوب : " المسّهم " .

(٨) برود ومهرة وتزيد يُضرب بها المثل كما يضرب ببرود اليمن ، والعرب تنسب البرود الفاخرة إلى تزيد ، وتزعم أنها قبيلة للجن ./ ثمار القلوب : ٢/ ٥٩٨ ، وقيل : إن مَهرة - بالفتح - ، وتزيد حي من عرب اليمن من قضاعة تُنسب إليهم الإبل المهرية ، والبرود ذات الخطوط الحمر ، وقالوا تُنسب الإبل المهاري إلى مَهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، وقالوا : تزيد بن الحاف ابن قضاعة ، وإليه تنسب البرود التزيدية ، وغلط في القاموس ، فقال : تزيد بن حلوان ، كما غلط من قال : ابن حيدان فهو عم مَهرة لا أخوه ./ انظر : اللسان " مهر " : ٥/ ١٨٦ ، القاموس المحيط : " زيد " : ١/ ٣١٠ ، الدلائل - تحقيق رضا - : ٣٩٤ .

(٩) ديوانه - دار صعب - : ٧٧ ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : ٢/ ٥٩٨ ، المثل السائر : ١/ ١٣١ - البيت الأول فقط - ، ٢/ ١٥٠ البيت الثاني فقط مع بيت آخر لم يذكر ضمن أبيات الشاهد ، وإن كان وثيق الصلة بها ، - وسيأتي ذكره - .

والأبيات من قصيدته التي قالها في مدح أبي عبد الله أحمد بن أبي دواد ، ويستشفع بخالد بن يزيد ،(١) ومطلعها :

أَرَأَيْتَ أَيَّ سَوَالِفٍ وَخُدُودِ ∴ عَنَّتْ لَنَا بَيْنَ اللِّوَى فَزَرُودِ

وقبل أبيات الشاهد :

خُذْهَا مُثَقَّفَةَ القَوَافِي رَبُّهَا ∴ لِسَوَابِغِ النَّعْمَاءِ غَيْرُ كَنُودِ (٢)

وبعد الشاهد :

كَرُقَى الأَسَاوِدِ وَالأَرَاقِمِ طَالَمَا ∴ نَزَعَتْ حُماتِ سَخَائِمٍ وَحُقُودِ

ولقد أورد ابن الأثير بعض أبيات الشاهد في موضعين : فذكر البيت الأول من الشاهد عند حديثه عن حل الأبيات الشعرية حيث قسم الموضوع ثلاثة أقسام ، وجعل الشاهد من القسم الثاني، وهو أن يُنثر المعنى المنظوم ببعض ألفاظه ويعزَ عن البعض بألفاظ أُخر ورأى أن أجمل ما في البيت قوله :

" تملأ كلَّ أُذْنٍ حِكْمَةً " وهو عنده من الكلام الحسن الذي إن أُريد نثره لم يمكن إلا باستعمال ذات لفظه؛ لأنه في الغاية القصوى من الفصاحة والبلاغة ، فينبغي مؤاخاته بمثله، وهذا عسر جداً، وهو أصعب مثالاً من نثر الشعر بغير لفظه ؛ لأنه مسلك مضيّق ؛ لما فيه من التعرض لمماثلة ما هو في غاية الحسن والجودة (٣)

أما البيت الثاني من أبيات الشاهد فقد أورده في القسم الثالث من التشبيه وهو تشبيه المفرد بالمركب. (٤)

لقد أجاد أبو تمام في استثمار اللغة تركيباً وتصويراً ونغماً ، فأبياته هذه تزخر بالصور الحية التي تبرز فخر الشاعر واعتزازه بقوة شعره ، وجزالته وفخامة صياغته ،

---

(١) هو خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني ، وقد مضت ترجمته : ٤٢٣ .

(٢) الديوان : ٧٧.

(٣) المثل السائر : ٢ / ١٥٠.

(٤) المثل السائر: ١ / ١٣٠-١٣١.

وتنوع أغراضـه ، فقصائده " حَذّاء " تطعن كل شعر قيل وتفنيـه .

وحذف المسند إليه ، وابتدأ البيت بالمسند ، لأن الموقف هنا يتطلب نوعـاً من السرعة والعجلة ، فصورة الطعن والفناء تحتاج إلى سرعة وخفة في الحركـة ، والحذف هنا ناسب هذه الخفة وساعد في إبرازها .

وقصائده كذلك تحمل من كرائم المعاني ، ونادر الأساليب مايملأالآذان حكمة وبلاغـة .

وقوله " وتدركل وريد " أظهر جمال قصائده ومدى تأثيرها في النفـوس ، فهي تبعث الحياة في نفس كل من استمع إليها .

ثم أخذ يصور قصائده في تلاحم بنائها وانسجام كلماتها بالعقد المنظم مـن الدر والمرجان ، وقد أُلِّف بين جوهره بالشّذر ، وزاد الصورة جمالاً حين جعـل هذا العقد معروضاً في عنق الفتاة الناعمة المتمايلة دلالاً .

ثم أعقب هذه الصورة بصورة أخرى يأنس لها الذوق العربي ، ففي قصـائده من التحسين والتنقيح ، ولباقة الصنعة وطرافة الخيال ، مايجعلها كالبرود المنقوشة نقشاً دقيقاً محكماً ، والمزدانة بالتصاوير والألوان الجميلة ، وفي تقييد هـذه البرود بكونها من بلاد مَهرة أو بلاد تزيد دليل على نفاستها وندرتها ودقتهـا ، لأن بلاد " مَهرة " وبلاد " تزيد " أشهر بلاد تصنع فيها هذه البرود ، وقصائـده قَدَمُ خَيرٍ يأنس بها الناس ، فهي حافز للكريم يدفعه للعطاء والسخاء ، فقولـه " يُعطى بها البشرى " فقدم الجار والمجرور تعظيماً لها ، وسمى العطايا " بُشرى " لوفرتها وكثرتها ، فهي عطايا كثيرة تستبشر بها النفس ، ويهش لها الفؤاد ، ثـم رسم صورة رائعة لتلك البُشرى فهي بُشرى غني يملك الأموال الطائلة ، وليس عنده إلا البنات ، فهو دائم القلق والتفكير كثير الاضطراب والخوف من ضياع ماله وبينما هو في هذه الحال ، يسرع إليه المبشرون يبشرونه بذلك الفارس المنتظر ، فما عسـاها أن تكون فرحته ؟ ! وكيف عساها أن تكون عطاياه ؟ !

وهذه القصائد لفخامتها وعظمها أعلت من ذكر هذا الكريم وعظّمت من شـأنه فجعلته يرتدي رداء الفخر والعظمة في المحافل المشهودة .

الشاهد الثامن والخمسون بعد الثلاثمائة : (*) (الكامل)

أبو تمام :

جَاءَتْكَ مِنْ نَظْمِ اللّسَانِ قِلَادَةٌ ∴ سِمْطَانِ فِيهَا اللُّؤْلُؤُ المَكْنُـــونُ
أَحْذَاكَهَا (١) صَنَعُ الضَّمِيرِ (٢) يَمُدُّهُ ∴ جَفْرٌ (٣) إِذَا نَضَبَ الكَلَامُ مَعِينُ (٤) (٥)

وهو من قصيدة يمدح بها الواثق بالله (٦)، ومطلعها :

وَأَبِي المَنَازِلِ إِنَّهَا لَشُجُونُ ∴ وَعَلَى العَجُومَةِ إِنَّهَا لَتَبِيـــنُ

وقبل بيت الشاهد الأول :

مَافَوْقَ مَجْدِكَ مُرْتَقَى مَجْدٍ وَلَا ∴ كُلُّ افْتِخَارٍ دُونَ فَخْرِكَ دُونُ

وقبل بيت الشاهد الثاني أبيات ، وثيقة الصلة بالبيتين، وهي :

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٥ ، خفاجي : ٤٦٨ ، شاكر: ٥١٥ .

(١) أحذاكها : أعطاكها . / اللسان " حذا " : ١٤ / ١٧٠ .

(٢) رواية الديوان بشرح الخطيب التبريزي : " صَنَعَ اللِّسَانِ " .
والصَّنَع والصِّنْعُ : الصَّانع الحاذق الماهر . / اللسان " صنع " : ٨ / ٢٠٩ .

(٣) الجَفْر : البئر الواسعة التي لم تُطْوَ . / اللسان " جفر " : ٤ / ١٤٣ .

(٤) معين : الماء الذي يجري على وجه الأرض ، وقيل الماء العذب الغزير ، وقال الخطيب التبريزي : و " المعين " الذي يجري على وجه الأرض ، وقد كَثُرَ ذلك حتى صار الناس يُسَمّون الماء الذي يُستقَى من الآبار معيناً ؛ لأنه ينبع من الأرض ، فيفرقون بينه ، وبين المختزن من ماء المطر وغيره / انظر :
اللسان " معن " : ١٣ / ٤١٠ ، ديوان أبي تمام بشرح الخطيب : ٣ / ٣٣١ .

(٥) انظر البيتين في :
ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٣٢٨-٣٣١ ، ديوانه - دار صعب - : ٢٩٣ ، زهر الآداب : ٣ / ٦٦٢ .

(٦) سبقت ترجمته : ٩٧٤

حُذِيَتْ حِذَاءَ الحَضْرَمِيَّةِ أُرْهِفَتْ (١) .·. وَأَجَادَهَا التَّخْصِيرُ (٢) وَالتَّلْسِينُ (٣)

إِنْسِيَّةٌ (٤) وَحْشِيَّةٌ (٥) كَثُرَتْ بِهَا .·. حَرَكَاتُ أَهْلِ الأَرْضِ وَهْيَ سُكُونُ

يَنْبُوعُهَا خَضِلٌ وَحَلْيُ قَرِيضِهَا .·. حَلْيُ الهَدِيِّ وَنَسْجُهَا مَوْضُونُ (٦)

أَمَّا المَعَانِي فَهْيَ أَبْكَارٌ إِذَا .·. نُصَّتْ وَلَكِنَّ القَوَافِي عُونُ (٧)

---

(١) يعني بالحضرمية " النِّعَال " نسبها إلى حضرموت ، ربما لأنها أشهر النِّعال - والمعنى أنّ هذه الأبيات يشبه بعضها بعضاً كما أن النَّعْل المحذوة تُشاكل أختها ، فلا تزيد عليها ، ولا تنقص دونها ، وهو من حذا النَّعل حَذْواً ، وحِذاءً قَدَّرها ، وقَطَعَها على مثال ، أي تقطع إحدى النعلين على قدر الأخرى / انظر :

ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٣٢٨-٣٢٩ ، اللسان " حذا " : ١٤ / ١٦٩ .

(٢) التخصير : خَصْرُ النَّعلِ ما استدقَّ من قدّام الأذنين منها ، ونَعْلٌ مُخَصَّرَة لها خصران ، والتخصير هنا بمعنى التدقيق . / انظر :

ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٣٢٨ ، اللسان " خصر " : ٤ / ٢٤١ ،

(٣) التلسين : مُلسنة إذا كانت تَسْتَدِقُّ من طَرَفها الذي يلي الأصابع ، والتَّلَسُّنُ من النِّعَالِ الذي فيه طول ولطافة على هيئة اللسان . / ديوانه بشرح الخطيب : ٣ / ٣٢٨ ، اللسان " لسن " : ١٣ / ٣٨٧ .

(٤) إنسية : أي أن القلوب تأنس برواياتها ، أو أنّ الناس يؤنس بعضهم بعضاً بها ، أو المقصود أنها من صنع الإنس / انظر :

ديوانه بشرح التبريزي : ٣ / ٣٢٩ .

(٥) وحشية : أي ترود في البلاد كما ترود الوحوش ، أو أنه يُتعذر الإتيان بمثلها كما يُتعذر اصطياد الوحوش . / ديوانه شرح التبريزي : ٣ / ٣٢٩ .

(٦) الموضون : المنسوج نسجاً متقارباً كنسج الدروع والسرير بالذهب ، أو المثني بعضه على بعض . / انظر : ديوانه شرح التبريزي : ٣ / ٣٣٠ ، اللسان " وضن " : ١٣ / ٤٥٠ .

(٧) عُونَ : جمع عَوان ، وهي التي ولدت مرة بعد مرة ، أي أن القوافي يشترك فيها الشعراء ، ولكن المعاني التي أتى بها أبكار لم يُسبق إليها . / انظر :

ديوانه بشرح التبريزي : ٣ / ٣٣٠ ، اللسان " عون " : ١٣ / ٢٩٩ .

في هذين البيتين شبه أبو تمام القصيدة في نظمها بنظم قلادة اللؤلؤ ، وقد زاد هذه القلادة جمالاً بأن جعلها سمطين .

وبوصفه اللؤلؤ بأنه مكنون زاد المعنى دلالة وعمقاً ، فقصائده لا يذهب رونقها بقدمها بل إنها كلما قدم بها العهد ازدادت نفاسة شأنها ، شأن اللؤلؤ كلما تقدم ، ومضى عليه الزمان ازدادت قيمته ، وغلا ثمنه .

وبعد أن مكن في النفوس الإعجاب بشعره ، أخذ يلفتها إلى ذاته الشاعرة ، فأخذ يفخر بنفسه " أحذاكها صنع الضمير " واختار لفظ " صنع " وهي كلمة تفيد المبالغة لأن معناها الحاذق ، ليبصر النفوس بدقته وحذقه ، فهو متمكن من صنعته خبير بدقائقها وأسرارها ، وهو حاذقٌ ماهرٌ ثر المعاني خصب الخيال غزير الفكر لا ينضب معينه .

وبناء الكلام على الشرط (بإذا) وتقديم جواب الشرط ، تأكيد وجزم على أنه دائم المد والعطاء .

وإضافة " صنع " إلى الضمير " دليل على أن قصائده ليست مجرد ألفاظ راكدة لا حياة فيها ولا شعور ، إنما هي وليدة إحساس جياش ، ودخيلة صادقة .

الشاهد التاسع والخمسون بعد الثلاثمائة : (*) (الكامل)

قول أبي حية : (١)

صَنَعُ اللِّسَانِ بِهِنَّ لاَ أَتَنَحَّلُ . (٢)

استشهد به الشيخ على أن قول أبي تمام السابق " أحذاكها صَنع الضمير " مأخوذ من قول أبي حية " صنع اللسان " ، إلا أنه نقله إلى الضمير .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٥ ، خفاجي : ٤٦٨ ، شاكر : ٥١٥ .

(١) هو أبو حية النميري .

(٢) لم أقف عليه في ديوانه الذي جمعه : رحيم صخي التويلي .

الشاهد الستون بعد الثلاثمائة : (*) (البسيط)

حسان :

أَهْدَى لَهُم مِدَحاً (١) قَلْبٌ مُؤَازِرُهُ (٢) ∴ فِيمَا أَحَبَّ (٣) لِسَانٌ حَائِكٌ (٤) صَنَعُ (٥)

وهو من قصيدته التي عارض بها الزبرقان بن بدر (٦)، ومطلعها :

إِنَّ الذَّوَائِبَ مِنْ فِهْرٍ وَإِخْوَتِهِمْ ∴ قَدْ بَيَّنُوا سُنَّةً لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ

وقبل الشاهد :

أَكْرِمْ بِقَوْمٍ رَسُولُ اللَّهِ شِيعَتُهُمْ ∴ إِذَا تَفَرَّقَتِ الأَهْوَاءُ وَالشِّيَعُ

وبعده :

فَإِنَّهُمْ أَفْضَلُ الأَحْيَاءِ كُلِّهِمُ ∴ إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ القَوْلِ أَوْ شَمَعُوا (٧)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٥ ، خفاجي : ٤٦٩ ، شاكر : ٥١٥ .

(١) رواية الديوان والبيان والتبيين واللسان : " مِدَحِي "

(٢) رواية الديوان والبيان والتبيين واللسان " يُؤَازِرُهُ " .

(٣) رواية الديوان : " فيما يُحِبُّ " ، ورواية اللسان : " فيما أراد " .

(٤) حائك : الحائك النسَّاج وحاك الشعر حوكاً : نسجه ولاءم بين أجزائه كما يصنع الحائك / اللسان " حوك - حيك " : ١ / ٤١٨ ، وذكر محقق البيان والتبيين أنه ورد في إحدى المخطوطات " خائط " بدل حائك وهو تحريف .

(٥) لم أجد البيت فيما اطلعت عليه من مصادر إلَّا في :
ديوانه : ١٤٦ .
البيان والتبيين : ٣ / ٢٦٢ ، اللسان " صنع " : ٨ / ٢١٠ .

(٦) سبقت ترجمته : ٢٦٨ .

(٧) شمعوا : مزحوا ولعبوا / اللسان " شمع " : ٨ / ١٨٦ .

استشهد به الشيخ للتنظير ،فحسان قد استعمل لفظ "صنع" وجعله للسان .

الشاهد الواحد والستون بعد الثلاثمائة : (*) (الطويل)

ولأبي تمام :

إِلَيْكَ أَرَحْنَا(١) عَازِبَ(٢) الشِّعْرِ بَعْدَمَا .·. تَمَهَّلَ فِي رَوْضِ المَعَانِي العَجَائِبِ

غَرَائِبُ لَاقَتْ فِي فِنَائِكَ أُنْسَهَا .·. مِنَ المَجْدِ فَهْيَ الآنَ غَيْرُ غَرَائِبِ

وَلَوْ كَانَ يَفْنَى الشِّعْرُ أَفْنَاهُ مَاقَرَتْ(٣) .·. حِيَاضُكَ مِنْهُ فِي السِّنِينِ(٤) الذَّوَاهِبِ

وَلَكِنَّهُ صَوبُ(٥) العُقُولِ إِذَا انْجَلَتْ .·. سَحَائِبُ مِنْهُ أُعْقِبَتْ بِسَحَائِبِ (٦)

والأبيات من قصيدة له يمدح بها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي(٧) ومطلعها :

عَلَى مِثْلِهَا مِنْ أَرْبُعٍ وَمَلَاعِبِ .·. أُذِيلَتْ مَصُونَاتُ الدُّمُوعِ السَّوَاكِبِ

(*) الدلائل ،رضا : ٣٩٥ ،خفاجي : ٤٦٩ ،شاكر : ٥١٦ .

(١) أرحنا : أراح الإبل إذا ردها إلى مراحها الذي تبيت فيه بعد غروب الشمس . / اللسان " روح " : ٢ / ٤٦٤ .

(٢) عازب : العازب من الإبل التي خرج بها صاحبها للرعي بعيداً عن ديار الحي / اللسان " عزب " : ١ / ٥٩٧ .

(٣) قرت : جمعت / اللسان " قرا " : ١٥ / ١٧٨ .

(٤) رواية الديوان والإبانة عن سرقات المتنبي : " في العصور الذواهب "

(٥) الصوب : المطر ،ورواية الإبانة : " فيض العقول " .

(٦) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :

ديوانه دار صعب : ٤٣ .

الموازنة : ٩٢ ،البيت الرابع فقط .

الإبانة عن سرقات المتنبي : ٢٦٧-٢٦٨ البيت الثالث والرابع .

(٧) سبقت ترجمته : ١٠٠٩

وقبل الشـــاهد :

فَأَنْتَ لَدَيـهِ حَاضِرٌ غَيْرَ حَاضِـرٍ ∴ بِذِكْرٍ وَعَنْهُ غَائِـبٌ غَيْرَ غَائِبِ (١)

وبعد الشاهد :

أَقُولُ لِأَصْحَابِي هُوَ القَاسِمُ الَّـذِي ∴ بِهِ شَـرِحَ الجُودُ التباسَ المَذَاهِبِ

وَإِنِّي لَأَرْجُو عَاجِلاً أَنْ تَرُدَّ نِـــي ∴ مَوَاهِبُـهُ بَحْراً تُرَجَّى مَوَاهِـبِي

إن صورة الراعي الذي يعود ليلاً بإبله ، وقد تغذت من طيب المراعي صـــورة مألوفة متداولة إلّا أن أبا تمام أخذها ، وصاغها صياغة تدل على خصب خياله حيث أضاف لفظ " عازب " إلى " الشعر " وهذه الإضافة أكسبت الصورة جدة وطرافـة ، وصورت عناية أبي تمام بانتقاء تراكيبه ، وغرامه باختيار صوره ، فهو لا يصدر الشـعر إلا بعد أن يعزب به بعيداً في مراعي خياله وروض معانيه ، ثم يعود به إلـــى الممدوح وقد تغذى بروائع المعاني والصور.

ومن جيد المديح أنه قصر هذه المعاني التي أمرعت. على الممدوح وحـــده دون غيره وأنه هو الحقيق بها مبالغة وادعاء ، فقدم الجار والمجرور " إليـــك " على متعلقه " أرحنا " وتقديم الجار والمجرور هذا قد ربط كل حلقات المعاني التي زخرت بها صور أبي تمام .

ويزداد أبو تمام احتفالاً بصورته ، فجعل المعاني تـائهة غريبة في نفســـه حتى تلاقت مع معنى المجد في رحاب صفات الممدوح ، فكان الأنس وكان التراحـم .

ومازال أبو تمام يترقّى بالمعنى ويسمو به ، ويزيد في تأصيله وَيَفْتَنُّ في الإبانـــة عنه حيث أوضح لنا أن تلك القصائد لا ينضب معينها ، لأنها تُروى من عقول تفيـــض بالمعاني .

وانظر إليه كيف صور تدفق تلك المعاني في مخيلته بالسحائب المثقلة بالأمطار ، وجعل هذه السحائب متتابعة لا ينقطـع ماؤها ، وما أبرعه حين بنى صورته على الشـــرط " بإذا " ليدل على تتابع تلك السحائب وتعاقبها ، ويجزم بعدم انقطاعها .

---

(١) الضمير يعود للخليفة المعتصم .

الشاهد الثاني والستون بعد الثلاثمائة : (*) (الطويل)

البحتري :

أَلَسْتَ المَوَالِي فِيكَ نَظْمَ (١) قَصَائِدٍ .·. هِيَ الأَنْجُمُ اقْتَادَتْ (٢) مَعَ اللَّيلِ أَنْجُمَا
ثَنَاءً (٣) كَأَنَّ (٤) الرَّوضَ مِنْهُ (٥) مُنَوَّرًا (٦) .·. ضُحىً وَكَأَنَّ الوَشْيَ مِنْهُ مُنَمْنَمَا (٧)

وهو من قصيدة له يمدح بها الفتح بن خاقان مطلعها :

يَهُونُ عَلَيهَا أَنْ أَبِيتَ مُتَيَّمَا .·. أُعَالِجُ شَوقاً (٨) فِي الضَّمِيرِ مُكَتَّمَا

وقبل الشاهد :

أُعِيذُكَ أَنْ أَخْشَاكَ مِنْ غَيرِ حَادِثٍ .·. تَبَيَّنَ أَوْ جُرْمٍ إِلَيكَ تَقَدَّمَا

وبعد الشاهد :

وَلَوْ (٩) أَنَّنِي وَقَّرْتُ شِعْرِي وَقَارَهُ .·. وَأَجْلَلْتُ مَدْحِي فِيكَ أَنْ يَتَهَضَّمَا

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٦ ، خفاجي : ٤٦٩ ، شاكر : ٥١٦ .

(١) رواية الديوان ، ورواية العمدة : " أَلَسْتُ المَوَالِي فِيكَ غُرَّ قَصَائِدٍ " .

(٢) اقتادت : تلألأت / اللسان " وقد " : ٣ / ٤٦٦ .

(٣) رواية زهر الآداب : " ثَنَاءً تَخَالُ " .

(٤) رواية زهر الآداب : " وَتَخَالُ الوَشْيَ " .

(٥) رواية زهر الآداب والعمدة والتشبيهات : " فيه " .

(٦) رواية الديوان والتشبيهات : " مُسَهَّمَا " ومعناه : المخطط بخطوطٍ كالسهام / معجم مقاييس اللغة " سهم " : ٣ / ١١١ .

(٧) انظر البيتين في :
ديوانه - بيروت - : ١ / ١٠٩ - ١١٠ ، ديوانه - صيرفي - : ٣ / ١٩٨٤ ، التشبيهات : ٢٢٧ ، ديوان المعاني : ٢٢٠ ، البيت الأول فقط .
زهر الآداب : ٣ / ٦٥٦ .
العمدة : ٢ / ١٦١ .

(٨) رواية الديوان - صيرفي - : " وَجْداً " .

(٩) رواية الديوان - صيرفي - : " فلو " .

لَأَكْبَرْتَ أَنْ أُومِي إِلَيْكَ بِإِصْبَعٍ .·. تَضَرَّعُ أَوْ أَدْنِي لِمَعْذِرَةٍ فَمَا

ذكر ابن رشيق القيرواني أن بيتي البحتري من أحسن أبيات العتاب وأجودها قال :

" العتاب - وإن كان حياة المودة ، وشاهد الوفاء - فإنه باب من أبواب الخديعة يسرع إلى الهجاء ، وسبب وكيد من أسباب القطيعة والجفاء ، فإذا قل كان داعية الألفة ، وقيد الصحبة وإذا كثر خشن جانبه وثقل صاحبه ، وأحسن الناس طريقاً في عتاب الأشراف شيخ الصناعة وسيد الجماعة أبو عبادة البحتري الذي يقول . . . الأبيات " (١)

وذكر القيرواني في زهر الآداب خبراً عن الحاتمي يتضمن موازنة بين أبي تمام والبحتري ، حيث فضل أحدهم بيتي البحتري ورآها من حسن الانتهاء الذي ليس لأبي تمام مثلها ، أما الحاتمي فرأى أن بيتي البحتري مأخوذان من أبي تمام فقوله :

" وتخال الوشيَ فيه منمنما " مأخوذ من قول أبي تمام :

حَلَّوا بِهَا عُقَدَ النَّسِيبِ وَنَمْنَمُوا .·. مِنْ وَشْيِهَا نَثْرًا لَهَا وَقَصِيدًا (٢)

وقول البحتري : " هِيَ الأَنْجُمُ اقْتَادَتْ مَعَ اللَّيْلِ أَنْجُمَا "

مأخوذ من قول أبي تمام مقصراً عنه كل تقصير عن استيفاء إحسانه حيث يقول :

أَصِخْ تَسْتَمِعْ حُرَّ القَوَافِي فَإِنَّهَا .·. كَوَاكِبُ إِلَّا أَنَّهُنَّ سُعُودُ

وَلَا تُنْكِنِ الأَخْلَاقَ مِنْهَا فَإِنَّمَا .·. يَلَذُّ لِبَاسُ البُرْدِ وَهُوَ جَدِيدُ (٣) (٤)

---

(١) العمدة : ٢ / ١٦٠ .

(٢) رواية الديوان - دار صعب - : " رَجَزًا بِهَا " .
وهو من قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد الشيباني .

(٣) لم أقف عليه في ديوانه - دار صعب - ، وديوانه بشرح التبريزي .

(٤) انظر الخبر مفصلاً في :
زهر الآداب : ٣ / ٦٥٥-٦٥٨ .

في هذين البيتين تظهر قدرة البحتري على استثمار الأحوال اللغوية ، استثماراً يجعلها حافلةً غنية بالمعاني الرائعة ، فهمزة الاستفهام التي افتتح بها معناه حملت كل معاني العتاب والاستعطاف .

وقوله " قصائد " بالجمع والتنكير دلّ على عظم تلك القصائد وكثرتها وندرتها ، ثم أخذ الشاعر ينطلق مع إحساسه وشعوره بروعة معانيه ، فأكد للخيال بأنها لجمالها ووضوحها وإنارتها جوانح النفوس بمعانيها الثَرّة هي الأنجم المُقتّد بها . فأل الجنسية في قوله " الأنجم " قصرت جنس النجوم عليها وحدها ، ولم يعتد بنجوم الليل الحقيقية مبالغةً وادعاء .

ويأبى خيال البحتري إلا أن يزيد النفس طرباً ، فجاء بقوله : " اقتادت مع الليل أنجما " وهو تصوير خيالي بارع لا تملك النفس حياله إلّا أن تقف مسحورة بتلك القصائد التي تلألأت معانيها ووضحت صورها كما تتلألأ نجوم الليل .

وهنا أحس البحتري أنّ المعنى قد بلغ مداه وتمكن في النفس ، فقطع واستأنف معنى جديداً هو معقد كلام الشاعر ، فما المبالغة في وصف قصائده إلا خدمة لهذا المعنى الذي تعمر به نفسه ، فحذف المسند إليه ، وجاء بالمسند " ثناء " ولم يقل " هي ثناء " ؛ لأن المقام مقام مدح وإطراء ، والشاعر تعج نفسه بالولاء لذلك الممدوح ، فأراد أن يسرع بتقديم قرابين الوفاء . فكان الحذف ، وكان الكشف عن صورة ذلك الولاء النفسي .

ويجول بنا خيال الشاعر في أعماق ذلك الولاء ، فيمدنا بصورتين تُبرز عظيم الثناء . وتعمّد أن يبنيها على التشبيه المقلوب مبالغة في المدح .

فاستعن بخيالك وتأمل قوله " ثناء كأن الروض منه منوراً ضحى " فما تحمله قصائده من عظيم الثناء ، وبالغ المدح ، وكريم الصفات بعث روح الاطمئنان والسرور في الكائنات ، فأيقنت أنه سيعمها فضل ذلك الممدوح ، فانتعشت ودبت فيها الحياة ، فها هو ذا الروض قد استمد نور الوجود من ذلك الثناء ، فاخضّر وأينع سروراً وطرباً وما أبرع ذلك الخيال حين قيد صورة الروض بوقت الضحى مبالغة

في بيان ذلك التأثير ، فهو خيال ذكي أدرك حقائق العلاقات الطبيعية، فالضحى أشد الأوقات إنارة ، وهذه الإنارة أشد تأثيراً في إحياء الروض .

ثم جاء بصورة الوشي المنمنم ، وجعل صانع الوشي يقف مفتنّاً متأملاً دقة قصائده ، مبهوراً بحسن تصويرها ودقة تراكيبها ، فاستقى منها خياله ما استقى فكأن الوشي المنمنم إنَّما هو من وحي قصائده .

وبهذا التشبيه المقلوب خرج البحتري عن عادة الشعراء في تشبيه الشعر بالروض وتشبيه دقته وحسنه بالوشي المنمنم ، فاكتست صورته ثوباً أجد .

الشاهد الثالث والستون بعد الثلاثمائة : (*) (البسيط)

قال البحتري :

أَحْسِنْ أَبَا حَسَنٍ بِالشِّعْرِ إِذْ جَعَلَتْ ∴ عَلَيْكَ أَنْجُمُهُ بِالْمَدْحِ تَنْتَثِرُ

فَقَدْ أَتَتْكَ القَوَافِي غِبَّ (١) فَائِدَةٍ ∴ كَمَا تَفَتَّحَ غِبَّ الوَابِلِ الزَّهَرُ (٢)

والشاهد من قصيدة يمدح بها علي بن مر الأرمني (٣)، ومطلعها :

فِي الشَّيْبِ زَجْرٌ لَهُ لَوْ كَانَ يَنْزَجِرُ ∴ وَبَالِغٌ مِنْهُ لَوْلَا أَنَّهُ حَجَرُ

وقبل الشاهد :

رَأَيْتَ مَجْداً عِيَاناً فِي بَنِي أُدَدٍ ∴ إِنْ مَجْدُ كُلِّ قَبِيلٍ دُونَهُمْ خَبَرُ

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٦ ، خفاجي : ٤٦٩ ، شاكر : ٥١٦ .

(١) غِبُّ الأمرِ ومغبته عاقبته وآخره ، وغِبُّ كلِّ شيءٍ عاقبته وجئته غِب الأمر أي بعده ، والغِبُّ وِرْدٌ يوم وظِمءٌ آخر / اللسان " غب " : ١ / ٦٣٤-٦٣٥ .

(٢) ديوان البحتري : - بيروت - : ٢ / ٣١٠ .
ديوانه - صيرفي - : ٢ / ٩٥٨ .

(٣) سبقت ترجمته : ...١ .

وبعد الشاهد :

فِيهَا المَقَائِقُ وَالعِقيَانُ إِنْ لَبِسَتْ ∴ يَوْمَ التَّبَاهِي وَفِيهَا الوَشْيُ وَالحِبَرُ
وَمَنْ يَكُنْ فَاخِراً بِالشِّعْرِ يُمْدَحُ فِـي ∴ أَصْنَافِهِ فَبِكَ الأَشْعَارُ تَفْتَخِـرُ

في هذين البيتين يصف الشاعر قدرته الشعرية ، وأن المعاني والصور تتنثال عليه انثيالاً إذا ما أراد مدح هذا الممدوح الكريم " أبا حسن " ، فابتدأ البيت بمخاطبته وأمره أياه أمر رجاء أن يحسن بالشعر ويقدره ، فأحسانه هذا هو السبب في إيقاظ إحساسه الشعري .

وتأمل حذف أداة النداء في قوله " أبا حسن " وذلك ليحثه على تقدير الشعر والإحسان إليه .

ثم انظر إلى مجيء أداة التوكيد " قد " واقترانها بـ " الفاء " في البيت الثاني ، وكيف ربطت " الفاء " معنى البيت الأول بالثاني كل ذلك ليبرز أهمية إحسان الممدوح بالشعر وأثره في سرعة توارد المعاني الشعرية عليه .

ولقد لجأ الشاعر إلى المجاز المرسل ، فجاء بلفظ " القافية " وهو يريد الشعر كله - أي ذكر الجزء وأراد الكل - فتوارد القوافي المناسبة لمعاني الشعر أصعب عمل يمر به الشاعر أما هو فتأتيه القوافي طائعة مختارة بأتم فائدة وأحسنها ، وزيادة في الإثبات لجأ إلى التشبيه وعرض أمام الذهن صورة تفتح أكمام الزهر بآخر المطر وشبه بها قوافيه التي تعرض وتتفتح أمامه عن آخرها .

الشاهد الرابع والستون بعد الثلاثمائة : (*) (الطويل)

وقال البحتري :

إِلَيكَ القَوَافِي نَازِعَاتٌ قَوَاصِداً[1] ∴ يُسَيِّرُ ضَاحِي وَشْيِهَا وَيُنَمْنَمُ[2]

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٦ ، خفاجي : ٤٧٠ ، شاكر : ٥١٦ .
(١) رواية زهر الآداب : " شواردا " .
(٢) رواية الديوان : " وَيُتَمَّمُ " .

وَمُشْرِقَةٍ فِي النَّظْمِ غُرٌّ يَزِينُهَا ∴ بَهَاءً وَحُسْنًا أَنَّهَا لَكَ تُنْظَمُ [(١)] (٢)

وهو من قصيدته التي يمدح بها الفتح بن خاقان، ومطلعها :

خَيَالٌ مُلِمٌّ أَوْ حَبِيبٌ مُسَلِّمُ ∴ وَبَرْقٌ تَجَلَّى أَوْ حَرِيقٌ مُضَرَّمُ

وقبل الشاهد :

وَمَا الْبَذْلُ بِالشَّيْءِ الَّذِي يَسْتَطِيعُهُ ∴ مِنَ النَّاسِ إِلَّا الأَرْوَعُ الْمُتَهَجِّمُ

وَيُحْجِمُ أَحْيَانًا عَنِ الجُودِ بعضُ مَنْ ∴ تَرَاهُ عَلَى مَكْرُوهَةِ السَّيفِ يُقْدِمُ

وبعد الشاهد :

ضَوَامِنُ لِلْحَاجَاتِ إِمَّا شَوَافِعًا ∴ مُشَفَّعَةً أَوْ حَاكِمَاتٍ تَحَكَّمُ

وَكَأَيِّنْ غَدَتْ لِي وَهْيَ شِعْرٌ مُسَيَّرٌ ∴ وَرَاحَتْ عَلَيَّ وَهْيَ مَالٌ مُقَسَّمُ

إن للبحتري نفساً شاعرة كشفت نقابها اللغة الموحية، والتصوير الحي، انظر إلى قوافيه نازعات قواصد، وتأمل ما في هذا التركيب من إيحاءات الشوق والحنين، ولهفة اللقاء، فهي وقت صياغتها تتدافع إلى الخيال تسبقها الرغبة في اللقاء، وكأنني بتلك القوافي عاشقة تزينت بكامل حليها، وقشيب ثيابها، أخذت تنزع في السير لهفة وشوقاً للقاء ذلك الحبيب .

وزاد من صورة الشوق هذه تقديم المسند - الجار والمجرور - " إليك " على المسند إليه " القوافي نازعات "، حيث قصر القوافي النُّزَّع على الممدوح دون غيره مبالغة وادعاء، فهي لا تشتاق، ولا تنزع إلا إليه .

وقوله : " قواصد " على وزن " فواعل " واستعمال جمع الكثرة بدلا من قاصدات (وهو جمع مؤنث يدل على القلة) يُظهر كثرة قاصديه .

---

(١) رواية الديوان ودلائل الإعجاز، تحقيق شاكر . " أنها فيك " .

(٢) لم أجدهما إلا في :

ديوانه : ١ / ١١٣ .

زهر الآداب: ٢ / ٦٥٦ .

وبناء الفعل "يُسَيَّر" للمجهول صوّر ضاحي معانيها بعد أن اكتست وشيها المنمنم ، وهي تسير من تلقاء نفسها كأنّ هناك قوة خفية تحثها على السير.

ويتنامى إحساس الشاعر بعظمة هذه القصائد ، فيشرع في إبراز حسنها ، فهي مشرقة ، والإشراق في النظم يعني الوضوح الذي يتولد من تراحم الكلمات ، وتعانق الدلالات . ومزج ذلك كله بخيال الشاعر الذي سَقي من روحه وعاطفته .

وهي غُرّ ناصعة الصفاء كاملة النقاء .

ودعك من هذا كله ، وانظر إلى دُرّ المدح ، وكيف استطاعت عبقرية الشاعر أن تزيد الممدوح رفعة وإكباراً ، فَمَا ذَاكَ الحسن ، وماذاك البهاء إلا لأنها تُنظَم في ذلك الممدوح .

الشاهد الخامس والستون بعد الثلاثمائة : (*) (الطويل)

قال البحتري :

بِمَنْقُوشَةٍ نَقْشَ الدَّنانِيرِ يُنْتَقَى ∴ لَهَا اللَّفْظُ مُخْتَاراً كَمَا يُنْتَقَى التِّبْرُ (١)

وهو من قصيدة يمدح بها أبا عامر الخضر بن أحمد (٢) ، ومطلع القصيدة :

لِمَا وَصَلَتْ أَسْمَاءُ مِنْ حَبْلِنَا شُكْرُ ∴ وَإِنْ حُمَّ بِالْبَيْنِ الَّذِي لَمْ نُرِدْ قَدْرُ

وقبل الشاهد :

أَبَا عَامِرٍ إِنَّ المَعَالِي وَأَهْلَهَا ∴ يَوَدُّونَ وِدّاً أَنْ يَطُولَ بِكَ العُمْرُ

إِذَا جِئْتُمُ وَالْكَرُومَةَ تَبْهَرُ الوَرَى ∴ فَمَا هِيَ بِدْعٌ مِنْ عُلاَكُمْ وَلاَ بِكْرُ

إِذَا نَحْنُ كَافَأْنَاكُمُ عَنْ صَنِيعَةٍ ∴ أَنِفْنَا فَلاَ التَّقْصِيرُ مِنَّا وَلاَ الكُفْرُ

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٦ ، خفاجي : ٤٧٠ ، شاكر : ٥١٧ .

(١) لم أجده إلا في :
ديوانه : ١ / ٢٧٧ .

(٢) سبقت الترجمة له : ١٠٣٠ .

وبعدها الشاهد وبعده :

تَبِيتُ أَمَامَ الرِّيحِ مِنْهَا طَلِيعَةٌ .·. وَغُدْوَتُهَا شَهْرٌ وَرَوحَتُهَا شَــهْرُ
تُقَضَّى دُيُونَ المُنْعِمِينَ وَيُقْتَنَى .·. لَهُمْ مِنْ بَوَاقِي مَا أَعَاضَتْهُمُ فَخْرُ

وهذا شاهد آخر يبرز لنا طريقة البحتري في عمل الشعر، فهو حريص كل الحرص على صقل معدن الألفاظ ، وهو يُعنى أشد العناية باختيار ألفاظه . فالنقش على الدنانير، وانتقاء التبر لها ، وتخليصه من الشوائب ، من أشد الصناعات صعوبة، فهي تحتاج إلى حذق ومهارة وصبر وجهد من نوع خاص ، فكيف إذا كان هـــذا النقش ، وهذا الانتقاء عملاً ذهنياً نفسياً ؟ !

وانظر إلى تقديم الجار والمجرور في قوله " يُنتقى لها اللفظ " وكيف دل على بالــغ عنايته بقصائده .

الشاهد السادس والستون بعد الثلاثمائة : (*) (الطويل)

قال البحتري :

أَيَذْهَبُ هَذَا الدَّهْرُ لَمْ يُرَ مَوْضِعِي .·. وَلَمْ يُدْرِ مَا مِقْدَارُ حَلِّي وَلَا عَقْدِي
وَيَكْسَدُ مِثْلِي ، وَهْوَ تَاجِرُ سُـــؤْدَدٍ .·. يَبِيعُ ثَمِينَاتِ المَكَارِمِ وَالمَجْدِ (١)
سَوَائِرُ (٢) شِعْرٍ (٣) جَامِعٍ بِدَدَ (٤) العُـــلَا .·. تَعَلَّقْنَ مَنْ قَبْلِي وَأَتْعَبْنَ مَنْ بَعْدِي (٥)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٦ ، خفاجي : ٤٧٠ ، شاكر : ٥١٧ .

(١) رواية الديوان - تحقيق الصيرفي - ، والموازنة ، والطرائف الأدبية : " الحَمْدِ " .

(٢) ضبط محقق الموازنة : " سوائرِ " .

(٣) ضبط محقق الموازنة : " شِعرٌ " . ويبدو أن هذا خطأ من الطابع .

(٤) البَدَد : التبديد التفريق ، يقال : شَمْلٌ مُبَدَّد ، وبَدَّد الشيء فتَبَدَّدَ : فرّقه فتفرّق ، وتَبَدَّدَ القوم إذا تفرّقوا ، وتَبَدَّد الشيء : تفرّق / اللسان " بدد " : ٧٨/٣ ، القاموس المحيط : " بدد " : ٢٨٥/١ .

(٥) لم أجد الأبيات فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :
ديوانه - تحقيق الصيرفي - : ٧٤٧/٢ ، ديوانه - طبعة بيروت - : ٢٠٨/١ ، الموازنة - تحقيق سيد صقر - : ٢٦١ ، الطرائف الأدبية : ٢٣٧ - البيت الأول والثاني فقط - .

يُقَدِّرُ فِيهَا صَانِعٌ مُتَعَقِّلٌ .·. لِإِحْكَامِهَا (١) تَقْدِيرَ دَاوُدَ فِي السَّرْدِ (٢) (٣)

والأبيات من قصيدة يمدح بها ابن ثوابة (٤)، ومطلعها :

ضَلَالٌ (٥) لَهَا مَاذَا أَرَادَتْ إِلَى الصَّدِّ .·. وَنَحْنُ وُقُوفٌ مِنْ فِرَاقٍ عَلَى حَدِّ

وقبل الشاهد :

أَضَنَّ أَخِلَّاءٌ وَضَنَّ أَحِبَّةٌ .·. فَلَا خِلَّةٌ تُصْفِي وَلَا خِلَّةٌ تُجْدِي

وبعد الشاهد :

خَلِيلَيَّ لَوْ فِي المَرْخِ (٦) أَقْدَحُ إِذْ أَبَى .·. رِجَالٌ مُؤَاتَاتِي إِذًا لَخَبَا (٧) زَنْدِي

---

(١) رواية الموازنة : " لأَحْكَامِهَا " .

(٢) السرد : حلق الدرع / أساس البلاغة " سرد " : ٢٠٨ .

(٣) لم يرد هذا البيت في ديوانه - طبعة بيروت - .

(٤) هو أحمد بن محمد بن ثوابة بن يونس ، أبو العباس الكاتب أصلهم نصارى ، وقيل إنَّ يُونُس يُعرف بِلَبَابة ، وكان حجّاماً ، وقيل أُمُّهم لَبَابَةُ ، وكان أبوه كاتباً لِبَا كْبَاكَ التركي في عهد المهتدي ، تَوَلَّى أخوه جعفر بن محمد ابن ثوابة ديوان الرسائل في أيّام عبيد الله بن سليمان الوزير ، وله ابن اسمه محمد بن أحمد كان أيضاً مترسلاً بليغاً .

وكان أبو العباس من الثقلاء البُغضاء ، وله كلام مدون مستهجن مستثقل ، كان بين أبي العباس وبين الوزير أبي الصقر وحشة لمهاترة وقعت بينهما ثم اعتذر عنها ابن ثوابه ، فولاه أبو الصقر طساسيج بابل وغيرها ، وظل والياً إلى أن توفي سنة ٢٧٧ هـ ، وقال الصولي سنة ٢٧٣ هـ / انظر ترجمته : طبقات ابن المعتز : ٤٠٩ ، أخبار أبي تمام : ١٥-١٦ ، الفهرست : ١٨٧ - ١٨٨ ، معجم الأدباء : ٤ / ١٤٤-١٧٤ .

(٥) رواية الديوان - صيرفي - : ضلالاً .

(٦) المرخ : شجر يستقدح به ، كثير الوري سريعه / اللسان " مرخ " : ٣ / ٥٣ .

(٧) خبا : لم يقدح ، خبت النار والحرب ، والحِدَّة تخبو خبواً وَخُبُوًّا : سكنت وطفئت وَخَمَد لهبها / اللسان " خبا " : ١٤ / ٢٢٣ ،

ورواية الديوان - صيرفي - : " لَكَبَا " .

إن المتأمل في هذه الأبيات يلمح فيها تلك النفس الممتلئة فخراً واعتزازاً بقدرتها الشعرية ، فهمزة الاستفهام المفيدة للتعجب والإنكار والتي قد بدأ بها أبياته كشفت ذلك الامتلاء النفسي ، فإحساسه بعظمته ومقدرته أملى عليه أن ينكر ذهاب الدهر وفناءه من غير أن يرى موضعه ومكانته .

واستمع إلى رنات التحقير تنبعث من اسم الإشارة " هذا الدهر " فالدهر إن لم يحظ برؤية موضعه ومكانته فهو دهر وضيع الشأن ، وكأنه يريد أن يثبت أنه لا رفعة له إلا في رؤية تلك القصائد ، ويبدو أن البحتري وجد مراح نفسه في هذا الاستفهام ، فكرره في معنى البيت الثاني ، فهو ينكر ويتعجب من أن يكسد تاجرٌ بضاعته السؤدد والمجد والمكارم .

وهنا أحس الشاعر أنه استطاع أن يُفرغ في النفوس إحساسه بعظمته الشعرية . فإن جزءاً هاماً من المعنى أخذ يلح عليه راغباً في الظهور ، فقطع البحتري الكلام ، واستأنف ، فحذف المسند إليه ، وبدأ بالمسند " سوائر " فرغبته في التفني بجمال أشعاره تطلبت منه هذا الحذف ، وفي بناء المسند " سوائر " على وزن " فواعل " - وهو صيغة منتهى الجموع - مبالغة في وصف قصائده بكثرة الانتشار والذيوع .

وانظر إلى قوله : " جامع " وكيف أتى به على وزن " فاعل " فدل على أن أشعاره تحمل كل معاني العلا على الثبات .

وكذلك تأمل قوله " صانع - متعمل " وكيف جاء به - أيضاً - على صيغة اسم الفاعل وماذاك إلا ليصور صبره ودأبه وثباته على صناعة الشعر من غير أن يتسرب لملكته الملل أو الكلل . وهذا الثبات يكشف عن روح مشغفة محبة لصناعتها ، وكذلك الفعل " تعمل " يدل على الرغبة والقصد والجهد في عملية الإحكام والبناء .

وما أبرع البحتري حين أكد معنى الإحكام بصورة تقدير داود في السرد ، وهي صورة محكمة متقنة مقتبسة من قوله تعالى :

﴿ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ﴾ (١)

---

(١) سورة سبأ : ١١ .

وهذه الصورة نجحت في إقناع النفوس بإحكام نسج أبياته وتداخل حلقات صورها ومعانيها .

. ولقد أعجب الآمدي بهذه الأبيات ، وعلق عليها بقوله : " وهذا صِدْقُ أبي عبادة عن نفسه ، وماكان له بد من أن ينْفِث ، وماقال قولاً هو أصدق من هذا "(١)

الشاهد السابع والستون بعد الثلاثمائة : (*) (الكامل)

قال البحتري :

لِلّهِ(٢) يَسْهَرُ في مَدِيحِكَ لَيْلَهُ .·. مُتَمَلْمِلاً وَتَنَامُ دُونَ ثَوابِهِ

يَقْظَانَ يَنْتَحِلُ(٣) الكَلاَمَ كَأَنَّهُ .·. جَيشٌ لَدَيهِ يُرِيدُ أَنْ يَلْقَى بِهِ

فَأَتَى بِهِ كَالسَّيْفِ رَقْرَقَ صَيْقَلٌ .·. مَابَيْنَ قَائِمِ سِنْخِهِ(٤) وَذُبَابِهِ(٥) (٦)

---

(١) الموازنة - تحقيق السيد صقر - : ٢ / ٢٦١ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٧ ، خفاجي : ٤٧٠ ، شاكر : ٥١٧ .

(٢) رواية الديوان (بيروت) " الله " ، ورواية الديوان - صيرفي - ، والدلائل تحقيق شاكر : " تالله " .

(٣) رواية الديوان والمثل السائر " ينتخب " ، ورواية الدلائل تحقيق شاكر : " ينتخل " ، ورأى الأستاذ شاكر أن رواية (ينتحل) تصحيف وفساد ، ونخل الشيء ، وتنخله وانتخله " صفاه واختاره وعزل عنه مايكره أو يفسده ، وماذهب إليه الأستاذ شاكر صحيح ؛ لأنه لا معنى للانتحال في هذا السياق .

(٤) السنخ : الأصل ، وسنخ النصل : الحديدة التي تدخل في طرف السهم ./ اللسان " سنخ " : ٣ / ٢٦ .

(٥) ذبابه : ذباب السَّيفِ : طرفه الذي يضرب به ./ اللسان " ذبب " : ١ / ٣٨٣

(٦) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :

ديوانه - بيروت - : ٢ / ١٦٣ ، ديوانه : ١ / ٨٨ .

المثل السائر : ١ / ١٦٨ البيت الثاني فقط .

والأبيات من قصيدة قالها في عتاب اسماعيل بن شهاب (١)، ومطلعها :

هَلْ لِلْنَّدَى عَذْلٌ فَيَغْدُو مُنْصِفاً .·. مِنْ فِعْلِ إِسْمَاعِيلِهِ بنِ شِهَابِهِ (٢)

وقبل الأبيات :

إِسْمَعْ لِغَضْبَانٍ تَثَبَّتَ سَاعَةً .·. فَبَدَاكَ قَبْلَ هِجَائِهِ بِعِتَابِهِ

وبعد الشاهد :

وَحَجَبْتَهُ حَتَّى تَوَهَّمَ أَنَّهُ .·. هَاجٍ أَتَاكَ بِشَتْمِهِ وَسِبَابِهِ

ابتدأ البحتري أبياته بالقسم " تالله " مؤكداً ومقرراً في النفوس ما يشعر به من حقيقة المعاناة الحادة حين يبيت ناظماً قصائده ، فهو يقظان سهران في نخل الكلام وانتقائه ، فمعانيه لكثرتها وعظمها ، وحبها في أن تصف هذا الممدوح تتزاحم في مخيلته كالجيش المتحفز المحب للقاء العدو ، فبذل في تنظيمها وصقلها من الجهد ما بذل حتى خرجت كالسيف المصقول في قوتها وتلألئها .

ويبدو لي أن وصف نفسه " بالتململ " - وهو عدم الاستقرار من التوجع - حين صوغ قصيدته قدح في الممدوح لا مدح ، فكان عليه أن يصف نفسه بالفرح ، والغبطة والطرب، لأنه يبيت ليله مع وصف الممدوح .

---

(١) هو أبو القاسم إسماعيل بن شهاب ، من صغار الكتاب ، كان كاتباً للقاضي أحمد ابن أبي دواد ، قاضي القضاة في عهد المعتصم والواثق والمتوكل ، ويبدو أن اتصال البحتري بإسماعيل بن شهاب كان خلال سنة (٢٣٢هـ) أي في خلافة الواثق على الأغلب حيث كان للقاضي نفوذ كبير في هذا العهد ، ويظهر أن إسماعيل لم يكن بمقدوره مجاراة جشع البحتري ، فيبدو أنه كان يأمر بحجبه ورده عن بابه ، ولما وجد البحتري من ابن شهاب أذناً صمّاء وسكوتاً مطبقاً ، أخذ يهجوه هجاء ينحو في بعضه منحى الفحش والبذاء . / انظر :

البحتري في سامراء حتى عصر المتوكل : ٢٠ ، ٢١ ، ٧١-٧٤ .

(٢) رواية الديوان - صيرفي - : (إسماعيلِهِ " ابنِ شِهَابِهِ ") .

و " التململ " أيضا دليل عجز الشاعر ، فكان عليه أن يصف نفسه بالاقتدار على الألفاظ من غير توجع .

وأبيات البحتري هذه تحوي لطائف ودقائق عدة . انظر إلى طرافة الوصل بين جملة " يسهر في مديحك " وجملة " تنام دون ثوابه " حيث جعلهما كالجملة الواحدة ، وجَمْعُ التضاد " السهر - النوم " في صورة واحدة أقوى وأبلغ في عتاب الممدوح ولومه .

ثم انظر إلى تلك الأفعال المضارعة التي وضعتها اللغة للدلالة على الأحوال المشاهدة " يسهر - تنام - يقظان - ينتخل - يريد " وكيف استطاعت أن تجعل النفس تستشعر ذلك الموقف وتبصره وكأن مشهد معاناته شاخص أمامها .

وفي انتقال الكلام من المضارع إلى الماضي " أتى " توكيد لوقوع الحدث ، وقوّى هذا التوكيد مجيء " الباء " الجارة الدالة على الإلصاق ، فدل ذلك على تمكن الشاعر وقدرته على صقل الكلام .

الشاهد الثامن والستون بعد الثلاثمائة : (*) (الخفيف)

(١)
ومن نادر وصفه للبلاغة :

١- فِي نِظَامٍ مِنَ البَلَاغَةِ مَاشَكَّ (م) ∴ امْرُؤٌ أَنَّهُ نِظَامٌ فَرِيدِ
٢- وَبَدِيعٍ كَأَنَّهُ الزَّهَرُ الضَّا ∴ حِكُ فِي رَوْنَقِ الرَّبِيعِ الجَدِيدِ
(٢)
٣- مُشْرِقٌ فِي جَوَانِبِ السَّمْعِ مَا يَخْـ ∴ ـلقه عَوْدُهُ عَلَى المُسْتَعِيدِ
٤- حُجَجٌ تُخْرِسُ الأَلَدَّ بِأَلْفَا ∴ ظٍ فُرَادَى كَالجَوْهَرِ المَعْدُودِ (٣)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٧ ، خفاجي : ٤٧٠-٤٧١ ، شاكر : ٥١٧-٥١٨ .
(١) أي البحتري .
(٢) رواية الديوان - صيرفي - " مُشْرِقٍ " .
(٣) ذكر في الديوان قبل هذا البيت :

مَا أُعِيرَتْ مِنْهُ بُطُونُ القَرَاطِيـ ∴ ـسِ وَمَا حُمِّلَتْ ظُهُورُ البَرِيدِ
مُسْتَمِيلٌ سَمْعَ الطَّرُوبِ المُعَنَّى ∴ عَنْ أَغَانِي مُخَارِقٍ وَعَقِيدِ ====

٥- وَمَعَانٍ لَوْ فَصَّلَتْهَا القَوَافِي (١) ∴ هَجَّنَتْ شِعْرَ جَرْوَلٍ وَلَبِيدِ
٦- حُزْنَ (٢) مُسْتَعْمَلَ الكَلَامِ اخْتِيَاراً ∴ وَتَجَنَّبْنَ ظُلْمَةَ التَّعْقِيدِ

=== رواية الديوان - صيرفي - للشطر الثاني من البيت الثاني :
" عَنْ أَغَانِيِّ زُرْزُرٍ وَعَقِيدِ "

(١) رواية العمدة ، وتاريخ بغداد : " فَضَّلَتْهَا " .

(٢) حُزْنَ : جمعن ، فالحوز الجمع ، وكل من ضم شيئاً إلى نفسه من مال أو غير ذلك ، فقد حازَه حوزاً وحيازة وحازَه إليه واحتازَه إليه / اللسان : " حوز " : ٥ / ٣٤١ .

ورواية الدلائل - تحقيق شاكر : ٥١٨ - : " جُزْنَ " بالجيم ، ورأى الأستاذ شاكر أن روايتها " بالحاء " تصحيف وفساد للشعر . قال :

" وفي الديوان والمطبوعة قوله : " حُزن مستعمل الكلام " بالحاء المهملة ، وهكذا يجري في الكتب ، وهو عندي خطأ لا شك فيه ، وتصحيف مفسد للكلام والشعر معاً ، وإنما هو " جُزْنَ " بالجيم المعجمة من " جاز المكان " إذا تعداه ، وتركه خلفه يقول : إنَّ معانيه تعدَّين مبتذل اللفظ ، والكلام وتركنه ، وتجنبن ظلمة التعقيد ، وركبن اللفظ القريب " ، وهو اللفظ المختار الجيد الذي لا ابتذال فيه ولا تعقيد ، وهو في بعض نسخ الديوان " جزن " بالجيم ، وهو الصواب المحض ، وأما " حزن " فهو تصحيف يُتَّقى ، وكلام يُرْغَبُ عن مثله " .

ولا أدري لما جعل الأستاذ شاكر رواية "حزن" بالحاء تصحيف يتقى ، وكلام يرغب عنه ؟ فجزن - بالجيم - بمعنى " تَعَدَّين " ، وحَزن قد تأتي بمعنى ، " تَحَيَّنَ وَأَبْعَدْنَ " - اللسان " حوز " : ٥ / ٣٤١ ، وهو المعنى الذي ذهب إليه الأستاذ شاكر ولن كنت أرى أن " حُزْنَ " هنا بمعنى جمعن ، وأنه أراد بمستعمل الكلام ماليس غريباً ولا حوشيّاً ، وأكده بقوله " وركبن اللفظ القريب " وتفسير الأستاذ شاكر " المستعمل " بالمبتذل ، والقريب بالمختار تحكم منه ، وإنما كان يفتخر البحتري بأنه يؤثر السهل من الكلام وبذلك كان يفضله المعجبون به .

٧- وَرَكِبْنَ اللَّفْظَ القَرِيبَ فَأَدْرَكْـ (١) ∴ ـنَ بِهِ غَايَةَ المُرَادِ البَعِيـــدِ

٨- كَالعَذَارَى غَدَوْنَ فِي الحُلَلِ الصُّفْـ (٢) ∴ ـرِ إِذَا رُحْنَ فِي الخُطُوطِ السُّودِ (٣)

والأبيات من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات ومطلعها :

بَعْضَ هَذَا العِتَابِ وَالتَّفْنِيدِ ∴ لَيْسَ ذَمُّ الوَفَاءِ بِالمَحْمُـــودِ

وقبل الشاهد :

لَتَفَنَّنْتَ فِي الكِتَابَةِ حَتَّـى ∴ عَطَّلَ النَّاسُ فَنَّ عَبْدِ الحَمِيـــدِ

وبعد الشاهد :

قَدْ تَلَقَّيْتَ كُلَّ يَوْمٍ جَدِيـــدٍ ∴ يَا أَبَا جَعْفَرٍ بِمَجْدٍ جَدِيـــدِ

يصف البحتري بلاغة قصائده بأنها كعقد اللؤلؤ في نظمها ، ونظمها في رونقـه كالزهر الضاحك في أوائل الربيع وقوله " وبديعٍ " أي رُبَّ بديعٍ ، وحَسَّنَ الحذف هنـا للمبالغة في وصفها بكثرة الإبداع .

---

(١) رواية الدلائل - رضا - : " القويب " ، واعتقد أنه خطأ مطبعي .

(٢) رواية إعجاز القرآن : " الحلل البيض " ، يعزز هذه الرواية قصد الطباق مع السود، لكن اللون الأصفر هو المفضل .

(٣) انظر الأبيات في :

ديوانه - الصيرفي - : ١ / ٦٣٦ - ٦٣٧ .

ديوانه - طبعة بيروت - : ٢ / ٣٢٩ ، الموازنة - محمد محيي الدين - ٣٨٠ - ٣٨١ - البيت الخامس والسادس والسابع -

إعجاز القرآن : ١١٥ - البيت الأول والثاني والسادس والسابع والثامن - .

التمثيل والمحاضرة : ١٥٨ - البيت السابع - ، زهر الآداب : ١ / ٣٣ - الأول والسادس والسابع - ، العمدة : ١ / ٢٤٦ ، - الخامس - والسادس والسابع - ، تاريخ بغداد : ٢ / ٣٤٢ ، - الأول والخامس والسادس والسابع -

العكبري : ٢ / ١٦٧ - الثالث فقط - ، نهاية الأرب : ٧ / ١١ ، - السابع فقط - .

وقصائده لبلاغتها وحسنها لا تَبْلَى معانيها ، ولا تَقْدُم على كثرة ترددها على السمع بل يزيدها هذا التردد حسناً وإشراقاً .

ثم وصفها بأنها لإحكام معانيها ودقة ألفاظها في التعبير عن هذه المعاني ، حججٌ قاطعة تخرس الألد .

وانظر إليه وقد حذف المسند إليه ، وابتدأ البيت بالمسند " حججٌ " فأصل الجملة " هي حجج " وإنما حذفه ليباشر السمع ، ويلفت الأذهان إلى عظيم هذا الوصف ، وقوته ، فيتقرر في النفس .

ثم وصف قصائده بوفرة المعاني وأنها لفخامتها تهجن شعر جرول ولبيد .

وحذف " رُبَّ " وجاء بـ " الواو " - " ومعانٍ " - ليدل على عظيم تلك المعاني ووفرتها .

وتأمل " الفاء " في قوله " وركبن . . . فأدركن " وكيف صورت سرعة تكشف المعاني البعيدة وسهولة إدراكها .

ثم انظر كيف شبه تلاؤم ألفاظه ومعانيه بالعذارى وهن يلبسن أجمل ثيابهن وهي الحلل الصفر تمر بها الخطوط السود ، وكأن اختلاط هذين اللونين كان من أحب الألوان عند العرب .